الدكتورة
ليلى الصباغ
الأستاذة في كلية الآداب
بجامعة دمشق

دراسة
في منهجية البحث التاريخي

حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لجامعة دمشق

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

مُقدّمـــة

التعريف بمنهج البحث التاريخي ، ومصادره :

ان موضوع « منهج البحث التاريخي » ، هو جزء من « علم الطرائق » أو « علم المنهجية » « الميتودولوجيا » Méthodologie . وهذا العلم بدوره فرع من « المنطق » ، الذي يدرس طرائق مختلف أنواع المعارف ، ولا سيما منها طرائق العلوم . ويطلق عليه أيضا اسم « منطق العلوم »[1] .

ويمكن تعريف « منهج البحث التاريخي » بانه مجموعة الطرائق والتقنيات التي يتبعها الباحث التاريخي ، والمؤرخ ، للوصول الى الحقيقة التاريخية ، واعادة بناء الماضي بكل دقائقه وزواياه ، وكما كان عليه في زمانه ، ومكانه ، وبجميع تفاعلات الحياة فيه . وهذه الطرائق قابلة دوما للتطور ، والتكامل ، مع تطور مجموع المعرفة الانسانية وتكاملها ، ونهج اكتسابها .

وعندما يطرح موضوع « المنهج العلمي للبحث التاريخي » ، يتطرق الى الذهن مباشرة ، ذاك الجدل والنقاش الحادان ، اللذان قاما بين المؤرخين والعلماء، وبعض المناطقة والفلاسفة في القرن التاسع عشر ، ولما يغلق بابهما حتى الآن . وقد دارا حول طبيعة المادة التاريخية ، وطرائق الوصول الى الحقيقة العلمية ، المجردة والثابتة فيها : فكثير من العلماء الطبيعيين والمناطقة[2] انكروا — ومازال بعضهم

---

(1) Grand Larousse Encyclopédique, Paris 1967. art. « Méthodologie ». T.I.P. 307

(٢) من امثال « وليام ستانلي جيفونز W. S. Gevons » (١٨٣٥ — ١٨٨٢) وكان من رجال الاقتصاد والمنطق . درّس في جامعة لندن ، وتميز بعمق التفكير . اشهر مؤلفاته « مبادىء العلم » Principles of Science .

ينكر ـ على المعرفة التاريخية علميتها « الوضعية » ، وصحة حقائقها ، وثبوتها ، بحجة انعدام امكان اخضاعها لطرائق العلم الوضعي الحديث ، المعتمدة على الملاحظة المباشرة ، والتجربة ، واستنباط القوانين ، وحتميتها . فالعلوم الطبيعية ما عدا الجيولوجيا ، تتناول حقائق تلاحظ ملاحظة مباشرة ، فاذا كان من الممكن ـ في عرفهم ـ والى حد ما ، ملاحظة النزر اليسير جدا من احداث التاريخ المعاصر ، ملاحظة مباشرة ، وبنزاهة واستيعاب وتجرد ، فان هذا غير ممكن في الواقع بالنسبة لجميع الاحداث المعاصرة . لان هذه الاحداث تحدث مرة واحدة في زمانها ومكانها ، وقدتجري على غير انتظار ، وتحدث في ساحات متعددة يستحيل على الملاحظة المباشرة أن تحيط بها كلها . واذا كانت الملاحظة المباشرة غير مستطاعة في الاحداث الجارية ، فبالأحرى أن تكون كذلك في الاحداث التي انقضت، والاحوال التي مضت . هذا بالاضافة الى انه من المستحيل أن يكون التاريخ « علما تجريبيا» كعلم الفيزياء أو الكيمياء ، لان مادته هي « الحوادث البشرية » ، وهذه لايمكن اخضاعها للتجربة . فليس في مقدور الباحث التاريخي مثلا تجربة حرب ، أو ثورة ، أو أي حادث آخر ، مهما صغر . كما لايستطيع بالتالي استنباط قوانين من دراسته ، لها صفة « الحتمية » والاحتواء الكامل ، مثلما هو الحال في قوانين العلوم الطبيعية . لان الاحداث مهما تشابهت في الزمان والمكان ، تبقى مختلفة عن بعضها ، وفي بعضها ما يميزه من بعضها الآخر . فالتاريخ لا يعيد نفسه ابدا ، والحوادث لا تكرر ذاتها ، وعنصر « الصدفة » قد يبتر أية محاولة لاستشفاف المستقبل ، والتنبؤ بالحدث قبل وقوعه . « فمن السخف ـ بحسب ادعائهم ـ ان نفكر في التاريخ على انه علم بالمعنى الصحيح »[1] ، اذ انه لايعدو أن يكون مجموعة من الاقاصيص الصادقة أو الكاذبة ، هدفها جذب الجمهور ، وارضاء لهفته للقصة ، وملء وقت فراغه . بل ان الفيلسوف ـ المربي « اسكندر بين » يصفه بأنه نوع منتشر من الادب ، وان حقائقه لاتواجه العقول بصعوبة تتحداها ، وتدفعها الى التفكير[2] . بل إن بعضهم يرى ان التاريخ قد كتب بحسب مزاج

(١) هرنشو : علم التاريخ . (ترجمة عبد الحميد العبادي) . القاهرة ١٩٤٤ ص ٢ ـ والجملة منسوبة الى « جيفونز » .

(٢) Bain (A), Education as a science, New-york, 1879, pp. 286-87.

تشابه واهوائهم ، حتى ان المفكر الفرنسي المعاصر « بول فاليري »[1] يصفه بقوله: « انه أخطر إنتاج صنعته كيمياء الفكر »[2] .

ولم يبق رجال الادب بعيدين عن المعركة ، بل ادلوا هم الآخرون بدلوهم ، فأكدوا ان التاريخ فن من الفنون وليس علما من العلوم ، لان العلم لا يقدم سوى حقائق جافة ، لاحياة فيها ، فلا بد من براعة الكاتب ، وتحسسه النفسي العميق بالاحداث حتى تدب الحياة في أوصال الماضي .

أمام هذا الجدل والهجوم ، كان على المؤرخين في القرن التاسع عشر ، ان يثبتوا ان التاريخ معرفة علمية دقيقة ، غنية بتجربة طويلة ، وان لها منهجا ، أو « طرائقية » في البحث والاستقصاء عن الحقيقة ، لاتقل في علميتها ، وصحة وسائلها ، عن مناهج العلوم الوضعية الاخرى ، وان هذا « المنهج » قد بني لبنة لبنة ، وعبر تطور طويل ، وصقل يوما بعد يوم ، حتى أخذ شكله الحالي .وبالفعل، قام عدد من المؤرخين الذين تأثروا بالنجاح الذي احرزته العلوم الطبيعية في القرن التاسع عشر ، والذين اثارهم تحدي العلماء والمناطقة ، يبحثون في « طرائق علم التاريخ » ويثبتون في كتبهم ومقالاتهم ، ان التاريخ بمنهج بحثه وان اختلف عن منهج العلوم الطبيعية ، هو « علم » يقود الى « الحقيقة الثابتة والمؤكدة » . وذلك من أمثال « رانكه »[3] الالماني ، و « رينان »[4] الفرنسي ، و « دروزين »[5]

---

(١) P. Valery : كاتب فرنسي (١٨٧١ ــ ١٩٤٥) . له انتاج متنوع .وقد انتخب عضوا في الاكاديمية الفرنسية عام ١٩٢٥ ، وتناقش مع « هانوتو » المؤرخ حول « اخطار التاريخ » . فالتاريخ بالنسبة اليه يكوّن لدى الشعوب ذكريات خاطئة ، ويثيرها ، ويجعلها تعيش في نشوة من العظمة والامجاد الكاذبة .

(٢) Regards sur le monde actuel, Paris, Gallimard. 24e édition, P. 43

(٣) L. Von Ranke ليوبولد فون رانكه (١٧٩٥ ــ ١٨٨٦) : مؤرخ واستاذ الماني كبير . درس التاريخ الاوربي الحديث وعمل على الرجوع الى الاصول التاريخية الاولى . وينظر اليه على انه اب للتاريخ العلمي الحديث .

(٤) E. Renan كاتب وفيلسوف فرنسي . له انتاج متنوع (١٨٢٣ــ١٨٩٢). من اشهر كتبه « تاريخ أصول المسيحية » .

(٥) J. G. Droysen مؤرخ وأستاذ الماني (١٨٠٨ ــ ١٨٨٤) . قام باستقصاء القوى المحركة للتاريخ . كتابه : « طرائق الدراسة التاريخية » .

و « ستبس »[1] و « شميدت »[2] . ولقد نشرت حول هذا الموضوع كتب عديدة ومقالات كثيرة في الدوريات : وفي جميع البلدان ، وبخاصة في فرنسا ، والمانيا ، وانكلترا ، وايطاليا ، والولايات المتحدة الامريكية . وجاء « ارنست برنهايم E. Bernheim وهو استاذ في جامعة غرايفز فالد Greifswald ، فجمع كل ما كتب عن المنهج التاريخي . وصنفه في امارات ملائمة وأضاف اليه ملاحظاته ، والمراجع المختارة ، واصدره في « كتاب حول منهج البحث التاريخي » « Lehrbuch der Historichen Methode, Leipzig,1894 » .

الا ان كتاب « برنهايم » هذا ، كتب في الحقيقة لنخبة من المثقفين : فهو يعالج بتوسع القضايا الميتافيزيقية ، ولا يتوقف عند بعض النواحي العلمية الدقيقة ، مع انها هامة . وبصورة عامة فانه لم يؤلفه ليدل الراغبين في الدراسة التاريخية على الطريقة الصحيحة في البحث ، مع ان الحاجة لمثل هذا الدليل كانت ملحة ، ولاسيما لطلاب أقسام التاريخ في الجامعات . وأول من شعر بحاجة الشبيبة لمثل هذا الموضوع كان بعض اساتذة الجامعة ، الذين يدرّسون التاريخ . ومن هؤلاء المؤرخ « فوستيل دوكولانج Fustel de Coulanges »[3] فقد حاول — وهو استاذ في جامعة باريس — أن يحول قواعد المنهج التاريخي الى دساتير دقيقة جدا ، اذ ان أكثر ما كان يهمه هو أن يعلّم العاملين في حقل التاريخ . كيفية الوصول الى الحقيقة ، الا انه لم يصدر توجيهات عامة مدونة بهذا الصدد . وأول كتاب بسط فيه الى

---

(١) W. Stubbs : مؤرخ انكليزي (١٨٢٥ — ١٩٠١) . كان مدرس التاريخ الحديث في جامعة اكسفورد . من كتبه المشهورة « التاريخ الدستوري لانكلترة » .

(٢) Ch. Schmidt : مؤرخ فرنسي (١٨١٢ — ١٨٩٥) له عدة مؤلفات تاريخية . من اهمها : « عن تاريخ الكنيسة الغربية خلال العصور الوسطى » .

(٣) مؤرخ فرنسي (١٨٣٠ — ١٨٨٩) . كتب مذكرة عن جزيرة خيوس . وكانت اطروحته عن « بوليبيوس او اليونان التي غزاها الرومان » . كان استاذ تاريخ العصور الوسطى في الصوربون . كتابه الرئيسي « المدينة القديمة » . وهو طليعة المدرسة التاريخية الحديثة في الحقبة المعاصرة .

حد ما منهج البحث التاريخي ، كـان الكتاب الذي ألفه المؤرخـان الفرنسيان « سنيوبوس » Seignobos [1] ولانغلوا Langlois [2] في أواخر القرن التاسع عشر ، وأطلقا عليه اسم « مدخل للدراسات التاريخية Introduction aux Etudes Historiques , Paris 1898» ، وقد ترجم جزء من هذا الكتاب الى العربية . وقد جاء في مقدمته مايلي : « ان ما نريده نحن من هذا الكتاب ، هو توجيهات لطلبة الدراسات التاريخية الجدد ، حول ماهي عليه الدراسة التاريخية الآن ، وما يجب أن تكون . فمعظم الذين يدخلون قسم التاريخ يدخلونه وهم لايعرفون لماذا ، أو دون أن يتساءلوا : هل هم أهل للبحث التاريخي الذي يجهلون غالبا طبيعته أم لا . ففي معظم الاحوال يتجه كثير من الطلبة الى هذه الدراسة ، أما لان أحدهم كان متفوقا في مادةالتاريخ في المدرسة الثانويـة ، أو لانه يشعر نحو حوادث الماضي بانجذاب خيالي ، أو لانه يحتضن فكرة وهمية بأن التاريخ مادة سهلة نسبيا » .

فمن المهم والضروري اذاً ، ايضاح منهج البحث لطلبة الدراسات التاريخية ، حتى يكونوا على بينة من نوعية العمل الذي ينتظرهم ، ومن الجهود والمعارف المطلوبة منهم للوصول الى الحقيقة التاريخية ، واحياء الماضي .

ولقد تتالت الابحاث المشابهة بعد ذلك في معظم بلدان العالم ، وبجميع اللغات، الا أنه لم ينبر أحد لدراسة هذا الموضوع الهام ، باللغة العربية ، حتى الربع الثاني من القرن العشرين . ولم يدرس في الحقيقة بشكله المجرد ، وانما بدأ الاهتمام يظهر أولا بدراسة « علم التاريخ عند العرب » وطرائق بحثه ، وكأنما أراد المؤرخون العرب المعاصرون أن يردوا على المؤرخين الغربيين ، أو يذكروهم بأن العرب عرفوا

---

(١) سنيوبوس (شارل) . مؤرخ فرنسي (١٨٥٤–١٩٤٢) استاذ في السوربون. تاثر بالمدرسة الالمانية في التاريخ ، له كتاب « تاريخ الحضارة » و « التاريخ السياسي لاوربا المعاصرة » . وقد هاجمته الاجيال المعاصرة التي اعلنت تجاوزها لسرد تاريخ الاحداث كما اراده سنيوبوس .

(٢) لانغلوا (شـارل فيكتور) . مؤرخ فرنسي (١٨٦٣ – ١٩٢٩). كـان استاذ العصور الوسطى في جامعة السوربون ، له كتب في البيلوغرافيا التاريخية . وله كتابه « الحياة في فرنسا في العصور الوسطى من نهاية القرن الثاني عشر الى الرابع عشر » .

« طرائق النقد » الحديثة في التاريخ قبل أن يعرفها الغربيون بمدة طويلة ، هذا في الوقت الذي يبرزون فيه حقلا هاما من حقول التراث الثقافي العربي • ويتبدى هذا الاتجـاه متطاولا في الزمن حتى الوقت الحاضر ، في مجموعة من البحوث والدراسات ، العامة والخاصة فهناك مثلا : الفصول التي كتبها « أحمد أمين » في « ضحى الاسلام » و « ظهـر الاسلام » عن تطور علـم التاريخ عند العرب المسلمين في القرون الاسلامية الأولى • وكذلك الفصل الذي كتبه « عبد الحميد العبادي » (١٨٩٢ ــ ١٩٥٦) ، وألحقه بكتاب « علم التاريخ » ، الذي ترجمه للمؤرخ الانكليزي « هرنشو » ، أستاذ التاريخ الوسيط بجامعة لندن عام ١٩٣٤• وفي الصفحات التي أفردها « جرجي زيدان » في كتابيه « تاريخ الآداب العربية » و « تاريخ التمدن الاسلامي » لعلم التاريخ عند العرب ومؤرخيه ومؤلفاتهم عبر العصور ، ومثل ذلك مافعله « فيليب حتي » في كتابه « تاريخ العرب » • ويضاف الى ما سبق أيضاً دراسـة « محمد مصطفى زيادة » عن « المؤرخين المصريين في القرن الخامس عشـر » ، و « السيد الباز العريني » عن « مؤرخي الحروب الصليبية » ، و « جواد علي » عن « موارد تاريخ الطبري » ، و « عبد العزيز الدوري » عن « نشأة علم التاريخ عند المسلمين » ، ودراسة « عباس العزاوي » عن « التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان » ، و « محمد عبد الغني حسن» عن « علم التاريخ عند العرب » و « التراجم والسير » •

وحول هذا المحور أيضاً ، كان بحثا « محمد شفيق غربال » عن « أساليب كتابة التاريخ عند العرب » و « زكي محمد حسن » في « دراسات في منـاهج البحث في التاريخ الاسلامي » ، وأخيرا كتاب « التاريـخ العربي والمؤرخون » « لشاكر مصطفى » • ويجب ألا يغفل في هذا المقام ما كتبه عدد من المستشرقين عن تطور علم التاريخ عند العرب ، وهو ليس بالقليل • كـالبحث الذي أجراه المؤرخ « غب » في دائرة المعارف الاسلامية في طبعتها الأولى ، والدراسة الواسعة التي قدمها « روزنثال » في كتابه عن « علم التاريخ عند المسلمين ، وغيرها[1] •

---

(١) انظر حول تلك البحوث ، شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون . بيروت ١٩٧٩ (الطبعة الثانية) . الجزء الاول . ص ٢٩ ــ ٤٠ .

ولكن الحاجة لشرح منهج البحث التاريخي لطلاب أقسام التاريخ في الجامعات العربية بدت ملحة ، فقام بعض الاساتذة بوضع كتب تنير الطريق أمام باحثي المستقبل • ويمكن اجمال أهم هذه الكتب التي صدرت حول هذا الموضوع ، والتي يمكن أن تفيد الباحث بوجه عام ، وباحث التاريخ بوجه خاص ، بالكتب التالية ، بحسب تاريخ صدورها الزمني :

١ ــ كتاب « مصطلح التاريخ » للدكتور « أسد رستم » • وقد صدر في بيروت عام ١٩٣٩ • وتوخى فيه مؤلفه أن يفيد به بالذات طلاب قسم التاريخ في « جامعة بيروت الامريكية » عندما كان رئيسا لدائرة التاريخ فيها • وهو يقول في مقدمته ، انه استمد اسس بحثه من « علماء الحديث » ، الذين كان لهم قصب السبق في تحري الحقائق والاحاديث ، وفي نقدالنصوص نقدا دقيقا ، لاستخلاص الأحاديث الصحيحة من الاحاديث الموضوعة • واقتدى بهؤلاء العلماء فيما بعد ، اخباريو العرب ومؤرخوهم • وقد تناول الدكتور رستم في كتابه ، بالشرح والتفسير جميع المراحل والخطوات التي يمر بها الباحث حتى تكتمل دراسته وتصبح مقالة أو رسالة • وللدكتور رستم تجربته الواسعة والعميقة في ميدان البحث التاريخي ، اذ قام بتحقيق « وثائق بلاد الشام في عهد محمد علي » •

٢ ــ كتاب « منهج البحث التاريخي » للدكتور « حسن عثمان » • وقد نشر في القاهرة عام ١٩٤٣ ، ونقح وزيد عليه عام ١٩٦٥ ، ثم عام ١٩٧٠ • وقد ذكر المؤلف في مقدمة كتابه : « انه أول كتاب في اللغة العربية عن منهج البحث التاريخي بالمعنى العلمي الحديث » • وفي الحقيقة ، جاء كتابه في كثير من تفاصيله وفصوله متشابها مع كتاب الدكتور رستم ، الا أنه يبقى أقرب الى المؤلفات الغربية في طريقة البحث والتوجيه •

٣ ــ كتيب « كيف تكتب بحثا أو رسالة » للدكتور « أحمد شلبي » • وقد نشره في القاهرة عام ١٩٥٢ ، وأعيد نشره عام ١٩٥٤ • وقد ألفه ــ كما ذكر في مقدمته ــ خدمة لطلاب الماجستر والدكتوراه في الجامعات المصرية • والكتاب يعالج منهج البحث العلمي في المواد الانسانية بصفة عامة ، وخطواته ومراحله ، ولا

يتطرق للبحث التاريخي بصفة خاصة . والكتاب بشكله المبسط العلمي العام هذا يعتبر المحاولة العربية الاولى في هذا المجال .

٤ ـ كتاب « نحن والتاريخ » للدكتور « قسطنطين زريق » . وهو استاذ التاريخ في جامعة بيروت الامريكية ، ورئيس جامعة دمشق سابقا . وقد نشره عام ١٩٥٩ . والكتاب لا يهدف لايضاح الطريق التقني التفصيلي في منهج البحث التاريخي ، وانما سعى فيه لتحليل « الوعي التاريخي » عند الافراد والشعوب ، وادراك معنى التأريخ كعلم ينتظم فيه هذا الوعي ، وطرح أضواء قوية على موقفنا نحن ابناء الامة العربية اليوم من ماضينا ، وتاريخنا ، واثر هذا الموقف في حاضرنا ومستقبلنا . ويحثنا على أن نعمل ، بحثا ودرسا ، وتنقيبا ، لنحيي تراثنا العربي ، وتاريخنا العربي ، ليكون هذا التاريخ نقطة انطلاق لنا نحو حياة كلها نهضة ، واسهام في الحضارة الانسانية . ومع أن الكتاب لا يشرح النواحي التقنية في منهجية البحث التاريخي ، الا أنه يحيط بها احاطة عميقة في تلافيف الدراسة ، ويقدم تلك النظرة الشمولية الفلسفية الضرورية لكل دراسة تاريخية ، ويؤكد ان اتباع المنهج العلمي في البحث التاريخي ، يساعدنا على حل كثير من مشاكلنا المتأزمة ، ويعطي لمفهومات قوميتنا العربية أطرها الصحيحة . وقد أعيدت طباعة الكتاب عام ١٩٦٣ و ١٩٧٤ .

٥ ـ كتاب « منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين » للسيدة « ثريا عبد الفتاح ملحس » . وقد نشر في بيروت عام ١٩٦١ . والكتاب يعالج مراحل البحث بصفة عامة ، دون التخصص في حقل معين من العلوم الانسانية . وهو يرشد الطالب الجامعي ارشادا عاما . وقد اقتبست المؤلفة كثيراً من عناصره من المؤلفات السابقة الذكر ، ومن مراجع امريكية وانكليزية بالذات . ويظهر في هذا الكتاب الاهتمام بصورة خاصة بشكليات البحث أكثر من ماهية البحث وطرائق النقد فيه ، وفلسفته .

وهنالك مقالات متفرقة في الدوريات التاريخية العربية ، وهي في مجموعها لا تخرج كثيرا عن الاطر المعروفة ، الا أنها تضيف بعض خبرات جديدة في ميدان البحث التاريخي العربي في المشرق والمغرب .

والى جانب ذلك ، هناك مجموعة من الكتب المترجمة الى العربية ، تفيد في هذا الباب .

وختاماً لهذه المقدمة ، لا بد من تأكيد النقاط التالية :

اولا ـ لقد ادرك المؤرخون العرب كثيرا من الاساسيات العلمية « لمنهج البحث التاريخي » بمضمونها الحديث ، وكتبوا فيها . ونموذجهم الاكبر « ابن خلدون »[1] المتوفى عام ٨٠٨ هـ/١٤٠٦ م بما طرحه في مقدمته عن التاريخ، وطريقة البحث فيه . وهناك أيضا الكافيجي[2] (٨٧٩ هـ / ١٤٧٤) في كتابه « المختصر

---

(١) ابن خلدون : هو عبد الرحمن بن محمد ، ابو زيد ، ولي الدين الحضرمي الاشبيلي (٧٣٢ ـ ٨٠٨ هـ / ١٣٣٢ ـ ١٤٠٦ م) . اصله من اشبيلية ومولده ونشأته في تونس ، ووفاته في القاهرة . رحل الى فاس ، وغرناطة ، وتلمسان ، ومصر . وكانت حياته حافلة فيميدان السياسة . استقر في آخر المطاف بالقاهرة ، وكان الحكم للمماليك الجراكسة ، وولي فيها قضاء المالكية . وكان له لقاء مع تيمورلنك عند هجومه على دمشق . وكتابه في التاريخ هو « العبر وديوان المبتدا والخبر ، في تاريخ العرب والعجم والبربر » في سبعة مجلدات ، اولها « المقدمة » التي لها شهرتها الكبيرة في الفكر التاريخي العربي والفكر الاسلامي بصفة عامة .

انظر حوله : ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا . مصر ١٣٧٠ / ١٩٥١ م .

السخاوي : الضوء اللامع ج ٤ . ص ١٤٥ .

الفرد بل : ابن خلدون . في الموسوعة الاسلامية المعرّبة . مجلد ١ . ص ١٥٢ وهناك كثيرون من العرب والاجانب درسوا حياته ومؤلفاته ، انظر حولهم :

الزركلي : الاعلام . ٩ مجلدات مع ٤ ملاحق . بيروت الطبعة الثالثة مجلد ٤ . ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .

(٢) محمد بن سليمان بن سعد الرومي الحنفي (٧٨٨ ـ ٨٧٩ هـ/١٣٨٦ ـ ١٤٧٤ م) . اشتهر بمصر ، وكان استاذاً للمؤرخ الكبير « السيوطي » ، ورئيسا للحنفية بمصر . له عدة تصانيف اكثرها مخطوط . ومنها « المختصر في علم التاريخ ». وقد قام المستشرق « فرانز روزنثال » بنشره في كتابه « علم التاريخ عند المسلمين ». وعرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النحو .

انظر حوله : طاشكبري زاده : الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية . بيروت ١٣٩٥/-/ ١٩٧٥ م . ص ٤٠ ـ ٤١ .

ـ ابن عماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٧ . ص ٣٢٦ .

في علم التاريخ » و « السخاوي »[1] (المتوفى في ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧) في كتابه « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » ، و « جلال الدين السيوطي »[2] (المتوفى ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) في رسالته « الشماريخ في علم التاريخ » و « عبد الرحمن الفاسي »[3] (المتوفى ١٠٩٦ هـ / ١٦٨٤ م) في كتابه « زهر الشماريخ في علم التاريخ » .

بل إن المحدثين والفقهاء الذين دققوا في الأحاديث والسيرة ، كانوا كذلك

... الأعلام ، مجلد ٧ ص ٢٢ .

... روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين . ترجمة د . صالح العلي ومراجعة محمد توفيق حسين . بغداد ١٩٦٣ . ص ٣١٧ فما بعد .

(١) محمد بن عبد الرحمن السخاوي (٨٣١ ـ ٩٠٢ هـ / ١٤٢٧ ـ ١٤٩٧ م). مؤرخ محدث ، وموسوعي المعرفة ، وعالم بالحديث والتفسير والأدب . اصله من (سخا) من قرى مصر . صنف زهاء (٢٠٠) كتاب ، من اشهرها « الضوء اللامع في اهل القرن التاسع » و « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » .

ـ السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ١٢ جزءاً . مصر ١٣٥٣ ـ ١٣٥٥ . ج ٢ ص ٢٢ .

ـ محمد نجم الدين الغزي . الكواكب السائرة في اعيان المائة العاشرة . تحقيق جبرائيل جبور ٣ أجزاء . لبنان ١٩٤٥ ـ ١٩٥٨ . ج ١ ص ٥٣ .

ـ ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ٨ اجزاء . القاهرة ١٣٥٠ . ج ٨ ص ١٥ .

ـ الزركلي : ج ٧ ، ص ٦٧ ـ ٦٨ .

(٢) عبد الرحمن بن ابي بكر ، جلال الدين السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ/١٤٤٥ ـ ١٥٠٥ م) عالم موسوعي ، فهو حافظ ، وإمام ، واديب ، ومؤرخ . له نحو (٦٠٠) مصنف . ولد وتوفي في القاهرة ، وقضى حياته كلها منعكفاً على العلم . من كتبه في التاريخ « تاريخ الخلفاء » و« حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة» ، و «الشماريخ في علم التاريخ » .

انظر : الكواكب السائرة . ج ١ . ص ٢٢٦

شذرات الذهب . ج ٨ . ص ٥١ .

الأعلام . ج ٤ . ص ٧١ ـ ٧٣ .

(٣) عبد الرحمن بن عبد القادر ابو زيد الفاسي (١٠٤٠ ـ ١٠٩٦ هـ /١٦٣١ ـ ١٦٨٥ م) فقيه ، وعالم موسوعي ، من اهل فاس . ولقب بسيوطي زمانه . صنف مايزيد عن سبعين كتاباً .

الأعلام . ج ٤ . ص ٨٢ ـ ٨٣ .

روادا في هذا الميدان . ومنهم الغزالي[1] (المتوفى عام ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) في كتابه « المستصفى من علم الأصول » و « ابن الصلاح[2] » (المتوفى عام ٦٤١هـ/ ١٢٤٣) في كتابه « مقدمة في علوم الحديث » ، وابن تيمية[3] (المتوفى عام ٧٢٨ هـ / ١٣٢٨ م) في كتابه « مقدمة في أصول التفسير » ، و « الذهبي »[4] (المتوفى ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) في مؤلفه « ميزان الاعتدال في نقد الرجال » (أي رجال الحديث) ، وغيرهم .

---

(١) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، ابو حامد (٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ/ ١٠٥٨ ـ ١١١١ م) فيلسوف متصوف ، حجة الاسلام . مولده ووفاته في قصبة طوس بخراسان ، زار بغداد ، والحجاز ، وبلاد الشام ومصر . له نحو (٢٠٠) مصنف . من كتبه المشهورة « احياء علوم الدين » و « تهافت الفلاسفة » و « المنقذ من الضلال » و « المستصفى من علوم الاصول » .

ابن خلكان : وفيات الاعيان . مجلدان . مصر ١٣١٠ هـ . ج ١ ص ٤٦٣

شذرات الذهب : ج ٤ ص ١٠ .

الاعلام . ج ٧ . ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

(٢) عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري الكردي ، تقي الدين ، المعروف بابن الصلاح (٥٧٧ ـ ٦٤٣ هـ / ١١٨١ ـ ١٢٤٥ م) . احد العلماء الكبار في الحديث والفقه والتفسير ، وتراجم الرجال . انتقل من شهريزور الى بيت المقدس فدمشق، حيث درس في دار الحديث . وتوفي بدمشق . له عدة مصنفات منها « معرفة انواع علم الحديث » .

وفيات الأعيان . ج ١ ص ٣١٢ .

شذرات الذهب . ج ٥ ص ٢٢١ .

الاعلام . ج ٤ ص ٣٦٩ .

(٣) تقي الدين أبو العباس احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ / ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨ م) نشأ في دمشق ، وبرع في الفقه الحنبلي وتفسير القرآن وفي الحديث وعلم الكلام . كان جريء الرأي ، شديد التمسك بالسنة ، وقد هاجم بقلمه ولسانه كل الفرق الاسلامية كالخوارج ، والمرجئة ، والرافضة وغيرها . سجن عدة مرات وتوفي في قلعة دمشق حيث كان مسجونا . له على ما ذكر (٥٠٠) مؤلف .

محمد بن شنب : ابن تيمية في الموسوعة الاسلامية العربية . مجلد ١ . ص ١٠٩ ـ ١١٦ .

الاعلام : ج ١ . ص ١٤٠ ـ ١٤١ .

(١) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، شمس الدين ، مؤرخ وعلامة ، تركماني

ثانيا ـ ان منهج البحث التاريخي قابل دائما للتطور ، والاغتناء ، والتكامل ، وهذا ما أشير اليه في مطلع هذه المقدمة . وان كل بحث ، وكل تطور في المعرفة الانسانية وعلومها ، بل وفي بعض التقنيات ، يمكن أن يكون عاملا في هذا التكامل والنضج .

ثالثا ـ هناك مراجع أجنبية عديدة ، صدرت حول « منهج البحث التاريخي » ، وفي كل عام جديد فيها ، ولا بد للباحث التاريخي من متابعتها لتعرف آخر التطورات ، والأفكار في هذا الميدان ، حتى يستطيع أن يطور بحوثه في اتجاه الصالح منها .

رابعا ـ على طالب « قسم التاريخ » التعرف أولا بالأطر النظرية لمنهج البحث التاريخي ثم السعي بجد **لاكتساب تجربة عملية فعلية** ، تجعله يدرك المضمون الحقيقي لهذا المنهج ، حتى يتمكن من تحقيق الأهداف الأولى لدراسته التاريخية ، وهي الوصول الى الحقيقة الماضية واحيائها . فمقرر « منهج البحث التاريخي » لا يمكن أن يكون أبدا ذا طابع نظري بحت ، بل لا بد من **ممارسة فعلية للبحث التاريخي** ، ودربة عملية ، تطبق خلالها الخطوات المنهجية العلمية ، ويعيش الطالب خلالها النحوى الحقيقية للمنهجية التاريخية .

* * *

الأصل (٦٧٣ ـ ٧٤٨ هـ ١٢٧٤ ـ ١٣٤٨) . مولده ووفاته في دمشق . طاف كثيراً من البلدان . له مؤلفات ضخمة وكثيرة ، تقارب المئة . منها « دول الاسلام » و « سير النبلاء » وغيرها .

ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات . مجلدان . مصر ١٢٩٩ هـ . ج٢ . ص ١٨٣ .

شذرات الذهب : ج ٦ . ص ١٥٣ .

الأعلام : ج٦ . ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

الفصل الأول

التاريخ وتطوره عبر العصور

ما التاريخ ؟ لقد اعطيت في الحقيقة عدة تعريفات للتاريخ[1] : فمن قائل انه معرفة ماضي البشرية منذ أصولها الاولى حتى الوقت الحاضر . ومن قائل بأنه معرفة مختلف الحوادث والأحوال (من أعمال ، وأفكار ، ومشاعر وغيرها) التي عاشها الناس خلال الأزمنة المتتالية ، والتي رؤي أنها تستحق البقاء لتستفيدها الأجيال المتلاحقة وتستذكرها . إلا أن بعضهم أضاف الى ذلك المنحى في التعريف جديدا ، عندما أكد أن التاريخ هو **المادة** ، **والمنهج** ، اللذان يسمحان بصنع ذاكرة العصور ونقلها عبر الاجيال . ومن ثم ـ وهذا معنى ثانوي ـ فهو قصص مدونة ، وأحداث مسرودة ، ومؤلفات أدبية مخصصة لتلك المعرفة التاريخية السالفة الذكر ، أو بتعبير أكثر إيجازا ، « هو التدوين القصصي لمجموع شؤون البشرية[2] » . وقد يحيط مجموع الانسانية في مختلف أدوار تطورها ، أو قد يبحث في حقبة معينة من الزمن عاشتها مجموعة بشرية ما في مكان معين على الأرض ، أو قد يتركز حول نمط خاص من أنماط النشاط البشري (علم ، فن ، تقنية .. الخ) . وفي الواقع

---

(١) انظر مناقشة اهم التعريفات الحديثة للتاريخ في :

— J. Htzinga, in « Philosophy and History : Essays presented to Ernst Cassirer Oxford 1963. 1 - 10,

— R. Flint, History of Philosophy of History. New-york 1894.

(٢) انظر هرنشو : علم التاريخ . تعريب واضافة . عبد الحميد العبادي . القاهرة ١٩٣٨ . ص ٦ .

إن « التاريخ » يعني جميع تلك التعريفات : فهو « كل ما حدث » ، وهو « رواية وتدوين كل ما حدث » ، وهو فعالية « علمية » من فعاليات المعرفة البشرية ، تتسع ساحتها لكل شؤون الانسان[1] ، إلا أنها تسمى بصفة خاصة لرسم تطور المجتمعات البشرية ، عبر الزمن ، وبمنهجية خاصة ، نشأت ونمت مع الزمن ، ونضجت باحتكاكها المستمر مع موضوعها . ويبدو هذا واضحا من متابعة (التاريخ) في تطوره عبر العصور ، مادة ومنهجا ، أو بتعبير أدق من متابعة « تاريخ التاريخ » .

تاريخ التاريخ :

يبدو أن من الاهتمامات الأساسية ، التي شغلت ذهن الإنسان منذ وجوده ، هو ضمان استمرارية هذا الوجود عبر الزمان ، عن طريق تخليفه آثاراً دائمة ، تفسر الحاضر الذي يعيشه ، والذي سيصبح ماضياً ، كما كان همه ، ولا يزال ، أن يكتشف من أين أتى وما سبقه ، وذلك ليسوغ حاضره بماضيه ، حتى إن المؤرخ الفرنسي المعاصر « لوسيان فيڤر L. Febvre » عبر عن ذلك الاتجاه النفسي لدى الإنسان بتعريفه التاريخ عام ١٩٤٧ بأنه « حاجة الإنسانية بكليتها ، وحاجة كل جماعة بشرية ، في كل لحظة من لحظات تطورها ، للبحث في الماضي ، وابراز الوقائع والاحداث ، والتطلعات التي تهيء الزمن الحاضر ، وتسمح بفهمه ، وتساعد على الحياة فيه[2] » . ومن ثم فان التاريخ بمفهومه العام هذا هو أقدم العلوم الانسانية زمنا[3] .

وهكذا ، فان الكتابات الأولى للانسان ، نقلت إلينا عن طريق « الاسطورة » حوادث تضيع أصولها بعيدا في غياهب الزمن . وهذا يثبت أنه قبل اختراع الكتابة ،

---

(١) انظر الموازنة بين مفهومي « تاريخ الطبيعة » و « تاريخ الانسان » في البحث الذي قدم في الموسوعة العالمية :
P. Veyne, Histoire-introduction
in : Encyclopaedia Universalis Neuvième publication, 20 Vol. France 1976 Vol. 8, P. 423 - 434.

(٢) P. Mandrou, Statut Scientifique de L'Histoire in, Ibid, P. 424

(٣) Ibid

نقل الانسان شفهياً ، ومن جيل إلى جيل ، بعض معرفته عن الماضي ، بل إن ما سجله من صور على الصخر ، وفي الكهوف كان جزءاً من قصة حياته[1] .

وعندما خرج الإنسان من « **حقبة ما قبل التاريخ** » بفضل اختراع الكتابة ، ذلك الاختراع الذي أتاح امكانية الحفاظ على دروس الماضي وتجاربه ، فانه لم يطلب من تلك الدروس معرفة موضوعية ، أو مجردة ، وإنما تسجيلا فقط للحوادث المعاشة ، أو الخرافية ، التي رأى أنها هامة ، وأساسية في حياته ، ولا سيما تلك التي تعرّف بالفئات الحاكمة من أمراء وأعيان ، من ناحية ، ورجال الدين من ناحية أخرى . هذه الفئات التي كانت وحدها قادرة آنذاك على استخدام وسيلة الكتابة ، نظرا لتعقيدها ، وارتفاع تكاليفها . وبذلك ظهرت المدونات التاريخية بمظهر مزدوج : مظهر الاسطورة ، ويتضمن أحاديث عن نظام الكون ، والاصول الانسانية ، والعلاقات بين الناس والآلهة ؛ ومظهر تمجيد واطراء Chronique apologétique ، ويحوي أخبار الملوك وتواليهم على العرش ، وأحداث انتصاراتهم . ويبدو أن هذا المظهر المزدوج ظل عالقاً بأذيال التاريخ ، والى حد ما ، حتى الوقت الحاضر . فما يسمى بـ « علم الشؤون المقدسة » Hagiographie ، الذي يرتبط بدراسة الشؤون المقدسة في تاريخ أوربا ، في العصور الوسطى بخاصة ، وما يسمى بالتاريخ الرسمي « Historiographie » ، وبعض مظاهر الصحافة الحديثة ، هي كلها بمثابة خلف لذلك « التاريخ الأول » .

ومما لا شك فيه ، بأنه ما من حضارة عرفتها البشرية قديماً ، قد أهملت تسجيل أحداثها ، أو لم تسع للاحتفاظ بذكرى الماضي بطريقة ما ، أو لم تتطرق الى النمطين من المدونات المشار اليهما . وهذا القول ينطبق على حضارات الشرق كالهند ، والصين[2] ، وفارس ، وحضارات الوطن العربي كالحضارة المصرية

---

(1) Ch. Oman, On The Writing of History. London 1939. P. 2.

(٢) انظر حول الحوليات الأولى للتاريخ الصيني والهندي وسماتهما :
G. Palmade, Histoire de L'histoire, in Ency - Univer, P. 429 - 430

القديمة ، وحضارات ما بين النهرين ، وبلاد الشام ، والمغرب ، وحضارات أمريكا (الازتيك ، والمايا) . وفي الحقيقة ، لقد كان **المصريون القدماء** أول من سجل الاخبار على جدران المعابد والقبور ، وأشار إلى أول حادثة مؤرخة في تاريخ الانسانية ، وهي إبداعهم التقويم الشمسي[1] . وقد كان التاريخ يدرس في المعابد الكبيرة التي كانت أشبه بجامعات العصر الحاضر ، الى جانب الهندسة ، والفلك ، والمساحة ، كمعبد عين شمس ، ومنف ، والكرنك بطيبة . ومن الأسماء التي حفظت لبعض المؤرخين القدماء ، الكاتب الملكي (روموس) ، والكاتب الملكي (أحمس)[2] . وقد يكون الهدف من تعليم التاريخ آنذاك ، إعداد المؤرخين الذين يحترفون ضبط الحوادث وسلسلتها بدقة[3] ، مضافاً إلى المضمون الاخلاقي والتربوي الذي يحويه .

ومثلما كانت الحضارة المصرية القديمة غنية بالكتابات المتنوعة التي تنبي عن تاريخها ، فإن حضارات **ما بين النهرين** ، **وبلاد الشام** ، كانت زاخرة هي الأخرى بالكثير منها : فهناك ألواح سومر ، وأرشيفات لاغاش ، ولارسا ، وماري ، وأوغاريت ، وتل مرديخ .

وإذا ما تجاوزنا الشرق القديم ، الى الغرب القديم ، فهناك **الحضارة اليونانية** ، أساس الحضارة الأوربية . فكلمة « Histoire » بالفرنسية و « History » بالانكليزية ، وتعني « التاريخ » ، هي يونانية الاصل وترتبط في أساسها البعيد بالجذر الهندوأوربي (فيد Wid) ، ويعني (المعرفة) . فلفظة « هيستور

---

(١) فتحي رضوان : التاريخ في مناهج الدراسة بمصر . في كتاب هنري جونسون : تدريس التاريخ ـ تعريب واضافة ، فتحي رضوان القاهرة ١٩٦٥ . ص ٧٣ .

(٢) المصدر نفسه . ص ٧٤ .

(٣) المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها . وانظر كذلك حول الموضوع ذاته :

Wilkenson, S. Gardner, A. Popular Account of the Ancient Egyptians London 1854. PP. 311 - 322.

Histôr » كان يراد بها « الانسان الخبير والمجرب ، أو الانسان العارف » ، ومنها أتى فعل « هيستوريو Historeo » أي « البحث عن المعرفة » . ويبدو هذا المعنى في مقدمة كتاب « هيرودوت دوهاليكرناسوس » حيث قال : « هذا عرض للبحث الذي أجراه هيرودوت ، ليقف حائلا دون أن تندثر الأعمال التي قام بها الناس خلال الزمن » . وحتى عندما تخصص « التاريخ » بمعرفة الماضي ، فان الكلمة ظلت تستخدم الى حد ما بمعنى « المعرفة » ، كحديث أفلاطون[1] عن « التاريخ الطبيعي » وكان يقصد بذلك معرفة الطبيعة ، وكذلك أريسطو[2] في بحثه عن « تاريخ الحيوانات » و « تيئو فراستوس »[3] عن « تاريخ النباتات » .

ولم تكن « التسمية » وحدها هي التي أتت إلى أوربا من الأغريق ، وإنما « المضمون » أيضاً . فالتاريخ كان من ضمن المعارف الأساسية التي اقتبستها أوربا عن الحضارة الاغريقية . ومن الطبيعي أن يتأثر علم التاريخ الاغريقي بنتاج العمل التاريخي الذي قامت به الحضارات القديمة الأخرى التي احتك بها اليونان ، ولكن عندما حدث مثل هذا التأثير (في أواخر القرن الرابع ق.م) ، فان التقليد التاريخي المنبثق من الهيلينية كان قد أخذ شكله وخصائصه الأصلية ، فنتاج الحضارات الأخرى أغناه ، إلا أنه لم يضطره إلى تغيير جذري في منحاه ومضمونه .

إن هناك ثلاثة أسماء لامعة في الحضارة اليونانية تتجسد في إنتاج أصحابها الخصائص الهامة للبحث التاريخي أيام اليونان ، وينظر إليهم على أنهم واضعو علم

---

(١) فيلسوف اغريقي شهير (٤٢٩ – ٣٤٧ ق.م) . تلميذ سقراط ومعلم اريسطو . تعتمد فلسفته على أن الحقيقة وهي هدف العلم وموضوعه ، ليست في الظاهرات العابرة ، وغير الثابتة ، وانما هي في « الأفكار » و « المثل » وفي قمتها (الخير) . له عدة مؤلفات ، منها « الجمهورية » ، و « غورجياس » .

(٢) الفيلسوف الاغريقي الكبير (٣٨٤ – ٣٢٢ ق.م) تلميذ افلاطون ، ومعلم الاسكندر المقدوني . كان فكرا موسوعيا : الف في المنطق ، والسياسة ، والفيزياء ، والتاريخ الطبيعي ، وقد اثبت العلم الحديث صحة كثير من افكاره .

(٣) احد فلاسفة اليونان الكبار الذين خلفوا اريسطو (٣٧٢ – ٢٨٧ ق.م) .

التاريخ ، وهم : « هيرودوت دوهاليكرناسوس Hérodote de Halicarnassus »[1] (حوالي ٤٨٥ ــ ٤٢٥ ق.م) و « توكيديديس Thucydide »[2] من أثينا (٤٦٠ ــ ٣٩٩ ق.م) و « هيلانيكوس دوميتيلين Hellanicos de Mytilène » من جزيرة « ليسبوس » (٤٧٩ ــ ٣٩٥ ق.م) . وثلاثتهم ظهروا في فترة متقاربة وعاصروا ما يسمى في تاريخ اليونان بمرحلة « المعجزة الاغريقية » ، أي زمن « بركليس »[3] . فقد كانوا معاصرين لسوفوكليس Sophocles [4] ، وأوريبيدس Euripides [5] ، وفيدياس Phidias [6] ، والسفسطائيين[7] الكبار ، وخصمهم « سقراط »[8] .

وفي الواقع ، لقد سبق هيرودوت ، مؤرخون آخرون من أمثال « هيكاته

---

(١) و (٢) : انظر تفصيلا أكبر حول حياة المؤرخين وانتاجهما ، كتاب « المدخل الى التاريخ » تاليف : نور الدين حاطوم ، احمد طربين ، نبيه عاقل ، صلاح مدني. دمشق ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م . ص ١٠١ ــ ١١٤ .

(٣) رجل دولة اثيني شهير . كان رئيسا للحزب الديموقراطي عام ٤٥٩ ق.م. وقد اقام على اسس صلبة القوة البحرية الأثينية ، وادخل اثينا في حرب البيلوبنيز . شجع الآداب والفنون ، وزين اثينا بابنية فخمة ، حتى غدا عصره ازهى عصور اليونان . (٤٩٩ ــ ٤٢٩ ق.م) .

(٤) شاعر يوناني مسرحي كبير ، (٤٩٥ ــ ٤٠٥ ق.م) . خلف عدداً من المسرحيات المشهورة من اهمها « اوديب الملك » و « الكترا » .

(٥) احد الشعراء المسرحيين الكبار الاغريق (٤٨٠ ــ ٤٠٦ ق.م) اشتهر بتصوير العواطف الانسانية والاهواء ، وبتعليقاته الفلسفية . من مسرحياته « اندروماك » .

(٦) اكبر نحات في اليونان القديمة . ولد في اثينا حوالي ٤٣١ ق.م . من الانجازات التي تنسب اليه تمثال « جوبيتر اوليمبيا » و « واجهة البارتنون » .

(٧) جماعة من اليونان ، عملوا على تربية الناشئة في القرن الخامس ق.م ، بطريقة جدلية ، تعتمد على السؤال والحوار ، الا أن طريقة المحاكمة والنتائج التي كان يتوصل اليها مغلوطة ، وبعيدة عن الحقيقة ، ولا تؤدي الى نفع .

(٨) فيلسوف يوناني شهير (٤٦٨ ــ ٣٩٩ ق.م) . حارب السفسطائيين بشدة ، وفي كل مجال . واتهم زوراً بافساد الشبيبة ، فحكم عليه بالموت . لم يخلف اي مؤلف ، وإنما عرف عمله الكبير وتفكيره من طريق تلميذه افلاطون .

الميليتي » المولود حوالي ٥٥٠ ق.م ، كما كان هناك « رواة الأساطير » ، الذين أدخلوا في أزمنة الانسان ، الأعمال التي كانت تسند للآلهة والأبطال أنصاف الآلهة . إلا أن « هيرودوت » الذي أسماه « شيشرون »[1] « أبا التاريخ » ، كان أول من ترك ميدان الأساطير والأوهام المدونة ، أو ميدان أزمنة الآلهة والأبطال الخرافيين ، ليلتفت الى الزمن الواقعي والمشخص القريب منه . فقد كرس جهده البحث في « الحروب الميدية » (٤٩٠ ـ ٤٤٩ ق.م) وعواملها ، تلك الحروب التي تمثل توقفا في الامتداد الايراني والتوسع الآسيوي ، والتي أكدت الاستقلال اليوناني لبحر ايجة . وجاء « توكيديديس » ليفعل مثله ، فاختار لدراسته « حروب البيلوبونيز » (٤٣١ ـ ٤٠٤ ق.م) التي عاشها بنفسه . ويلاحظ أن الاثنين قد اختارا حدثا حربيا . وفي الواقع سيبقى تاريخ الحروب لمدة طويلة من الزمن هو النموذج للابحاث التاريخية الحقة .

إن ما قدمه هيرودوت ليس كله دراسة نقدية وعلمية ممحصة ، ولكن مهما كان ما أتى به بسيطا وساذجا ، فإن هناك محاولة لديه للتفسير والتعليل العلميين : فالتاريخ بالنسبة اليه محاولة الفهم والتفسير . لقد جرب أن يبحث عن الأسباب التي دفعت الاغريق والفرس الى التحارب ، أي إنه سعى نحو المبدأ الأول من مبادىء العلم الوضعي ، ألا وهو البحث عن العلة . وأدرك أهمية الوسط الجغرافي في مجرى التاريخ ، وإن عبارته المأثورة « مصر هبة النيل » شاهد على هذا المنحى . كما ود أن يكشف عن السبب العميق والبعيد للاحداث ، على الرغم مما قد يبدو لنا من غريب في هذا السبب الذي توصل إليه : كالقدر ، والصدفة ، وغيرة الآلهة . ويمكن القول ، إنه كان مؤرخا في محاولاته لإعادة بناء حقيقة الأحداث الماضية كما عيشت في الماضي ، وفي توخيه الاستناد إلى مصادر موثوقة ، وفي الشك القائم في نفسه ، وفي نظرته المتفائلة نحو الإنسانية . وفي الحقيقة ، إن تاريخه مدموغ بشخصيته ، وهذا طبيعي ، إذ أن « التفسير التاريخي » للاحداث لابد أن يقود المؤرخ دائما إلى أن يضع فيما يكتب مجموع فهمه عن الإنسان والحياة .

---

(١) من ابلغ خطباء روما (١٠٦ ـ ٤٣ ق.م) . أسهم في حياة روما السياسية خلال القرن الأول ق.م .

وإذا كانت ملامح تلك الأمور تبدو ضبابية ، وفي أولياتها عند هيرودوت ، فإن « توكيديديس » جاء ليبرهن فيما كتب ، أن « المعرفة التاريخية » قد نمت ، وأن التاريخ قد غدا يافعا . فقد تميز بسعة معلوماته ودقتها ، وبمحوه لذاته أمام الوثائق : فهو يقدمها للقارىء باصالتها ، هذا الى جانب تركيب تاريخي محكم ، فسّر فيه الحوادث بالظروف الجغرافية ، والاقتصادية ، والنفسية ، وتجاوز فيه طريقة السرد العادي البسيط الاحداث . فبفضله غدت الحروب « البيلوبنيزية » أكثر إدراكا ، إذ قدم لها تفسيرا عقلانيا ، ودل على انه تلميذ حقيقي للسفسطائية ، وممثل للعقلانية اليونانية وهي في أوجها .

أما « هيلانيكوس الميتيليني » فاسمه غير معروف كثيرا ، إلا أنه يمثل في ميدان الدراسة التاريخية ، مظهرا رئيسيا فيه ، وهو المعرفة العميقة والكثيفة للحوادث ، المستقاة من مصادرها المختلفة ، ولا سيما المدونة ، مع نقد لها . فمنذ القديم وحتى الوقت الحاضر ، يلاحظ أن التقنية التاريخية تمثل بنية ذات قطبين : القطب الأول ، وهو الجهد المبذول لفهم الماضي وتفسيره ، والتغلغل الى أعمق أعماقه ـ وهنا يكمن الانتاج الأمثل للتاريخ ، الانتاج الذي يعلو فوق مجرد سرد الأحداث المتتابعة دون ربط أو تعليل ـ ، والقطب الثاني : هو العمل الدؤوب والصابر للعالم الذي يجمع الوثائق وينقدها ويصنفها ، فيقدم بذلك المعطيات الأساسية ، أو مواد العمل الرئيسية التي يصنع بها التاريخ . وقد كان هيلانيكوس من الفئة الأخيرة ، فقد قدم « لوحة اخبارية زمنية » ، حاول أن يضع فيها بالدقة الأحداث المعروفة خلال تطور الانسان ضمن دورة السنين الفلكية . وهذه اللوحة التي بناها على قوائم كاهنات « هيرة » في معبد « أرغوس »[1] هي التي ساعدت توكيديديس على تحديد بعض أحداث تاريخه بدقة . وكان « هيبياس

---

(١) هيرة : هي إلهة الزواج عند الإغريق ، وقد تزوجت بحسب الأسطورة اليونانية من اخيها « زياس Zeus » رب الأرباب ، وغدا زواجهما الإلهي النموذج للزواج البشري . وكانت ايضا إلهة للأرض الخصبة ، ونبات الربيع والأزهار . وفي كل عام كانت تقام الاحتفالات الدينية في ذكرى ذلك الزواج الإلهي . وكان لها معبد هام في مدينة « آرغوس » في الشمال الشرقي من « البيلوبنيز » ، وله كاهنات تشرف عليه وعلى إقامة الطقوس فيه .

الاليسي Hippias d'Elis [1] » قد وضع قوائم بأبطال الألعاب الأوليمبية منذ النصف الثاني من القرن الخامس ق.م ، إلا أنها لم تستخدم في التاريخ[2] .

وبالاضافة إلى ما سبق ، فقد قدم « هيلانيكوس الميتيليني » نوعا جديدا من التأليف التاريخي وهو المسمى « المونوغرافيا Monographie » ، أي دراسة تاريخ مدينة أو أقليم ، أو سيرة شخص . وكان أول من كتب عن « تاريخ أثينا Athis » ، كما كتب عن تاريخ (أيوليا) و (أركاديا) ، وتاريخ (الفرس) ؛ إلا أن أعماله فقدت ، ولم يصل إلى الأجيال إلا ما نقله المؤرخون الآخرون منها .

هذا ما كانه التأريخ في العهد اليوناني ، أما في العهد الهيلينستي والروماني، فقد بدأ التمييز واضحا بين « الاخباريين » الذين يسردون الأحداث بتأريخها الزمني سردا ـ وكان هؤلاء في العهد الروماني محدودي المعرفة ، ويعتمدون في عملهم على وثائق هزيلة وبدائية ـ ، وبين المؤرخين الحقيقيين . وهؤلاء بدورهم أخذوا يظهرون اهتماما بالبلاغة الأدبية أكثر مما يظهرونه في بناء معرفة تاريخية ، موثقة ودقيقة ، فقد انتصرت تقنية « التأليف الأدبي » المعتمد على أصول البلاغة اللغوية والخطابة ، التي كانت قد انبثقت في قلب الثقافة الاغريقية منذ عهد المربي الكبير ، المناضل لافلاطون « ايزوقراط » (٣٩٣ ـ ٣٣٨ ق.م) . ويستثنى من هؤلاء « بوليبيوس Polybios » من مدينة «ميغا لبوليس» (٢٠٠ ـ ١٢٠ ق.م). وهو يوناني ، عاصر بلوغ روما أوج قوتها بعد انتصارها على « قرطاجة » . وهو يشبه « توكيديديس » من حيث اقترابه من المنهجية العلمية الحديثة . ولقد انطلق

---

(١) رياضي وفلكي إغريقي كبير ، عاش خلال النصف الثاني من القرن الخامس ق.م . وقد مجده افلاطون في محاوراته ، حتى اطلق على واحدة منها « هيبياس الكبير » .

(٢) إن أول من استخدم قوائم أبطال الألعاب الأوليمبية في التاريخ اليوناني ، وبدئها له ، كان المؤرخ « تيمه » أو « تيماوس بالاغريقية » ، وقد عاش بين ٣٥٢ ـ ٢٥٦ ق.م .

انظر : Grand Larousse Encyclopédique. 12 vol. Paris 1964 - 1977. vol. 7, P. 841, art. Olympiade.

سيرمز لهذا المصدر بـ : G. L. E.

« بوليبيوس » من مفهوم أساسي للتاريخ آمن به ، وهو ان التاريخ أحسن وسيلة لتعلم الحياة . فان « أحسن ثقافة من أجل الحياة الحقيقية هي معرفة الأشياء والعبر التي يقدمها لنا التاريخ الفعلي ، وهي التي تتيح للانسان معرفة الطريق الأفضل ، والسلوك الأحسن في كل الظروف والمناسبات ، دون أن تعرضه للاخطار[1] » . فهو مؤمن إذاً « بالتاريخ الذرائعي » (البراغماتي) أو بتعبير آخر ، بالفضائل التربوية والمثالية للتاريخ ، وكأنه يفترض بسهولة ، تكرار وقائعه عبر طبيعة الانسان ، وهذا المفهوم عن التاريخ يبقى أحد ملامح العصر الكلاسيكي بمجموعه . ولإيمانه هذا بقيمة التاريخ ، فإنه اعتمد في تدوينه على صدق الحقائق التاريخية ، كي تعطي درسا حقيقيا ومجديا للانسان ، يفيد منه في سلوكه، أكان إنسانا عاديا ، كبيرا أو صغيرا ، قائدا أو زعيما حاكما . وطلب من المؤرخ أن « يقدم الحقائق الخالصة مهما كان نوعها أو مضمونها ، وكما حدثت ، دونما تحريف أو تزوير أو مبالغة .. فالتاريخ يهدف إلى إبراز الحقائق والأحداث ليتعلم الانسان ويكسب المعرفة على مر العصور[2] » . « إن التاريخ يجب أن ينزه عن الأغراض التي تشوه الحقائق ، وإذا ما وقف الإنسان موقف المؤرخ فعليه أن يتخلى رأسا عن جميع الاعتبارات : كحب الإنسان لصديقه وكرهه لعدوه .. وعليه في بعض الأحيان ألا يتورع عن مدح أعدائه وذم أصدقائه . وكما أن الانسان يفقد كل أهميته اذا ما انتزعت منه عيناه ، كذلك التاريخ يفقد كل أهميته اذا ما انتزعت منه الحقيقة ولا يبقى منه إلا قصة لا قيمة لها[3] » .

وقد أكد « بوليبيوس » الى جانب ذلك ضرورة متابعة أسباب الحوادث ، ووجوب التمييز بين الأسباب العميقة والبعيدة ، والأسباب الظاهرة والمباشرة ، ووجوب النظر الى الأحداث التاريخية على أساس أنها جسد واحد : فاحداث افريقيا وايطاليا متداخلة بأحداث آسيا واليونان ، وتنتهي كلها الى نهاية واحدة[4].

---

(١) استنادا الى : المدخل الى التاريخ . ص ١٢١ .
(٢) استنادا الى المصدر نفسه . ص ١٢٢ .
(٣) المصدر نفسه ص ١٠٠ .
(٤) المصدر نفسه ص ١٢٣ .

وبذلك تجاوز بمفهومه عن وحدة التاريخ ، آراء من سبقه من المؤرخين الذين كانوا ينظرون الى الأحداث العالمية بأفق محلي ضيق ، وعلى أنها أحداث متفرقة لا رابطة بينهـا .

وقد سعى « بوليبيوس » لإخراج التاريخ من النطاق الأدبي الذي أغرقه فيه معاصروه ، فحارب زخرفة الكلام وتنميقه ، ومن ثم خرج اسلوبه عقلانيا وجافا . ولقد اعتمد على توثيق دقيق تناوله مباشرة من معاصريـه ، وقد سمح له بذلك انخراطه في السياسة ، حيث عاش ست عشرة سنة ،رهينة في روما ، تعرف فيها بعمق بقادة الجمهوريـة بل رافق « سيبيون » في حصاره لقرطاجـة وتدميرها عام ١٤٦ ق.م .

وبالاضافة الى معرفته الوثائقية المباشرة تلك ، فانـه استند الى « وثائق مكتوبة » : فقد راجع ارشيفات معبد جوبيتر ، وبحكم صلته بالسلطات الحاكمة في روما ، فانه استطاع أن ينشر النص الحقيقي للمعاهدات بين روما وقرطاجة . لقد كان « بوليبيوس » مؤرخا حقيقيا : فقد عرف كيف يطرح مشكلـة كبرى ، وكرس كل جهده لايضاح تلك المشكلة[1] وهي : كيف تمكن الرومان أن يحققوا في أقل من ثلاثة وخمسين عاما (٢٢٠ ق.م ــ ١٦٨ ق.م) أي من الحرب البونية الثانية الى انتصارهم على « بيرسيوس المقدوني » ، ذلك التوسع والامتداد الذي لا سابقة له ، على أكثر العالم المسكون . وهنا عمل « بوليبيوس » عمل مؤرخ حقيقي ضليع ، على البحث في ترابط الاسباب والنتائج ، وحاول أن يشرح ، كيف أن التوازن المدهش في تركيب « الجمهورية الرومانية » ، والجامع لمحاسن الانظمة الثلاثة التي بحثها اريسطو في كتابه« السياسة »، وهي (الملكية) و (الارستقراطية) و (الديمقراطية) ، كان هو السبب في علو كعب روما وانتصاراتها . لقد كان في الحقيقة ملاحظا دقيقا جدا وعميقا ، ولم يتورع ، عندما رأى ان تعليله وتفسيره لم يتمكنا من استيعاب القضية بكليتها ، أن يصحح رأيه . اذ انه كما كان شاهدا

---

(١) لقد الف بوليبيوس (٤٠) كتابا ، لم يصلنا منها كاملة الا خمسة كتب . وكان اطار بحثه دراسة الفترة التي تقع بين سنتي ٢٢٠ ــ ١٤٦ ق.م ، أي منذ مطلع حروب هانيبال حتى سقوط قرطاجة .

على ارتفاع نجم روما وتألقه ، فانه كان شاهدا على أول أعراض الافول والانحدار فيه .

ان جميع المؤرخين الذين تلوا « بوليبيوس » كانوا في الواقع ، أما مقلدين له أو ناقلين عنه ، أو عن غيره . وكان همهم أن يخرجوا كتاباتهم بأسلوب مذوق ، ومعشوة بأفكار أرادوها ذات طابع فلسفي . فقد اتبعوا التقنية التي يطلق عليها اليوم « اعادة الكتابة Re writing » ، وذلك بأخذ الموضوع الذي سبق بحثه واضافة تفكيرهم الخاص اليه ، ثم طرحه بأسلوب منمق وبليغ .

ومع ذلك فانه يمكن القول إن تجربة الكتابة التاريخية العلمية قد نمت : فالبحث الوثائقي الاخباري بطريقة « هيلانيكوس » قد توسع خلال المرحلة الهيلنستية والرومانية ، كما ظهر اتجاه نحو نقد النصوص . وسمح توسع الثقافة اليونانية الموسوعي ، الذي تفتحت خلاله مواد علمية جديدة ، الاتجاه السياسي الضيق الذي نهجه البحث التاريخي حتى ذلك الوقت : فظهرت تحت تأثير اريسطو ومدرسته ، بحوث في تاريخ مادة علمية معينة : كتاريخ الفلسفة ، والطب ، والرياضيات ، والفنون . وجاء انصباب الثقافات الشرقية في الثقافة اليونانية ليدخل تأثير التقاليد التاريخية الشرقية في التاريخ اليوناني ، وذلك بفضل « مانيتون المصري »(١) و « بيروز الكلداني »(٢) ، ومترجمي العهد القديم(٣) ، و « فيلون

---

(١) كاهن ومؤرخ مصري ، عاش في القرن الثالث ق.م وألف تحت حكم بطليموس الثاني تاريخا لمصر باليونانية ، وهو الذي صنف فراعنة مصر في (٣١) سلالة، وهو التصنيف الذي لايزال يأخذ به المؤرخون المعاصرون . كتابه مفقود ، الا انه وصلت شذرات منه ، عبر مؤرخين آخرين .

(٢) مؤرخ وفلكي كلداني . عاش في اواخر القرن الرابع ق.م واوائل الثالث وعاصر الاسكندر المقدوني ، وقد كتب تاريخ بابل معتمدا على مصادر قديمة . وكتابه مفقود الا أن فقرات منه وصلت عن طريق المؤرخين الذين اتوا بعده .

(٣) يطلق على الترجمة اليونانية للعهد القديم اسم السبعينية Septante اذ كلف « بطليموس فيلادلفيا » (٧٢) يهوديا بذلك . وينظر الى هذه الترجمة على ←

الجبيلي »[1] وغيرهم من مؤرخي المشرق وبحاثتـه . فظهر نتيجة ذلك التـأثير مضمون « التاريخ العالمي » ، وجاءت الفلسفة الرواقية[2] لتهيء الاذهان لفكرة عالم منظم ، يحركه عقل الهي ، يضم الجنس البشري الواحد . ومن ممثلي هذا الاتجاه « ايراتوستين دو سيرين »[3] و « أبولودور الأثيني »[4] .

وفي الحقيقة لقد كانت المرحلة الهيلينستية بالذات دفعا تقدميا للتاريخ لما لاقاه العلم بعامة من التشجيع من قبل الممالك الهيلينية في الاسكندريـة ، والطاكية ، وبرغام ، وما انشيء من مكتبات ومتاحف ، ومراكز توثيق ، وما جرى من مبادلات فكرية وتعليمية . وهكذا نمت مكتبة التاريخ خلال هـذه المرحلة ، وجاء العهد الروماني فكان استمراراً لها . وقد حوت المكتبة «التاريخ الاخباري Le Chronique » و « تراجم الاشخاص » و « تاريخ المدن » و « تاريخ الشعوب » .. الخ .

انها اقدم ترجمة واشهرها . وقد جرت حوالي ٢٨٣ ـ ٢٨٢ ق.م وهي اقدم مـن النص العبري الحالي . وتعترف الكنيسـة المسيحية بها اعترافها بالفولغات Vulgate . G. L. E. Vol. 9. p. 756

(١) مؤرخ يوناني عاش في جبيل السورية في القرن الثـاني الميلادي . وكتب مؤلفات في القواعد ومصادر البحث ، وفي تاريخ « هادريان » و « فنيقيا » و « تراجم المدن والرجال اللامعين الذين انتجتهم » . وأخـذ عنه المؤرخ المسيحي « أوزيب القيصري » Ibid , Vol 8. P. 423

(٢) وهي فلسفة رأت النور في أواخر القرن الرابع ق.م على يد الفيلسوف « زينون » وكان من زعمائها كذلك « ابيكتيت » (في القرن الاول الميلادي) و « ماركـ اوريل » (امبراطور روماني حكم بين ١٦١ ـ ١٨٠ م) .

(٣) عالم موسوعي يوناني ، عاش في الاسكندرية في القرن الثالث ق.م وكـان مشرفا على مكتبة الاسكندرية الشهيرة ، وكان من ابرز اهتماماته الدراسات الفلكية واليه ينسب قياس محيط الارض .

(٤) مؤرخ اثيني عاش في القرن الثاني ق.م . الف تاريخـا اخباريا شعريا ، وكتابا عن الالهة . Ibid, Vol I , P.486.

ومن أبرز المؤرخين الرومان « سالوست »[1] (٨٦ ــ ٣٤ ق.م) وتيت ــ ليف[2] (٥٩ ق.م ــ ١٧ م) و « تاسيتوس »[3] (٥٥ م ــ ١٢٠ م) و «اميانوس مارسيلينوس »[4] (٣٢٧ ــ ٣٩١ م) .

وجاءت الديانة المسيحية لتترك أثرها في تلك التقنية التاريخية . فالديانة المسيحية ديانة تاريخية ، وقد تطلبت العقيدة الجديدة ان تدون أحداثها ، وان تحدد زمانا ومكانا : فرسالتها كانت اعلان « الحدث الطيب » ــ وهذا ما تعنيه كلمة « الانجيل Evangile » ــ ، أو بتعبير آخر كان عليها أن تبشر بالتدخل المنقذ والمخلص للاله في التاريخ الانساني نفسه.هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى، فقد وقع على عاتقها عبء الرد على هجمات الوثنية ضدها من أمثال« سيلس Celse » (حوالي ١٨٠ م) في كتابه « المقالة الحقيقية » ، و « بورفيروس » من مدرسة الاسكندرية وتلميذ « أفلوطين[5] Plotin » عام (٢٧٠ م) في مؤلفه « ضد المسيحيين » . ولما كان المسيح تتويجا لتاريخ ديني طويل ، هو تاريخ رسل قبله هبطوا على بني اسرائيل بالذات ، فانه كان من اللازم كتابة تاريخ بني اسرائيل لايضاح مهمة المسيح وابعادها . ويجب ألا ينسى ان اضطهادات المسيحيين ، والآلام التي قاسوها ، كانت هي الاخرى مادة مخصبة للتاريخ .

---

(١) انظر حول ترجمة حياته ، ومؤلفاته ، كتاب المدخل الى التاريخ ، ص ١٢٥ ــ ١٢٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٧ ــ ١٣٢ .

(٣) مؤرخ روماني تنقل في مناصب سياسية عدة ، وكان خطيبا بارعا ، الا انه كرس نفسه لكتابة التاريخ . ومن أشهر مؤلفاته « جرمانيا » وفيه تحليل للعادات الجرمنية دقيق جدا ، و « الحوليات » . G. L. E. Vol. 10, P. 136

(٤) انظر حوله ، المدخل الى التاريخ . ص ١٣٢ ــ ١٣٤ .

(٥) فيلسوف من أسرة رومانية استقرت بمصر . تلميذ لمدرسة الاسكندرية . من القائلين بالأفلاطونية الجديدة وعلم في روما عقيدة هي مزيج من العقائد القديمة والعقيدة المسيحية . (٢٠٥ ــ ٢٧٠ م) .

وقد نجم من هذا عمل تاريخي ضخم تبدى في الكتاب ذي الطابع العالمي الذي وضعه « أوزيب القيصري Eusèbe de Césarée »[1] وأسماه « القواعد الزمنية وخلاصة التاريخ العام للهيلينيين والبربر » . وقد ابتدأه قبل ميلاد النبي ابراهيم أي حوالي (٢٠١٦) ق.م ، وسعى لطرح تاريخ الاقوام المعروفين لديه من الالف الثاني ق.م الى الايام المعاصرة له . (وقد ترجمه الى اللاتينية « سان جيروم » وتابعه حتى عام ٣٧٨ م) . ومن الكتب التاريخية التي الفها اوزبيوس أيضا ، كتاب عن « التاريخ الكنسي » ويعتبر أبا لجميع التواريخ الكنسية .

فالمسيحية إذاً كانت عاملا هاما في تنشيط البحث التاريخي ، بل إنها حملت في معتقدها ما اسمي أيام « فولتير »[2] (١٦٩٤ — ١٧٧٨) ، « وكوندورسه »[3] (١٧٤٣ — ١٧٩٤) ، و « هيغل »[4] (١٧٧٠ — ١٨٣١) و « هردر »[5] (١٧٤٤ —

---

(١) ويطلق عليه كذلك اسم « اوزيبيوس » (٢٦٥ — ٣٤٠ م) كان اسقف « قيصرية فلسطين » وكان مقربا من الامبراطور قسطنطين . وهو الذي وضع أسس التاريخ الرسمي الكنسي . وقد ثبت قواعد « علم التوقيت » حتى عام ٣٢٣ م . ودخل في الصراعات الدينية بين الارثوذكسية والاريوسية .

(٢) مفكر فرنسي ، وفكر جريء مستقص . وموسوعي . ترك عدة مؤلفات ادبية وتاريخية ، تميزت بالفكر النقدي الناقد واللاذع ، وبالاحاطة الفلسفية . ترك اثراً كبيراً في المجتمع الأوربي قبل الثورة الفرنسية .

(٣) فيلسوف ورياضي فرنسي ، كان سكرتيرا دائماً لأكاديمية العلوم . لوحق ايام الثورة الفرنسية ، فاضطر الى سم نفسه حتى لايذهب الى المقصلة . الف في سجنه ، به الهام « معالم لوحة زمنية لتقدم الفكر البشري » . آمن إيمانا عميقا بالتقدم الانساني .

(٤) فيلسوف الماني اهتم بالمشكلات الدينية التاريخية ، وقد تأثر بالثورة الفرنسية ، وفكر بمشروعات اصلاح جذرية في المؤسسات التي بدت له هرمة . وما لبث ان شعر أن الفلسفة هي وسيلة التعبير الحقة عن معنى الحياة الانسانية ، فطرح آراءه حول سير التاريخ الانساني ، والمفهوم الجدلي فيه . فهو من فلاسفة التاريخ الكبار ، الذين تركوا اثرهم الكبير في الفكر العالمي في القرنين التاسع عشر والعشرين . وكان متعصباً لبلده بروسيا ، ولقوميته الالمانية .

(٥) مفكر الماني ، تتلمذ على « كانت » ، وزار فرنسا ، وكانت له صلات مع « الموسوعيين » فيها قبل الثورة الفرنسية ، ومع الاديب الالماني الكبير « غوته » . وكان لمؤلفاته اثر في البعث القومي الالماني . ومن أهمها « خواطر في فلسفة تاريخ الانسانية » .

١٨٠٣) ، « بفلسفة التاريخ » ، والتي كان لها أثر مباشر وعميق في بنية التاريخ في العصور الوسطى . فقد أكدت المسيحيـة أن للتاريخ البشري ، إذا ما نظر إليه بمجموعه وشموله ، معنى ومغزى . أي له اتجاه ، وهدف كبير ، وتفسير : فهو يحقق خط السير الذي وضعه الله لانقاذ البشرية وتخليصها من محنها . ومن هنا فإن المسيحية دفعت الفكر الانساني كي يطرح على نفسه القضية الكبرى وهي « تطور الانسانية » . وهذه المشكلة بقيت غريبة إلى حد ما ، عن الفكر التاريخي اليوناني . وأحسن من أبرز هذه الفلسفة ، « القديس أوغوستين » (٣٥٤ — ٤٣٠ م) في كتابه « مدينة الله » (كتب بين ٤١٣ — ٤٢٧ م) . فقد بين « سان اوغستين » إن المسيحي يدرك معنى التاريخ بنوع من الحدس أو (الاشراق) . فالمعرفة التاريخية هي معرفة ايمانية غامضة وناقصة لا تسمح للانسان أبدا بالاعتقاد بأنه يملك المعرفـة الكاملة عن الحقيقـة التاريخية ، التي هي لله وحده ، وهو مالكها الوحيد .

واستنادا الى هذه «الفلسفة» أخذت كتب التاريخ المسيحية تمتلىء بالمبالغات، وتربط كل الأمور الجارية بارادة السماء ، وابتعدت عن التراث الكلاسيكي المغاير بمفهوماته الوثنية ، للمعتقدات المسيحية .

ومن ثم فالمتابع لتاريخ التاريخ في العصر الوسيط الأول (أي من أواخـر القرن الخامس حتى الثاني عشر) ، يلاحظ أن التاريخ قد مر بمرحلة كسوف ، شأنه في ذلك شأن الأدب : فتحول إلى أخبار مسرودة على شكل (حوليات) ، وتركيز على الأخبار الكنسية وأحوال القديسين ، حتى عند أكثر « المؤرخين » شهرة، من أمثال « غريغوري التوري Grégoire de Tours [1] » . إلا أن بنية المجتمع المسيحي الاقطاعي في أوربا آنذاك ، والأحداث التي كان يعيشها ، سمحت

---

(١) مؤرخ فرنسي ، واسقف مدينة « تور » في فرنسا (حوالي ٥٣٨ — ٥٩٤ م) عمل على الدفاع عن حقوق الكنيسة ، وفرض احترام حق اللجوء اليها . له مـدة مؤلفات ، اهمها : « تاريخ الفرنجة Histoire des Francs » . وهو حوليات بعشرة مجلدات ، لها قيمتها في دراسة تاريخ المجتمع في العصور الوسطى الميروفنجية .

بتكـوين رصيدين قيمين مـن الوثائق المكتوبة لتاريخ تلك الحقبـة ، وهذان الرصيدان يحويان :

١ ـ نصوصا كنسية، وتضم بدورها كل ماصدر عن الكنيسة ويخص الكتاب المقدس ، والطقوس والعقيدة ، وآباء الكنيسة والمراحل الكبرى من تاريخها .

٢ ـ نصوصا قضائية وقانونية تخص بالذات المجتمع الاقطاعي ، أو بتعبير أعم المجتمع بمجموعه . فمن المعروف أن شخصية الحق والقانون شرعت تؤثر في حياة ذلك المجتمع منذ الغزوات البربريـة ، فكانت تلك الوثائق هي التي نظمت علاقات الانسان بالانسان ، ودونت أرباح الاقطاعات ، وملكياتها .

ونتيجة هذين الرصيدين من الوثائق الثمينة ، توفر للمؤرخ المعاصر اليوم مصادر قيمة عن التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لتلك الحقبة .

ولكن على الرغم من نمو « التشريع » في « العصر الوسيط الثاني » ومارافقه من اهتمامات تاريخية نسبية ، فان العصور الوسطى لم تشهد تجديدا حقيقيا في التاريخ . فمع التصاق المؤرخين الشديد أكثر فأكثر بالرواية المكتوبة ، والرواية الشفوية ، واعتمادهم على الملاحظة المباشرة في كتابة حولياتهم ، فانهم لم يعرفوا كيف يطبقون طرقهم السليمة هذه على المراحل السابقة لهم . ولذلك ، بقي الطلاق بائنا بين صحة الحقيقة المروية وسوء معرفة الاطار المادي والنفسي[1] . وبقيت كتابات مؤرخين سرد أخبار ، وأشبـه بالمذكرات ، حتى ولو كانت نظراتهم عن واقعهم أكثر سعة من نظرات سابقيهم . وفي الواقع ، إن معظم ما كتب في أوربا في العصور الوسطى من تاريخ ، كان مسخا ، لمؤلف « القـديس اوغستين »[2] .

---

(1) G. Larousse. Ency. art « Histoire » . Vol. 5 P. 906

(٢) عاش بين (٣٥٤ ـ ٤٣٠ م) من أشهر آباء الكنيسة الكاثوليكية . كسان اسقفا لمدينة بونه الجزائرية (عنابة) ، وكان من كبار المفكرين الدينيين في العصور الوسطى وقد شغلت القضايا التي طرحها ، علم الالهيات الاوربي فترة طويلة مـن الزمن . وكتابه المشهور هو (مدينة الله) ، وقد دافع فيه عن المسيحية ضد الوثنيين، وسعى فيه كي يصل الى المعنى الإلهي للتاريخ .

وقد ظل التعليل الميتافيزيقي سائدا في التاريخ حتى منتصف القرن السابع عشر تقريبا ، حيث بدا واضحا فيما كتبه « بوسوه Bossuet »[1] المؤرخ الفرنسي في مؤلفه « المقالة في التاريخ العالمي » Le Discours de L'histoire Universelle والذي أوضح فيه أن « الثورات » نفسها قد نظمت بالقدرة الإلهية .

وخلاصة القول ، يبدو من تطور علم التاريخ في العصور الوسطى أن دخول مبادىء « التيولوجيا » (علم الالهيات) فيه ،قد أعاقت تطوره ، وتطور منهج بحثه ، كما أن ضعف الحس النقدي لدى المؤلفين التاريخيين قد جمد الدراسة التاريخية في أطرها التقليدية ، بل وفي ملء سجلات العصور الوسطى بالكثير من الوثائق المزورة . لقد افتقد مؤرخو العصور الوسطى « التقنية النقدية » التي تسمح لهم بتمييز الأصيل من المزور ، والثابت الصحيح من الخيالي الوهمي . أو بتعبير آخر كانوا بحاجة إلى « طريقة علمية » تساعدهم على إقامة الحجة المقنعة أو تسويغها ونقلها للآخرين ، وإقناعهم عقلانيا .

إن إقامة هذه « الطريقة النقدية » ترجع في الدرجة الأولى الى « إنسانيّ » (هومانيست)[2] « عصر النهضة » في أوربا ، الذين استقوا كثيرا من أصولها من الحضارات الكلاسيكية (اليونانية والرومانية) ، ومن العرب المسلمين ومؤرخيهم . ويقول المؤرخ « هرنشو »[3] الانكليزي المعاصر ، حول أثر العرب في التطور التقدمي لعلم التاريخ ما يلي : « لقد تماست النصرانية والاسلام في الأرض

---

(١) رجل دين فرنسي ومفكر . عاش بين (١٦٢٧ ـ ١٧٠٤) وقد كان معلما لولي عهد فرنسا ومقربا من الملك لويس الرابع عشر . وقد كرس جهده للدفاع عن كنيسة فرنسا الكاثوليكية .

(٢) الحركة الهومانيستية Humaniste : حركة فكرية تألقت في اوربا في القرن السادس عشر ، واقتبست افكارها ومبادئها من دراسة النصوص القديمة اليونانية والرومانية . وقد مجدت الانسان ، واعادت اليه قيمته التي افتقدها في العصور الوسطى . وكان لها أكبر الأثر في تحرر الانسان من افكار العصور الوسطى وفي انطلاقه في مجالات الابداع .

(٣) مؤرخ انكليزي . وكان استاذا للتاريخ الوسيط في جامعة لندن من ١٩١٣ـ ١٩٣٤ وله تآليف تاريخية عديدة تشهد له برسوخ القدم في علم التاريخ .

المقدسة وما يجاورها ، وفي صقلية وجنوبي إيطاليا والأندلس . ولم يكن هذا التماس بحال من الأحوال عدائيا ، لا في جملته ولا في نص الأساس الذي قام عليه. فكما أن « بلعام »[1] خرج ليدعو على بني إسرائيل فإذا به يدعو لهم ، فكذلك الصليبيون ، خرجوا من ديارهم لقتال المسلمين ، فإذا هم جلوس عند أقدامهم يأخذون عنهم أفانين العلم والمعرفة . لقد بهت أشباه الهمج من مقاتلة الصليبيين عندما رأوا « الكفار » ، الذين كانوا ينكرون من الناحية اللاهوتية ديانتهم ، على حضارة دنيوية ترجح حضارتهم رجحانا لا تصح معه المقارنة بينهما . ففي مجال التاريخ الذي نحن بصدد الكلام عليه وحده ، نجد « المسعودي » العربي[2] (؟ ـ ٩٥٦ م) يعرض في كتابه « مروج الذهب » عرض خبير ماهر تاريخ وأثنوغرافية غرب آسيا وشمال افريقيا وشرق أوربا . ونجد « ابن خلكان الدمشقي »[3] (١٢١١ ـ ١٢٨٢ م) يصنف معجما في التراجم التاريخية جديرا بأن يقرن إلى « تراجم فلوطرخ »[4] . ثم نجد شيخ مؤرخي العرب « عبد الرحمن

---

(١) هو « بلعام بن باعوراء » وتلخص قصته ـ كما أوردها التوراة ـ انه كان رجلا من الكنعانيين من مدينة « بلقاء » وكان مجاب الدعوة ، فلما قصد موسى وقومه من بني إسرائيل مدينة الجبارين (البلقاء) ، سأل الكنعانيون بلعام ان يدعو على بني إسرائيل فنهاه ربه عن ان يفعل . ولكن الكنعانيين الحوا عليه ، فدعا ، فكان لا يدعو على بني إسرائيل بشر إلا أصابه الكنعانيين ، ولا يدعو للكنعانيين بخير إلا أصاب بني اسرائيل .

(٢) هو علي بن الحسين بن علي المسعودي (؟ ـ ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) ويتصل نسبه بعبد الله بن مسعود الصحابي الجليل . وهو من كبار مؤرخي القرن الرابع الهجرة . تنقل كثيرا ، وصنف كتبا عديدة في التاريخ والجغرافيا ، ولم يصل إلينا منها سوى « مروج الذهب ومعادن الجوهر »و« التنبيه والاشراف » ـ والاثنان مطبوعان ـ وكذلك الجزء الاول من « اخبار الزمان ومن اباده الحدثان » .

انظر : الأعلام ج٥ . ص ٨٧ .

(٣) هو أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان (توفي في دمشق عام ٦٨١ هـ) ولي التدريس والقضاء بمصر والشام ، وكتابه الشهير هو « وفيات الاعيان» وقد ترجم للانكليزية .

(٤) مؤرخ واخلاقي يوناني (٤٥ ـ ١٢٥ م). وقد كتب سيرا لبعض الشخصيات من اليونان والرومان . وكتابه هذا يعد من عيون الأدب العالمي .

ابن خلدون »[1] التونسي (١٣٣٢ ــ ١٤٠٦ م) قد كتب مقدمة لتاريخ عام ، بلغت من سعة الاحاطة وصحة النظر وعمق الفلسفة ما جعلها مصداقا لما قاله الاستاذ « فلنت »[2] في حق ذلك العالم التونسي الكبير من أنه « واضع علم التاريخ »[3].

تطور علم التاريخ عند العرب ومنهاج بحثه :

إن كلمات « التأريخ » بالهمز ، « والتاريخ » بتسهيل الهمز و « التوريخ » كلها ألفاظ ترادف بالعربية كلمة « Histoire » بالفرنسية . ولا يعرف بالضبط متى استخدمت هذه الكلمة بالعربية ، إذ أنها لم تر في الشعر الجاهلي ، أو في القرآن الكريم ، أو الحديث[4] . ويبدو انها استعملت لأول مرة في الآداب العربية مع اخبار إدخال التقويم الهجري[5] . ويرى بعض اللغويين العرب أنها قد تكون كلمة معربة عن الفارسية ، ومن كلمتي « ماه روز » ، « وماه » تعني « القمر » و « روز » « اليوم » . إلا أن الباحثين المعاصرين يرجحون أنها من أصل سامي،

---

(١) ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٧٣٢ ــ ٨٠٨ هـ) ولد في تونس ودرس فيها ، ارتحل مسافرا ، وعمل في الميدان السياسي ، ثم انتقل إلى مصر حيث عمل فيها . اشتهر بمقدمة كتابه التاريخي « العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذي السلطان الاكبر » . وهو اول من قال بعلم العمران او علم الاجتماع وكان من رواد فلسفة التاريخ ، ومن واضعي اسس النقد التاريخي . انظر حوله كذلك ص ١١ ، هامش (١) من هذا الكتاب .

(٢) روبير فلنت P. Flint فيلسوف سكوتلاندي (١٨٣٤ ــ ١٩١٠) . كان استاذا في جامعة (ادنبره)وكتابه الرئيسي هو (فلسفةالتاريخ في فرنسا والمانيا).

(٣) هرنشو . المصدر السابق ص ٣١ ــ ٣٢ .

(٤) انظر فرانز روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين، تعريب الدكتور صالح أحمد العلي ومراجعة محمد توفيق حسن . بغداد ١٩٦٣/٨/١ ص ١٩ ــ ٢٥ وانظر كذلك السخاوي : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ . في المصدر السابق . ص ٣٨٢ ــ ٣٨٣ ، في حديثه عن « تعريف التاريخ لغة » وما قيل في ذلك .

(٥) السخاوي : المصدر نفسه . ص ٣٨٣ .

ومن اللغة العربية الجنوبيـة[1] . وهي تعني في أصالتها الأولى « القمر » أو « الشهر » . ومن هنا كان « التاريـخ » هو التوقيت بالقمـر ، أو بتعبير آخر الإشارة إلى « الشهر » و « الليلة » من الشهر عن طريق ملاحظة القمر . ثم انتقل هذا المعنى للدلالة على الليلة والشهر في الوثـائق ، ثم اكتسبت الكلمـة معنى « الكتابة التاريخية » ، وقد رسخت بهذا المضمون في القرن الثاني للهجرة ، الثامن للميلاد . ويظهر أنها أخذت دلالتها هذه من كتب التاريخ الأولى التي كانت تحتوي تحديدا زمنيـا ، كتراجم الأشخاص وسني ولادتهم ووفاتهـم ، ثم تبعتها كتب الحوليات ، وكل ما كتب في ميدان التاريخ بعد ذلك . وظل مفهوم (الزمـان) عنصرا رئيسيا وجوهريا في مضمون التاريخ العربي ، أكان في القرون الأولى من نمو الكتابة التاريخية عند العرب المسلمين ، أو في ذروة نضجها في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر . فالطبري مثلا المتوفى في ٣١٠هـ/ ٩٢٣ م، ابتدأ تاريخه بتعريف « الزمان » ، وأكد هذا المحتوى عندما أشار إلى أنه ذكر في كتابه : « تاريخ الملوك الماضين .. وأزمان الرسل والأنبياء ، ومقادير أعمارهم ، وأيام الخلفاء والسالفين وبعض سيرهم ، ومبالغ ولاياتهم والكائن الذي كان من الأحداث في أعصارهم »[2] . وبالمعنى ذاتـه تقريبا عرفه الكافيجي في القرن التاسع (٧٨٨ هـ ـ ٨٧٩ هـ / ١٣٨٦ ـ ١٤٧٤ م) بقوله : « علم التاريخ هو علم يبحث فيه عن الزمان وأحواله ، وعن أحوال ما يتعلق به من حيث تعيين ذلك وتوقيته »[3] .

---

(١) فرانز روزنثال : المصدر نفسه . ص ٢١ . يذكر د. شاكر مصطفى في كتابه « التاريخ العربي والمؤرخون » ، (ص ٥٠ ، هامش ١) ، نقلا عن « مرغليوث » : « أن الكلمة موجودة في عربية الجنوب في مادة « ورخ » وتعني القمر ؛ وتوجد الحروف نفسها مجتمعة في نقش فنيقي ، ترجمه بعض الباحثين بكلمة « ميعاد ». وفي السريانية (أرخ) تعني الشهر ، وهي آتية من معنى القمر ، واسمه في الأكادية (أرخو) ، وفي العبرية (يرح) أو (ياريح) » . ويربط المستشرق (بلسنر M. Plesner) بين «يرح» العبرية وبين كلمة تاريخ. انظر بحثه في الموسوعة الاسلامية المعربة . مجلد ٤ ص ٤٧٣.

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك . طبعة مصر ١٣٥٧/١٩٣٩ (٨) مجلدات . المجلد الاول ص ٤ .

(٣) المختصر في علم التاريخ . كتاب فرانز روزنثال : المصدر السابق ص ٣٢٧.

وكذلك فعل السخاوي (٨٣١ ــ ٩٠٢ هـ / ١٤٢٧ ــ ١٤٩٧ م) عندما قال: « وأما موضوعه ــ أي موضوع التاريخ ــ فالانسان والزمان[١] » . وإذا كان « ابن خلدون » قد أكد في تعريفه للتاريخ على « المنهجية » ، والصناعة فيه عندما بين أنه فن[٢] ، فإن « الزمان » ظل بالطبع مضمنا فيه لما شرحه بأنه « يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم »[٣] . وهكذا ظل مفهوم « التوقيت » ملازما للتاريخ العربي في كل أدواره .

وكان العرب قبل الاسلام يوقتون بالنجوم والأهلة ، وينسؤون الشهور ، أو بتعبير آخر يكبسون « السنين القمرية » أو يزيدون في أشهرها لالحاقها بالسنة الشمسية ، إلا أن الاسلام نهى عن ذلك . وكانوا يوقتون بالليالي دون الأيام ، بخلاف ما كان يفعله الفرس أو اليونان . وكانوا يؤرخون بالنسبة للحوادث العظام في تاريخهم كعام الفيل ، وبناء الكعبة ، ويوم ذي قار ، وغيرها كثير[٤] . إلا أنه عندما كانت خلافة عمر بن الخطاب فإنه اتخذ بداية للتأريخ الاسلامي « عام الهجرة »[٥] . وبذلك قدم للتأريخ العربي عمودا أساسيا من أعمدة بنيانه ولتوثيق الدولة خدمة جلى لاتقدر ، ونشأ بذلك ما يسمى « بالتقويم الهجري » المعتمد على التقويم القمري وحده . واعتبر أول محرم بداية للسنة الهجرية ، الموافق ١٥ تموز (يولية) ٦٢٢ م[٦] .

والعرب قبل الاسلام في جزيرتهم ، شأنهم في ذلك شأن الأمم الأخرى ، عملوا على استذكار تاريخهم ، ونقله من جيل إلى جيل : عبر الرواية الشفوية التي

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٨٥ .
(٢) المقدمة . طبعة بيروت . د.ت ص ٩ .
(٣) المصدر نفسه . الصفحة ذاتها .
(٤) انظر السخاوي . الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ . في كتاب روزنثال المصدر السابق . ص ٥١٥ .
(٥) انظر حول نشأة التاريخ عند العرب المسلمين ــ الطبري : المصدر السابق ج٢ ص ١١٠ ــ ١١١ ، والسخاوي المصدر السابق ص ٥٠٦ فما بعد .
(٦) هناك بعض خلاف حول تاريخ اليوم من عام ٦٢٢ م ، هل هو ١٥ تموز أو ١٦ ، أو ١٩ . انظر بلسنر : « تاريخ » . المصدر السابق ص ٤٧٥ .

ضمنت في أشعارهم أو أخبارهم ، أو عبر التدوين . والوسيلة الأولى اتبعها بخاصة البدو منهم ، أما الوسيلة الثانية فقد سار عليها العرب المتحضرون في بلاد العرب الجنوبية (اليمن) وفي الحيرة ، وأحيانا في أرض الغساسنة . أما عرب الجنوب فقد دونوا أخبارهم نقشا و « بالحرف المسند » ، على جدران قصورهم ومعابدهم ورووا فيها أحوالهم . وقد تعرف الباحثون الأثريون المعاصرون من خلالها على الكثير من تاريخ بلاد اليمن في الفترة الممتدة من القرن العاشر ق.م وحتى السادس الميلادي . بل إن « الهمداني »[1] في كتابه « الاكليل » يشير إلى أنه « قرأ زبر حمير القديمة ومساندها الدهرية »[2] . وفي مجال آخر ينوه بأن « أنساب الملوك في اليمن كانت مزبرة في خزائن حمير »[3] وهذا يعني أنه كان لعرب الجنوب « زبر » أو « صحائف » دونوا فيها أخبارهم وقد استخدمها « الهمداني » نفسه في تدوين كتابه .

وكذلك جاء أن « أهل الحيرة » كانوا يعنون هم الآخرون بتدوين أخبارهم وأنسابهم ، وكانوا يضعون ذلك في بيعهم . ولقد ورد أن « النعمان ملك الحيرة » أمر بنسخ أشعار العرب ، فدونت له في الطنوج « الكراريس » ثم دفنها في قصره الأبيض ، وقد نبشت أيام ثورة « المختار بن أبي عبيد الثقفي »[4] .

والأمر نفسه يقال عن العرب المتوضعين في شمالي شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام : فهناك عديد من النقوش الكتابية التي عثر عليها في تلك البقاع ، وقد دونت بالخطوط اللحيانية ، والصفوية ، والثمودية ، بل وبالنبطية[5] . وأشهر تلك

---

(١) هو « الحسين بن احمد » (٢٨٠ ـ ٣٣٨ هـ / ٨٩٣ ـ ٩٤٥ م) وهو من بني همدان . مؤرخ عالم بالانساب والفلك والفلسفة والأدب والشعر ، ويعرف بابن الحائك ، وبابن ذي الدمينة . من تصانيفه « الاكليل » في انساب حمير وأيام ملوكها . وهو في عشرة اجزاء . وقد طبع منها الثامن والعاشر وله كذلك « صفة جزيرة العرب » وهو مطبوع .

(٢) الاكليل ج ١٠ . نشر لوفغرن Lofgren ابسالا ١٩٥٤ . ص ٥ .

(٣) المصدر نفسه . نشر محب الدين الخطيب . القاهرة ١٣٦٨ هـ ص ١١١ .

(٤) جواد علي . تاريخ العرب قبل الاسلام ٨ اجزاء . الجزء الأول . بغداد ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ . ص ٣٩ .

(٥) انظر المصدر نفسه ص ١٨٨ ـ ١٩١ .

النقوش مثلا نقش (النمارة) الذي يرجع إلى عام ٣٢٨ م ، ونقش (شراحيل) الذي يعود الى عام ٥٦٨ م ، ويشير إلى تدمير « خيبر » الذي حدث في سنة سابقة[١] .

ولما جاء « الاسلام » فإن العرب لم يدونوا من تفاصيل هذا الحدث الضخم في تاريخهم سوى ركيزته الكبرى « القرآن الكريم » ، ثم الرسائل التي بعث بها الرسول الكريم (صلعم) الى الملوك ، وشيوخ القبائل ، يدعوهم فيها إلى الإسلام، وكذلك الاتفاقات التي عقدها[٢] . إلا أن القرآن الكريم نفسه قد حوى تاريخ الرسالة الإسلامية ، وربطها برسالات الأنبياء قبل محمد (ص) ، وبتاريخ شعوب وأقوام عديدين ، منذ بدء الخلق ، وبذلك أكد مفهوم التطور ، وروابط التاريخ الانساني. كما طرح على الفكر المسلم الرؤية التاريخية للوجود ، وللعمل الإنساني، وحثه على التأمل فيها : « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين »[٣] . وقد لا تخلو جل سوره من عرض لحدث تاريخي ، أو إشارة لواقعة أو تذكير بسنة ماضية . بل إن تأكيده الإيمان باليوم الآخر وبالحساب ، قد أعطى لهذا التاريخ البعد المستقبلي : فالحياة الحاضرة للانسان هي فعل تاريخي يجب أن تتلاقى فيه أبعاد الزمن الثلاثة : الماضي ، والحاضر ،والمستقبل، وأعماله لن تنسى ،بل هي مسجلة عليه ، وسيحاسب عليها في المستقبل . وبذلك دفع المسلم الى التفكير بالماضي ، بل وحبب إليه تسجيل أعمال الحاضر لخدمة المستقبل .

وقد كانت الفكرة السائدة حتى عهد قريب ، أن المسلمين الأوائل ، مع كل النظرة التاريخية العميقة والشاملة في القرآن الكريم ، ومع كل الحث الضمني نحو تسجيل أحداث الحاضر ، لم « يدونوا » تفاصيل أحداثهم ، ولا ظروف ماضيهم السابق للاسلام مباشرة ، لعدم حاجتهم الى ذلك ، بسبب وجود الرسول بين

---

(١) روزنثال . المصدر السابق ص ٣٠ .

(٢) انظر كتاب حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة . القاهرة ١٩٤١ .

(٣) سورة آل عمران . الآية ١٣٧ ، ومثلها كثير في القرآن الكريم .

ظهرانيهم أولا ، ولاستغراقهم في خضم الدعوة الاسلامية ، والعمل لها ثانيا ، ولأن « القرآن الكريم » كان هو تاريخهم الكبير ثالثا ، الذي لم يحو ماضيهم فحسب وإنما ماضي الوجود الكوني والانساني ، وحاضر الحدث الضخم الذي يعيشونه، واكتفوا بأن وعوا ما كان يجري ذاكرة ورووه شفاها ، ونقلوه لجيلين تقريبا بهذه الطريقة . وعلى رواياتهم الشفوية تلك ، اعتمد المحدثون الأول ، وكتاب « السيرة النبوية » ، في أواخر القرن الأول للهجرة السابع للميلاد وفي القرن الثاني هـ/ الثامن للميلاد . إلا أن بعض الدراسات الغربية الحديثة أخذت تميط اللثام وبالإثبات الوثائقي ، عن أنه كان هناك « تدوين أولي » لبعض الأحداث والأحاديث منذ عهد الرسول ، وخلال العصر الراشدي ، ولو أن هذا التدوين الأولي كان على نطاق شخصي ، ولمنفعة دينية خاصة ، أي أن بعض الصحابة قد قاموا به لأنفسهم[1] .

ومع الاعتراف مبدئيا بوجود مثل ذلك التدوين الأولي ، فإنه يمكن القول أن نشأة « التاريخ العربي » **علما مدونا ، ومجموعا من مصادره الشفوية ، والمدونة وبجاهليته واسلامه** ، ترجع الى القرن الثاني للهجرة الثامن للميلاد . وأنه في نشأته هذه، **كان عربيا اصيلا ، وجديدا بفكره ، وبتقويمه الزمني ، وباهدافه** ، أي أن المؤرخين المسلمين الأول ، لم يقلدوا فيه غيرهم من الأمم . وكان هذا التاريخ قبل أن يأخذ صورته المتكاملة المدونة ، في ذلك القرن ، يتضمن ، خلال مرحلة صدر الاسلام ، وجزء من العصر الأموي ، تيارين من « الرواية الشفوية » المتداولة ، والمقرونة أحيانا ببعض الرواية الكتابية :

اولهما : تيار أخبار الجاهلية ، أو تاريخ العرب قبل الإسلام ، ويشمل روايات وقصصا حول ملوك الجنوب في اليمن ، وحول غزوات قبائل « عرب الشمال » وحروبهم المسماة « بأيام العرب » ، وهذه الروايات مملوءة بكثير من الخيال ، والاوهام ، والمغالطات . وأشهر رواتها في القرن الهجري الاول « كعب

(١) شاكر مصطفى . المصدر السابق ص ٧٥ ـ ٨٣ .

الاحبار »[1] و « عبيد بن شرية »[2] و « وهب بن منبه »[3] . ومع أن العرب المسلمين قد انصرفوا مبدئيا عن سماع هذه الاخبار ، لاهتمامهم بالاسلام واخباره وسيرة الرسول والصحابة ، الا ان الخلفاء الامويين المتعطشين لاخبار الدول والامم الاخرى ، ومنهم معاوية بن أبي سفيان ، شجع « الاخباريين » وهم الرواة لماضي العرب والاقوام الاخرى . هذا بالاضافة الى نشاط « علم الانساب » أيامهم ، بسبب التنازع الحزبي ، وعودة العصبية العربية ، وتناحرات القبائل فيما بينها . ويجب ألا ينسى في هذا المجال البتة حاجة المسلمين الى كثير من أخبار الجاهلية ، أكانت تخص العرب أو غيرهم من الاقوام ، وذلك لتفسير ما ورد في (القرآن الكريم) من قصص ، وشواهد ، وأحوال عنهم . وبذلك شمل هذا التيار ، لا تاريخ العرب في العصر الجاهلي فحسب وانما تاريخ أقوام أخرى قبل الاسلام كذلك.وفي هذا المجال ، حمل « الأخباريون » إلى المسلمين ما ورد عن تلك الأقوام في التوراة والانجيل ، ويبدو أنه قد ترجم بعض ما أتى فيهما الى العربية في أواخر

---

(١) من كبار علماء اليهود في اليمن ـ اسلم في زمن أبي بكر ، وقدم المدينة أيام عمر واخذ عنه الصحابة بعض اخبار الامم الماضية . وتوفي في حمص عام ٣٢هـ/٦٥٦ م (خير الدين الزركلي . الاعلام . الطبعة الثالثة ج٦ ص ٨٥) .

(٢) من حكماء الجاهلية ـ ادرك النبي (ص) . قيل ان معاوية اتى به من صنعاء الى دمشق ليقص عليه اخبار العرب القديمة . ويقال انه أمر بتدوين ما حدثه به . ومن ثم كان الكتابان اللذان ينسبان اليه : « كتاب الملوك واخبار الماضين » ـ وقد طبع مع كتاب « التيجان وملوك حمير » تحت اسم « اخبار عبيد بن شرية في اليمن واشعارها وانسابها » ـ والكتاب الثاني هو « كتاب الامثال » . وقد توفي أيام عبد الملك بن مروان (المرجع نفسه ج ٤ . ص ٣٤٠) .

(٣) اصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى الى اليمن وأمه من حمير . ويقال انه كان معتنقا اليهودية قبل الاسلام . وقد عاش بين (٣٤ ـ ١١٤ هـ) (٦٥٤ ـ ٧٣٢ م) في صنعاء وعمل قاضيا فيها . ويعد المؤرخون بعض كتبه له دونها مثل « ذكر الملوك المتوجة من حمير واخبارهم وقصصهم وقبورهم واشعارهم » و « قصص الانبياء » و « قصص الاخبار » (المرجع نفسه ج ٩ . ص ١٥٠) .

القرن الأول للهجرة / أوائل القرن الثامن للميلاد[1] . وبذلك دخل كثير من الاسرائيليات الى التاريخ العربي ، ولا سيما قصص الانبياء . وقد أطلق على رواة أخبار القبائل العربية اسم « الرواة » ، و « النسابة » ، ولو أن الكلمة الأولى خص بها « رواة » حديث الرسول (ص) فيما بعد . ومن أشهر الرواة المسلمين الأول لأيام العرب وأشعارها وأخبارها « حماد الرواية »[2] .

وعندما شرع في تدوين التاريخ العربي ، فانه يلاحظ أن عديدا من المؤرخين العرب المسلمين قد حملوا تلك الروايات الى كتبهم ، وأحيانا دون نقد أو تمحيص . « فالطبري »[3] في تفسيره للقرآن الكريم قد نقل الكثير عن « وهب بن منبه » ، و « ابن اسحاق »[4] في « سيرته » ، كان راوية لـ « عبيد بن شرية » ، بل ان « ابن خلدون » ذاته الذي نقد تلك الروايات ، وأظهر لاعقلانيـة بعض الاخبار اليمنية ، اغترف هو الآخر منها .

وفي القرن الثاني للهجرة قام « أبو عبيدة »[5] — وهو مولى من العراق (١١٠ هـ — ٢٠٩ هـ / ٧٢٨ — ٨٢٤ م) — بتجميع الروايات عن (أيام العرب) هادفا الحصول على ما تبقى من الشعر الجاهلي القديم ، وبقصد ملسن العرب ،

---

(١) شاكر مصطفى المصدر السابق ص ١٠٧ .

(٢) حماد بن سابور بن المبارك (٩٥ — ١٥٥ هـ / ٧١٤ — ٧٧٢) . أول من لقب بالراوية . وكان من أعلم أهل عصره بأخبار العرب وانسابهم ولهجات قبائلهم . ولد بالكوفة ، ورحل الى دمشق ، وقربه بنو أمية ، وجفاه العباسيون ، وتوفي ببغداد انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان . مجلدان — مصر ١٣١٠ هـ . ج ١ ، ص١٦٤ .

(٣) محمد بن جرير ، المؤرخ والمفسر ، ولد في آمل من طبرستان واستوطن بغداد (٢٢٤ — ٣١٠ هـ / ٨٣٩ — ٩٢٣ م) له : « جامع البيان في تفسير القرآن » في ٣٠ جزءا ، وفيه علم غزير وتحقيق . كما له « أخبار الرسل والملوك » ويسمى بتاريخ الطبري ، وهو من ثقات المؤرخين .

(٤) محمد بن اسحاق بن يسار وهو من أهل المدينة (توفي ١٥١ هـ/٧٦٨ م) وكان من حفاظ الحديث ، ومات في بغداد . وله (السيرة النبوية) وكتب أخرى .

(٥) معمر بن المثنى : من أئمة العلم بالادب واللغة . وكان اباضيا وشعوبيا . كتب في مثالب العرب ، وله نحو ٢٠٠ مؤلف بعضها مطبوع . (١١٠ — ٢٠٩ هـ / ٧٢٨ — ٨٢٤ م) .

اذ عرف عنه أنه كان شعوبيا . وقد قام « هشام بن محمد الكلبي »[1] بعمل مشابه ، الا أنه اضاف الى المعلومات المستقاة من الروايات الشفوية ، معلومات مستقاة من مصادر « مكتوبة » من كنائس الحيرة ، ومن كتب مترجمة عن الفارسية . وبذلك خطا التأريخ العربي لفترة ما قبل الاسلام خطوة هامة نحو العلمية .

اما التيار الثاني ، فهو تيار الاخبار الاسلامية : والى هذا التيار ترجع بدايات التاريخ العلمي العربي الأصيل ، أي منذ أن سعى المسلمون لتتبع أخبار حياة الرسول الكريم وأعماله ، أو بتعبير آخر لاستقصاء « السنة » . ولما لم يكن لديهم كتاب مدون حول هذا الامر ، فان الصحابة في عهد الخلفاء الراشدين ،أخذوا على عاتقهم نقل أخبار حياةالرسول ، وأحاديثه ، ومغازيه ، وأعماله ، الى الاجيال الناشئة من المسلمين ، والى المعتنقين الجدد للدين الاسلامي . وبذلك ظهر (رواة) الاحاديث والمغازي ، ولا سيما في (المدينة) ، حيث كان « عبد الله بن عمر »[2] و « عبد الله بن العباس »[3] . واشتدت حاجة المسلمين لسيرة الرسول وأحاديثه بعد أن ظهرت الانشقاقات في صفوف العرب منذ حروب الردة ، والخلافات حول الخلافة، وتزايدت مشكلات الدولة وتوسعت شؤونها،وكان الصحابة قد تبعثروا في مختلف الامصار نتيجة الفتوح ، كما أن بعضهم قد استشهد او أصابه الردى . ولم يصلنا في الواقع ما يثبت أنه قد جرى تدوين لاخبار الرسول وأحاديثه في عهد الخلفاء الراشدين ، بل من المتداول أن عمر بن الخطاب قد نهى عن تدوين الحديث

---

(١) عالم بالانساب واخبار العرب كابيه « محمد بن السائب الكلبي » من اهل الكوفة وتوفي فيها عام ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م له نيف ومائة وخمسون كتابا منها « جمهرة الانساب » و « الاصنام » .

(٢) ابن عمر بن الخطاب ، وقد نشا في الاسلام ، وعاش معظم حياته في المدينة الا انه توفي في مكة عام ٧٣ هـ / ٦٩٢ م وقد اسهم في غزو افريقيا . وهو من رواة الحديث الاول ، وله في كتب الحديث (٢٦٣٠) حديثا (الاعلام . ج ٤ ص ٢٤٦) .

(٣) ابن العباس بن عبد المطلب عم الرسول (ص) . لازم رسول الله ، وروى عنه الاحاديث ، وينسب اليه كتاب في تفسير القرآن . (المرجع نفسه ص ٢٢٨ — ٢٢٩).

خشية اختلاطه بالقرآن . ومع ذلك ، فإن هناك بعض اشارات ، الى ملامح تدوين قام به أفراد من الصحابة لأنفسهم ، وللاستذكار[1] .

ولكن الحاجة الملحة لمعرفة دقائق سيرة الرسول ، وأحكام الدين ، ولا سيما بعد موت الصحابة تباعا ، دفعت أفراد الجيل الثاني من المسلمين لتدوين تلك الروايات الشفوية الاسلامية . ويقال ان « أبان بن عثمان »[2] المتوفى عام ١٠٥ هـ/ ٧٢٣ م و « عروة بن الزبير »[3] المتوفى عام ٩٣ هـ / ٧١١ م ، قد ألف كل منهما كتابا في هذا المضمار أحدهما في « الحديث » والثاني في « المغازي » . واذا صح هذا القول ، فان عملهما يكون بداية للتدوين التأليفي للتاريخ العربي الاسلامي في العصر الاموي . وتتالى على ما يبدو من الاخبار ، تدوين الحديث ، فنسب الى الخليفتين « عمر بن عبد العزيز » أو « هشام بن عبد الملك » تكليفه « محمد بن مسلم بن شهاب الزهري » (المتوفى عام ١٢٤ هـ / ٧٤١ م) بتدوين ما جمع من أحاديث . وقد قام هذا الاخير بذلك فعلا ووضعها في « دار قراطيس » الخلافة ، حيث فقدت فيما بعد . ويظهر مما كتب عن الزهري وما روي عنه انه لم يقتصر على دراسة حياة الرسول قبل البعثةوبعدها ، وعلى مغازيه فحسب ، وانما مد ذلك الى عهد الخلفاء الراشدين ، وما حدث أثناء انتخابات الخلافة ،كما أظهر اهتماما كبيرا بالانساب ، وكان واحدا من علمائها . ومن ثم فانه يمكن القول أن مادونه الزهري كان الاساس في كتب المغازي والسيرة .

---

(١) شاكر مصطفى المصدر السابق ص ٨٠ .

(٢) ينسبه ابن سعد (طبقات . ط بيروت ج ٥ ص ١٥١ وما بعدها) الى عثمان ابن عفان ويعده ضمن محدثي الطبقة الاولى من اهل المدينة من التابعين . الا انه انصرف بعد ذلك الى الاهتمام بالمغازي . ويجب الا يختلط الامر مع (ابان بن عثمان) صاحب كتاب (المغازي) وهو (ابان الاحمر بن عثمان بن يحيى) المتوفى نحو ٢٠٠ هـ/ ٨١٥ م) ، (انظر الاعلام ج ١ . ص ٢٠) .

(٣) ابن الزبير بن العوام الصحابي الجليل . وكان عالما جليلا وصالحا وهو اخو (عبد الله بن الزبير) .

أما كتاب « السيرة » المشهور فقد دونه « محمد بن اسحق بن يسار » (المتوفى ١٥١ هـ/٧٦٨م) على طلب ـ كما يقال ـ من الخليفة المنصور[١]، وكان ثمرة مفهوم قد يكون أوسع من مفهوم اسلافه ومعاصريه عن سيرة الرسول ، لأنه لم يقدم تاريخ الرسول فحسب والتاريخ الرسالة . وبهذا الشكل الاصيل والاول لكتب السيرة ، ضم مؤلفه ثلاثة أقسام :ـ المبتدأ : ويبحث في التاريخ قبل الاسلام ، ومنذ بدء الخليقة . ويأخذ فيه من روايات وهب بن منبه وروايات ابن عباس ، ومن نصوص التوراة والقرآن .

ـ المبعث : ويبحث في حياة النبي (ص) في مكة ، والهجرة . ويعتمد فيها على رواية شيوخه وفي مقدمتهم الزهري .

ـ المغازي وهو تاريخ النبي والدعوة الاسلامية في المدينة وحتى وفاته ، وبخاصة منذ بدء حربه مع القبائل المشركة .

وقد ضمن « ابن اسحاق » كتابه على عادة رواة الخبر ، وأيام العرب ، الكثير من الاشعار . وعلى الرغم من النقد الذي وجه لكتاب ابن اسحق ، والطعن فيه لتشيعه واعتزاله ، وروايته الكثير من الامور اللاعقلانية ، وبعض الاحاديث الموضوعة ، فانه غدا المصدر الرئيسي في التاريخ الجاهلي ، وفي صدر الاسلام . ومن المعروف ان الكتاب لم يصلنا ، وانما وصلتنا منه فقرات عن طريق تلخيص المؤرخين له وتنقيحهم ، وبخاصة (عبد الملك بن هشام) (المتوفى ٢١٨ هـ/٨٣٣م) في كتابه المشهور والمتداول « السيرة » ، والذي يطلق عليه عادة اسم « سيرة ابن هشام » .

ولم يقتصر التدوين على « سيرة الرسول » بل نشط عدد من المسلمين في جمع أخبار ما جرى في عهد الخلفاء الراشدين ، وبني أمية ، الى جانب العاملين في جمع أخبار الجاهلية . بل وجد في بدايات العصر العباسي نوع من التخصص المحلي في

---

(١) انظر الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد ١٤ جزءا بغداد ١٩٣١ ج ١ ص ٢١٤ ـ ٢٢٤ .

رواية الاخبار : فاهتم « أبو مخنف »[1] بشؤون العراق وأخبارها، و «المدائني»[2] بأمور خراسان والهند وفارس ، و « الواقدي »[3] بأمر الحجاز والسيرة واشتركوا في فتوح الشام[4] .

وخلاصة القول ، لم يصل القرن الثاني للهجرة الى نهايته حتى كانت الابواب الاساسية للتاريخ العربي قد رسمت . وانطلق التاريخ العربي في القرون التالية في دروب واسعة : فاتسع أفق الكتابات التاريخية وتنوعت ، وتمكن منهج البحث العلمي فيه : من وفرة في المصادر الوثائقية ، ونقد للمرويات من الحوادث والاخبار، وبحث في الاسباب والعلل . وكان وراء ذلك النمو الصحي لهذا العلم ، عدة عوامل ، يمكن أن توجز بالنقاط التالية :

ـ دراسات المحدثين ، وسعيهم الحثيث لتنقية الحديث بعد جمعه ، وابراز الصحيح منه من الموضوع ، والاهتمام بصفة خاصة بسير المحدثين ، ومصادر رواياتهم .

ـ أبحاث فقهاء اللغة العربية ، ومتابعتهم أخبار القبائل العربية ، ولهجاتها ، واشعارها ، للوصول الى الكلمات العربية الأصيلة ، ولفظها الصحيح ، ومعناها الحقيقي .

ـ الفتوحات الاسلامية وما نجم من احتكاك بشعوب مختلفة ، لها عاداتها ،

---

(١) لوط بن يحيى (المتوفى ١٥٧ هـ) راوية ، وعالم بالسير والاخبار . امامي من اهل الكوفة . له تصانيف كثيرة . (الاعلام ج ٦ ص ١١٠ ـ ١١١) .

(٢) علي بن محمد بن عبد الله ابو الحسن المدائني (١٣٥ ـ ٢٢٥ هـ / ٧٥٢ـ ٨٤٠ م) راوية مؤرخ . أورد له ابن النديم اسماء مايزيد عن مائتي كتاب . (المرجع نفسه ج ٥ ص ١٤٠) .

(٣) محمد بن عمر بن واقد السهمي (١٣٠ـ٢٠٧ هـ/٧٤٧ـ٨٢٢ م) عاش في بغداد مقربا من الخليفة الرشيد . وهو من اقدم المؤرخين في الاسلام . من كتبه المغازي النبوية ، وفتوح الشام (المرجع نفسه ج ٧ ص ٢٠٠) .

(٤) انظر ابن النديم : الفهرست ص ١٣٧ .

ودياناتها ، وتاريخها وحضارتها ، مما دفع المؤرخين الى استطلاع أمورها ، وتعرّف مدوناتهـا التاريخية . هـذا بالاضافة الى حاجـة المسلمين والدولة لتعـرّف تاريخ الفتوحات العربية الاسلامية ، رغبة ثقافية ودينية منهم واقتداء وتقـديرا للامور ، وتنظيما لشؤون الدولة ولا سيما المالية منها ، التي تعتمد على التمييز بين ما فتح من تلك البلاد صلحا ، وما فتح عنوة .

ـ تكامل أطر الدولة العربية الاسلاميـة ، واستقرار دواوينها ، ولا سيما دواوين الرسائل ، والجند ،والخراج ، والبريـد ، مما ساعد على وجود وثائق رسمية يمكن للمؤرخين الاعتماد عليها . ويظهر هذا واضحا في تواريخ القرن الثالث للهجرة التاسع الميلادي وما بعدها .

ـ التنافس والصراع السياسـي ـ الادبي بـين العرب والمـوالي ، ولمو الشعوبية . فقد كان كل فريق يسعى كي يثبت أفضليته على الفريق الآخر ، بنبش تاريخه ، وعرضه مفصلا ، ونبش مثالب تاريخ الطرف الثـاني ، وبذلك توسعت المادة التاريخية المتحصلة ، وغزرت ، وتعددت الفكر النقدي لدى العرب والمسلمين.

ـ تشجيع الخلفاء والامراء للمؤرخين ، كي يثبتوا لهم أعمالهم ، ويبقوها حية على مرّ الزمن، وذكرى للاجيال المتلاحقة.وبذلك نشأ «التاريخ الرسمي»في الدولة العباسية وعديد من الدول المستقلة[1] .

ـ حركة الترجمة عن اللغات الاجنبية ، كالفارسية ، والسريانية ، واليونانية. وقد بدأت هذه الحركة في اطار مادة التاريخ بترجمة (ابن المقفع)[2] عن الفارسية حوالي ١٤٠ هـ ، لكتاب « خداينامة » في تاريخ الفرس وأحوالهـم تحت عنوان

---

(١) انظر حول « التاريخ الرسـمي » ، شاكر مصطفى . المصدر السابق . ص ٨٩ ـ ٩٠ .

(٢) اصله من الفرس ، وولـد مزدكيا الا انه أسلم على يد عم أبي العباس السفاح ، وولي كتابة الديوان له . وقد ترجم له عـددا من كتب المنطق . واتهم بالزندقة فقتل . وقد عاش بين (١٠٦ ـ ١٤٢ هـ / ٧٢٤ ـ ٧٥٩) . (الاعلام ج ٤. ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤) .

« سير الملوك »[1] . ومن هذا القبيل « عهد اردشير » الذي ترجمه الى العربية « البلاذري »[2] المتوفى عام ٢٧٩/٨٩٢ م . وتاريخ « هيروشيوس »[3] الذي ترجم في الاندلس حوالي منتصف الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وقد أخذ عنه ابن خلدون معظم ماكتبه عن الروم[4] .

ـ النهضة الفكرية العامة التي شاهدها العصر العباسي، ونمو العلوم والمعارف المختلفة التي ساعدت التاريخ بدورها على النمو ، كعلم الجغرافيا ، والفلك ، وعلوم اللغة والدين ، والأنساب والفلسفة . ويضاف الى ذلك الرغبة المتوقدة لدى

---

(١) انظر روزنثال : المصدر السابق ص ٣٠٧ (نقلا عن كتاب الفهرست لابن النديم) . وكان له ثماني ترجمات ، على ما ذكره « حمزة الاصفهاني » في كتابه « تاريخ سني ملوك الأرض » والبيروني في كتابه « الآثار الباقية » .

(٢) عبد الحميد العبادي . المامة بالتاريخ عند العرب . في كتاب هرنشو : المصدر السابق . ص ٣٩ . ولقد ورد في الفهرست ان « ابان اللاحقي » هو الذي دون كتابا في (سيرة اردشير) . روزنثال : المصدر السابق ص ٣٠٧ .

(٣) بول اوروزيوس « P. Orosius » : وهو مؤرخ وثيولوجي من القرنين الرابع والخامس الميلاديين، ولد في طراخون في اسبانيا ، وكان تلميذا لسانت اوغوستين وله كتاب « تاريخ ضد الوثنين « Adversus Paganus » » . ويبدو ان الامبراطور البيزنطي « رومانوس » (او قسطنطين) ، كان قد أرسل نسخة من هذا الكتاب ، مع نسخة من كتاب « ديسقوريدس » (طبيب يوناني من القرن الأول الميلادي) ، الى عبد الرحمن الناصر في الأندلس ، سنة ٣٢٧ هـ / ٩٤٨ ـ ٩٤٩ م . وقد اشار « ابن جلجل » في كتابه « اسماء الأدوية المفردة » الى ذلك قائلا : « وبعث ملك الروم معه (اي مع كتاب ديسقوريدس) ، كتاب « هروسيوس » صاحب القصص . وهو تاريخ للروم عجيب : فيه اخبار الدهور ، وقصص الملوك ، وفوائد عظيمة ... واما كتاب « هروسيوس » فعندك من بلدك من اللطينيين من يقراه باللسان اللطيني ، وان كشفتهم عنه ، نقلوه لك من اللطيني الى اللسان العربي » . فرانز روزنثال . المصدر السابق ص ١١٦ . هامش ٥٩ . ويذكر المصدر نفسه هامش ٥٨ بان ج .ل. ويلا فيدا قد وجد مخطوطة هذا الكتاب ويقوم بطبعها .

(٤) العبر وديوان المبتدا والخبر ٧ أجزاء . بيروت د.ت . ج٢ ص ١٠ ، ١٢ ، ١٨٤ .

الناس للاستزادة من الاخبار ، ووفرة الحلقات التعليمية في المساجد ، والكتاتيب والمدارس وانتشار العلم بصفة عامة . ويضاف الى ذلك نشاط المؤسسات العلمية الكبيرة « كبيت الحكمة » في بغداد مثلا .

ـ انقسام الدولة العربية الاسلامية الى دويلات متنافسة فيما بينها ، ومتسابقة لترسيخ دعائم النهضة الفكرية فيها بصفة عامة ، والكتابة التاريخية بصفة خاصة، مما أدى الى ظهور التواريخ المحليـة كتواريخ البلدان ، وكتب « التراجم » و « الطبقـات » .

ـ ظهور فئة كبيرة من المؤرخين ، ومن فئات اجتماعية متنوعة ، ذات امكانات فذة ، وحماسة للدراسة العلمية البحتة ، واستقصاء الحوادث، وتحقيقها، وتدوينها، هذا الى جانب اعتقاد بعضهم بواجب الكتابة التاريخية ، لان التاريخ سجل اخلاقي للامم ، وعبرة للحاضر والمستقبل ، بل وايمان قسم منهم ، بأنه المجال الذي يشرح للناس تاريخ الرسالة الاسلامية ، ويذكرهم بسيرة الرسول الكريم ، والصحابـة الراشـدين[1] .

ـ تطور تقنيات الكتابة بعامة ، وتوافر وسائل التدوين والتأليف ، كالورق مثلا فقد تعرف العرب صناعته منذ القرن الثاني للهجرة ، والشيء أول مصنع له من الخرق البالية في بغداد عام ١٧٨ هـ/٧٩٤ م ، ومنها انتشرت صناعته في أنحاء الدولة العربية الاسلامية، وكان يصنع أيضا من ألياف الحشيش ومن القنب والكتان[2] هذا بالاضافة الى وجود النساخين وتوافرهم .

ويتبدى نضج العرب المسلمين في ميدان الكتابة التاريخيـة بالمادة الغزيرة وبتنوع أصنافها عندهم ، أو بتعبير آخر بالتنوع الكبير في موضوعاتها ، حتى ان

---

(١) انظر حول فوائد التاريخ كما أدركها عديد من المؤرخين العرب، في السخاوي: الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ . المصدر السابق ص ٣٨٥ ـ ٤٥٤ . وحول وجوب العلم بالتاريخ الكافيجي في المصدر نفسه ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤ .

(٢) انظر لتفصيل أكبر حول صناعة الورق ، شاكر مصطفى . المصدر السابق ص ٦٩ ـ ٧٣ .

« السخاوي » يذكر على لسان « الذهبي » : « بأن فنون التواريخ التي تدخل في تاريخي الكبير المحيط ، ولم أنهض له كثيرة ، ولو عملته لجاء في ستمائة مجلد .. » ويعدد أربعين صنفا من تلك الفنون ، عالج فيما المؤرخون العرب ، التاريخ السياسي الفردي ، والعام ، والعالمي ، وتاريخ الخاصة من علماء وامراء ووزراء ، وقضاة، وكتاب ، وقراء ، وغيرهم ، وتاريخ العامة بفئاتهم المختلفة ، حتى الشطار والمصابين بالعاهات[1] . إلا أنه يمكن تصنيف تلك الفنون ــ كما اسماها الذهبي ــ في الزمر النوعية التالية :

١ ــ كتب السيرة : والمقصود بها بالذات « السيرة النبوية » . وأشهر من كتب في هذا المضمار ــ كما أشرنا سابقا ــ « محمد بن اسحاق » . وقد لخص له وتقح « عبد الملك بن هشام » ، وملخصه هذا ، هو المصدر الاول المستخدم عن سيرة الرسول (ص) . ولقد عمل عدد من المؤرخين عبر القرون المتتالية لاعادة كتابة السيرة[2] . وأبرز من فعل ذلك في القرنين السابع ــ الثامن الهجريين/الثالث عشر ــ الرابع عشر الميلاديين ، « الحافظ بن سيد الناس »[3] وكتابه « عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير » ، وفي القرنين العاشر ــ الحادي عشر الهجريين/ السادس عشر ــ السابع عشر الميلاديين ، « نور الدين الحلبي »[4] صاحب كتاب « انسان العيون في سيرة الامين والمأمون » وهوالمعروف تحت اسم السيرة الحلبية .

---

(١) السخاوي في روزنثال : المصدر السابق ص ٥١٨ ــ ٥٢٢ .

(٢) انظر المصدر نفسه ص ٥٢٥ ــ ٥٣٩ .

(٣) محمد بن محمد سيد الناس اليعمري (٦٧١ ــ ٧٣٤ هـ/١٢٧٣ ــ١٣٣٤م) مؤرخ ، وعالم بالادب ، وحافظ للحديث . مولده ووفاته بالقاهرة . له عدة مؤلفات وقصائد . انظر الاعلام :ج ٧ . ص ٢٦٣ .

(٤) علي بن ابراهيم بن احمد الحلبي : مؤرخ اديب ، اصله من حلب، ومولده ووفاته بمصر (٩٧٥ ــ ١٠٤٤ هـ/١٥٦٧ ــ ١٦٣٥ م) له تصانيف كثيرة . انظر المحبي : خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر ٤ اجزاء . دار صادر بيروت١٩٧٧. ج ٣ ص ١٢٣ .

٢ ــ كتب « الطبقات » : وتبحث في تراجم الشخصيات التي لعبت دورا معينا في تاريخ الامة ، مقسمة الى طبقات[١] . « فمحمد بن سعد » في كتابه « طبقات الصحابة » كان البادىء في هذا المضمار ، وقد سار في تصنيفه طبقات الصحابة والتابعين مراعيا عنصري الزمان والمكان ، فصنف الصحابة الى طبقات بحسب اسبقيتهم في الاسلام[٢] . وهو الاساس نفسه الذي كان الخليفة (عمر بن الخطاب) قد عمل به عند توزيع العطاء ، وترتيبه الدواوين .أما التصنيف بحسب المكان ، فقد أضاف ابن سعد اقساما عن الصحابة والتابعين المقيمين في الكوفة أو البصرة وغيرهما . ويشير المؤرخ الانكليزي « غب » عند بحثه عن تطور علم التاريخ عند العرب المسلمين[٣] ان هذا النمط من الكتابة التاريخية ، أي التفكير بكتابة معجم يضم الشخصيات الاسلامية الكبرى ، دليل على ابداع جديد في الفن التاريخي عند العرب المسلمين . وفي الوقت ذاته شاهد على تلاحم هذا التاريخ مع علم الحديث ، لان جمع تلك الشخصيات كان نتيجة لنقد الحديث . ومن ثم كان التقسيم الى طبقات عمل اسلامي أصيل ، وقد يبدو أنه أقدم تقسيم زمني وجد في التفكير التاريخي الاسلامي ، وليس له أية علاقة في الأصل بطريقة الترتيب تبعا للسنين ، التي كانت مألوفة في تقاليد التراجم الاغريقية[٤] .

ولقد انتقل المؤرخون العرب من طبقات علماء الحديث الى طبقات غيرهم من الشعراء ، والادباء ، والفقهاء ، والنحاة ، والعلماء ، والاطباء . ومن أشهر كتب

---

(١) انظر حول تعريف الطبقة ومضمونها الزمني روزنثال : المصدر السابق ص ١٣٣ .

(٢) اول من ترجم لهم ، بعد ترجمته لسيرة الرسول (ص)، الصحابة الذين هاجروا الى الحبشة ، فالذين هاجروا الى المدينة ، ثم من حضر غزوة بدر وسواها ثم من حضر فتح مكة ، وهكذا .

(٣) انظر بحث : Encyclopédie de L'Islam. 1ed. art « Tarikh »

(٤) روزنثال . المصدر السابق ص ١٣٣ ــ ١٣٤ .

الطبقات « طبقات الشعراء » لمحمد بن سلاّم الجمحي[1] ، و « طبقات الاطباء » « لابن أبي اصيبعة »[2] .

٣ ـ كتب « التراجم » : وهي تتحدث عن سير الصحابة والخلفاء ، والقادة ، والعلماء والفقهاء ، والمحدثين وغيرهم . وهي تشبه كتب الطبقات ، الا انها لا تختص بفئة معينة ، ولا تلتزم بترتيب تراجمها الاسس المتبعة في كتب الطبقات ، وانما قد تسير في أغلب الأحوال بحسب الترتيب الابجدي . ويمكن أن يطلق عليها اسم « معجم » . وأشهر كتب التراجم كتاب « وفيات الاعيان » « لابن خلكان »[3] و « معجم الادباء » لـ « ياقوت الحموي »[4]. ومنذ القرن الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد ، يلاحظ اهتمام المؤرخين بالشخصيات الهامة في عصرهم . وظل هذا الاسلوب متبعا حتى القرن الرابع عشر للهجرة / العشرين للميلاد الذي نعيشه ، مع اتجاه نحو الترجمة لشخصيات كل قرن من القرون على حدة ، ككتاب « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » لابن حجر العسقلاني ، و « الضوء اللامع في أهل القرن التاسع » للسخاوي ، وغيره من كتب التراجم للقرون التالية . ويمكن أن يسمى النوع الأخير « بالتراجم الطبقية » لأن تلك التراجم محددة بطبقة زمنية قدرها قرن ، أي أن رجالها قد توفوا خلال قرن محدد .

---

(١) من أهل البصرة ، وأحد ائمة الأدب (١٥٠ ـ ٢٣٢ هـ/ ٧٦٧ ـ ٨٤٦ م).

(٢) أحمد بن القاسم . طبيب ومؤرخ (٥٩٦ ـ ٦٦٨ هـ/ ١٢٠٠ ـ ١٢٧٠ م) كان مقامه في دمشق وتوفي بصرخد في حوران .

(٣) أحمد بن محمد . مؤرخ حجة ، وأديب . ولد في اربل (قرب الموصل) وعمل قاضيا في الشام ، ودرس في كثير من مدارسها . عاش بين (٦٠٨ ـ ٦٨١ هـ/ ١٢١١ ـ ١٢٨٢ م) . انظر ص ٣٣ من هذا الكتاب . هامش (٣) .

(٤) ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي . مؤرخ ومن ائمة الجغرافيين والعلماء باللغة العربية . كان مملوكا ثم اعتق . قام برحلات كثيرة . وعاش بين (٥٧٤ ـ ٦٢٦ هـ/١١٧٨ ـ ١٢٢٩ م) .

٤ ـ **كتب المغازي والفتوح :** وتتحدث عن غزوات الرسول وسراياه(المغازي) وعن الفتوحات الإسلامية في مختلف الأمصار . وأول من فتح باب المغازي كان « عروة بن الزبير » كما أسلفنا القول ، واتبع خطوه « محمد بن إسحاق » وأدمج المغازي في سيرة الرسول ، وسار الباحثون في سيرة الرسول (ص) على نهجه .

أما الفتوح ، فكان أول من فتح باب الكتابة فيها « محمد بن عمر الواقدي» مؤرخ الرشيد والمأمون ، وتبعه « أحمد بن يحيى البلاذري »[1] (٢٧٩هـ/٨٩٢) في كتابه « فتوح البلدان » وغيره كثيرون ممن بحث في فتوح منطقة دون غيرها .

٥ ـ **تاريخ البلدان :** أو ما أسماه السخاوي بالتواريخ المحلية . ويبحث في تاريخ مدينة أو اقليم من أول نشأته حتى فترة مؤرخه ، مع بيان بالعلماء والمشهورين فيه . ويمدد السخاوي عديدا منها بحسب أبجدية المكان ، أكان في المشرق أو المغرب والأندلس[2] . ومن تلك التواريخ المشهورة والمتداولة « تاريخ بغداد » « للخطيب البغدادي »[3] (المتوفى في ٤٦٣ هـ/١٠٧٢ م) و « تاريخ دمشق » لـ « ابن عساكر »[4] (المتوفى ٥٧١ هـ/ ١١٧٦ م) و « الخطط» « للمقريزي»[5]، (٨٤٥ هـ/١٤٤١ م) .

---

(١) مؤرخ وجغرافي ، ونسابة ، وشاعر . من اهل بغداد وكان يجيد الفارسية. عاصر الخليفة المتوكل . وله عدة مؤلفات منها (انساب الأشراف) .

(٢) روزنثال . المصدر السابق ص ٦١٢ ـ ٦٦٨ .

(٣) احمد بن علي المعروف بالخطيب (٣٩٢ ـ ٤٦٢ هـ/١٠٠٢ ـ ١٠٧٢ م) نشأ وتوفي في بغداد . وكان ولوعا بالمطالعة والتاليف . له عديد من التصانيف قد يزيد عن ٧٥ كتابا .

(٤) علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي (٤٩٩ ـ ٥٧١ هـ/١١٠٥ ـ ١١٧٦م) مولده ووفاته في دمشق . كان محدثا وحافظا ورحالة . له عدة مؤلفات اشهرها « تاريخ دمشق الكبير » الذي يقوم المجمع العلمي العربي بدمشق على تحقيقه ونشره.

(٥) احمد بن علي تقي الدين المقريزي ، مؤرخ الديار المصرية . اصله من بعلبك وولد ونشا في القاهرة (٧٦٦ ـ ٨٤٥ هـ / ١٣٦٥ ـ ١٤٤١ م) له كتب عديدة بعضها مطبوع وبعضها الآخر لا يزال مخطوطا . ومن اشهرها في تاريخ مصر « السلوك في معرفة دول الملوك » .

٦ ـ **كتب تاريخ عامة** : وتبحث في تاريخ البشر عامة ، ومنذ بدء الخليقة حتى عصر المؤرخ ، وتركّز بالطبع على التاريخ الإسلامي . وأغلبها ينقل عما قبله، إلا أنها في بحثها للفترات المعاصرة للمؤلف تعتبر مصدرا أولا أساسيا . وتقسم كتب التاريخ العام، بحسب طريقة عرضها ، إلى قسمين: طريقة الحوليات: Annales وفيه تعرض الحوادث سنة فسنة بشكل متسلسل ، وفيه يشير المؤرخ إلى أنه « في سنة كذا » قد تم الأمر الفلاني . أما الصلة بين الحوادث المتعددة التي تحدث في السنة نفسها فكانت عادة بإضافة جملة « وفيها » (أي في السنة نفسها). وإن أول مؤرخ عربي دوّن التاريخ على ترتيب السنين وبقي لنا كتابه هو « الطبري » (٣١٠هـ /٩٢٣ م) في كتابه « تاريخ الرسل والملوك » . وقد لا يكون هو أول من استخدم هذا الأسلوب ، وقد يكون سبقه غيره ، ولكن لم تصلنا كتبه . ومن المعروف أن الطبري كان محدثا ولذا فإنه طبق أساليب البحث في الحديث على علم التاريخ ، وجاء كتابه تتويجا لمرحلة نضجت خلالها الكتابة التاريخية ، ولذا فإن أغلب المؤرخين الذين أتوا بعده ، جمعوا مادتهم مما كتب ، ثم عمدوا إلى التكملة من حيث انتهى ، حتى عصرهم . وأشهر الكتب التاريخية العامة التي سارت على هذا النمط كتاب « الكامل » « لابن الأثير »[١] ، وكتاب « المختصر في تاريخ البشر » « لأبي الفداء »[٢] وغيرها .

وهناك من المؤرخين ، من يضيف الى الحوادث في السنين ، « الوفيات » ، التي تمت في كل سنة . ويلاحظ نمو هذا النمط منذ القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي[٣] .

---

(١) علي بن محمد الشيباني الجزري . من العلماء بالنسب والأدب والتاريخ . ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر وسكن الموصل (٥٥٥ ـ ٦٣٠ هـ/١١٦٠ ـ ١٢٢٣ م) من اشهر كتبه (الكامل) و (أسد الغابة في معرفة الصحابة) .

(٢) اسماعيل بن علي صاحب حماة . مؤرخ وجغرافي (٦٧٢ ـ ٧٣٢ هـ/١٢٧٣ ـ ١٣٣١) . له عدة مؤلفات . ومنها في الجغرافيا ، كتابه الشهير « تقويم البلدان ».

(٣) انظر الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ . في روزنثال : المصدر السابق ص ٦٧٢ فما بعد .

أما الأسلوب الثاني في كتابة التواريخ العامة ، فهو كتابة تاريخ السلالات الحاكمة أو الدول ، أو الشعوب ، ومن هؤلاء « المسعودي » ، وشيخ المؤرخين العرب « ابن خلدون » .

ويمكن أن يضاف إلى أنواع الكتابة التاريخية تلك « المختصرات التاريخية » لكتب تاريخية كبرى : فبعد أن يضع مؤرخ ما تاريخه العام الواسع يأتي ثانية فيلخصه لمن لا وقت له ولا صبر على مطالعة كل الأحداث . ومثل على ذلك كتاب « دول الإسلام للذهبي » الذي هو ملخص « تاريخ الإسلام » له ذاته .

فعلم التاريخ عند العرب المسلمين نما إذاً تدريجياً ، ومن بذرة صغيرة استندت في بداياتها إلى الرواية الشفوية ، وبعض الرواية الكتابية الى شجرة ضخمةوباسقة، كثيرة الفروع ، وناضجة الثمر ، وغزيرته . وأزهى ثمرة فيها كانت مقدمة « ابن خلدون » التي تمثل خروج التاريخ من مجرد استعراض للاحداث والدول ، الى النظرة الفلسفية المحيطة الشاملة . وإذا كانهذا العلم قد بلغ ذروته في أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، فإنه توقف في الواقع عن النمو منهجا ، وإن كان قد تابع تطوره معرفة . فالمؤرخون الذين تلوا هذه الحقبة كانوا بصفة مقلدين لاسلافهم ، بل وناقلين عنهم . وظل الأمر كذلك حتى تأثر « التاريخ العربي » منذ القرن التاسع عشر بتيارات التأريخ المعاصر في أوربا ومدارسه.ولعب الاحتكاك الثقافي مع أوربا ، وحركة الترجمة التي ابتدأتها مصر في القرن التاسع عشر بقيادة « رفاعة رافع الطهطاوي »[1] ، والبعثات العربية إلى أوربا ، ونمو الجامعات العربية ، وأقسام التاريخ فيها ، دورها في التطور الجديد للتاريخ العربي المعاصر ، بمختلف مدارسه .

وقد يتساءل خلال هذا العرض الموجز لتطور علم التاريخ عند العرب ، مامنهج البحث التاريخي الذي اتبعه المؤرخون العرب قبل الفترة المعاصرة ؟

---

(١) عالم مصري (١٢١٦ – ١٢٩٠ / ١٨٠١ – ١٨٧٣) من اركان نهضة مصر العلمية في الحقبة المعاصرة . وقد أرسله محمد علي الى أوربا مرافقا للبعثة العلمية . ولقد تثقف بالتاريخ بالاضافة الى ثقافته الأزهرية السابقة . وقد ألف عند عودته من فرنسا ، وترجم عديدا من الكتب في التاريخ بخاصة .

منهج البحث التاريخي عند العرب

اولا ـ جمع المصادر: لقد نشأ علم التاريخ عند العرب المسلمين فرعا من علم الحديث، فمن الحري أن يتأثر بطريقة جمع الحديث ونقده، وأسلوب تدوينه. فالمؤرخون العرب في جمعهم « للخبر »[1]، كما في جمعهم « للحديث »، سعوا إلى المصادر الموثوقة، وإن كانت في بادىء الامر مستندة على الأكثر، إلى الرواية الشفوية. فالمصدر الموثوق هو إذاً الشخص العدل، الذي له علم مباشر بالواقعة المروية، كأن يكون قد عاينها مباشرة أو اشترك فيها. أو أخذها من مظانهـا الأولى: كالرواة الأول الثقات، أو من كتاب قديم، أو من وثيقة مفقودة. ومن ثم كان المؤرخون، في تقميشهم الوقائع التاريخية. وهـذه أول خطوة من خطوات البحث التاريخي العلمي، يجوبون مختلف البقاع، ليحصلوا على المعلومات الصحيحة، من أناس عاصروها، أو من مستندات مدونة، سمعوا بوجودها. بل إنه عرف عن الواقدي مثلا، إنه كان لا يثبت حوادثه عن الفتوح ما لم يعاين المواقع التي جرت فيهـا الغزوات، وكان لايني يسأل أبناء الصحابة عن الامكنة التي استشهد فيها آباؤهم ليذهب إليهـا[2].

وهنا لابد من التنويه، بأن عديدا من المؤرخين العرب قد اهتم « بالمكان » في دراساته التاريخية اهتماما كبيرا، أو بتعبير آخر، بالمعلومات الجغرافية، واستند في ذلك إلى معاينة مباشرة للمكان، أو إلى مصادر جغرافية أعجمية أو عربية. وبذلك مزج أولئك المؤرخون بين الجغرافيا والتاريخ، وأحسن مثل على ذلك « المسعودي » في كتابه « مروج الذهب ومعادن الجوهر » و « ابن العديم »[3] في كتابه عن تاريخ حلب، وغيرهما.

---

(١) انظر ماكتبه روزنثال حول « تاريخ الخبر » المصـدر السابق: ص ٩٥ فما بعد.

(٢) الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد ١٤ ج مصر ١٣٤٩ هـ/١٩٣٠ م ج ٣ ص ٦.

(٣) عمر بن احمد العقيلي كمال الدين بن العديم. مؤرخ ومحدث (٥٨٨ ـ ٦٦٠ هـ/ ١١٩٢ ـ ١٢٦٢ م). كتابه الكبير « بغية الطلب في تاريخ حلب » وهو مخطوط. وله كذلك « زبدة الحلب في تاريخ حلب ».

وعندما اتسعت أطر الدولة ، وانتظمت دواوينها ، ونضج مضمون الكتابة التاريخية في أذهان المؤرخين ، اعتمدوا على الوثائق الرسمية ، وأوردوها بنصوصها في مدوناتهم. « فاليعقوبي »[1] قد خصص فصلا خاصا في تاريخه لمكاتبات الرسول والخلفاء الراشدين ، و « البلاذري » ضمّن أنساب الأشراف بعض الرسائل لشخصيات عدة منهم عثمان بن عفان[2] . وكذلك فعل « الطبري »[3] و « ابن الجوزي »[4] في كتابه « المنتظم »[5] و « العماد الاصفهاني »[6] في كتابه « البرق الشامي »[7] بل إن بعضهم كان يلاحق الوثائق الماضية ليدون تاريخه منها[8] .

ان بعض المؤرخين اعتمد أيضا ضمن مصادره النقوش الكتابية على الابنية[9]،

---

(١) أحمد ابن اسحق . مؤرخ جغرافي كثير الاسفار (توفي بعد ٢٩٢ هـ/٩٠٥م) له (تاريخ اليعقوبي) .

(٢) ج ٥ . ص ٦٤ ، ٢٢٢ طبع جوتين . القدس ١٩٣٦ .

(٣) انظر تاريخ الامم والملوك . ٨ أجزاء . طبع القاهرة ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م. ج ٦ . ص ١٩٤ فما بعد (مراسلات المنصور ومحمد النفس الزكية) و ج ٨ . ص ١٨٣ فما بعد (كتاب المعتضد في لعن معاوية) .

(٤) عبد الرحمن بن علي محمد الجوزي (أبو الفرج) علامة عصره (٥٠٨-٥٩٧ هـ/١١١٤ - ١٢٠١ م) له نحو (٣٠٠) مصنف . من كتبه « المنتظم في تاريخ الملوك والامم » في ستة اجزاء . طبع في حيدر اباد ١٣٥٧ هـ .

(٥) ج ٦ . ص ٢٩٣ (حوادث سنة ٣٢٦ هـ) .

(٦) محمد بن محمد عماد الدين الكاتب الاصفهاني (٥١٩ - ٥٩٧ /١١٢٥ - ١٢٠١ م) مؤرخ وعالم بالادب لحق بصلاح الدين الايوبي بعد نور الدين . واستوطن العماد دمشق . له « البرق الشامي » وهو مخطوط في سبعة مجلدات .

(٧) في الجزء الثالث Or Bruce 11 and Marsh 425 مخطوطة البودليان رقم (سنوات ٥٧٣ - ٥٧٥) والجزء الخامس من (سنوات ٥٧٨ و ٥٧٩) تصدير فرانز روزنثال ، المصدر السابق . ص ١٦٩ ، هـ ٧٤ .

(٨) انظر علم التاريخ عند المسلمين . ص ١٧١ .

(٩) انظر حول الموضوع المصدر نفسه ص ١٦٧ فما بعد .

كالخطيب البغدادي ، وابن الشحنة[1] ، والازرقي[2] ، وكذلك النقوش على الاختام[3] . ويمكن القول ان المؤرخين العرب قد استخدموا مختلف العلوم والمعارف مصدرا لكتاباتهم التاريخية ، واستنادا الى هذا المضمون الشامل لمصادر التاريخ ، قال ابن خلدون في مقدمته ان المؤرخ « محتاج الى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة »[4] ، حتى العلوم الطبيعية نفسها ، كما فصّل ذلك في الثقافة المطلوبة من المؤرخ[5] ، وكما تبين جليا في نقده لرواية المسعودي عن بناء الاسكندر المقدوني لمدينة الاسكندرية[6] .

وقد عمل المؤرخون على بيان مناهجهم في مقدمات كتبهم[7] ، أو في طليعة رواياتهم للخبر ، وفي القرون الأولى للتدوين التاريخي استخدموا « الاسناد » كما في « الحديث » : فكل واقعة يذكرونها ، يسندونها الى رواتها ، حتى يوصلوها براويها الاول ، الذي هو شاهد عيان ، وبذلك كانوا أمناء في نقل الاخبار . بل انهم في كل حادثة كانوا يقدمون الروايات المختلفة حولها ، ويلاحظ هذا بخاصة لدى الطبري . وقد يستطيل الاسناد لديهم: ففي كتاب « الاصنام » «لابن الكلبي» تتصل سلسلة روايته السندية من عام ٢٠١ هـ الى قرب عام ٥٠٠ م ، وكذلك في

---

(١) محمد بن محمد بن الشحنة الصغير (٨٠٤ ـ ٨٩٠ هـ/١٤٠٢ ـ ١٤٨٥ م) مؤرخ وفقيه من اهل حلب . تنقل في مناصب الدولة المملوكية . له عدة تصانيف ومن بينها « الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب » طبع في بيروت ١٩٠٩ .

(٢) محمد بن عبد الله : مؤرخ يماني الاصل من اهل مكة . له « اخبار مكة وما جاء فيها من الآثار » توفي حوالي ٢٥٠ هـ/٨٦٥ م .

(٣) انظر علم التاريخ عند المسلمين ص ١٨٠ .

(٤) المقدمة . بيروت د.ت ص ٩ .

(٥) المصدر نفسه . ص ٢٨ .

(٦) المصدر نفسه . ص ٣٦ .

(٧) انظر مثلا مقدمة كتاب «شفاء الغرام » للفاسي (المتوفى ٨٣٢ هـ/١٤٢٩م) ومقدمة (خلاصة الأثر) للمحبي (المتوفى ١١١١ هـ/١٦٩٩ م) .

مغازي الواقدي . وهذه « مبالغة محمودة في المحافظة على النصوص التاريخية الهامة ، والكتب المعتبرة امهات واصولا »[1] . وعندما ترك المؤرخون العرب طريقة الاسناد في ذكر المصدر ، فإنهم كانوا يشيرون إليه عند الحديث عن كل ترجمة من تراجم الأشخاص ، أو عند دراسة دولة من الدول ، أو يكتفون بما أثبتوه من تلك المصادر في مقدمات كتبهم ـ كما أشير إلى ذلك سابقا ـ .

ثانيا ـ النقد التاريخي عند العرب :

بيّن القرآن الكريم ، في آيات كثيرة ، ضرورة إعمال العقل في ما يرى الانسان ويسمع ، وأكد على مفهوم البيّنة ، والحجة ، والبرهان ، ووجوب « التثبت من الخبر » ، ودقق في أمر الشهادة والشهود ، وكلّها أمور توجه الفكر إلى النقد العقلاني للأمور ، وتبين الصدق من الكذب ، والحقيقي من المزيف . فمن ذلك قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ، إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ، إن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »[2] وقوله أيضا : « واشهدوا ذوي عدل منكم ، وأقيموا الشهادة لله »[3] .

ونبه الرسول محمد (ص) في أحاديثه ، لضرورة تبين الصدق من الكذب ، أو بتعبير أدق ، نقد ما يرى ويسمع . فمن أحاديثه : « من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين »[4] و « من تعمّد علي كذبا فليتبوأ مقعده من النار »[5] . و « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع »[6] لأن الانسان يسمع في العادة الصدق والكذب . فاذا حدث بكل ما سمع فقد كذب ، لإخباره بما لم يقع فعلا »[7] ؛ وغيرها .

---

(١) عبد الحميد العبادي . المصدر السابق الذكر ص ٤٤ .
(٢) سورة الحجرات . الآية (٦) .
(٣) سورة الطلاق . الآية (٢) .
(٤) مسلم بن الحجاج القشيري (المتوفى ٢٦١ هـ/٨٧٥ م) صحيح مسلم ، بشرح النووي . ١٨ جزءا . القاهرة . د.ت . ج١ ص ٦٢ .
(٥) المصدر نفسه . ص ٦٦ .
(٦) المصدر نفسه . ص ٧٣ .
(٧) المصدر نفسه . ص ٧٥ .

ومن ثمّ اتجه المسلمون الأول الى تدقيق ما يروى من أحاديث رسول الله(ص) ولا سيما بعدما تزايد وضع الأحاديث على لسان النبي زوراً وبهتاناً . وهكذا أوجد علماء الحديث تدريجياً ، أصولاً نقدية للتمييز بين الصحيح والموضوع من الأحاديث ، ولتصنيفها بحسب قربها من الحقيقة . واتبع المؤرخون العرب تلك الأصول للتحقق من « صحة الخبر » أيضاً . والأسلوب النقدي الذي ساروا عليه ، واقتدوا فيه بعلماء الحديث ، كان « **التجريح والتعديل** » ، أي أنهم كانوا يتابعون « الرواة » الذين أسندت إليهم الأخبار ، ويعملون على دراسة شخصياتهم دراسة تفصيلية من حيث : تاريخ ميلادهم ، ووفاتهم ، وسيرة حياتهم ، ومدى تكامل صفاتهم الجسمية (من سلامة في البصر والسمع وغيرهما) ، وصفاتهم العقلية (من صحة في العقل ، وفطنة ، وقدرة على المحاكمة السليمة ، والفهم الدقيق) ، وأخلاقهم ، وسلوكهم في معاملاتهم الحياتية ، وميولهم الفكرية ، والسياسية ، والدينية ، ومدى تحيزهم لمذهب ديني ، أو فرقة سياسية ، أو حاكم ، أو أمير . وكانوا يخرجون من عملية النقد تلك بـ « تجريح » بعض الرواة ، أي بذكر عيوبه الشخصية التي تجرده من صفة العدالة (الثقة والاستقامة) ، فيوجه الطعن اليه ، كأن يقال : ضعيف ، أو ساقط الحديث ، أو لا يحتج به ، أو كذاب ، أو « بتعديل » بعضهم الآخر ، أي بيان الصفات الشخصية للراوي ، التي تثبت أنه « انسان عدل » ، أي موضع للتصديق والثقة ، لكونه عالماً ، تقي النفس ، سليم السريرة ، تقياً ، ورعاً ، ومستقيماً في أخلاقه وسلوكه ، فيقال عنه بأنه ثقة ، أو ثبت ، أو حجة إلى غير ذلك من الصفات .

ومن الأمثلة على ذلك ما قاله الإمام مالك بن أنس[1] : « لا يؤخذ العلم من أربعة ، ويؤخذ ممن سوى ذلك : لا يؤخذ من سفيه ، ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه ، ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس ، وإن كان لا يتهم

---

(١) احد الأئمة الاربعة عند اهل السنة ، وإليه تنسب المالكية . مولده ووفاته في المدينة (٩٣ ــ ١٧٩ هـ / ٧١٢ ــ ٧٩٥ م) . كان صلباً في دينه . الى الخليفة هارون الرشيد الى منزله بنفسه ليحدثه . له عدة مصنفات ، منها « الموطأ » .
الأعلام . ج ٦ . ص ١٢٨ .

على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا من شيخ له فضل ، وصلاح ، وعبادة ، إذا كان لا يعرف ما يحدث به » .

وبهذا المعنى أيضا قال مسلم القشيري[٢] : « واعلم وفقك الله تعالى . أن الواجب على كل أحد ، عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها ، وثقات الناقلين لها من المتهمين ، ألا يروي منها إلا ما عرف صحة مخارجه ، والستارة في ناقليه ، وأن ينقي منها ما كان منها عن أهل التهم والمعاندين من أهل البدع »[٣].

أما « الغزالي » فقد بيّن شروط « العدالة » في الرواية والشهادة ، فقال : « العدالة في الرواية والشهادة ، عبارة عن استقامة السيرة في الدين . ويرجع حاصلها إلى هيئة راسخة في النفس ، تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعا ؛ حتى تحصل ثقة النفوس بصدقه . فلا ثقة بقول من لا يخاف الله تعالى خوفا وازعا عن الكذب . ثم لا خلاف في أنه تشترط العصمة من جميع المعاصي . ولا يكفي أيضا اجتناب الكبائر بل من الصغائر ما يرد به ، كسرقة بصلة ، وتطفيف في حبة قصدا . وبالجملة ، كل مايدل على ركاكة دينه إلى حد يجترىء على الكذب للأغراض الدنيوية . كيف وقد شرط في العدالة ، التوقي عن بعض المباحات القادحة في المروءة ، نحو الأكل في الطريق ، والبول في الشارع ، وصحبة الأرذال ، والافراط في المزاح »[٤] .

وكذلك فعل « ابن الصلاح » حيث قال : « أجمع جماهير أئمة الحديث والفقه ، على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلا ، ضابطا لما يرويه . وتفصيله ، أن يكون مسلما ، بالغا ، عاقلا ، سالما من أسباب الفسق وخوارم المروءة ، متيقظا غير مغفل ، حافظا إن حدث من حفظه ، ضابطا لكتابه ان حدث

---

(١) مقتبسة من اسد رستم : مصطلح التاريخ . بيروت ١٩٣٩ . ص ١٠١ .

(٢) حافظ من ائمة المحدثين . ولد بنيسابور ورحل الى الحجاز ومصر والشام والعراق وتوفي بنيسابور عام ٢١١ هـ/٨٧٥ م . اشهر كتبه « صحيح مسلم » . جمع فيه (١٢٠٠٠) حديث . وقد شرحه كثيرون منهم « النووي » .
الأعلام . ج ٨ . ص ١١٧ — ١١٨ .

(٣) صحيح مسلم . المصدر السابق ج ١ . ص ٦٠ — ٦١ .

(٤) المستصفى من علم الاصول . مصر . جزءان . ج ١ ص ١٠٠ .

من كتابه . وإن كان يحدث بالمعنى اشترط فيه مع ذلك ، أن يكون عالما بما يحيل المعاني . والله أعلم »[1] .

وإن النهج النقدي السالف الذكر ، أي « التجريح والتعديل » ، هو ما يكون في « المنهجية العلمية للبحث التاريخي » المعاصرة ، الجزء الأكبر من « النقد الباطني السلبي » ، أو هو ما يسمى « بنقد المؤلف » .

ولم يقتصر المؤرخون العرب المسلمون في تقدمهم على الطريقة السابقة ، بل اعملوا محاكمتهم للتمييز بين صحة المعلومات وزيفها ، واتخذوا « الموازنة الزمنية » بين خبرين أو « الموازنة » بعامة ، سبيلا الى ذلك . ومن بعض الامثلة ما اورده « السخاوي » في كتابه حيث قال : « ومن الغريب ذكر الخطيب عبد الملك بن حبيب في الرواة عن مالك مع كونه لم يرحل الا بعد موته بنحو من ثلاثين سنة بل انما ولد بعده .. وروى سهيل بن ذكوان أبو السندي عن عائشة وزعم أنه لقيها بواسط ، وهكذا يكون الكذب . فموت عائشة كان قبل أن يخط الحجاج واسط بدهر »[2] .

بل انهم استطاعوا بذلك النمط من الموازنة والمحاكمة الزمنية التاريخية أن ينقدوا ما يدعى بأنه « وثائق » ، ويظهروا زيفها[3] .

---

(١) اقتباس من اسد رستم : المصدر السابق . ص ١٠٧ .

(٢) انظر : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ . في فرانز روزنثال : المصدر السابق الذكر . ص ٣٨٧ ، ٣٩٠ ـ ٣٩١ .

(٣) مثل على ذلك مارواه السخاوي في المصدر السابق ص ٢٩٣ وفيه يقول : « لما اظهر بعض اليهود كتابا وادعى انه كتاب رسول الله (صلعم) باسقاط الجزية عن اهل خيبر ، وفيه شهادة الصحابة رضي الله عنهم ، وذكروا ان خط علي رضي الله عنه فيه ، وحمل الكتاب في سنة سبع واربعين واربعمائة إلى رئيس الرؤساء ابي القاسم علي وزير القائم ، عرضه على الحافظ الحجة ابي بكر الخطيب ، فتامله ثم قال هذا مزور . فقيل له : من اين لك هذا ؟ قال فيه شهادة معاوية وهو إنما اسلم عام الفتح، وفتح خيبر كان سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ ، وهو قد مات يوم بني قريظة قبل فتح خيبر بسنتين . فاستحسن ذلك منه ، واعتمده ، وامضاه ، ولم يجز اليهود على مافي الكتاب لظهور تزويره » .

وان المتتبع لحديث « ابن خلدون » عن « التاريخ » في مقدمته ، ونقده للمؤرخين العرب ، يرى بوضوح أنه كان مدركا لمختلف عملياته وخطواته ، حيث قال : ان المؤرخ « محتاج الى مآخذ متعددة ، ومعارف متنوعة ، وحسن نظر وتثبت ، يفضيان بصاحبهما الى الحق ، وينكبان بـه عن المزلات والمغالط لان **الاخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم اصول العادة ، وقواعد السياسة ، وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع الانساني ، ولا قيس الغائب منها بالشاهد ، والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصـدق** »[1] .

وبذلك يشجب « ابن خلدون » نقل المؤرخين عن بعضهم أو عن الرواة دون تدقيق أو تمحيص ، ولا سيما ان بعضا منهم قد رأى أن « النقل الدقيق » أمانة من الناقل ، وضمانا لسلامة الحقيقة[2] . ويحلل الاسباب التي تلزم المؤرخ على النقد والتمحيص بقوله : « ولما **كان الكذب متطرقا للخبر بطبيعته** ولـه أسباب تقتضيـه ، فمنهـا **التشيعات للآراء والمذاهب** فان النفس اذا كـانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقـه من كذبه ، واذا خامرها تشيع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الاخبار لأول وهلة ، وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فتقع في قبول الكذب ونقلـه . ومن الاسباب المقتضية للكـذب في الاخبـار أيضا ، **الثقة بالناقلين** ، وتمحيص ذلك يرجع الى **التعديل والتجريح** . ومنها **الذهول عن المقاصد** ، فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع ، وينقل الخبر على

---

(١) المقدمة . ص ٩ .

(٢) لقد ذكر الطبري في مقدمة كتابه ج ١ . ص ٥ ما يلي : « في كتابنا هذا كان اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت إني راسمه فيه انما هو على ماروينا من الاخبار التي انا ذاكرها فيه ، **والآثار التي انا مسندها الى رواتها فيه دون ما ادرك بحجج العقول ، واستنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه** .. فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل انه لم يعرف له وجها في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم إنه **لم يؤت في ذلك من قبلنا وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا وانا انما ادينا ذلك على نحو ما ادي الينا** ».

ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب . ومنها توهم الصدق وهو كثير . وانما يجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين . ومنهـا **الجهل بتطبيق الاحوال على الوقائع** ، لاجل ما يداخلها من التلبيس والتصنع ، فينقلها المخبر كما رآها ، وهي بالتصنع على غير الحق في نفسه . ومنها **تقرب الناس في الاكثر لاصحاب النحلة والمراتب ، بالثناء والمدح ، وتحسين الاحوال ، واشاعة الذكر** ، فيستفيض الاخبار بها على غير حقيقة ، فالنفوس مولعة بحب الثناء ، والناس متطلعون الى الدنيـا ، وأسبابها ، من جاه أو ثروة وليسوا في الأكثر براغبين في الفضائل ولا متنافسين في أهلها . ومـن الاسباب المقتضية له أيضا ، وهي سابقة على جميع ما تقدم ، **الجهل بطبائع الاحوال في العمران** ، فان كل حادث من الحوادث ذاتا كان أو فعلا لابد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله . فإذا كان السامع عارفـا بطبائع الحوادث ، والأحوال في الوجود ومقتضياتها ، أعانه ذلـك في تمحيص الخبر ، على تمييز الصدق من الكذب ، وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض . وكثيراً مايعرض للسامعين قبول الأخبار المستحيلة ، وينقلونها وتؤثر عنهم »[1] .

وقد ميّز « ابن خلدون » في عملية النقد التاريخي وقواعدها بين نوعين من الأخبار : **الاخبار الشرعية** ، التي هي من صميم التشريع الاسلامي ، والطريق الى معرفة الصحيح فيها من الموضوع ،استخدام « **التعديل والتجريح** » ، لأن معظمها تكاليف انشائية أوجب الشارع العمل بها ، حتى حصل الظن بصدقهـا ، وسبيل صحة الظن ، الثقة بالرواة ، بالعدالة والضبط »[2] .

أما النوع الثاني من الأخبار ، فهو **الأخبار عن الواقعات** ، وفيها « لا يرجع (للتمييز بين الحق والباطـل) ، إلى تعديل الرواة ، حتى يعلم أن ذلك الخبر في نفسه ، ممكن أو ممتنع . وأما إذا كان مستحيلا ، فلا فائدة للنظر في « التعديل والتجريح » . ولقد عدّ أهل النظر ، من المطاعن في الخبر ، استحالة مدلول اللفظ وتأويله ، بما لا يقبله العقل .. فالأخبار عن الواقعات لا بدّ في صدقها وصحتها من

---

(١) المقدمة . ص ٣٥ ـ ٣٦ .
(٢) المصدر نفسه . ص ٣٧ .

اعتبار « المطابقة » ، فلذلك وجب أن ينظر في إمكان وقوعه ، وصار فيها ذلك أهم من التعديل ، ومقدّما عليه ، إذ فائدة الانشاء مقتبسة منه فقط ، وفائدة الخبر منه ، ومن المخارج ، بالمطابقة . وإذا كان ذلك فللقانون في تمييز الحق من الباطل في الأخبار ، بالإمكان والاستحالة ، أن ننظر في الاجتماع البشري ، الذي هو العمران ، ونميز ما يلحقه من الأحوال لذاته ، وبمقتضى طبعه ، وما يكون عارضا لا يعتدّ به ، وما لا يمكن أن يعرض له . وإذا فعلنا ذلك كان ذلك قانونا في تمييز الحق من الباطل في الأخبار ، والصدق من الكذب ، بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه . وحينئذ ، فإذا سمعنا عن شيء من الأحوال الواقعة في العمران ، علمنا ما نحكم بقبوله ، مما نحكم بتزييفه ، وكان ذلك لنا معيارا صحيحا ، يتحرى به المؤرخون طريق الصدق والصواب ، فيما ينقلونه »[1] . و « قانون المطابقة » الذي قال به « ابن خلدون » هو في واقعه ، قياس مدى مطابقة « الخبر المنقول » لقواعد العمران البشري (الاجتماع البشري) وأحواله ، في الماضي والحاضر ، على السواء . ولذا فإنه ألح على أن « صاحب هذا الفن (أي التاريخ) » « يحتاج الى العلم بقواعد السياسة ، وطبائع الموجودات ، واختلاف الأمم ، والبقاع ، والأعصار ، في السير ، والأخلاق ، والعوائد ، والنحل ، والمذاهب ، وسائر الأحوال ، والإحاطة بالحاضر من ذلك ، ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق ، أو بون ما بينهما من الخلاف ، وتعليل المتفق منها والمختلف ، والقيام على أصول الدول والملل ، ومبادىء ظهورها ، وأسبابه حصولها ، ودواعي كونها ، وأحوال القائمين بها ، وأخبارهم حتى يكون مستوعبا لأسباب كل خبره ، وحينئذ يعرض الخبر المنقول على ما عنده من القواعد والأصول ، فإن وافقها ، وجرى على مقتضاها كان صحيحا ، وإلا زيّفه واستغنى عنه »[2] .

وقد نبه ابن خلدون المؤرخ الى حقيقة هامة ، وهي ضرورة عدم « الذهول عن تبدل الأحوال في الأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام »[3] ، عند القيام بعملية

---

(١) المصدر نفسه . ص ٣٧ ـ ٣٨ .
(٢) المصدر نفسه . ص ٣٨ .
(٣) المصدر نفسه . الصفحة ذاتها .

المطابقة أي عدم إغفال مفهوم التطور . « فربما يسمع السامع كثيراً من أخبار الماضين ولا يتفطن لما وقع من **تغير الأحوال وانقلابها** ، فيجريها لأول وهلة على ما عرف ، ويقيسها بما شهد ، وقد يكون الفرق بينهما كثيراً ، فيقع في مهواة من الغلط »[1] .

وبذلك رسم « ابن خلدون » للمؤرخ طريقاً واضحة في عملية نقد الخبر أو الواقعة . وهذا القانون الذي توصل اليه ، هو الذي دفعه في الحقيقة للبحث في « العمران البشري ، وطبيعته ، وأحواله » كي يصل إلى كنه الأمور فيه ، فيكون قياسه للأخبار ، وقياس زملائه لها ، بقانون المطابقة سليماً وصحيحاً . وهذا البحث الشامل في الاجتماع البشري أدخله في شعاب جميع المعارف في عصره ، ودفعه الى استيعاب كل التاريخ العالمي ، وأوصله الى قوانين في التطور الاجتماعي والحضاري ، وإلى فلسفة لذلك التاريخ . وقد جمل هذا البحث في كتابه الأول ، من تاريخه « العبر وديوان المبتدأ والخبر » ، والذي نطلق عليه نحن اليوم اصطلاحاً ، اسم « مقدمة ابن خلدون » . ورأى هذا المؤرخ الكبير ، وبحق ، « أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة ، غريب النزعة ، غزير الفائدة »[2] وهو بالاضافة إلى كل ذلك ، مجمل لما يجب أن تكون عليه معرفة المؤرخ وثقافته ، ونبراس يهتدي بما حواه .

وإذا كان بعض المؤرخين العرب قد التزم خطة دقيقة في النقد فإن عدداً منهم كانوا يتجاوزونه ، وينقلون الخبر دون تمحيص عقلاني . ولهذا جاءت بعض أخبارهم ، ولا سيما عن العصر الجاهلي بالذات ، محشوة بالوهم واللامعقول . ولقد نقدهم « ابن خلدون » بشدة في مقدمته ، بقوله : « وكثيراً ما وقع للمؤرخين ، والمفسرين ، وأئمة النقل من المغالط ، والحكايات ، والوقائع ، لاعتمادهم على مجرد النقل غثاً أو سميناً ، **ولم يعرضوها على أصولها ، ولا قاسوها بأشباهها** ، ولا

---

(١) المصدر نفسه . ص ٢٩ .
(٢) المصدر نفسه . ص ٣٨ .

سبروها بمعيار الحكمة ، والوقوف على طبائع الكائنات ، وتحكيم النظر ، والبصيرة في الأخبار » [1] . وساق عدة وقائع ذكروها ، وطبّق عليها « قانون المطابقة » ، وبيّن بطلانها بأدلة جغرافية ، وسياسية ، واستراتيجية ، ونفسية ، وعلمية ، ودينية . ومن تلك الوقائع ، ما ذكره المسعودي عن الاسكندر عند بنائه مدينة الاسكندرية من غوصه الى قعر البحر ، وما نقله عن أن عدد جيش بني اسرائيل كان ٦٠٠،٠٠٠ أو يزيد ، وما بيّنه عن « مدينة النحاس » ، وما ينقل في أخبار التبابعة ، ملوك اليمن ، من أنهم كانوا يغزون أفريقيا وبلاد المغرب ، وبلاد الفرس والصغد ، وبلاد الروم ، وما يقال عن نكبة البرامكة من أن سببها هو العلاقة بين جعفر البرمكي والعباسة أخت الرشيد ، إلى غير ذلك من الروايات ، التي بيّن « ابن خلدون » وهم أصحابها وأغلاطهم[2] . إلا أن « ابن خلدون » نفسه الذي وضع قواعد سليمة للنقد نظرياً ، لم يلتزم بها التزاماً كاملاً عملياً ، فهو لم يمحص في كتابه « العبر » كل ما نقله عن غيره من المؤرخين ، ولم يحسن دائماً انتقاء ما ينقل ، هذا بالاضافة إلى وقوعه هو الآخر بالمغالط ، نتيجة لميوله الدينية ، والسياسية ، ومصالحه المادية[3] .

نماذج من النقد عند ابن خلدون :

نقد ابن خلدون لاحصاء الاعداد من الأموال والعساكر : « نقل المسعودي وكثير من المؤرخين في جيوش بني اسرائيل ، بأن موسى عليه السلام أحصاهم في التيه ، بعد أن أجاز من يطيق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها ، فكانوا ستمائة ألف أو يزيدون . ويذهل في ذلك ، عن تقدير مصر والشام واتساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش ، فلكل مملكة من الممالك حصة من الحامية ، تتسع لهـا

---

(١) المصدر نفسه . ص ٩ .

(٢) انظر النقد التفصيلي لبعض تلك الروايات في الصفحات التالية . وقد وردت في المقدمة ص ١٠ — ٣٧ .

(٣) انظر : د. محمد الطالبي : منهجية ابن خلدون التاريخية وتأثيرها في المقدمة وكتاب العبر . في مجلة « دراسات تاريخية » . دمشق . العدد الثالث صفر ١٤٠١ هـ/ كانون أول (ديسمبر) ١٩٨٠ م . (ص ٥ — ٣٨) ص ٢٣ — ٢٤ .

وتقوم بوظائفها، وتضيق عما فوقها، **تشهد بذلك العوائد المعروفة والأحوال المألوفة .**
ثم إن مثل هذه الجيوش البالغة إلى مثل هذا العدد ، يبعد أن يقع بينها زحف أو قتال ، لضيق ساحة الأرض عنها ، وبعدها اذا اصطفت عن مدى البصر ؛ مرتين ، أو ثلاثا ، أو أزيد . فكيف يقتتل هذان الفريقان ، أو تكون غلبة أحد الصفين ؛ وشيء من جوانبه لا يشعر بالجانب الآخر ؟ **والحاضر يشهد للذلك ، فالماضي اشبه بالآتي من الماء بالماء .** ولقد كان ملك الفرس . ودولتهم أعظم من ملك بني اسرائيل بكثير ، يشهد لذلك ما كان من غلب بختنصر لهم ، والتهامه بلادهم . واستيلائه على أمرهم ، وتخريب بيت المقدس ، قاعدة ملتهم وسلطانهم ، وهو من بعض عمال مملكة فارس ؛ يقال إنه كان مرزبان المغرب من تخومها . وكانت ممالكهم بالعراقين وخراسان ، وما وراء النهر ، والأبواب ، أوسع من ممالك بني اسرائيل بكثير . ومع ذلك ، لم تبلغ جيوش الفرس قطّ مثل هذا العدد ، ولا قريبا منه . وأعظم ماكانت جموعهم بالقادسية مائة وعشرين ألفا ، كلهم متبوع على ما نقله « سيف ». قال وكانوا في أتباعهم أكثر من مائتي ألف.وعن «عائشة» و«الزهري»: فإن جموع رستم الذين زحف بهم سعد بالقادسية ، كانوا ستين ألفا كلهم متبوع . وأيضا . فلو بلغ بنو اسرائيل مثل هذا العدد لا تسع نطاق ملكهم ، وانفسح مدى دولتهم ؛ فإن العمالات والممالك في الدول على نسبة الحامية والقبيل القائمين بها ، في قلتها وكثرتها — حسبما تبين في فصل الممالك من الكتاب الأول — والقوم لم تتسع ممالكهم إلى غير الاردن وفلسطين من الشام ، وبلاد يثرب وخيبر من الحجاز على ما هو المعروف . وأيضا فالذي بين موسى واسرائيل انما هو أربعة آباء على ماذكره المحققون ، فإنه موسى بن عمران . بن يَصْهَر ، بن قاهث ، بفتح الهاء وكسرها ، ابن لاوي ، بكسر الواو وفتحها ، ابن يعقوب ، وهو اسرائيل الله ، هكذا نسبه في التوراة ، والمدة بينهما ، على ما نقله المسعودي . قال : دخل اسرائيل مصر مع وُلْده الأسباط ، وأولادهم ، حين أتوا إلى يوسف . سبعين نفساً . وكان مقامهم بمصر ، إلى أن خرجوا مع موسى عليه السلام ؛ الى التيه مائتين وعشرين سنة ، تتداولهم ملوك القبط من الفراعنة ، ويبعد أن يتشعب النسل في أربعة أجيال الى هذا العدد . وإن زعموا أن عدد تلك الجيوش . إنما كان في زمن سليمان ، ومن بعده ، فبعيد أيضا ، إذ ليس بين سليمان واسرائيل إلا أحد عشر أبا . فإنه سليمان

ابن داود ، بن يشا بن عوفيذ ، ويقال ابن عوفيذ ابن باعزّ ، ويقال بوعزّ بن سلمون ، بن نحشون ، بن عمّينوذاب ، ويقال حمّيناذاب ، بن رمّ ، بن حصرون ، ويقال حسرون بن بارس ، ويقال بيرس بن يهوذا بن يعقوب ، ولا يتشعب النسل في أحد عشر من الولد إلى مثل هذا العدد الذي زعموه ؛ اللهم إلى المئتين والآلاف، فربما يكون، وأما أن يتجاوز إلى مابعدهما من عقود الأعداد،فبعيد

واعتبر ذلك في الحاضر المشاهد ، والقريب المعروف ، تجد زعمهم باطلا ، ونقلهم كاذبا.

والذي ثبت في الاسرائيليات ، أن جنود سليمان كانت اثني عشر ألفا خاصة وأن مقرّباته كانت ألفاً وأربعمائة فرس مرتبطة على أبوابه . هـذا هو الصحيح من أخبارهم ، ولا يلتفت إلى خرافات العامة منهم ، وفي أيام سليمان عليه السلام ؛ وملكه كان عنفوان دولتهم ، واتساع ملكهم .

هذا ، وقد نجد الكافة من أهل العصر ، إذا أفاضوا في الحديث عن عساكر الدول التي لعهدهم ، أو قريباً منه ، وتفاوضوا في الأخبار عن جيوش المسلمين أو النصارى ، أو أخذوا في احصاء أموال الجبايات وخَراج السلطان ، ونفقات المترفين ، وبضائع الأغنياء الموسرين ، توغلوا في العدد . وتجاوزوا حدود العوائد . وطاوعوا وساوس الإغراب . فاذا استكشف أصحاب الدواوين عن عساكرهم ، واستنبطت أحوال أهل الثروة في بضائعهم وفوائدهم ، واستجليت عوائد المترفين في نفقاتهم ، لم تجد معشار ما يعدّونه ، وما ذلك إلا لولوع النفس بالغرائب . وسهولة التجاوز على اللسان ، والغفلة على المتعقب . والمنتقد ، حتى لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عَمْد ، ولا يطالبها في الخبر بتوسط ولا عدالة . ولا يرجعها إلى بحث وتفتيش ؛ فيرسل عنانه ، ويسيم في مراتع الكذب لسانه ؛ ويتخذ آيات الله هزءاً ، ويشتري لهو الحديث ليضلّ عن سبيل الله ، وحسبك بها سفقة خاسرة »[1] .

نقد ابن خلدون لرواية المسعودي عن كيفية بناء الاسكندر للاسكندرية :

« وكثيراً ما يعرض للسامعين قبول الأخبار المستحيلة . وينقلونها ، وتؤثر عنهم ،

---

(١) المصدر نفسه . ص ١٠ ـ ١٢ .

كما نقله المسعودي عن الاسكندر لما صنعته دواب البحر عن بناء الاسكندرية ، وكيف اتخذ صندوق الزجاج وغاص فيه إلى قعر البحر ، حتى صوّر تلك الدواب الشيطانية التي رآها ، وعمل تماثيلها من أجساد معدنية ، ونصبها حذاء البنيان ، ففرت تلك الدواب حين خرجت وعاينتها ، وتم بناؤها في حكاية طويلة من أحاديث خرافة مستحيلة : من قبيل اتخاذه التابوت الزجاجي ، ومصادمة البحر وأمواجه بجرمه ، ومن قبيل أن الملوك لاتحمل أنفسها على مثل هذا الغرور . ومن اعتمده منهم فقد عرّض نفسه للهلكة ، وانتقاض العقدة واجتماع الناس إلى غيره ، وفي ذلك اتلافه ؛ ولا ينظرون به رجوعه من غروره ذلك طرفة عين ، ومن قبيل أن الجن لا يعرف لها صور ، ولا تماثيل تختص بها إنما هي قادرة على التشكل ، وما يُذكر من كثرة الرؤوس لها ، فإنما المراد به الشناعة والتهويل ، لا أنه حقيقة. وهذه كلها قادحة في تلك الحكاية ، والقادح المحيل لها من طريق الوجود ، أبين من هذا كلّه ، وهو أن المنغمس في الماء ، ولو كان في الصندوق يضيق عليه الهواء للتنفس الطبيعي ، وتسخن روحه بسرعة لقلّته ، فيفقد صاحبه الهواء البارد المعدل لمزاج الرئة ، والروح القلبي ، ويهلك مكانه ، وهذا هو السبب في هلاك أهل الحماقات، إذا أطبقت عليهم عن الهواء البارد ، والمتدلين في الآبار والمطامير العميقة المهوى ، إذا سخن هواؤها بالعفونة ، ولم تداخلها الرياح فتخلخلها ، فإن المتدلي فيها يهلك لحينه . وبهذا السبب يكون موت الحوت ، إذا فارق البحر ، فإن الهواء لا يكفيه في تعديل رئته ، إذ هو حار بإفراط ، والماء الذي يعدّله بارد ، والهواء الذي خرج إليه حار ، فيستولي الحار على روحه الحيواني ، ويهلك دفعة ، ومنه هلاك المصعوقين، وأمثال ذلك »[1] .

نقد روايات أخرى للمسعودي : « ومن الأخبار المستحيلة ما نقله المسعودي أيضا في تمثال الزرزور الذي برومة ، تجتمع إليه الزرازير في يوم معلوم من السنة ، حاملة للزيتون ، ومنه يتخذون زيتهم . **وانظر ما أبعد ذلك عن المجرى الطبيعي في اتخاذ الزيت** »[2] .

(١) - (٢) : المصدر نفسه ص ٣٦ .

« وكما نقله المسعودي أيضا في حديث مدينة النحاس ، وأنها مدينة كل بنائها نحاس ، بصحراء سجلماسة ، ظفر بها موسى بن نصير في غزوته إلى المغرب. وأنها مغلقة الأبواب ، وأن الصاعد إليها من أسوارها ، إذا أشرف على الحائط ، صفق ورمى بنفسه، فلا يرجع آخر الدهر، في حديث مستحيل عادة من خرافات القصاص. **وصحراء سلجماسة قد نفضها الركاب والأدلاء ، ولم يقفوا لهذه المدينة على خبر** ثم إنّ هذه الأحوال التي ذكروا عنها كلها مستحيل عادة ، **مناف للامور الطبيعية في بناء المدن واختطاطها ،** وأن المعادن بغاية الموجود منها أن يُصرف في الآنية والخُرُثي (أثاث البيت) ، وأما تشييد مدينة منها ، فكما تراه من الاستحالة والبعد »[1] .

ثالثا ـ التركيب في المنهجية التاريخية العربية

لقد أشرنا سابقا إلى الطرق التي اتبعها المؤرخون العرب والمسلمون في تركيبهم الكلي للحقائق التاريخية : كأن يسوقوها مساق القصة حول شخصية ما، أو حول عديد من الشخصيات ، أو حول مدينة ، أو حوادث معينة كالغزوات والفتوح ، أو حول دولة أو مجموع دول ، أو يتركوها متفرقة لايجمعها سوى الزمن الواحد . ولا بد من التأكيد في هذا المجال ، بأن المؤرخين العرب ، حاولوا ضبط الأحداث زمنا ، عن طريق التوقيت لها بالسنة ، والشهر . والليلة . وبهذا فاقوا مؤرخي اليونان والرومان ، وأوربا في العصور الوسطى ، حتى إن المؤرخ الانكليزي « بكل »[2] قال : « إن التوقيت على هذا النحو : لم يعرف في أوربا قبل ١٥٩٧ »[3] .

---

(١) المصدر نفسه . ص ٣٧ .

(٢) بكل : H. Th. Buckle مؤرخ انكليزي (١٨٢١ — ١٨٦٢) . اشتهر بنظريته عن اثر التربة والمناخ في التاريخ والمدنية . من مؤلفاته (تاريخ الحضارة في انكلترة) هنري جونسون : تدريس التاريخ . تعريب د. فتحي رضوان . القاهرة ١٩٦٥ . ص ١٨ هامش (١) .

(٣) عبد الحميد العبادي . المصدر السابق . ص ٤٤ .

وفي الواقع ، لقد أبدى المؤرخون العرب اهتماماً فائقـاً بتحديد الزمن في الأخبار[1] . ويتضح هذا من تعريفهم للتاريخ « بأنه الانسان والزمان » ، وأنـه « الزمان وأحواله »[2] ؛ ومن ضبطهم الدقيق لميلاد المحدثين ، ووفياتهم ، وتاريخ تنقلاتهم ، وكذلك الأمر في مختلف الشخصيات التي ترجموا لها ؛ ومن استخدامهم طريقة الحوليات ، وفي فترة متأخرة نسبياً « التقاويم » شكلاً من أشكال العرض التاريخي ، أي انشاء جداول زمنية ، تبحث في حكام الاسلام ، فيها حقول « تجد فيها معلومات عن والد كل حاكم ، وأمه ، واسم جده ، ولقبه ، وكنيته ، وسنة ولادته ، ومدة حكمه ، وسبب وفاته ، ومكان دفنه »[3] . كما يتجلى هذا في محاولاتهم لتحديد زمن البشرية ، واستخدامهم المعرفة الرياضية والفلكية عن طريق الأزياج لضبط الزمن وتاريخ الأحداث ، وموازنتهم مختلف الأساليب التي اتبعتها الشعوب والأمم في تقويمهـا للزمن . ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر ، الطبري في مطلع كتابـه « تاريخ الرسـل والملوك » والمسعودي في « التنبيـه والاشراف » و « مروج الذهب ، و « حمزة الأصفهاني »[4] في كتابه « تاريخ سني الأرض » ، و « البيروني »[5] في كتابه « الآثار الباقية عن القرون الخالية »، وغيرهـم .

---

(١) إن عدم الدقة الزمنية في اخبار الفتوح الأولى . والاختلاف بين المؤرخين في زمن بعضها ، يرجع إلى ان الذاكرة الزمنيـة عند بعض الرواة الاول الأخبـار الاسلامية كانت ضعيفة . إلا ان هذا الأمر تغلبوا عليه مع مرور الايام بأخذهم من المصادر الموثوقة والرسمية مباشرة ، وبتدوينهم الاخبار بأزمانها في حينها .

(٢) انظر تعريف الكافيجي : المختصر في علم التاريخ . في روزنتال : المصدر السابق الذكر ص ٣٢٧ . والسخاوي : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ . في المصدر نفسه ص ٣٨٥ .

(٣) المصدر ذاته . ص ٢٠٠ .

(٤) مؤرخ واديب (٢٨٠ — ٣٦٠ هـ/٨٩٣—٩٧٠م) ، كان مقربا من بني بويه، له عدة مؤلفات منها : « تاريخ أصبهان » و « تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء » .
الزركلي . الاعلام . ج٢ . ص ٣٠٩ .

(٥) أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (٣٦٢ — ٤٤٠ هـ/٩٧٣—١٠٤٨ م) . كان عقلا موسوعيا : فهو فيلسوف ، ورياضي . وفلكي . وجغرافي ،

وقد يكون من أسباب اهتمام المؤرخين العرب وعلماء الحديث بالزمن وضبطه بدقة ، أن الدين الاسلامي قد أعطى الزمن والتوقيت أهمية خاصة ، وجعل حياة المسلم مرتبطة ارتباطا دائما ولصيقاً بالزمن المحدد بدقة . ويتضح هذا جلياً في الفروض الدينية ، من صلاة ، وصوم ، وحج ، وزكاة . وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تذكر وتحث على التوقيت ، وتربطه بدورة القمر ، وتعاقب الليل والنهار ، كما تؤكد مفهوم التحديد الزمني باليوم والشهر والسنة[1] . ويضاف إلى ذلك أن الزمن الدقيق كان من أكبر الأدلة بيد علماء الحديث لضبط الرواة والاسناد ، ومن ثم الأحاديث ، وقد قيل « لم يستعن على الكذابين بمثل التاريخ » ، ويقصد بالتاريخ هنا الإعلام بالوقت ، كما قيل « لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ »[2] .

ولكن جمع الأحداث في سلسلة زمنية ، قد تكون عاماً ، أو بضعة أعوام ، أو جمعها حول شخصية ، أو مدينة ، أو حادث ، أو غير ذلك من الأمور هو خطوة أولى في عملية التركيب التاريخي إلا أنها ليست لبّها . فالتركيب الحقيقي يقوم على ربط الأحداث ببعضها ربطاً سببياً . وهذا ما عناه « ابن خلدون » عندما عرف التاريخ بقوله : « هو في ظاهره لايزيد على أخبار عن الأيام والدول ...

→

ومؤرخ ، ولغوي ، وشاعر ، ورحالة . بلغت مصنفاته (١٨٠) كتابا . اشهر كتبه « الآثار الباقية عن القرون الخالية » انظر حوله الكتاب الذي اصدره المجلس الاعلى للعلوم بدمشق عام ١٣٩٤ هـ/١٩٧٤ في اسبوع العلم الرابع عشر ، بمناسبة مرور الف عام على ميلاده ، وهو بعنوان (العالم ابو الريحان محمد بن احمد البيروني) .

(١) انظر على سبيل المثال (سورة الاسراء) . الآية (١٢) .

« وجعلنا الليل والنهار آيتين ، فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ، لتبتغوا فضلا من ربكم ، ولتعلموا عدد السنين والحساب . وكل شيء فصلناه تفصيلا » .

و (سورة التوبة) ، الآية ٣٦ : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله » وغيرها كثير .

(٢) نقلا عن السخاوي . الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ : بيروت ١٣٩٩/١٩٧٩ ص ٩ .

وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عميق »[1] .وفي هذا المجال ، انهم المؤرخون العرب ، إما بأنهم لم يسعوا إلى التعليل أبداً ، واكتفوا بسرد الوقائع والأحداث سرداً ؛ أو أنهم لم يستقصوا الأسباب الواقعية ، بل ربطوا السببية التاريخية بالارادة الالهية . وفي الحقيقة ، يتفاوت المؤرخون العرب في تقصيهم للأسباب ، وفي تفسيرهم للحوادث ، إلا أنهم أدركوا بالمجموع أهمية العوامل الاقتصادية ، والجغرافية في دفع الأحداث ، وفي التأثير على حياة البشر ، وكذلك العوامل النفسية ، والاجتماعية ، والفكرية . « وندر جداً من المؤرخين من كان كتابه مجرد سرد ساذج لايحمل ضمن السطور تأويله الخاص وتفسيره الذاتي . ومع ذلك فإن الموضوعية التي انصبت لديهم على الاحترام الزائد « للشهادة » و « النص » : قد أبعدتهم عن المناقشة المباشرة ، والكاملة للمحتوى، الذي تحمله الرواية التاريخية »[2] . وإذا كان من الملاحظ ، لأول وهلة ، أنهم خصوا « الحاكم الفرد » بالأثر الأكبر في التاريخ ، أو بتعبير آخر . أعطوا النواحي السياسية ، والفردية بالذات ، القدرة الأولى على تحريك الأحداث والفصل فيها : دون النواحي الأخرى ، ودون فئات من المجتمع ، أو المجتمع ككل : وإذا كان من الملاحظ أيضاً ، أنهم رأوا في القضايا الدينية . والفكرية الدينية ، أموراً ذات أهمية كبيرة في تاريخ الأمم ، فإن المتتبع المستقصي لمجموع ما دونه العرب في التاريخ ، وهو وفير جداً ، يتعرف تماماً ، بأن التاريخ العربي قد اهتم بالقضايا السياسية العامة لا الفردية فحسب ، وطرح كتباً عديدة في الفكر السياسي العام ، وحول تدبير الممالك[3] . كما أنه توغل في بنية المجتمع ، وأبرز مختلف فئاته ، العليا والدنيا ،ولم ينس أن يبين دورها فيه ، حتى فئات الشطار ، والمصابين بالعاهات ، وأهل المجون وغيرهم[4] .

---

(١) المقدمة . ص ٣ -- ٤ .

(٢) شاكر مصطفى . المصدر السابق . ص ٤٥٧ .

(٣) انظر ما دوّن في هذا الباب حتى القرن السابع الهجري فحسب/ الثالث عشر للميلاد ، شاكر مصطفى : المصدر السابق ص ٣٣١ -- ٣٤٤ .

(٤) السخاوي . الاعلان بالتوبيخ . كتاب روزنثال . ص ٥١٨ — ٥٢٢ .

ولم يكتف بعض المؤرخين المسلمين بتتبع أسباب الحوادث فقط ، بل سعى لتكوين تركيب فلسفي لمعنى التاريخ ككل . ومن هؤلاء «المطهر بن طاهر المقدسي»[1] في كتابه « البدء والتاريخ » . اذ استهدف في مقدمته النظر إلى الكون ، والمعرفة ، بمنظار الفلسفة . وقد يشبهه في هذا « أبو طالب عبد الجبار »[2] في أرجوزته التاريخية ، التي صاغ فيها التاريخ الاسلامي شعراً ، منذ عهد الخلفاء الراشدين ، فالدولة الأموية ، فالعباسية ، فدولة بني أمية في الأندلس ، فملوك الطوائف ، فدولة المرابطين . وقدم لهذا التاريخ الشعري بمقدمة عن الله والكون ، وتأملات في الملكوت ، وبدء الخليقة .

وفي الحقيقة ، ليس علمياً البتة ، اطلاق أحكام عامة على مجموع التأريخ العربي ، والمعالجة السببية لدى كلية المؤرخين العرب المسلمين ، لكثرة هؤلاء

---

(١) مؤرخ لم يظفر بترجمة وافية عنه ، وكان يظن أن كتابه « البدء والتاريخ » هو لأحمد بن سهل البلخي . إلا ان المستشرق « كليمان هوار » اثبت انه له ، لأن الكتاب دوّن عام ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م والبلخي توفي سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٢ م ويشير إلى انه كان في « بست » من اعمال سجستان . وكتابه « البدء والتاريخ » مطبوع في ستة اجزاء . وقدم مؤلفه له بمقدمة فلسفية كلامية ، ففصل جغرافي ، يتحول منه الى شبه جزيرة العرب ، فظهور النبي (ص) ، ثم يدخل في التاريخ الحولي عاماً عاماً حتى زمنه .

انظر حوله : الأعلام . ج ٨ ص ١٥٩ و د. طريف الخالدي : دراسات في تاريخ الفكر العربي والاسلامي بيروت ١٩٧٧ . ص ٣٩ ـ ٥٤ .

وروزنثال . المصدر السابق . ص ١٦١ .

وشاكر مصطفى . المصدر السابق . ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨ .

(٢) من جزيرة شقر في الأندلس (قرب قالنسيه) ، وكان يعرف بالمتنبي . وقد عرّفه « ابن بسام » في كتابه « الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة » بانه « كان ابرع اهل وقته ادباً ، واعجبهم مذهباً ، واكثرهم تفننا في العلوم ، واوسعهم ذرعا بالاجادة في المنثور والمنظوم » . ويبدو انه كان طموحاً ويطمع بملك . ويظهر انه عاش في « اواخر القرن الخامس الهجري ، او اوائل السادس ، بدليل حديثه عن الخليفة العباسي « المسترشد بالله » (٤٨٥ ـ ٥٢٩ هـ / ١٠٩٢ ـ ١١٣٤ م) .

انظر . ابن بسام . الذخيرة ج١ . قسم ٣ القاهرة ١٣١٦/١٩٤٢ .

ص ٤٠١ ـ ٤٠٢ ؛ و ٤٠٤ ـ ٤٣١ .

عبر العصور الطويلة ، واختلاف الموضوعات التي بحثوا فيها ، وتنوع مناهجهم في العمل ، وأساليب عرضهم ، إلا أنه يمكن القول أن نقد « ابن خلدون » ، لسابقيه من المؤرخين ، والأوصاف التي نعتهم بها ، ولا سيما حول ابتعادهم عن تقصي السبب ، مبالغ فيها[1] . ويبدو أن هذا النقد من شيخ المؤرخين العرب ، هو الذي ثبت في أذهان الباحثين ، وأقام حاجزاً بينهم وبين دراسة الأمر من جديد موضوعياً ، وبالنسبة لكل مؤرخ على حدة ، أو لمجموعة من المؤرخين في حقبة معينة ، أو لنوع موحد من فنون الكتابة التاريخية . ولعل « ابن خلدون » في موازنته عطاء معظم أولئك المؤرخين ، مع مفهوماته العميقة والمثلى للكتابة التاريخية وأهدافها ، وصفات المؤرخ ومنهجيته ، هي التي أوقعته بتلك الأحكام « العامة » القاسية . لأنه في مقدمته التاريخية كان قمة في « التأريخ العالمي » لا « التأريخ العربي » فحسب : فهو أول من نظر إلى أن التاريخ في حقيقته هو « خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم ، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال »[2] . وهو أول من بحث جمعا وتفصيلا في عوامل العمران المختلفة ، ودخل في فلسفة التاريخ بمضمونها الواقعي الدنيوي .

رابعا ـ اسلوب المؤرخين العرب في الصياغة والاداء[3]

لقد كان هذا الاسلوب في معظم الاحوال بلغة عربية بيّنة وبليغة ، ومصوّرة بوضوح ما يريدون تبيانه ، دون إدخال التأنق الأدبي فيه .

إلا أنه لا يمكن أن ينفى استخدام المؤرخين للتنميق اللفظي ، والصنعة البديعية ، ومنها « السجع » بالذات ، وبصفة خاصة عندما دخل هذا الأسلوب في

---

(١) انظر المقدمة . ص ٥ . وقد جاء في نقده : « ثم إذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا أخبارها نسقا ، محافظين على نقلها وهما او صدقا . لا يتعرضون لبدايتها ولا يذكرون السبب الذي رفع من رايتها ، واشهر من آيتها ، ولا علة الوقوف عند غايتها، فيبقى الناظر متطلعا بعد الى انتقاد احوال مبادىء الدول ومراتبها ، مفتشا عن أسباب تزاحمها او تعاقبها » .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٥ .

(٣) انظر حول الموضوع : فرانز روزنثال : المصدر السابق ص ٢٤١ فما بعد .

الأدب العربي من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي فما بعد . وقد استخدم أكثر ما استخدم في « تراجم الامراء » التي دونها المؤرخون الرسميون للامراء والملوك . وقد تميز بهذا الأسلوب المؤرخ العماد الأصفهاني ـ وقد أشير إليه سابقا ـ وكثير من المؤرخين في العهدين المملوكي والعثماني ، بحيث « صار المقصود مغمورا في تضاعيف ضمائر الاسجاع » على حد نقد « البنداري »[1] للعماد الاصفهاني . « فالسجع » قد يبعد صاحبه عن الحقيقة والدقة ، ويوقعه في التكرار ، ويجعل الفكرة التاريخية المحددة تضيع وسط ضباب الكلمات المرصوفة .

ومثلما استخدم بعض المؤرخين « السجع » في الكتابة التاريخية ، فانهم ضمنوها (الشعر) . وقد دخل الشعر في محتوى الكتابة التاريخية ، منذ القرون الأولى للتدوين التاريخي ، لا لعرض الحوادث التاريخية ، وإنما لطرح أقوال بعض الشعراء في معركة مثلا ، أو في شخصية ما ، مديحا ، أو هجاء ، أو في غير ذلك من الأمور . إلا أنه منذ القرن الثالث للهجرة /التاسع للميلاد بدأت تظهر التواريخ الشعرية المنظومة في معظمها على بحر الرجز . ومن أشهر تلك التواريخ « القصيدة الحميرية » « لنشوان بن سعيد »[2] ، التي يستعرض فيها تاريخ حمير في اليمن و « أرجوزة ابن المعتز »[3] في مدح الخليفة المعتمد[4] ، وأرجوزة محمد

---

(١) الفتح بن علي البنداري الاصفهاني (٥٨٦ ـ ٦٤٣ هـ/١١٩٠ ـ ١٢٤٥ م) اديب بالعربية والفارسية ومترجم الشاهنامة عن الفارسية . وله « زبدة النصرة » الذي اختصر فيه كتاب العماد الاصفهاني .

(٢) من نسل ملوك حمير ومن اهالي اليمن . كان متعصبا للقحطانية . له عدة كتب وقد اشتهر بقصيدته تلك التي تسمى (النشوانية) (توفي ٥٧٣ هـ/١١٧٨ م).

(٣) عبد الله بن محمد المعتز حفيد المعتصم العباسي (٢٤٧ ـ ٢٩٦ هـ/٨٦١ـ ٩٠٩ م) شاعر مبدع وخليفة ليوم وليلة .

(٤) احمد بن طلحة المعتمد بالله الخليفة العباسي(٢٤٢ ـ ٢٨٩ هـ/٨٥٧ـ٩٠٢م) كان من الخلفاء الذين اعادوا الى الخلافة العباسية هيبتها وقوتها اثناء فترة تسلط العسكر الاتراك على الحكم .

الباعوني الدمشقي[1] « تحفة الظرفاء في تواريخ الملوك والخلفـاء » ، وغيرها . ويبدو أن استخدام السجع والشعر في الصياغة التاريخية كان لهدف تعليمي حتى يسهل حفظ ما أتى فيه .

وفي الواقع قد يتباين أسلوب كل مؤرخ عربي عن الآخر ، إلا أن أسلوب الأغلبية كان واضحا ، وبيّنا ، يحيط بالحقيقة التاريخية ويبرزها ، مع مـا قد يداخله من سجع وشعر هنا وهناك ، بل إن تطعيم الاسلوب بين آونة وأخرى ، بالرواية القصصية للاحداث ، يجعله شائقا وحيا ، وإن كان يبعده أحيانا عن الاطار العلمي الدقيق .

وخلاصة القول ، على الرغم مما يوجه إلى منهج البحث التاريخي عند المؤرخين العرب المسلمين من نقد قد يصدق على بعض مؤرخيهم ، أو على أكثريتهم أحيانا ، كجعلهم الخلفاء والأمراء والأفراد بعامة محورا لابحاثهم ، وكاهتمامهم بالحروب والسياسة أكثر من اهتمامهم بالنواحي الحياتية الأخرى للجماعات ، وكانصرافهم عن التعليل الدقيق للاحداث وعن الوصول إلى خفاياها البعيدة ، فإنه كان منهجا علميا في خطوطه العامة ، أرادوا منه أن يقدموا « الحقيقة » ناصعة . بالاضافة إلى أنهم خلفوا للمؤرخ المعاصر ثروة تاريخية ضخمة يمكنه أن يستفيد من مادتها على نطاق واسع في جلاء الواقع الماضي ، والتوصل إلى البنى التاريخية الحقة . كما أن العلم الحديث يسجل لهم أنهم أول من ضبط الحوادث بالاسناد والتوقيت الكامل ، وانهم مدوا حدود البحث التاريخي ، ونوعوا التأليف فيه ، وأكثروه ، إلى درجة ، لم يلحق بهم فيها من تقدمهم ، أو عاصرهم من مؤرخي الامم الاخرى . وأنهم أول من كتب في فلسفة التاريخ : والاجتماع ، وتاريخ التاريخ ، وأنهم حرصوا على العمل جهد طاقتهم بأول واجب المؤرخ وآخره : « وهو الصدق في القول والنزاهة

---

(١) محمد بن احمد (٧٧٦ ـ ٨٧٠ هـ/١٣٧٤ ـ ١٤٦٦ م) وارجوزته في تاريخ الخلفاء والسلاطين الذين تولوا مصر الى عهد الاشرف برسباي .

في الحكم »[1] . بل إن المتتبع لاصول النقد الباطني السلبي التي وضع خطوطها « لانغلوا وسنيوبوس » في القرن التاسع عشر يرى أنها لا تخرج أبدا عما ذكره ابن خلدون في أسباب وقوع المؤرخ في الخطأ ، أو في قواعد التجريح والتعديل . وبذلك يكون المؤرخون العرب هم الذين وضعوا الأصول الأولى « لمنهج البحث التاريخي العلمي الحديث » ، الذي بدا ناضجا في أوربا في القرن التاسع عشر ، وهم الذين تركوا بتلك الاصول ، أثرهم في مؤرخي أوربا في مطلع العصور الحديثة ، الذين شرعوا بدورهم ينهجون في الكتابة التاريخية طريق النقد والتمحيص والتدقيق .

تطور علم التاريخ في العصر الحديث والحقبة المعاصرة في العالم الغربي

لقد أشرنا سابقا أن ملكة النقد التاريخي قد تفتحت في أوربا عند مؤرخي عصر النهضة ، بسبب نمو الحركة الانسانية ، والعودة إلى الاداب القديمة من يونانية ورومانية وعبرية ، وانبعاث الروح اللاتينية والاحتكاك بالحضارة العربية الإسلامية ، والتعرف على نتاجها الثر ، وتحول نظرة الانسان الاوربي إلى الواقع ووجوده فيه . وينظر الغربيون الى عام (١٤٤٠) كتاريخ رمزي لانبثاق « المنهج العلمي في البحث التاريخي » إذ أنه التاريخ الذي أعلن فيه « الهومانيست » لورنزو فالا Lorenzo valla [2] (١٤٠٦ ـ ١٤٥٧) ، بالدليل القاطع والحجة الدامغة ، زيف ما يعرف بـ « هبة قسطنطين »[3] وهي من الركائز التي يعتمدها البابوات لدعم سلطتهم الزمنية .فقد دلل « فالا » أنها مستند قد زور ولفق في

---

(١) عبد الحميد العبادي . المصدر السابق . ص ٤٥ .

(٢) ايطالي من روما ، علم أولا في بافيا ، ثم استقر في نابولي ثم في روما . وهو الى جانب كونه فيلولوجيا وعالما انسانيا ، فانه يعتبر من أوائل مفكري « النهضة » الذين حاولوا التوفيق بين الحكمة القديمة والديانة الصحيحة . ولقد نقد « ارسطو طالية » العصور الوسطى . ولهعدة مؤلفات طرح فيها فكره النقاد ، وآراءه الجريئة .

(٣) وليقة يدعي البابوات ان الامبراطور قسطنطين (٣٠٦ ـ ٣٣٧م) اعطى فيها للبابا « سيلفستر » ملكية روما وايطاليا ، وقد وردت في مجموعة قانونية من القرن الثاني عشر تحت اسم « مرسوم غراتيان » وكان يظن انها صحيحة .

روما نفسها ؛ وفي زمن ؛ يبعد عن التاريخ الذي أعطي لها ، خمسة قرون . وقد زورت على ما يبدو في عهد « بيبان القصير »[1] أو « شارلمان »[2] ، وادعاها البابا منذ منتصف القرن الحادي عشر . وقد أثار نقد « لورنزو » وبيانه الحقيقة ، الكنيسة ودوائر الاكليروس ، حتى أنه قدم أمام « ديوان التحقيق » وكاد يعدم ، لولا تدخل ملك اراغون « الفونس الخامس »[3] .

ولم يكتف « فالا » بذلك ، بل كانت له تعليقاته على نص الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس ، المعروفة بـ « الفولغات » ، والتي زادت من قلق الكنيسة ، لأنها فتحت في الواقع الباب عريضا لدراسة النصوص الدينية ونقدها ، وتصحيح المزور منها ، وتثبيت الصحيح ، وطبعه ونشره ؛ مما كان له أثره في حركة الثورة الدينية في القرن السادس عشر .

ويضاف الى نمو ملكة النقد عند مؤرخي عصر النهضة ، ظهور موقف فكري أكثر عقلانية وواقعية تجاه التاريخ ، وبخاصة التاريخ الحديث والمعاصر لهم ، واهتمامات أكبر بالقضايا الإنسانية ، والشؤون السياسية . ويتبدى هذا في انتقال تدوين شؤون الدولة من رجال الدين الى العلمانيين ، وفي العدول عن التعليل الميتافيزيقي للامور ، ورد أسباب الحوادث إلى حيل الدبلوماسيين ، والصراعات الحربية ، بدلا من ربطها بالمشيئة الإلهية كما كانوا يفعلون ، وفي العودة إلى الفردية وتوكيد قيم الاشخاص دون الجماعات ، وهو أبرز ما تمتاز به كتابات مؤرخي

---

(١) حاجب البلاط في فرنسا (٧٥١ – ٧٦٨ م) وهو ابن « شارل مارتيل » ووالد شارلمان .

(٢) ملك فرنسا (٧٦٨ – ٨١٤ م) وامبراطور الغرب « الامبراطورية الجرمنية المقدسة » (٨٠٠ – ٨١٤) .

(٣) او « الفونس الكبير » (١٣٩٦ – ١٤٥٨) وقد ضم اليه صقلية ، واعلن نفسه (الفونس الاول) ملك الصقليتين (١٤٤٢ – ١٤٥٨) . وقد فتح ابواب قصره في نابولي حيث استقر ، للانسانيين والعلماء .

العهد الروماني من أمثال « فلوطارخوس »[1] . وأصدق من يمثل عصر النهضة من المؤرخين « نيكولوماكيافلي »[2] ، و « فرنسيسكو غيشار دياني »[3] فانهما بعقلانيتهما المحضة ، وازدرائهما للعصور الوسطى ، وكرههما للبابوية ، واشتغالهما بالسياسة ، وايمانهما بايطاليا وضرورة وحدتها ، يمثلان أفضل تمثيل الاتجاهات الحديثة في تأريخ زمن النهضة . ويلاحظ ضمن التطورات الحديثة في علم التاريخ في عصر النهضة كذلك ، الاهتمام بالتحقيق الزمني للاحداث ، وصبغ التدوين التاريخي بالصبغة الزمنية . ومن أظهر مثل هذا الاتجاه يوسف سكاليجر J. Scaliger [4] في كتابه ، الذي عمل فيه على التوفيق بين تأريخ « أوزبيوس » ووقائع التاريخ الزمني الثابتة ، والذي نشر في « لايدن » عام ١٥٨٣ ، حيث كان يعمل استاذا في جامعتها . وبذلك وضعت أسس « علم التوقيت » Chronologie وهو في الواقع هيكل كل تاريخ .

---

(١) كاتب يوناني عاش تقريبا بين (٥٠ـ١٢٥ م) وقد تنقل بين بلده الاصلي (خيرونيا) ومصر وروما . وله مؤلفات عدة ضاع معظمها . واهم مابقي (تراجمه) التي كان لها شعبية كبيرة منذ القديم وهي تدل على ان صاحبها يتمتع بحس تاريخي دقيق ، وعميق ، ممتزج بحس اخلاقي مرتبط بالفضيلة .

(٢) ولد وعاش في فلورنسا (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧) وتقلب في كثير من المناصب السياسية والعسكرية فيها وجال في اوربا ، وعرف دقائق الدبلوماسية فيها وفي المدن الايطالية . وصاغ خلاصة تجاربه السياسية في كتابه المشهور « الامير » . وقد اوضح فيه كيف يتسنى لامير طموح وقوي ان يوحد ايطاليا ويرفعها لمصاف العظمة ؛ وبكتابه هذا اوجد بدايات « علم السياسة » وفصل الاخلاق الفردية عن الاخلاق السياسية .

(٣) سياسي ومؤرخ ايطالي معاصر لمكيافيلي (١٤٨٣ ـ ١٥٤٠) كان موالیا لآل مديتشه امراء فلورنسة ومبغضا للبابوية . وقد كتب كتابه الشهير عن «تاريخ ايطاليا» من عام (١٤٩٤ ـ ١٥٣٢) ويعتبر من اهم ما كتب في التاريخ الحديث . وقد برهن انه ناقد كبير ومؤرخ حر .

(٤) انساني فرنسي من اصل ايطالي (١٥٤٠ ـ ١٦٠٩) اعتنق البروتستانتية وقام برحلات كثيرة عبر اوربا ، وله عدة مؤلفات اشهرها « مؤلف جديد في تصحيح الزمن » .

Opus Novum de emendatione temporum

ومع كل التطورات المجيدة في علم التاريخ ، فانه يجب ألا يحمل عصر النهضة ، مثالية نموذجية في فهم التاريخ . فالتقدم ظل بطيئا ، ويحمل في طياته بعض التناقض ، فكما رأى عصر النهضة تقدما في تقنية البحث التاريخي ، فانه شاهد كذلك مزورين نشروا نصوصا مزيفة ، ومدونين للتاريخ كتبوه لمدح الامراء والملوك ، وذلك خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر . ولا ننسى ان تقديس القدماء من يونان ورومان ، جعل التحريف في أقوالهم أكثر شيوعا ، وذلك لاستخدامها في مآرب شتى .

وجاءت حركة « الاصلاح الديني » في القرن السادس عشر ، لتنمي التاريخ معرفة وطريقة بحث . اذ انكب على الدراسة كل من الكاثوليك والبروتستان ، وذلك للتسلح بالحجج في الصراع القائم بينهما ، ولنشر الدعاية المذهبية . ومع ان الهدف لم يكن في الواقع ، الوصول الى « الحقيقة العلمية » ، فان الامر لم يخل من خير للتاريخ . اذ جاءت الحقيقة ثمرة غير مباشرة لصراع الحجج الكاثوليكية البروتستانية . فلم يشهد التاريخ نبشا لحوادثه « التاريخ الكنسي » كما شهده في تلك الفترة ولم تبلغ تقنية البحث التاريخي من القوة والاثر ما بلغته آنذاك . ومن أشهر ما كتب في هذا المضمار (قرون ماغديبوغ) لـ « ماتياس فلاسيوس ايليريكوس » « فلاسيش » (١٥٢٠ ـ ١٥٧٥) ، وهو مصلح ديني من اتباع لوتير . فقد تعرض فيه لتاريخ الكنيسة ، قرنا ، قرنا ، ومنذ ان أسست الى عام ١٤٠٠ . وفيه قدم الصورة السماوية للكنيسة كما أوضحتها أعمال الحواريين . ثم تطرق الى التاريخ الواقعي لهذه الكنيسة بكل مافيها من مفاسد وانحلال ، وخروج على تلك الصورة المثالية . ومع ان الكردينال « قيصر بارونيوس » (١٥٣٨ ـ ١٦٠٣) رد عليه بكتابه (الحوليات) ، الا ان ما ورد فيه من الشطط ، وعدم تحري الحقيقة والاخطاء الكبيرة ، جعله عرضة للناقدين ، ولا يقف أمام ما كتبه « فلاسيوس » وزملائه .

ولم يكن للاصلاح الديني وحده أثره في تطور التاريخ وطريقة بحثه ، وانما كان للكشوف الجغرافية ورحلات الاستطلاع تأثيرها الاوفى . اذ اتصلت اوربا بحضارات جديدة في امريكا وآسيا وافريقيا واطلعت على مدنيات كانت جاهلة لها ،

ولا تقل في عظمتها عن حضارتها وحضارات البحر المتوسط . وبذلك اضطرت أوربا أن تغير نظرتها المركزة جدا على تاريخها وحده ، وان تطور رؤيتها « التوراتية » البحتة للاطار الزمني للتاريخ . فالتاريخ غدا شاعرا بالتنوع العميق لعالم ذي حضارات عديدة ومختلفة ، وبالصفة النسبية وغير المطلقة للحقيقة التاريخية . وهكذا توسع أفق الدراسة التاريخية ، وتطرق كذلك الى بحث مختلف النظم الاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية للمجتمعات البشرية العديدة ، لا السياسية وحدها[1] .

ومن الحوادث التي اثارت نشاط المؤرخين أيضا ، الخصومات الدستورية ، التي تميزت بها الفترة بين منتصف القرن السادس عشر والسابع عشر ، وذلك نتيجة الصراعات التالية :

١ ـ الصراع في فرنسا بين الملك وطبقة النبلاء الاقطاعيين . ذلك الصراع الذي اضطر رجال القانون والتاريخ ، للرجوع الى أصول الملكية الفرنسية ، والعلاقة بينها وبين النبلاء .

٢ ـ ثورة الاراضي المنخفضة على حكم اسبانيا المركزي لها ، في عهد الملك فيليب الثاني ، ومطالبتها بحقها القديم في الحكم الذاتي ، مما دفع الطرفين المتنازعين لنبش المحفوظات البورغونية ، والكارولنجية السالفة .

٣ ـ النزاع في انكلترا ، بين ملوكها من اسرة ستيورات في مطلع القرن السابع عشر ، وبين البارلمان الانكليزي . فالملوك كانوا يطالبون بالامتيازات التي كان قد باشرها كل من الملك هنري الثامن والملكة اليزابيت ، بينما كان البارلمان يعتصم وراء حقوقه وامتيازاته السالفة . فانغمس الطرفان في أعماق الوثائق الرسمية ، يجمعان كل وثيقة لها صلة بالموضوع وبحقوقهما ، وخرجت « الحقيقة التاريخية » من خضم ذلك الجدل الدائر بينهما ، بينة وموثقة .

---

(١) يبين التطور الاخير بشكل واضح جدا في اواخر القرن السابع عشر ، وفي الثامن عشر . ويتمثل هذا في قول « فينلون » عام ١٧١٤ « ان ملاحظة عادات مجموع الامة وتطورها من عصر الى عصر اهم من ملاحقة الحوادث الخاصة بمائة مرة » .

Eancyclopedia Universalis. Art. Histoire.

ويمكن القول أنه نتيجة لتلك الصراعات ، نما « علم الوثائق » أو « علم الدبلومات » الذي يعرّف بمصطلحات الوثائق الرسمية ، وكيف يمكن تمييز الصحيح منها • وهو من العلوم الاساسية التي أعانت علم التاريخ على الارتقاء بمستوى بحثه • ويرجع الفضل الأول في نشأة هذا العلم الى « مابيون Mabillon »[1] في كتابه « حول الوثائق De Re Diplomatica » الذي نشره عام ١٦٨١ •

ولا بد من التأكيد في هذا المجال ان الطباعة والتهافت على نشر العديد من الوثائق الدينية ، والمدنية ، كان عاملا مساعدا في دفع التدوين التاريخي ، بمنحاه الجديد قدما •

الا ان كل التقدم الذي طرأ على علم التاريخ في القرنين السادس عشر والسابع عشر لم يخرجه عن كونه « أداة » لتحقيق هدف ما ، خلقي ، أو ديني ، أو سياسي، أو بتعبير أضيق لنصرة فئة على أخرى ، أو لقهرها • ومن ثم فلم تثبت قدمه علما حقا • ولم يتم هذا الا في القرن الثامن عشر ، عندما نادى المؤرخ الايطالي والفيلسوف « جيامبتيستافيكو » (١٦٦٨ ــ ١٧٤٤) بوجوب نقل التاريخ من ميدان الصراع بين الخصوم الى مجال الدرس المنطقي الهادىء • وفي كتابه « أصول علم جديد مرتبط بالطبيعة المشتركة للامم »[2] •

« Principes d'une science nouvelle relative à la nature Commune des nations » .

الذي نشره عام ١٧٢٥ اعتبر فيكو التاريخ فرعا من علم واسع يشمل جميع شؤون المجتمع البشري وكأنه بذلك يتبنى رأي « ابن خلدون »[3] ؛ كما بيّن أن

---

(١) موسوعي فرنسي (١٦٣٢ ــ ١٧٠٧) كان من البندكتين ومن كبار النقاد. له مؤلفات عديدة .

(٢) لقد ترجم المؤرخ الفرنسي « ميشله » ذلك الكتاب تحت عنوان « مبادىء فلسفة التاريخ » .

(٣) لقد عرف العلامة ابن خلدون حقيقة التاريخ بالعبارة التالية :
« اعلم انه لما كانت حقيقة التاريخ انه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم ؛ وما يعرض لذلك العمران من الاحوال » انظر المقدمة ص ٣٥ .

منهج البحث في هذا العلم يستند الى قواعد منطقية دقيقة . ولقد نظر عديد من فلاسفة التاريخ في القرن التاسع عشر والعشرين من أمثال « هردر » و « هيغل » و « كروتشه »[1] الى كتاب« فيكو »على انه اساس « للتاريخ » وعلم «الاجتماع» الحديثين .

وقد كان نقده لاصول الاديان ، ونظريته في دورة الحضارات (العصر الالهي أو « الاسطوري » و « العصر البطولي »أو « عصر القوة» ، و « العصر الانساني» أو « عصر الحضارة الحرة » ، وبعده تعود الحضارة سيرتها الاول) ؛ ونظرته السابقة للتاريخ ، كل هذا كان أساسا « للفلسفة النقدية » وبخاصة في المانيا وايطاليا .

وجاء القرن الثامن عشر ليدعم ماذهب اليه « فيكو » من ضرورة دراسة التاريخ دراسة عملية ، معتمدة على الاصول العلمية والفهم الصحيح ، والنقد الممحص فبرز في هذا الميدان الفرنسي « مونتسكيو » (١٦٨٩ ــ ١٧٥٥) في كتابيه « ملاحظة عن أسباب عظمة الرومان وانحطاطهم » و « روح القوانين » . وكذلك « فولتير » (١٦٩٤ ــ ١٧٧٨) الذي سلط عقلانيته الحادة ونقده اللاذع على ما ألف في هذا المضمار ، فكتب عن « تاريخ شارل الثاني عشر » (وشارل الثاني عشر هو ملك السويد (١٦٩٧ ــ ١٧١٨)، و « عصر لويس الرابع عشر ». وان كتابه «مقالة في الآداب» يعتبر أول محاولة صادقة لوضع تاريخ عام للثقافة[2]. وقد ترك فولتير بنزعته العقلية الصارمة هذه ، أثره في أغلب ماكتبه المؤرخون في القرن الثامن عشر اذ اتجه هؤلاء الى غربلة الوقائع التاريخية الماضية في غربال النقد التاريخي الدقيق . وان كتاب « لويس دوبوفور » (مؤرخ فرنسي من

---

(١) بنديتو كروتشه ، ناقد ومؤرخ وفيلسوف ايطالي (١٨٦٦ ــ ١٩٥٢) عاش في نابولي بخاصة ، وشغل مناصب وزارية ، ونشر مايقارب ٨٠ مؤلفا ، وبعضها من تاريخ ايطاليا . واهمها « التاريخ كفكر وعمل » و « المادية التاريخية والاقتصاد الماركسي » ، و« علم الجمال » .

(٢) هرنشو المصدر السابق ص ٦٤ .

الأراضي المنخفضة توفي عام ١٧٩٥) بعنوان « دراسة عن عدم يقينية القرون الاولى الخمسة من التاريخ الروماني » لدليل على هذا الاتجاه الجديد .

وساعد على التمكين لهذا المنحى النقدي ، وضع بعض الدول كفرنسا مثلا الارشيفات الملكية ، والاقطاعية ، والدينية ، تحت تصرف الباحثين ، بل إن تأسيسها « مدرسة الوثائق » عام ١٨٢١ ، كان دفعا تقدميا للتاريخ .

إلا أن التيار العقلاني الجاف الذي سار عليه « فولتير » لم يبق وحده ، بل قامت ردة فعل عاطفية عليه تحت تأثير الأديب الفيلسوف الفرنسي «روسو»[1] (١٧١٢ — ١٧٧٨)، وتنامت هذه الحركة الابداعية (الرومنطقية) في القرن التاسع عشر . وظهر هذا في كتاب « هردر » « خواطر في فلسفة تاريخ الانسانية » ، وفي كتابات « يوهنس مولر »[2] (١٧٥٢ — ١٨٠٩) . فالحركة الابداعية كانت ثورة عنيفة على « الموسوعيين » الفرنسيين ، وعقلية الشك ، وكان من أبرز صفاتها احترامها للقديم ، واخلاصها للدين السماوي ، وتمجيدها العصور الوسطى ، واحلالها لمبدأ القومية ، ونقدها للديمقراطية . فعكف المؤرخون على ابراز تاريخ العصور الوسطى ، وتقويم الكنيسة تقويما موضوعيا ، هذا بالاضافة الى تغذية الروح القومية ، والإلحاح على مفهوم « الامة » وإثارة المشاعر الوطنية . وعاد التاريخ مرة أخرى يخدم أهدافا معينة ، وبخاصة السياسية منها . ويجب ألا ينسى في هذا المجال أثر « الثورة الفرنسية » عام ١٧٨٩ ، في هذا التطور الجديد ، إذ أن حوادث الثورة عمقت الرابطة بين التاريخ والسياسة . وأشهر من ألف في هذا المضمار المؤرخ الفرنسي « ميشله »(١٧٩٨ — ١٨٧٤) في كتابه« تاريخ فرنسا »والانكليزي « كارليل » (١٧٩٥ — ١٨٨١) في كتابه « الماضي والحاضر » . ويرجع الفضل الى

---

(١) جان جاك روسو J. Jacques Rousseau : ولد في جنيف ، وكان فكرا حالما . ومبدعا . آمن بضرورة العودة الى الطبيعة ، وبالطبيعة الخيرة للانسان ، وبضرورة « العقد الاجتماعي » بين الدولة والمجتمع الذي يضمن حقوق الجميع . له عدة مؤلفات منها « العقد الاجتماعي » و « وإميل » ، و « الاعترافات » . ولقد استوحت « الحركة الابداعية » مما كتب ، وكذلك الثورة الفرنسية .

(٢) Jean de Muller : مؤرخ سويسري له « تاريخ الاتحاد السويسري » .

هذا التيار التاريخي الجديد في تبرئة العصور الوسطى الأوربية مما وصمها بـه رجال النهضة والإصلاح الديني ، وفي نبش المؤرخين لوثائقها . والى هذا التيار يرجع أيضا نمو « فلسفة التاريخ » ممثلة في عدد من فلاسفة التاريخ الكبار من أمثال « شليغل » الألماني (١٧٧٢ ــ ١٨٢٩) و « هيغل » وغيرهما .

إلا أن التقدم العلمي الكبير في القرن التاسع عشر ، والمناداة بضرورة اخضاع كل بحث لنقد عقلي دقيق ، والالحاح على علمية التاريخ ، ولزوم إخراجه من حيز الأدب ، وظهور فئة من المؤرخين عاملة في هذا الاتجاه ، جعلت التاريخ يتنازل عن « الفريسكات الرومنطيقية » ، ويبحث عن « الحقيقة الموضوعية » ، بل وينادي بعض العاملين في حقله بالسعي لايجاد « قوانين » ، تعمل لتطوير البشرية اجتماعيا، كما هو الحال في العلوم الأخرى . وهكذا ظهرت في القرن التاسع عشر « المدرسة الوضعية »[1] في الكتابة التاريخية التي كان على رأسها « فون رانكه » الألماني (١٧٩٥ ــ ١٨٨٦) ومن أتباعها المؤرخان الفرنسيان « شارل لانغلوا » (١٨٦٣ ــ ١٩٢٩) « وشارل سنيوبوس » (١٨٥٤ ــ ١٩٢٤) . فقد نادت هذه المدرسة بأن عمل المؤرخ ليس في التأمل في سير التاريخ ، أو في بنـاء مراحل منطقية من التطور التاريخي وإنما في إظهار « ما حدث فعلا في الواقع » . وهذا الهدف قادها الى « الطريقة النقدية الجديدة » : فالمصادر التاريخية المعتمدة على (الرواية) في الأحداث لابد أن تعكس وجهات نظر مؤلفيها ، وتقدم صورة مشوهة عن الواقع،

---

(١) لقد انبثقت هذه الصفة من التسمية التي اعطاها الفيلسوف الفرنسي « اوغست كونت » للمرحلة الاخيرة من تطور المعرفة الانسانية ، التي اطلق عليها صفة « الوضعية » والتي تستند الى نقد العقل . ولكن هذه المدرسة التاريخية لاتحتفظ في الواقع من مضمون الوضعية عند « اوغست كونت » سوى بالتحذير ، من اخطار ، واخطاء البحث الذي لايخضع لنقد العقل . اذ بينما يحدد « كونت » غائية هذه المرحلة بالكشف من القوانين ، نرى ان سنيوبوس ، ورانكه يرفضان هذا المحتوى . فقد قال سنيوبوس : ان التاريخ هو مع الجيولوجيا ، والباليونتولوجيا ، احد العلوم الوصفية الثلاثة التي تبحث عن معرفة وقائع خاصة ، وكيفية توزع تلك الوقائع في الزمان والمكان . فهو اذا ليس واحدا من العلوم العامة التي تعمل لكشف القوانين ،اي التتابعات الثابتة لحوادث من نوع واحد ، مجردة عن الشروط الواقعية للزمان والمكان . » تصدير La Grande Encyclopédie. Paris 1974 Vol. 10 P. 5938.

ولذلك يجب العودة إلى الوثائق الأصلية ، وتطبيق طريقة نقدية ، شديدة ، وصارمة لاستخلاص الحقائق الموضوعية التي لالبس فيها ولا تحيز .

وخلاصة القول ، لقد تطور البحث التاريخي في أوربا عبر القرون الخمسة (السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر والعشرين) تطورا تقدميا كبيرا ، وذلك للعوامل الرئيسية التالية :

١ ـ تبلور اشكال التقنيات الاساسية للبحث التاريخي التي تكون اليوم جهاز الدراسة والتوثيق التاريخيين . ويتضح هذا في امرين :

آ ـ جمع أكبر عدد من « الوثائق » ، وتنظيمها ، في الارشيفات والمكتبات، ونشر الكثير منها بعد تحقيقه . وقد لعبت « الحكومات » و « المؤسسات » المشجعة للبحث التاريخي دورا كبيرا في هذا المجال في أوربا وأمريكا .

ب ـ تأصل النقد للوثائق ، والتوصل إلى قوانين حقيقية ، للتمييز بين المزور والحقيقي منها وسبر كل دقائقها ، ذلك النقد الذي فتح بابه في أوربا ، في العصور الحديثة « لورنزوفالا » وتوسع إنما بخطى بطيئة ومتلمسة حتى القرن التاسع عشر . وفي الحقيقة يعزو بعض المؤرخين قيام المذهب الحديث في « النقد التاريخي» الى « فردريك أوغست وولف » الفيلولوجي الألماني (١٧٥٩ ـ ١٨٢٤) ، في بحثه « مقدمة هوميروس » الذي أصدره عام ١٧٩٥ ، والذي أكد فيه ، نتيجة دراسته اللغوية «للالياذة والأوديسة »، إن هاتين الملحمتين لم يكتبهما «هوميروس» وحده وإنما نظمهما جماعة من الشعراء الاغريق ، في فترات متباعدة من الزمن . إن قيمة هذه « المقدمة » من الوجهة التاريخية ، في الحقيقة ، أنها لفتت الانتباه مرة أخرى الى ضرورة دراسة الوثائق القديمة بحذر ويقظة ، بطريقة اللغويين (الفيلولوجيين)، وانه من الممكن استنباط كثير من المعلومات الهامة والخطيرة منها، اذا ما وضعت تحت مجهر النقد .

وفي الواقع ، لقد تركت تلك « المقدمة » أثرا كبيرا في الأوساط التاريخية ، اذ أخذ بمذهب النقد هذا ، عدد من المؤرخين ، وعلى رأسهم ـ كما أسلفنا القول ـ

المؤرخ « ليوبولدفون رانكه »[1] الألماني ، الذي يقول عنه المؤرخ « غوتش Gooch » الانكليزي بانه « زعيم المؤرخين في الأزمنة الحديثة من غير منازع » وانه « لم يظهر قط مؤرخ أقرب منه إلى المؤرخ المثالي »[2] . ففي مؤلفاته نرى أن الباب قد فتح أمام تاريخ وضعي فعلا ، اتصف بالدقة النموذجية ، وسعى لكشف الحوادث الماضية كما حدثت في الواقع الماضي ، وذلك من خلال دراسة نقدية عميقة لمصادره . ويلاحظ في كتبه هيمنة على طريقة علمية في البحث ثابتة وأصيلة. إلا أن تاريخه يغلب عليه الطابع السياسي ، و « طابع سرد الحوادث » كما جرت ، دون أي تعقيب أو تعليق .

وتحت تأثير مذهب النقد التاريخي الحديث ، قامت فرنسا كذلك ـ كما أشرنا سابقا ـ بإنشاء مدرسة الوثائق Ecole de Chartes عام ١٨٢١ ، وغدت قبل منتصف القرن التاسع عشر المركز الرئيسي للدراسات الباليوغرافية ، والدبلوماسية في أوربا بأسرها . وقد عمل الدارسون فيها على الارتفاع بمستوى البحث التاريخي لأعلى درجات الدقة العلمية .

وقد انتقلت « الطريقة النقدية » هذه في البحث التاريخي ، إلى جميع أنحاء أوربا ، والى أمريكا بل إلى كل بقاع العالم . وأخذ المؤرخون ، يبحثون بنشاط عن الوثائق ، ويخضعونها للأساليب الجديدة بصرامة ، وشدة ولا يخرجون دراسة تاريخية إلى حيز الوجود إلا إذا توافرت فيها تلك القواعد النقدية .

٣ ـ وضوح الهدف من كتابة التاريخ : بعد أن كان التاريخ يدرس ، ويدون ، لا لذاته وانما لخدمة مصالح اخلاقية ، أو سياسية ، أو دينية ، فإنه غدا يبحث فيه لغرض الحقيقة الخالصة وإن كان هذا لا يمنع من القول ، إن الأغراض

---

(١) لقد طرق (رانكه) موضوعات تاريخية كثيرة ، منها مايتصل باسبانيا ومنها مايتصل بالبابوات ، وبالاصلاح الديني ، وبانكلترا في القرن السابع عشر ، وببلاد الصرب . وكتابه الذي اشتهر به اكثر من غيره وطبع عدة طبعات كان « تاريخ الشعوب الرومانية والجرمانية ١٤٩٤ ـ ١٥٣٥ » .

(٢) تصدير هرنشو المصدر السابق . ص ٨١ .

السياسية وغيرها بقيت من العوامل الخفية والظاهرة ، التي تدفع بكثير من المؤرخين لكتابة التاريخ ، إلا أن موضوعية أقسى ، وتجرداً أكثر صرامة ، أصبحا هما عصبي الكتابة التاريخية ، وذلك تحت تأثير التطور العلمي العام ومناهيج بحثه ، والإيمان بأن التاريخ علم مستقل وقائم بذاته ، له حقله الخاص ، ومنهجيته العلمية الدقيقة ، التي لا تأتي عفوا ، وإنما يجب أن تعلم ، ويدرّب عليها ، فهو يتطلب إذا معرفة « اختصاصية » راسخة ، وعلمية ، وعميقة ، ومن ثم أنشئت له أقسام خاصة في الجامعات ، والتحق عدد كبير من المنظمات ، والمؤسسات التي تعمل في ميدانه ، وتنامى الإنتاج التاريخي ، وظهر التخصص بمراحل تاريخية محددة ، لتكون الإحاطة بها أكثر عمقا ، وغزرت الدوريات التاريخية العامة والخاصة ، والمؤلفات التاريخية المتنوعة .

٣ ـ تقدم العلوم المختلفة وبخاصة العلوم الإنسانية : فالارتقاء في ميادين مختلف العلوم وضع أمام المؤرخين وسائل مساعدة كثيرة لاستنباط الحقائق الموضوعية المختلفة ، ولمعرفة الإنسان وماضيه ، معرفة أكثر سعة ، وعمقا ، ودقة ، كما أن هذه العلوم قد رفدت التاريخ لا بمعطياتها فحسب ، وإنما بطرائق بحثها أيضا ، كعلم الاجتماع والاقتصاد ، وعلم النفس والإحصاء وغيرها مما سيفصل في الفصل التالي .

٤ ـ اتساع مفهوم التاريخ وتطوره : لم يعد المؤرخون يقصرون دراستهم على عوالمهم الصغيرة المحدودة وإنما وسعوا نظرتهم ، فشملت مجموع العالم وحضاراته وأحداثه ، ولم يتابعوا تركيز بحوثهم على حياة الأفراد ، وتطور الحكومات وسياساتها وحروبها ودبلوماسيتها ، وإنما شرعوا يبحثون في جميع أوجه النشاطات البشرية المختلفة ضمن المجتمع المحلي أو العالمي ، أي أنهم سعوا لرسم لوحة عالمية للتطور الإنساني توضح العلاقات المتبادلة والمتنوعة للتعاون بين البشر في مختلف مراحل الماضي ، ولا سيما النواحي الفكرية والمادية والاجتماعية ، فظهر « التاريخ الاقتصادي » و « الاجتماعي » و « النفسي » ، و « الفكري » ، و « التاريخ الحضاري » إلى جانب السياسي منه ، وبذلك غدا التاريخ البوم

معرفة واسعة جداً ، تريد أن تستوعب ماضي الانسان كله ، بكل غناه وتعقيده .

٥ ـ **نمو الشمولية العامة والمستعمقة للتاريخ** : إن التقنية التوثيقية ليست هي كل شيء في كتابة التاريخ ، بل إنها الوسيلة للوصول إلى الغاية. فللوصول الى مستوى التاريخ الحقيقي ، لا يكفي ، أن نحصل على وثائق اختيرت بعناية ، وصنفت بحسب زمانها ، ومكانها ، ووضعت في مواضعها الأصلية والصحيحة ، بعد نقدها وتقدير مدى الثقة بها ، وإنما لابد أن يكون الباحث قادرا على استخدامها ، أو بتعبير أدق ، تحريكها ، لاستنباط المعلومات الضرورية منها . وهذا يتطلب من المؤرخ إدراكاً للمشاكل الحقة التي يجب إيجاد حلول لها ، أو المشاكل التي من المهم « فعلا » طرحها . إن هذا يتطلب منه وضع أسئلة . ومعالجة قضايا خصبة . ولتحقيق هذا الغرض لا تكفي المعلومات الواسعة ، والتقنية الدقيقة ، وانما لا بد أن يحمل الباحث في ذاته غنى « داخليا » ، أي ثقافة إنسانية واسعة وعميقة ، قادرة على فهم جوانب الحياة الماضية ، والشعور بها ، ثم احيائها بكل خصوبتها ، وبكل نبضات الحياة فيها . لأن ذلك الماضي الذي يختفي وراء آثار ومخلفات وثائقية صامتة وعديدة ، كان حاضراً لأناس عاشوه . فلفهم ذلك الماضي الإنساني ، يجب معرفة من هو الانسان ، وما هي الحياة ، وامتلاك ناصية مفهوم معين عن بنية كل منهما . أو بتعبير آخر ، امتلاك الباحث التاريخي حدا أدنى من « **نظرة عميقة فلسفية للوجود** » . إذ بذلك، يمكنه أن يحل المشكلات الانسانية العميقة والأصيلة . بل هو في سير عمله ، يتبع نظاماً من الأفكار ، والمفهومات ، ومبادىء المحاكمة ، تحمل طابع تفكير فلسفي . أشاء ذلك أم أبى . ومن السهل إذا تفحص المؤرخ ما كتبه المؤرخون الأوربيون من نهاية القرن الثامن عشر ، أن يرى أن نمو علم التاريخ قد عكس تاريخ الفكر الغربي نفسه. والتيارات الكبيرة التي عاشها : كعقلانية عصر التنوير ، والمثالية الابداعية ، والليبرالية ، والماركسية ، وغيرها . وينعى على معظم المؤرخين في القرون القديمة والوسطى ، بل والحديثة ، بأن تصورهم العام الشامل للانسانية ، كان ناقصا ، إذ كانوا مسرفين في نزعاتهم المحلية ، فكانوا يقصرون بحوثهم على منطقة معينة ، كما كانوا مسرفين في عصبياتهم الدينية والسياسية ، فلا يتخطون دوائرهم الدينية ، والسياسية ، إلا

نادرا ، مهملين ما كان يجري في الميادين الاقتصاديـة ، والاجتماعية ، والعلمية ، والفنية • ويضاف إلى هذا اهتمامهم بالافراد في التاريخ كالملوك والملكات ، والقادة العسكريين ، وعلماء الرجـال ، متغاضين عن أحوال الجماهير التي هـي القاعدة الأساسية في المجتمع • وبصورة عامة ، كانوا لا يستعمقون في البحث عن الاسباب بل يأخذون الأمور بسطحيتها • إلا أن هـذه النقائص بدأت تذوب أمام اتساع النظرة وعمقها لدى واضعي فلسفة التاريخ ،ولدى المؤرخين الذين يملكون هذا الحس الفلسفي الشامل والعميق •

وظهر هذا واضحا في عمل المؤرخ الانكليزي « ادوار غيبون » E. Gibbon (١٧٣٧ ــ ١٧٩٤) ، الذي أصدر كتابه المشهور « تاريخ انحطاط الامبراطورية الرومانية وسقوطها » في خمسة أجزاء بين (١٧٧٦ ــ ١٧٨٨) • فهذا الكتاب يمثل التركيب الفعال بين النتاج الوثائقي الكلاسيكي المشار إليه ، وبين معنى المشكلات الانسانية الكبرى وقد نظر إليها من الاعلى ، وبأفق واسع ، وعمق إنساني • وقد يكون تأثر بما كتبه « فولتير » ، و « مونتسيكو » ، و « ديدرو »[1] ، في هذا الباب • لقد استخدم « غيبون » كل معارفه لدراسة قضية ذات معنى ، وهي كيف أمكن أن تختفي حضارة الرومان تحت طرقات « البربرية والدين المسيحي » ، تلك الحضارة ، التي كانت الفلسفة العقلية في القرن الثامن عشر تشعر بأنها مرتبطة بها ، وفيها ماهو مشترك معها •

فلا بـد إذا **للفكر التاريخي من ان يتحلى بفكر فلسفي** ، وأن يكون الفكـر الفلسفي صفة ملازمة للفكر التاريخي • فكلما ارتفع المؤرخ الى مستوى التاريخ الحق ، فإنه سيتوقف عن أن يكون « اخباريا » بحتا ، أي مجرد سارد للحقائق عارية • إن العمل التاريخي لا يبلغ أهدافه إلا إذا استخدم في تركيب أكثر شمولا • ومن ثم فالتاريخ لم يتقدم في أوربا بسبب تراكـم الأحداث ، والوثائق فحسب ، وإنما بنضج طرائق بحثه ، وارتقائه إلى مفهوم « العام والشامل » •

---

(١) مفكر فرنسي (١٧١٣ ــ ١٧٨٤) له مؤلفات فلسفية عديدة ، وروايات ادبية ، وقد اشتهر بانه من منشئي « الموسوعة الفرنسية » قبل الثورة الفرنسية ، ومن المؤثرين بفكرهم في قيامها .

لمحة عن طرائق التاريخ ومدارسه في القرن العشرين :

لقد كان هناك في مطلع القرن العشرين اتفاق شبه جماعي على طرائق «المدرسة الوضعية» في الدراسة التاريخية وأهدافها ، ولكن كان هناك بالمقابل بعض عناصر الاعتراض عليها . بل رأى بعض المؤرخين - ومن القرن التاسع عشر نفسه ، أن النجاح « المدرسة الوضعية » أو « مدرسة رانكه » على الأحداث والتاريخ السياسي دون غيره ، جعل التاريخ تاريخا « سرديا » و « جانبي » النظرة ، وإن نظرها إلى الفعاليات الاقتصادية والثقافية للانسان على أنها هامشية ، أظهرت التاريخ عالما منغلقا على نفسه ، ورافضا أي تماس مع العلوم الأخرى للانسان ، كالجغرافيا ، والاقتصاد ، والاجتماع وغيرها . ولذا شرع المؤرخون يتجاوزونها شيئا فشيئا : فمع أن « يعقوب بوركهاردت » (١٨١٨ - ١٨٩٧) المؤرخ السويسري الكبير ، وصاحب كتاب « حضارة النهضة في ايطاليا » (الذي صدر في عام ١٨٦٠) ، قد درب في نطاق مدرسة رانكه ، فإنه اتبع خطه الخاص . فقد اعتمد على المصادر الأدبية والفنية ،والروائية اوصف الروح الخاصة للمرحلة التاريخية وتحديد سماتها . وأعلن المؤرخ الفرنسي « تين H. Taine » (١٨٢٨ - ١٨٩٣) في كتابه « أصول فرنسا المعاصرة » (١٨٧٦ - ١٨٩٤) إن دراسته تحليل يستند الى مذاهب علم النفس الحديث ، ولقد كان في كتابه في الواقع « ذاتيا » ، إلا أن هذا لم يمنع أن يكون متألقا في وصف الروح السياسية والفكرية للعالم المعاصر . إن بحوث اولئك المؤرخين « المفكرين » تبين أن معالجة رانكه للتاريخ ليست هي الطريق الوحيدة . وفي الواقع لقد شرعت الشكوك تحوم حول طرائق « المدرسة الوضعية» لأن المؤرخ أخذ يفقد تأثيره في الرأي العام ، إذ أن تحريه الدقائق الصغيرة التفصيلية كان لا يهم سوى الاختصاصيين الآخرين ، ولذا قيل بأن المؤرخين يكتبون فقط لزملائهم من المؤرخين .

وفي الواقع لقد كان لناقدي المدرسة الوضعية وجهات نظر متنوعة حول الاتجاه الذي يجب أن تأخذه الدراسة التاريخية ، وأولها . بأن على المؤرخ ، أن يهتم بالدرجة الاولى بقضايا الماضي ،التي لاتزال حية في الحاضر . وهذا الموقف يتضمن عمليا التركيز على التطورات الفكرية التي كونت النظرة الفكرية للمرحلة

لمعاصرة . وكان الفيلسوف الألماني « ويلهام ديلتي Wilhelm Diltey » (١٨٣٣ - ١٩١١) والفيلسوف الايطالي « بنديتو كروتشه B. Croce » هما المفكرين رئيسيين اللذين دعيا الى وجهة النظر هذه . ولقد أظهرا تطبيقاتها وروابطها ، في راسات ركزت على التاريخ الفكري .

بينما تساءل نقاد آخرون ، وقد تأثروا بالانجازات العلمية المعاصرة ، فيما اذا كان المؤرخون لم يتركوا قبل الأوان ، البحث عن قوانين ، تحدد سير التاريخ تفسره ، وهذا ما ابتعد عنه مؤرخو المدرسة الوضعية ، بل وألحوا بأن البحث عن وانين في التاريخ ليس من طبيعة علم التاريخ .

وقد أكد هذا الفريق أن الحاجة الى نظرة واسعة للتاريخ ، وإلى ربط سببي ين مراحله باتت ضرورية جداً . وهذا لايمكن أن يتم إلا بتحالف وثيق ، وتعاون كبير مع العلوم الانسانية الأخرى ، كالجغرافيا ، والانتروبولوجيا ، وعلم الاجتماع الفلسفة . وقد مثل هذا التيار ، المؤرخ الفرنسي « هنري بير H. Berr » (١٨٦٣ - ١٩٥٤) ، الذي أسس عام ١٩٠٠ مجلة « التركيب التاريخي Revue de Synthèse historique » . وقد أجرى على صفحات تلك المجلة، نقاشاً لايجاد مفتاح لحوار وتواصل بين العلوم الانسانية والطبيعية . وقد كان لمجموعته التاريخية « تطور الانسانية évolution de l'humanité » ، التي سعى فيها كي يبحث كل مظهر من المظاهر الفكرية ، وكل فعالية انسانية ، من قبل مختص في حقلها وبحسب القواعد العلمية ، وبعد وضعها في زمانها ومكانها، اشعاع عالمي.

ويشابه « هنري بير » في مفهومه للتاريخ ، المؤرخ الأمريكي « جيمس هارفي روبنسون J. H. Robinson » الذي أصدر كتابه « تاريخ جديد » عام ١٩١٢ : ردعا فيه إلى استخدام أوسع للعلوم الاجتماعية ، وإلى توجيه البحوث نحو شؤون الحاضر .

وقد لعب « كارل ماركس » والماركسية دورا هاما في التطورات الجديدة لدراسة التاريخية ، إذ أن أفكاره كونت جزءا من المناخ الفكري للعصر ، وأسهمت في إثارة الشكوك حول الاتجاه السائد في العمل التاريخي كما أسهمت في تجديد

البحث عن قوانين التطور التاريخي • وجاء التفات المؤرخين نحو بحث التاريخ الاداري ، والاقتصادي ، نتيجة في الواقع من نتائج الماركسية والتوسع الاقتصادي للدول الكبرى في عصر الاستعمار • وان نظرية أكبر مؤرخ اقتصادي أوربي في مطلع القرن العشرين ، وهو « هنري بيرين » البلجيكي مؤلف « تاريخ بلجيكا » (١٩٠٠) ، القائلة ان أصل المدينة الاوربية هو مستعمرة من التجار والحرفيين نمت في ظل حماية حصن أو قلعة ، لتدل على التغلغل الكبير للحقائق الاقتصادية في التاريخ السياسي •

هذا وقد قام علماء اجتماع من أمثال « ماكس فيبير Max Weber » في توجيه الانتباه الى معنى مفهوم ماركس عن « الرأسمالية » ، وأخذ المؤرخون يبحثون عن السمات المميزة لمختلف مراحل التطور الرأسمالي ، كالمركنتيلية ، والثورة الصناعية، ويدرسون تأثير الرأسمالية في أصل البوروقراطية ، وفي النماذج الحديثة للتنظيمات السياسيـــة •

وسارعت هذه النزعة الجديدة ، نحو اعادة النظر في أنماط الدراسة التاريخية المعتادة بعد الحرب العالمية الأولى • فقد أثارت نتائج هذه الحرب الشكوك في كل القيم والأسس السائدة في الفترة ما قبلها • ومع ذلك فان النقاش العنيف حول مشكلة على من تقع مسؤولية الحرب، أحيت الاتجاه نحو دراسة التاريخ الدبلوماسي وساعد على ذلك ان عددا من الدول الكبرى سمحت للمؤرخين بالعودة إلى « الوثائق السرية » القريبة من الحرب •

ومع ذلك فإن المؤرخين ، الذين عملوا في هذا الميدان الدبلوماسي ، وميدان السياسة الخارجية بالذات ، حاولوا أن يتوغلوا عميقـا ويبحثوا عن الأسبـاب الاقتصادية خلف تصرف الدول الكبرى ، وعن تركيب الهيئات الحاكمة في مختلف البلدان الاوربية • فالتاريخ الدبلوماسي لمرحلة ماقبل الحرب اتجه نحو تحليل القوى التي حولت هذه المرحلة من التاريخ الاوربي الى « عصر استعماري » ، ومثل على ذلك المؤرخ الامريكي « وليم لانغر W. Langer » في كتابه « دبلوماسية الاستعمار » (١٩٣٥) •

إن الأسئلة التي طرحت حول « الحرب العالميـة الأولى » ، وجهت لمراحل أخرى من التاريخ . فقد قامت دراسات هامة عن تركيب الفئات الحاكمة ومصالحها في العصور السابقة . ومن أهم الكتب في هذا المضمار ما قدمه المؤرخ الانكليزي « لويس نامير L. B. Namier » عن « بنية السياسة عند صعود جورج الثالث على العرش » (١٩٣٠) . فقـد ألقى المؤرخ ضوءا على بنيـة الطبقة الحاكمة الانكليزية في القرن الثامن عشر .

ومن هذا يتبين أن العلاقات بين حقلي علم الاقتصاد ، والاقتصاد السياسي من ناحية ، والتاريخ من ناحية أخرى ، كانت أكثر العلاقات ثمراً ، وأقدمها زمنا .

إلا أن هناك اختلافات عميقة في « الدراسات التاريخية الاقتصادية » بين بلد غربي وآخر : ففي ألمانيا الغربيـة مثلا ، بقي المؤرخـون الاقتصاديون مخلصين للأسلوب التقليدي في التحليل الاقتصادي ، أي للعناصر الاقتصادية المعروفة من زراعة ، وصناعة ، وتجارة ، وطرق مواصلات . أمـا في انكلترا ، فقـد وجهوا دراساتهم نحو « تاريخ المشروعات الاقتصاديـة وأصحابها » ، أي أنهـم كانوا حريصين على إعادة بناء وحدات اقتصادية ، رأوا أنها متميزة . وكان لهذين النمطين من الدراسات ، ولا يزال ، أنصارهما في أنحاء العالم .

إلا أن « المدرسة الفرنسية » دخلت باباً جديداً ، منذ أن وجـه الفرنسي « كليمان جوغلار Cl. Juglar »[1] (١٨١٩ ـ ١٩٠٥) في كتابه عن « الأزمات التجارية » الأذهان إلى **التواتر المرحلي للأزمات الاقتصاديـة** ، وسعى أن يقـدم تنبؤات عن المستقبل . وتبعت ذلك محاولات عديدة في هـذا الاتجاه ، أخذت « الاحصاء » ركيزة لها ، وكلها كانت تسعى إلى رؤية مستقبلية . وفي مطلع القرن

---

(١) طبيب واقتصادي فرنسي . كتابه الهام هو « الازمات التجارية وعودتهـا المرحلية ، في فرنسا ، وانكلترة والولايات المتحدة » .

Les Crises Commerciales et leur retour périodique en France, en Angleterre et aux Etats - Unis ».

وقد تم نشره عام ١٨٦٢ . وكان اول من ابرز بشكل نظامي ، مرحلية الأزمات الاقتصاديـة .

G. L. E. Vol. 6. p. 401.

المفكرين طرح الفرنسي « فرانسوا سيميان F. Simiand »[1] (١٨٧٣ـ١٩٣٥) الأدوات الطرائقية للتحليل العلمي للقضايا الاقتصادية والاجتماعية ، وأدت طريقته تلك إلى انتاجه الضخم « الأجرة ، والتطور الاجتماعي للنقد

« Le Salaire, et l'évolution sociale de monnaie »

وفيه توصل الى تقسيم جديد للزمن التاريخي : أي إلى « مراحل طويلة » ، من التوسع ، والانكماش النقدي (A) ، أو من الانكماش والتقلص النقدي (B) تقابلها « مراحل قصيرة » ، إنما باتجاه معاكس .

ولم تلبث أن تبنت « جامعة هارفارد » في الولايات المتحدة الأمريكية بعض هذا الاتجاه في عام ١٩١٧ ، وانشأت « جمعية البحوث الاقتصادية » ، التي كان همها الأول والأكبر ايجاد نظام للتنبؤ الآتي ، يعتمد على معطيات احصائية ، توضع في خطوط بيانية ، وبالفعل اعتمدت على ترتيب توالي ثلاثة منحنيات بيانية : المنحنى (A : A) ، ويمثل « تطور السوق المالية » أي سوق الرصيد المالي لأجل طويل المدى ، والمنحنى (B : B) أو « تطور سوق السلع » ، والمنحنى (C : C) أو « تطور سوق النقد » أو سوق الرصيد المالي لأجل قصير المدى ، إلا أن هذه المدرسة رفضت كل بحث عن أسباب « الأزمات » أو ما أسمته بالظروف Conjonctures أي الأحوال الاقتصادية المحددة بزمن ، ومكان معينين ، وتلابسها أو تقترن بها أحوال اجتماعية وسياسية وفكرية معينة ، مما أدى إلى ردة فعل ، ولا سيما في فرنسا ، تسعى الى تفسير التقلبات الاقتصادية ... الاجتماعية ، دون ان تكتفي بتحليلها . وبذلك تطورت دراسة « النماذج الاقتصادية » التي هي أشبه بمخططات ترسم مع التبسيط ، الطريقة التي يتطور بها اقتصاد ما ، عن طريق بيان العلاقات ، التي تربط مختلف عوامل التطور الداخلي

---

(١) عالم اجتماع فرنسي ، درّس « تاريخ العمل » في كلية فرنسا (١٩٣٢ ـ ١٩٣٥) . وقد سعى في كتابه المشار اليه اعلاه وهو بمثابة أجزاء ، ان يفسر بموضوعيا الوقائع الحقيقية للأجرة .

Ibid. vol. 9. p. 836.

لذلك الاقتصاد برباط السبب بالنتيجة . فهذه المخططات تفسر الماضي ، ومن ثم تسمح برؤية يستشف منها المستقبل .

وفي هذا الاطـار ، سيطر المؤرخ الفرنسي المعاصر « ارنست لابـروس » E. Labrousse (١٨٩٥ ـ) بعملـه وشخصيتـه ، على الـدراسات الاقتصادية ـ التاريخية لثلث قرن . فقد قام بدراسة مثل تلك النمـاذج ، أو « الظروف الـ Conjonctures » ، ويقصد منها الحالات الناجمة من اقتران عدة أحوال ، أو بتعبير أصح ، قام بدراسة « مجموع العناصر التي ترتبط بها الحالة الاقتصاديـة ، والديموغرافية والاجتماعية ، والسياسية لبلد ما ، في وقت مـا ، للخروج بتفسيرات ، وتنبؤات » . ومثل على ذلك « الظـرف » الذي تصادف ظهوره مع حكم الملك « لويس السادس عشر » في فرنسا (١٧٧٤ ـ ١٧٩١) . وكان هدف « ارنست لابروس » أن يمسك بزمام التطور الاجتماعي ، عن طريق دراسة تذبذبات الأسعار ، والدخول (جمع دَخْل) ، كما بين ذلك في كتـابه « أزمة الاقتصاد الفرنسي La crise de l'économie française » . وقد أدخل في بحثه ، ما كان قد توصل إليه « سيميان » ، أي أنه رأى في أزمـة الاقتصاد الفرنسي ، عشية الثورة الفرنسية ، تراجعاً قصيراً في حركة الرخاء القرنيـة التي غطت القرن الثامن عشر كله . إن دراسة « الظرف » أو « الحالات الاقترانية » ، بقيت لثلاثين عاماً هي محور دراسات المؤرخين الاقتصاديين ، وإن أفضل نموذج لتلك الدراسات العمل الذي قدمه « بيير شونو Pierre Chaunu » (مؤرخ واقتصادي فرنسي ، ولد عام ١٩٢٣) بعنوان « اشبيلية والأطلنطي في القرن السادس عشر » Séville et l'Atlantique au XVIe Siècle . وهو وصف طـويل للعلاقات بين اسبانيا وأمريكا الاسبانية ، منذ كشفها وحتى بعد وفاة الملك « فيليب الثاني » فبعد أن قدم الثوابت البنيوية ، الجغرافية ، والمناخية ، والجغرافية ـ السياسية ، فإنه عمل على إيضـاح مجموع التغيرات عبر الاطلنطي ، التـي تمت عن طريق اشبيلية ، مع التعليق عليها ، وذلك شهراً بعد شهر ، وسنة بعد سنة .

وهنا ظهرت مشكلة « المفصلية Articulation » ؛ أي كيفية الانتقال من دراسـة « الظروف » المتغيرة ، إلى البنى شبـه الثابتة . أي من التحليل لمجموع

« الظروف Conjonctures » وما تحويه من حالات اقتصادية ، واجتماعية ، وسياسية ، وغيرها ، إلى تحليل « البنى » Structures . ومهما كانت تلك المشكلة ، فإن هذه الطريقة : « تحليل الظروف الطارئة » ، و « تحليل البنى » ، التي فرضت ذاتها على المؤرخين الاقتصاديين ، تبناها في الواقع ، أغلب مؤرخي القطاعات الأخرى ، وبصفة خاصة مؤرخو المجتمع ، والذهنيات ، والثقافة . وقد سمح هذا المنظور المزدوج للتاريخ ، باستيعاب جميع الأزمنة : فأقصر « ظرف » زمناً ، يتحول إلى منظور متزامن ، ويعرّف عندئذ بمجموع الملامح المعلومة عن تلك الفترة الزمنية المحددة . وبهذه الطريقة أمكن التمييز بين مواسم الفكر ، وبين المناخ الفكري أو الروحي ، في مرحلة زمنية قصيرة تقريبا . فكل مؤرخ يملك دلائل أو إشارات ، مشابهة لدلالة الأسعار في الميدان الاقتصادي . فمؤرخ المجتمعات مثلاً يقيس النسبة المئوية للعاطلين عن العمل ، وللمضربين عنه ، ومدى حدوث الطفرات الغذائية (القمحية) ... الخ . وبالمقابل فإن « الدراسة البنيوية » تهتم بتعرف الثوابت ، أو العلاقات التي تدوم خلال قرون أو عقود من القرون ، والتطورات البطيئة التي يمكن أن تجري في قلب مثل ذلك الاستمرار شبه الثابت . ومثل هذه ، بنى القرابة الدموية ، التي هي نسيج العلاقات الأسرية ، وبنية العالم السابق لتكوّن الفكر العلمي . وفي الواقع ، لايمكن فصل دراسة البنى ، عن تفكك البنى ، وعن الظروف الطارئة . وبهذا الشكل يتضح أن المؤرخين كانوا أسبق إلى تطبيق « التحليل البنيوي » ، و « تحليل الظروف الطارئة » ، قبل أن يفعل « البنيويون » من الفلاسفة Structuralisme ذلك .

وخلاصة القول ، إن « تحليل الظروف » و « البنى » ، ليست هي كل طرائق البحث التاريخي . فمع أنها اكتسحت الميدان ، فإنها تبقى طريقة من طرائق البحث هذا .

التاريخ الكلي Histoire totale : إن الآفاق والطرائق الجديدة التي فتحت أمام البحث التاريخي ، أغنت المؤرخ في هذه العقود من القرن التي نعيشها . فقد اتجه المؤرخون نحو البحث المتبادل بين مختلف العلوم ، لا فضولا وتعاطفا فحسب

مع العلوم الانسانية المجاورة ، وإنما لضرورة هذا الحوار ، في فهم مختلف العلاقات الانسانيـة .

وإن أفضل شاهد على هذا التجديد الشامل ، ما طرحه الاختصاصي الكبير بالتاريخ الدبلوماسي « بيير رنوفن Pierre Renouvin »[1] في عام ١٩٥٣ في مقدمة مجموعته « تاريخ العلاقات العالمية Histoire des relations internationales » : حيث أكد أن هذا التاريخ ذا الطابع العالمي . لابد أن يجدد بدراسة تطورات القوى الاجتماعية ، والاقتصادية ، وحتى الروحية ، التي كان من الممكن أن تترك أثرها في الدبلوماسيين . والحكومات ، والشعوب ، في الحدود على الأقل التي وصفها وفسرها به المؤرخون .

ويبدو أن هذا المبدأ في إعادة بناء أي نوع من أنواع التاريخ . بالطريقـة ذاتها ، ولتفسير الحاضر ، غدا مبدأ عاماً . وقد يكون المؤرخان الفرنسيان « مارك بلوك Marc Bloch »[2] (١٨٨٦ — ١٩٤٤) و« لوسيان فيڤر Lucien Febvre »[3]

---

(١) مؤرخ فرنسي . واستاذ التاريخ الحديث في الصوربون . ولد عام ١٨٩٣ .

(٢) درّس التاريخ في كلية ستراسبورغ . ثم في الصوربون . وعندما احتل الالمان الارض الفرنسية أثناء الحرب العالمية الثانية ، فإنه دخل في حركة المقاومة . وقتل خلالها . له عدة مؤلفات منها « الصفات الأصيلة لتاريـخ الريف الفرنسي » (١٩٣١) ، و « المجتمـع الاقطـاعي » . خلف مذكراتـه عن الحرب تحت عنوان « الانهزام الغريب La défaite étrange » (١٩٤٦)

G. L. E. vol. 4. p. 936

(٣) كان استاذا في جامعة ستراسبورغ (١٩١٩) ، وقد تأثر بالاتجاه الاقتصادي ـ الاجتماعي « لهنري بيرين » . والصفة العلمية والانسانية التي اعطاها « فيدال دولابلاش » للجغرافيا : بإظهار روابطها مع التاريخ . ولذا فانه سعى بدوره لإظهار روابط التاريخ والجغرافيا . واكد المظهر المركب للمعرفة البشرية . وعندما أصـدر كتاب « فيليب الثاني وفرانش كونته » (١٩١١) ، فانه تبين منه ، انه لم يكتب تاريخ الأحداث ، وانما تاريخ الرجال والمجتمعات . مستخدما لفهم سلوكهما : ليس العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، الدينية أو الثقافية فحسب وانما معطيات العلوم الاخرى . له عدة مؤلفات منها « مارتن لوثير » و « دين رابله »

Ibid. vol. 2, p. 180.

(١٧٨٧ ــ ١٩٥٦) ، أسبق من « رنوفن » في إيجاد هذه المدرسة التاريخية ، التي تهدف إلى الاحاطة « بالتاريخ الكلّي » مع تأكيد تمازج مختلف القوى الاقتصادية، والاجتماعية ، والفكرية ، وكأنها بذلك أحيت رأي المؤرخ الفرنسي « ميشله » ، (من القرن التاسع عشر) الذي كان يطمح هو الآخر إلى « بعث كلّي للماضي ».

وقد أسس المؤرخان « **مجلة الحوليات Annales** » عام ١٩٢٩ التي اتخذت شعارا لها : « الاقتصاديات ، والمجتمعات ، والحضارة » . وقد شرعت منذ ذلك التاريخ ، تنشر الدراسات التي تعمل على تحليل الحياة الاقتصادية بالدرجة الأولى، والبنى الاجتماعية ، والفعاليات الثقافية ، في رقعة جغرافية محددة ، وضمن بعد زمني معين .

وقد أكد هذا التيار الجديد أن **المؤرخ يهتم بجميع اشكال النشاط الانساني ، الحاضرة او الماضية ، القادرة على ايضاح المستقبل** . ومن ثم فهو منفتح على مختلف اهتمامات الاختصاصيين في حقول العلوم الانسانية المتنوعة : من دراسة للعقلية البدائية ، وأسباب الانتحار مثلاً ، إلى مستويات الحياة الاقتصادية ، والطبقات الاجتماعية ، الى ملحونة الماء والهواء ، إلى غيرها من الأمور . وهكذا نادت هذه المدرسة **بضرورة تقوية روابط التاريخ ، مع العلوم الانسانية الأخرى** ، وهذا ما كان قد طلبه « هنري بير » قبلها . فتاريخ مجلة « الحوليات » هو أولا ، وقبل كل شيء ، تاريخ اقتصادي واجتماعي ، تخلّى عن استقطاب انتباه الباحث الى الزمن القصير للتاريخ أي « زمن سير الأشخاص والحوادث » ، وركز عمله في البحث عن « الزمن الطويل » للظاهرات الاقتصادية والاجتماعية ، أي عن الأسباب العميقة لتطور المجتمعات والحضارات ، « التي تتجاوزنا حقيقتها ــ كما يؤكد « فرنان بروديل »[1] ــ لأن مدة حياتها أطول من حياتنا » . وبهذا المعنى قال

---

(١) مؤرخ فرنسي (١٩٠٢ ــ) ، استاذ في كلية فرنسا ، ورئيس « مركز البحوث التاريخية » ، ومدير مجلة « الحوليات » اليوم . كتابه الهام هو رسالته لنيل درجة الدكتوراه ، وهي بعنوان « البحر المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فيليب الثاني » (١٩٤٩) . وله ايضا « الحضارة المادية والرأسمالية من القرن الخامس عشر الى الثامن عشر » (١٩٦٧) (انظر التوثيق في هامش الصفحة التالية)

« لوسيان فيڤر »:« بأن التاريخ الحقيقي ليس تاريخ الأحداث التاريخية ، وإنما هو علم الانسان في الزمن ، ذلك المستمر المتواصل ، إلا أنه أيضا مستمر متغير »[1] . وقد أخصب هذا القول « بروديل » ، عندما أضاف : « إن التاريخ التقليدي الذي يهتم بالزمن القصير ، وبالفرد ، وبالحادث ، عودنا منذ مدة طويلة على قصته المسرحية المتسارعة ، واللاهثة ، إن التاريخ الاقتصادي والاجتماعي الجديد يضع نصب عينيه أولاً ، « الاهتزاز الدوري » ، وما يحمله معه من صعود وهبوط مرحلي للأسعار . وهكذا ، فالى جانب القصة التقليدية السابقة ، هناك حديث عن ماض يقدم على شكل شرائح : من عشرات السنين ، أو عشريناتها ، أو الخمسينات منها »[2] .

وبتعبير آخر ، يتلاقى مع « الزمن المنتظم » الذي يمكن تمثيله بخط مستقيم، مفهوم زمن يشبه طريقا صاعداً أو هابطا ، منبسطا وسهل المرتقى، أو معقداً ومزروعا بالعوائق .

إن الاقتصاديين لاحظوا في الواقع ـ كما أشير سابقا ـ وجود مراحل من الرخاء تتناوب مع مراحل من الشدة والانكماش الاقتصادي ، وهذا التناوب الدوري يؤثر في الحياة الاجتماعية والتطور السياسي ، والرخاء المادي ذاته .فليس المهم إذاً أن يعرف فقط أن هذا الحادث هو سابق لذاك الحادث أو تالٍ له ، وإنما لابد من البيان فيما إذا كان يقع في مرحلة الرخاء (A) ، أو في مرحلة التراجع (B) .

وبذلك فاض التاريخ ما وراء حقله الأول ، مستعينا بالجغرافيا ، وعلم الطبيعة ، والديموغرافيا ، وجاذبا الى دائرة فلكه فروعا جديدة للمعرفة . فكان كتاب « بروديل » « البحر المتوسط والعالم المتوسطي أيام فيليب الثاني » ، في

---

(١) ، (٢) G. L. E. vol. 2. p. 342 et supplément I. p. 149, supp. II. art. Braudel
Guy Beaujouan, Le Temps Historique, dans « L'histoire et ses Méthodes. » p. 52.

التاريخ الجغرافي، وكان ربط «عمانوئيل لورو لادوري E. Le Roy Ladurie »[1] الطبيعة بالتاريخ ، عندما أقدم على دراسة عامة للمناخ وتطوره وأثره في التاريخ . ولا سيما أن الدراسات في الولايات المتحدة ، في هذا الميدان ، قد وصلت الى نتائج هامة ، ومنها : وجود تغيرات مطرية دورية ، كل عشر سنوات تقريبا ، وكذلك تبدلات في الظاهرات الميتئورلوجية (الحرارة والامطار بصفة خاصة) كل قرن[2] مما يمكن أن يترك أثرا هاما في سلوك الانسان في المجتمع . فبين عامي ١٦٤٦ — ١٦٥١ عاشت فرنسا — كما أشار « لادوري » — ست سنوات ممطرة باستمرار، وهذا كان السبب العميق في التبلبل الاقتصادي والاجتماعي ، الذي عبرت عنه « ثورات الفروند » فيها .

بل إن هذه الدراسات أخذت مدى أوسع ، عندما ربط أحد الباحثين (الدكتور شوف Dr. Schove)[3] بين النشاط الشمسي والثورات، فثورات واضطرابات ١٧٨٩ ، و ١٨٣٠ ، و ١٨٤٨ ، و ١٨٧٠ ، ١٩٠٦ ، ١٩٥٨ ، في أوربا ، اندلعت خلال مرحلة النشاط الشمسي الأقصى[4] ولاحظ أحد الباحثين السوفييت « تشيجفسكي Tchijevsky »[5] أن هناك صلة بين النشاط الشمسي الأقصى ، وظهور أنواع من الاوبئة ، أي أن تلك الفعالية الشمسية قد يكون لها أثرها على العضوية الانسانية نفسها[6] .

---

(١) من مواليد ١٩٢٩ ، كان استاذا مساعدا في جامعة مونبليه ثم غدا استاذا في « كلية فرنسا » . قدّم دراسة اقتصادية اجتماعية هامة عن « تاريخ اللانغدوق »، حلل فيها الملكية العقارية ، ومردودها الاقتصادي . وكتابه الهام الاخر هو « تاريخ المناخ منذ العام الالف » L'histoire du climat depuis l'an mil.
G. L. E. Supplément II. (sans page) art. (Le Roy Ladurie).

(٢) انظر حول الموضوع تفصيلا اوسع في :
Guy Beaujouan, Le Temps Historique, dans « L'histoire et ses Méthodes », p. 52 - 67.

(٣) (جوستين شوف) عالم في المناخ ، انكليزي ، ولد عام ١٩١٣ .

(٤) ، (٦) Guy Beaujouan. loc. cit., p. 65 - 66.

(٥) عالم بيولوجي سوفييتي ، استاذ في جامعة موسكو . ولد عام ١٨٩٠ .

ومن الواضح ، أن معرفة البعد العددي للانسان ، أو التاريخ الديموغرافي أمر هام . فالدراسة الديموغرافية تسمح بفهم سلوك المجتمعات ، وبوساطة « الديموغرافيا » ، يصب « التاريخ الاقتصادي » في « تاريخ نفسيات الشعوب وعقلياتها » : الذي يغذي علاقات علم الاجتماع ، والاتنولوجيا ، وعلم النفس الاجتماعي .

وهكذا ظهر **تاريخ تركيبي** ، تسهم فيه **جميع المعارف البشرية** ، ويهتم بجميع أشكال النشاط الانساني ، الحاضرة والماضية ، القادرة على أن توضح الحاضر والمستقبل . وانطلاقا من هذا المنظور الشامل ، نادت هذه المدرسة بضرورة التنويع في المصادر : فمخطط حقل ، وشكل أداة ، وصياغة حلية ، وجميع مخلفات الانسان الأخرى . لها قيمة وثائقية ، لاتقل أبدا عن قيمة نص كتابي ، ويمكنها أن تعرّف المؤرخ بنمط حياة الشعب الذي خلّفها ، ودرجة ثقافته ، أفضل مما يفعله النص .

نعلى « **المؤرخ الكلي** » إذا أن يندفع في تحليله ، في جميع الاتجاهات ، وبإقدام وجرأة ، وأن يعمل على صياغة الفرضيات بحسن نظر وتبصر ، وان يسعى الى الوثائق المتنوعة ليتحقق منها ، ثم عليه بعد ذلك أن يجمع كل تلك المعطيات في تركيب عام . وهذا كلّه يتطلب فكراً محيطاً ، وجوّاباً في مختلف آفاق المعرفة الانسانية ، وقادرا بالتالي على تقريب العناصر المختلفة ، مهما بدت في ظاهرها بعيدة .

إن مثل هذا العمل ، لايمكن أن يقوم به عادة مؤرخ بمفرده ، ومن هنا كان لاغنى عن « **العمل الجماعي المشترك** » . ويتم هذا « العمل الجماعي » تحت إشراف وتوجيه مؤرخ متمرس وخبير . ويكلف كل باحث من المجموعة العاملة ببحث قضية معينة من القضية الكليّة ، ويضع لها تركيبا جزئيا . والمجموعة وحدها هي القادرة على **ايجاد التركيب العام** ، ، إذا كان هذا ممكنا .

ومثل التحفظ الأخير أمر ضروري ، إذ قد تحول بعض التعقيدات في البحث دون الوصول الى النتائج المرجوة . وفي هذه الحالة ، يداوى الخلل ، بدفع البحث

قدما ، بحيث يستوعب جميع القضايا الجديدة المتولدة ، خلال تلك البحوث الجزئية ، التي وقف غموضها حائلا دون الوصول الى إمكان التركيب العام .

إن طموحات « التاريخ الكلي » واسعة جدا ، فهو يرنو إلى أن يجعل التاريخ هو البوتقة التي تذوب فيها كل معطيات الماضي الانساني . وبذلك يلاحظ اتجاه آكبر نحو « الغلو في تخصص المؤرخ » و « غلو في تجزئة البحث » .

وهنا لابد من تأكيد أمر « طرائقي » الح المؤرخون المجددون عليه ، ويلخص بالعبارة الآتية : « **فن طرح المشكلة ودقة صياغة الفرضية** » . إذ أن قيمة البحث التاريخي تحدد بمقدار ما يبذله الباحث من جهد في انتقاء « مسألة معينة » وتحليلها، وبمقدار ما ينطلق عند بحثها من منظور دقيق التحديد . وبتعبير آخر على المؤرخ أن يعرف كيف يختار مسألته أولا ، ثم عليه أن يسير في بحثه ، بخطوات مماثلة لتلك التي يخطوها الباحث في العلوم الطبيعية أي « بطريقة الفرضية » . وهذا يعني ، أن عليه أن يضع بعد التحليل الأولي للقضية ، وتبصر ، وحذر ، وخيال خلاّق « **فرضية معينة** » ، ينطلق منها،نحو البحث عن **ادلة** عبر الوثائق المتنوعة . ثم يركب من تلك الأدلة التي توصل إليها ، الجواب على الفرضية التي طرحها ، آكان ذلك الجواب بالنفي أم بالاثبات .

« فالفرضية » بحسب المجددين ، هي إذاً المحرك الأساسي للباحث ؛ وهي التي تجعل « الوثيقة » تنطق وتتكلم ، ويكون البحث أكثر خصوبة ، كلما كانت « الفرضية » محكمة الوضع ، وصاحبها ثاقب البصر . وقد لا يكون في هذا المتطلب الطرائقي ، ما هو جديد ، في أعين الباحثين من العلماء ، وأعين بعض المؤرخين أنفسهم ، الذين اعتادوا منذ زمن طويل ، أن يروا أن العلم يُبدع ، ويتجدد بهذه الطريقة ، إلا أنه أثار مقاومة كبيرة لدى كثيرين من المؤرخين الذين لايزالون ملتزمين « بقواعد المدرسة الوضعية » وطريقتها النقدية ، والحاحها على ضرورة قراءة الوثيقة ، واستنباط الحقائق منها دون فكرة مسبقة . وفي الحقيقة ، على الرغم من المعارضة لهذه الطريقة ، فقد فرض تاريخ « المشكلة » نفسه بين (١٩٢٩ ـ ١٩٥٦) ، وانتشر خارج فرنسا ، ونما بالتناقضات الأيديولوجية بعد الحرب العالمية الثانية . وهو لاينفك عن التثبت خلال السنوات العشرين الأخيرة .

التاريخ المقارن : L'histoire Comparée : جاءت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ــ ١٩٤٥) لتدعم نزعة المؤرخين نحو طرح أسئلة جديدة ، ومعالجة قضايا جديدة . فقبل الحرب كانت الدراسة التاريخية متمركزة بصفة عامة على العالم الغربي ، فتاريخه هو « تاريخ العالم » . إلا أن الصراع الذي شمل العالم كله ، خلال الحرب العالمية الثانية أعطى للتاريخ العالمي الحقيقي قيمة أكبر ، وغيّر طبيعته ، وبدّل نوعية مشاكله . وتبين أن انشاء « بنى فكرية » لسلسلة الحضارات العالمية المتعاقبة ، كتلك التي طرحها « شبنغلر »[1] و « توينبي »[2] ، أثار اهتماما كبيرا لدى الرأي العام ، والمثقف ، وإن كان قد لاقى تجاوبا محدودا من المؤرخين المحترفين . ومع ذلك ، فان هؤلاء المؤرخين ، رأوا في تلك الدراسات ، إمكانات كبيرة لتطبيق « الطرائق المقارنة » التي استخدمها فيلسوفا التاريخ السابقان ، والتي باستطاعتها ، إذا ما استخدمت بحذر ، أن تكشف اتجاهات مشتركة في تطور الحضارات . وهكذا غدا « التاريخ المقارن » تدريجيا حقلا ناميا .

التاريخ الكمي L'histoire Quantitative :

إن التاريخ الاقتصادي ، والاجتماعي ، والتاريخ الكلّي ، استخدمت جميعها الصيغة الاحصائية على نطاق واسع . وإذا كانت الاختراعات التقنية المعاصرة ، كالتصوير ، والميكروفيلم ، والتسجيل الصوتي ، قد ساعدت علم التاريخ ودفعته

---

(١) اوزوالد شبنغلر Spengler : فيلسوف المانى (١٨٨٠ ــ ١٩٣٦) تأثر بفلسفة « نيتشه » و « ديلتي » . له نظرة تشاؤمية للتاريخ ، ولا يؤمن بحقيقة التقدم المستمر للانسانية ، وإنما بدورات حضارية تتبعها مراحل انحلال . كتابه المشهور هو « انحلال الغرب » (١٩١٨ ــ ١٩٢٢) .

(٢) ارنولد توينبي A. Toynbee : مؤرخ انكليزي (١٨٨٩ ــ ١٩٧٧) . كان أستاذا للتاريخ البيزنطي في جامعة لندن ، ثم عين مديرا للدراسات في المعهد الملكي للشؤون العالمية (١٩٢٥ ــ ١٩٥٥) . وقد اتجه بعد عدة دراسات تاريخية قام بها الى « فلسفة التاريخ » واهتم بتطور الحضارات . ونظريته الفلسفية تعتمد على « التحدي والاستجابة » . وله مؤلف هام شرح فيه نظريته تلك وهو « دراسة التاريخ Study of History » مؤلف من ١٢ مجلدا .

قدما ، ووطدت دعائم التعاون بين مؤرخي مختلف البلدان في تبادل المصادر ، فإن « الرتابة Computer » هي الأخرى من الاختراعات التي يمكن للتاريخ بمدارسه المعاصرة أن يستفيد منها ، ولا سيما بعد أن ظهر في الميدان « التاريخ الكمي » كما أسماه « جان مرزيفسكي Jean Marczewaki » ، الأستاذ في كلية الحقوق في باريس ، في كتابه المعنون « مقدمة التاريخ الكمي » « Introduction à l'histoire Quantitative » .

ذلك التاريخ الذي يعتمد **الصيغة الاحصائية اساسا اولا في دراساته** . وهذا التاريخ في الواقع ، هو بدعة الموسم ، ويرى عدد من الباحثين بل ويطالبون ، بأن يكون هو صيغة التاريخ في المستقبل . وقد انشأت « كلية كان Caen » في فرنسا ، مركزا لأبحاث « التاريخ الكمي » ، نشر بعض دراسات في هذا الباب . وقد كرّس « مركز البحوث التاريخية للفرع السادس للمدرسة العلمية للدراسات العليا » نفسه ، للبحوث التي من هذا النوع ، لا في الميدان الاقتصادي والاجتماعي فحسب ، وإنما في ميدان « الأنتروبولوجيا التاريخية » أيضا . وتملك « الولايات المتحدة » في الوقت الحاضر مدرسة هامة من المؤرخين الاقتصاديين ، الذين يعملون في الاتجاه نفسه ، وبصفة خاصة على دراسة نماذج من التطور الاقتصادي الأمريكي في القرن التاسع عشر .

إن جميع المشروعات ، والبرامج السابقة ، تتطلب استخدام أفضل الوسائل التقنية للحصول على المعلومات الكمية بصفة خاصة . وفي هذا المجال ، وفي غيره ، يمكن « للرتابة » أن تقدم خدماتها . إن الحوار بين المؤرخ وهذه الآلة لايزال في بداياته . ولكن يبدو أن لها فوائدها الكبيرة ، سواء أكان ذلك في سهولة استخدامها ، إذا ما ألفمت برامج ملائمة (إذ يكفي الضغط على بعض الأزرار للحصول في جزء من الثانية على جواب كان يتطلب عمل يوم كامل) ، أم كان ذلك في الحصول على كتلة وثائقية ضخمة ، يتجاوز الكشف عنها واستثمارها ، يدويا أو آليا ، قدرات أي باحث يعمل وحده ، أو بمعاونة عدد من المساعدين . ومن ثم ، فمع استخدام « الرتابة » ، عاد إلى الظهور في صفوف المؤرخين المطلب القديم الهام ، وهو ضرورة مراجعة «جميع» الوثائق الخاصة ببحث ما، وعدم الاكتفاء بـ

« عينات » فقط ، كما درج على ذلك الباحثون في حقل علم الاجتماع والدراسات الاجتماعية بصفة خاصة . وبذلك غدا بإمكان التاريخ الاقتصادي والاجتماعي ، الغني جدا بالمادة الخام الاحصائية ، أن يبلغ في صحتـه ودقته ، مستوى أكثر التواريخ التقليدية صحة .

ليس بين الأيدي حتى الآن « كتاب » يبين قواعد استخدام الرتابة بالنسبة للمؤرخين . ويبدو أن هناك مشكلتين هامتين تجذبان انتبـاه المستخدمين الأول لها . وأولها مشكلة برمجـة المعطيات التي يجب أن تغذى بها ذاكرات الآلـة و « مكتبتها » (أي البرامج الصغيرة المتفرعة من العمليات الأولية) ، وهي عملية صعبة دائماً ، وتتطلب ربطاًمنطقياً شديداً جداً ، لأن كل العمل الآتي يعتمد على نقطة الانطلاق هذه . وهذا يحتاج لعمل طويل وشاق . وثاني المشكلات هي أن استخدام « حساب المؤثرات » (مجموعة الحسابات التي تهدف الى اثبات نظرية، والبحث عن حل) يطرح المشكلة العامة للتعبة التركيبية : فمن المعروف أن أفضل مردود للآلات يكون عندما تشمل المعطيات المبرمجة ، عدداً صغيراً من المتحولات ، التي تنسج عليها مركبات معقدة ، تكوّن أسئلة عديدة تطرح على الآلة . ولكن يحدث أحيانا أن مصنفاً تاريخياً قـد يحتوي عدداً كبيراً من المتحولات القـابلة للاحصاء الكمي ، وفي الوقت نفسه عدداً محدوداً من العلاقات التي يراد إظهارها : إن مما لا شك فيه أن بإمكان المبرمج والمؤرخ أن يعملا معاً ، وأن ينقصا عدد هذه المتحولات ، بصورة يصبح فيهـا استخدام الآلة « أكبر مردوداً » ؛ ولكن من الصعب عليهما مضاعفة العلاقات التي تسمح بجعل اللعبة أكثر فائدة وأهمية .

وخلاصة القول ، إن « الرتابة » يمكنها أن تؤدي إلى طرائق جديدة التاريخ: فإذا ما وسعت دائرة التحليل ، المطبقة على عينات منتقاة ، وحالات معينة ، لتشمل جميع أعضاء المجتمع ، ولتحيط باتجاهات طويلة الأمد ، فإن التحليل الكمي يمكن أن يكشف تواترات منتظمة في التطور التاريخي ، لا تستطيع الطرائق التاريخية الحالية أن تكشفها . ولكن إذا كانت معطيات « التحليل الكمي » خصبة بالنسبة « للتاريخ المعاصر » ، حيث تتوافر الاحصاءات ، فإنه لا يبدو أن تلك المعطيات عن المراحل التاريخية السابقة كافية . ومع ذلك ، فانه يلاحظ أن مثل تلك البحوث

في « التاريخ الكمي » تتطلب تغيرات أساسية في الطرائق التاريخية ، ومن ثم في تكوين المؤرخ نفسه : فبدلا من محاولاته للتفسير والفهم فقط ، عليه أن يضع الجداول ، ويحسب ، ويستوعب الاحصاء ، وتقنيات التحليل الاقتصادي المعاصر . وحتى الوقت الحاضر ، لم يتضح بعد ، إلى أي مدى يمكن أن تحقق « الدراسة الكمية » النتائج المأمولة ، كما لم تتبين التغيرات التي تتطلبها في بنية المؤرخ .

إن تلك التطورات في علم التاريخ ومنهجيته ، لم تمر دون معارضة ومقاومة من قبل المؤرخين الوضعيين ، أو دون مناقشات حادة بين أنصار مختلف الاتجاهات المشار اليها ، بل إن باب ذلك النقاش المنهجي لايزال مفتوحا : فما فتىء هنـالك مؤرخون يدافعون عن الطرائق القديمة التي تم تجاوزها ، كما يشاهد مؤرخون ينافحون بشدة عن أكثر الصيغ طموحا . وفي هـذه الاجواء التاريخيـة ، يلاحظ أمران ملفتان للنظر :

اولهما : السهولة التي تتعايش بها ، في الوسـط الفكري والمهني نفسه ، مختلف تلك التيارات المتناقضة ، بل والمتعادية . **وثانيهما** : سمة المركة المفتوحة مع العلوم الانسانية الأخرى ، كعلم الاجتماع ، والانتروبولوجيا بصفة خاصة . تلك العلوم التي أخذت تعارض المقالة التاريخية .

أما حول التعايش السلمي بين المدارس التاريخية فيجب أن يفهم على مستويين: **اولا على المستوى الداخلي لكل دولة** ، حيث يتعايش فيه مؤرخون ، مرتبطون بهذه الصيغة أو تلك ، **وثانيا على المستوى العالمي** .

ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلا ، تضم الجماعة التاريخية في مؤتمراتها السنوية ، مؤرخين من جميع الاتجاهات : أكانوا اختصاصيين في تاريخ الأفكار ، ومرتبطين بأسس التاريخ الفلسفي على نسق « بنديتو كروتشه » ، أم كانوا من العاملين في حقل مدرسة « التاريخ الكمي » . وكذلك الأمر في ايطاليـا ، حيث يتزامل مؤرخون ماركسيون ، مع مؤرخين فكريين ، مع مؤرخين اقتصاديين ، لا هم لهم سوى انتاج الصوف ، والحرير ، والزعفران !

وفي ألمانيا الغربية ، مابرحت المدرسة الوضعية مسيطرة على الجامعة ، وإن كان قد أحدثت كراسي جديدة للتاريخ الاقتصادي بعد الحرب العالمية الثانية . ومما لاشك فيه ، أن تنافسات وصدامات فكرية قد تعددت ، وحدثت فعلاً ، هنا وهناك ، كالصدام الفكري الحاد ، الذي جرى بين المؤرخ الفرنسي « موسنيه»(١) وبين المؤرخ السوفييتي « بوريس . ف . بورشنيف Boris F. Porchnev وزملائه من المؤرخين الفرنسيين الماركسيين . فقد دافع « موسنيه » بشدة عن معتقده ، بأن مجتمع « النظام القديم » في فرنسا (أي قبل الثورة الفرنسية) هو « مجتمع فئات Ordres » ، وليس « مجتمع طبقات Classes » كما يؤمن الماركسيون .

ومثل هذا الجدل الفكري الحاد ما تم أيضا بين مؤرخي الاقتصاد والاجتماع، والمؤرخين بعامة في فرنسا ، الذين يريدون أن يبقى التاريخ بحدوده التقليدية . فقد تصدى الأخيرون للأول ، قائلين : أن النهج الجديد لا يدخل جميع الحقائق التاريخية في حسابه ، وأن التاريخ الحق يتجلى في الوصف الدقيق والجلي للاحداث وللظروف التي تربطها ببعضها ، وليس في تلك الصيغ الاحصائية فقط . فهم مع اعترافهم بأهمية الاقتصاد ، والبنى الاجتماعية في فهم التاريخ ، فإنهم رفضوا أن تطغى تلك الأمور عليه ، وتحشر فيه بمناسبة أو بأخرى ، وطالبوا بضرورة العودة الى وصف الأحداث ، واعطاء الرجال العظام ما يعود إليهم .

و ، كل ذلك النقاش فإن الاتجاه العام هو تعايش سلمي بين مختلف تلك المدارس . ويشاهد هذا بوضوح أكبر على الصعيد العالمي ، والمؤتمرات العالمية دليل عليه . ففي تلك الاجتماعات الواسعة ، يؤكد آلاف من المؤرخين بثقة وثبات في تقاريرهم ، وفي مناقشاتهم ، مواقفهم ومناهجهم ، وقيمة أعمالهم ، بل ويناقشون

---

(١) رولان موسنيه R. Mousnier . مؤرخ فرنسي ولد عام (١٩٠٧) كان استاذا للتاريخ الحديث في كلية الآداب في ستراسبورغ (١٩٤٧ - ١٩٥٥) ، ثم في باريس عام ١٩٥٥ ، وغدا مديرا لمركز أبحاث حضارة أوربا الحديثة في السوربون منذ ١٩٥٨ . نشر عدة مؤلفات

G. L. E. Supplément II. Art. (Mousnier).

الطرائق المتبعة . إلا أنه يمكن القول : أن هناك شبه اعتراف ، من كل فئة بطرائق الفئة الاخرى .

ولكن هذا الموقف السلمي بين المدارس التاريخية المختلفة ، يقابله هجوم خفي وعلني من بعض العلوم الانسانية ، التي أخذ التاريخ يدخل ميدانها : بل إن بعضها أخذ يسعى لاستيعاب علم التاريخ ذاته ، وإنكار أية غاية خاصة له . وادعى « علم الاجتماع » ، و « علم النفس الاجتماعي » أنهما قادران وحدهما على الاحاطة بكل تطور اجتماعي مستقبلي ، وأن مفهوم الزمن الذي يرى فيه التاريخ العنصر الأهم في دراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، لأنه هو خالق التغيرات والثوابت ، ويسيطر على مصير الجماعات ، والمجتمعات ، ليس سوى متحول كغيره من المتحولات التي يعتمد عليها علم الاجتماع في دراسته : فهو كمستوى الحياة المحدد بالأجور والدخول مثلاً ، وكفعاليات الأسرة وغيرها .

أما علم الاتنولوجيا المعاصر ممثلاً بشخصيته الكبيرة « كلود ليفي ستراوس Cl. Lévi - Strauss »[1] فقد أكد أن للتاريخ مجاله ، إلا ان هذا المجال هو دراسته « للحادث الذي لا يتكرر في تطور الانسانية » . وبذلك أرجع التاريخ الى تعريف المدرسة الوضعية له في القرن التاسع عشر . بل إن بعض « الفلسفة » المعاصرة ، ممثلة « بميشيل فوكو M. Foucault »[2] أخذت تغمز التاريخ ، وتنظر إليه بأنه علم لا فائدة منه ، إذا لم يستطع أن يعيد بنى العالم الفكري

---

(١) اتنولوجي فرنسي ، له دراسات عديدة ومنها « الطوطمية اليوم » (١٩٦٢) و « من العسل الى الرماد Du miel aux cendres » (١٩٦٦) ، اوجد طريقة جديدة لعلم الاتنولوجيا ، وطرح افكاراً هامة في بابها . وقد منح الميدالية الذهبية من « المركز الوطني للبحوث العلمية C.N.R.S » G. L. E. Supplément I. p. 547.

(٢) فيلسوف وجامعي فرنسي (١٩٢٦ —) له عدة مؤلفات ابرزها « الكلمات والأشياء » و « علم آثار العلوم الانسانية » (١٩٦٦) . وقد درس فيها تطور المعرفة الانسانية بطريقة غير تلك المتبعة في التاريخ التقليدي للافكار ، فهو قد انطلق من تحليل « بنيوي » ، ليميز ترابطا وتلاحما هما المنظم والمحتوى للثقافة Ibd. p. 383.

للمجتمعات السابقة ، كما طالب بذلك « لوسيان فيفر » نفسه ، وهو يرى بأنه لم ينجح حتى الوقت الحاضر في هذا الميدان .

وأمام تلك التحديات لعلم التاريخ ، ظهرت مشكلة هامة أمام علم التاريخ والمؤرخين الآن ، لا بد من مناقشتها جديا ، والوصول فيها إلى حل ، وهي « **بيان حدود علم التاريخ** » ، حتى يبقى للتاريخ هويته الخاصة التي لاتطغى على غيرها ، ولا يُطغى عليها .

أما حول التاريخ العربي في العصور الحديثة وتطوره فانه يمكن التمييز بين مرحلتين :

المرحلة الاولى : وتمتد بين دخول العثمانيين بلاد الشام ومصر ، أي من القرن العاشر للهجرة / السادس عشر الميلادي ، الى منتصف القرن الثالث عشر / التاسع عشر .

والمرحلة الثانية : من منتصف القرن الثالث عشر / التاسع عشر حتى الوقت الحاضر .

وخلال المرحلة الاولى : تابع التأريخ العربي خط سيره السابق الذي كان عليه في كل مرحلة العصور الاسلامية السابقة . فالعصر العثماني الأول لم يأت بجديد ، ومن ثم بقي الانتاج الفكري بمجموعه ، والتاريخ بخاصة منه ، محافظاً على تقاليده وأعرافه السالفة ، ويعتمد العاملون في ميدانه على التقليد أكثر مما يعتمدون على الابداع والتجديد ، ما عدا بعض نفحات هنا وهناك .

وقد نشطت في هذه المرحلة بالذات « **مدرسة التراجم** » . والمكتبة العربية في المشرق والمغرب ، غنية جدا بمؤلفات هذه المدرسة ، التي لا يزال كثير منها مخطوطاً . ولقد اهتم مؤرخو هذه المدرسة بترجمة المعاصرين لهم بصفة خاصة ، أو السابقين لهم بجيل . وركزوا أبصارهم على فئات معينة من المجتمع ، كالسلاطين ، والولاة ، والقضاة ، والعلماء ، والامراء . ويلاحظ أن « مدرسة التراجم » في

بلاد الشام بخاصة ، لم تقصر عملها على الترجمة لأعيان أقليمها فحسب ، بل أحاطت بالشخصيات الفعالة في مناحي العالم الاسلامي كله بمشرقه ومغربه ، وأحسن مثل على ذلك المؤرخ « المحبي » في « خلاصة الأثر » .

ويرى ضمن خطوط المدرسة التاريخية التقليدية بعض كتب « الحوليات » ، و « تاريخ الدول » و « اليوميات » ، و « تواريخ المدن » ، و « تواريخ خاصة » بتسلسل الولاة والقضاة مع بعض سيرهم ، وما تم في عهد كل منهم من أعمال ، وأحداث ، ووفيات ، وفتن ، ومجاعات ، وأوبئة ، وأزمات متنوعة . هذا بالاضافة الى كتب « رحلات » فكثير من العلماء ، أو المؤرخين ، أو الأدباء ، الذين رحلوا من مواطنهم الى بقاع أخرى كانوا يدونون ملاحظاتهم ، ومشاهداتهم ، خلال رحلاتهم تلك . ومن ثم حوت تلك الرحلات معلومات شتى سياسية واجتماعية واقتصادية وفكرية عن عصرهم .

وقد اعتمد أكثر مؤرخي هذه المرحلة في تآليفهم ، إما على مصادر قريبة زمناً منهم أو على أنفسهم بصفتهم شواهد عيان . وقد تفاوتوا في مدى قدرتهم على نقد الأمور وتحليلها وعلى تركيب الحوادث وتعليلها ، كما تباينوا في أساليبهم اللغوية ومستواها . ويمكن القول بوجه عام ، إن الاسلوب اللغوي المستخدم من قبل كثرة منهم ، أسلوب لا يصل الى مستوى البلاغة الرفيعة ، كما يغلب على بعضه الصياغة اللفظية ، وقد تتخلله كلمات تركية وفارسية وعامية ، كما يلاحظ استخدامهم الشعر على نطاق واسع في تصانيفهم ومؤلفاتهم ، على عادة كثير من المؤرخين العرب السابقين .

ولا بد من الاشارة في هذا المجال ، إلى إن استخدام الشعر في طرح موضوعات تاريخية ، وبصفة خاصة في التأريخ لفئة من السلاطين أو الدول ، كان قائماً ، وهو ما أطلق عليه اسم « الارجوزات الشعرية » .

وقد يكون من الصعب حصر مؤرخي هذه المرحلة لكثرتهم ، إلا أن من أشهرهم في بلاد الشام « ابن طولون » (المتوفى ٩٥٣/١٥٤٦ م) الذي ألف في مختلف ميادين المعرفة ، وله في التاريخ ستون مؤلفاً ، ولكتبه فائدة كبرى في

القاء أضواء على تاريخ النصف الاول من القرن العاشر الهجري في دمشق خاصة ، وأبرز مؤلفاته « مفاكهة الخلان في حوادث الزمان » ، و « إعلام الورى بمن ولي نائباً من الاتراك بدمشق الكبرى » .

و « **البوريني** » (المتوفى عام ١٠٢٤ هـ/١٦١٥) وهو أديب وفقيه ، وقد خلف كتاباً هاماً في تراجم عصره هو « تراجم الأعيان في أنباء الزمان » . ومن مؤرخي التراجم الشاميين كذلك « **النجم الغزي** » (المتوفى عام ١٠٦١ هـ/ ١٦٥١ م) ، ومؤلفه الهام هو « الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة » ، وذيله « لطف السمر وقطف الثمر في تراجم أعيان الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر » . و « **ابن العماد الحنبلي** » (المتوفى عام ١٠٨٩ هـ/١٦٧٩ م) ، وكتابه « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » ، و « **المحبي** » (المتوفى عام ١١١١هـ/ ١٦٩٩ م) صاحب كتاب « خلاصة الاثر في تراجم أعيان القرن الحادي عشر » ، و « **المرادي** » (المتوفى عام ١٢٠٦ هـ/١٧٩١ م) مؤلف كتاب « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر » ، و « الدويهي » (المتوفى عام ١١١٦ هـ / ١٧٠٤ م) وله كتاب « تاريخ الازمنة » .

وفي مصر ظهر من المؤرخين « **ابن اياس** » (المتوفى عام ٩٣٠ هـ/ ١٥٢٤ م) وكتابه المشهور هو « بدائع الزهور في وقائع الدهور » ، و « **الاسحاقي** » (المتوفى ١٠٦٠ هـ /١٦٥٠ م) في مؤلفه « لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول » . وأكثر مؤرخي مصر انتاجاً هو « **محمد بن ابي السرور البكري الصديقي** » المولود عام ٩٩٨ هـ ، والمجهول تاريخ الوفاة . ومن كتبه الهامة التي تعطي صورة عن أحوال مصر خلال حقبة طويلة من العهد العثماني « الكواكب السائرة في أخبار مصر والقاهرة » و « المنح الرحمانية في تاريخ الدولة العثمانية » وغيرهما .

ومن الاخباريين الذين دونوا الحوادث التاريخية في مصر في هذه المرحلة أيضاً ، « **ابن زنبل الرمال** » (المتوفى ٩٦٠ هـ/١٥٥٣ م) ، ومدونته بعنوان « تاريخ السلطان سليم مع قانصوه الغوري »، و « **احمد الدمرداش كتخداعزبان** »

(المتوفى بعد ١١٦٩ هـ / ١٧٥٥ م) في كتابه « الدرة المصانة في أخبار الكنانة » .

ويتوج المدرسة التقليدية في مصر المؤرخ الكبير « **الجبرتي** » (١٢٤٠ هـ/ ١٨٢٥ م) ، وهو من المؤرخين القلائل الذين كرسوا جهودهم للكتابة التاريخية دون غيرها ، وهو الذي أحيا حركة التأليف التاريخي في مصر بعد تباطئها النسبي خلال القرون الأولى من الحكم العثماني . وكتابه الشهير الذي اتبع فيه طريقة الحوليات هو « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » .

ومن المؤرخين في بلاد **العراق** « **احمد بن عبد الله البغدادي** » المعروف بـ « غـراب » (المتوفى عام ١١٠٢ هـ/١٦٩٠ م) ، وله كتاب « عيون الاخبار بمن مضى في سالف العصر والأزمان » والشهير بتاريخ « الغرابي » ، وفيه يبحث تاريخ العراق حتى مطالع النصف الثاني من القرن السابع عشر . و « **ابو الخير السويدي** » (المتوفى ١٢٠٠ هـ/١٧٨٦ م) وهو عالم ومؤرخ وشاعر ، وله كتاب « حديقة الزوراء في سيرة الوزراء » . و « **الشيخ حاوي رسول الكركوكلي** » (المتوفى عام ١٢٤٦ هـ / ١٨٣١ م) وكتابه « دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء » .

وفي بلاد **اليمن** ظهر عدة مؤرخين ، منهم « **ابن الديبع الزبيدي** » (المتوفى عام ٩٤٤ هـ / ١٥٣٧ م) وله « بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد » ، و « **محيي الدين عبد القادر بن شيخ العيدروس** » (المتوفى عام ١٠٣٨ هـ / ١٦٢٨ م) في كتابه « النور السافر عن أخبار القرن العاشر » ، و« **احمد بن ابي الرجال** » (المتوفى عام ١٠٩٢ هـ / ١٦٨١ م) وأهم مؤلفاته « مطلع البدور ومجمع البحور » ، وفيه يترجم لأكابر الزيدية في اليمن والعراق ، و « **محمد جمال الدين الشلي الحضرمي** » (المتوفى عام ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م) ، وله كتاب « عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر » ، و « السنا الباهر بتكميل النور السافر » .

وفي بلاد **الحجاز** « **محمد بن احمد قطب الدين المكي الحنفي النهروالي** » (المتوفى عام ٩٨٨ هـ / ١٥٨٠ م) في كتابه « البرق اليماني في الفتح العثماني » .

و « عبد الملك العصـامي » (المتوفى عام ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) في كتابه « سمط النجوم العوالي في أبناء الاوائل والتوالي » . وهو كتاب ضخم في التاريخ الاسلامي بما فيه تاريخ الدولة العثمانية .

ولا بد من التأكيد أن لا اختلاف أساسي في منهجية العمل بين المؤرخين ، في المشرق والمغرب ، وان كان التركيز لدى المؤرخين المغاربة ، قد انصب على ما يخص المغرب بصفة خاصة وقد يساثلون مؤرخي المشرق عددا وكثرة .

ومن أشهر المؤرخين في **المغـرب الاقصـى** في هذه المرحلة ، « **عبد العزيز الفشتالي** » (المتوفى عام ١٠٣١ هـ / ١٦٢١ م) وكان رئيساً للكتاب في بلاط السلطان (أبي العباس أحمد المنصور) من أشراف السعديين ، وأشهر كتبه « مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا » و « **ابن القاضي** » (المتوفى عام ١٠٢٥/ ١٦١٦ م) ، وأبرز مؤلفاته « المنتقى المقصور على مآثـر الخليفة المنصور » . و « **الافرانـي** » صاحب كتاب « نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي » ، و « **ابو القاسم الزياني** » (المتوفى عام ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ م) وله كتاب « الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب » ، ورحلته الكبرى المسماة بـ « الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار مدن العالم برا وبحرا » .

وفي الجزائـر ، تميز المؤرخ « **محمد بن عبد الله التلمساني** » الملقب « بابن مريم » (المتوفى بعد عام ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م) وكتابه « البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان » ، و« **محمد بن محمد بن عبد الرحمن التلمساني** » (المتوفى بعد عام ١١٩٣ هـ / ١٧٧٩ م) في مؤلفه « الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها الجنود الكافرة » وفيه وصف الحملات الاوربية عـلى الجزائر منذ عهد « خير الدين بربروس » وحتى (١١٨٩ هـ / ١٧٧٥ م) . و « المقري » (المتوفى عام ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م) الذي تنقل بين المغرب الأقصى وبلاد مصر والشام ، وتوفي في مصر . ولـه « نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيـب » ومؤلفات أخرى .

ومن مؤرخي الرحلات « **الورثيلاني** » (المتوفى عام ١١٩٣ هـ / ١٧٧٩ م) ومؤلفه هو « نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار » .

وفي تونس ، برز « **الزركشي** » الذي دون كتابه حوالي عام ٩٣٢ هـ / ١٥٣٥ م وهو في « تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية » . والحاج « **حمودة بن عبد العزيز** » (المتوفى عام ١٢٠١ هـ / ١٧٨٧ م) في كتابه « الباشي » وهو تاريخ باشا تونس « علي بك بن حسين بك » مع مقدمة في تاريخ الحفصيين حتى سقوط حكمهم . و « **السراج** » (المتوفى عام ١١٤٩ هـ / ١٧٣٦ م) وكتابه « الحلل السندسية في الاخبار التونسية » وفيه يعرض تاريخ تونس بخاصة حتى (١١٣٧ هـ / ١٧٢٥ م) و « **حسين خوجه** » (المتوفى عام ١١٤٥ هـ / ١٧٣٢ م) وله « بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان » وذيله في ترجمة نخبة من فضلاء التونسيين .

وفي ليبيا اشتهر « **ابن غلبون** » الذي انصرف منذ عام (١١٣٣هـ / ١٧٢٠ م) الى التعليم والتأليف ، وكتابه هو « التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار » . وهو في مقصده شرح قصيدة للشيخ « أحمد بن عبد الدائم الأنصاري » ولكنه ضمنه كل ما يتعلق بطرابلس من أحداث منذ الفتح الاسلامي حتى حكم أحمد باشا القرمنلي .

وفي السودان الغربي ظهر « **احمد بابا التكروري التمبكتي** » (المتوفى عام ١٠٣٦ هـ / ١٦٢٥ م) في كتابه « كفاية المحتاج بمعرفة من ليس في الديباج » ، و « عبد الرحمن السعدي » (المتوفى عام ١٠٦٦ هـ / ١٦٥٥ م) ، وكتابه في « تاريخ السودان » .

وفي السودان الشرقي « **محمد نور الحافاوي** » (المتوفى عام ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م) وكتابه « الطبقات في خصائص الاولياء والصالحين والعلماء في السودان » .

المرحلة الثانية : الحقبة المعاصرة :

وإذا كانت حركة التأليف التاريخي في البلاد العربية قد اتسمت « بالتقليدية » خلال المرحلة الاولى من الحكم العثماني وحتى منتصف القرن التاسع عشر ، فانها منذ النصف الثاني من هذا القرن ، شرعت تنحو منحى جديداً ، وإن بقي عدد من المؤرخين متأثرا بالمدرسة السالفة ، ولا سيما مدرسة التراجم . فلقد لاقى التأليف التاريخي العربي في القرن التاسع عشر ، حركة اليقظة العربية الجديدة ، وتأثر بالحضارة الغربية ، وبتطور منهجية البحث التاريخي فيها ونمو العلوم المساعدة للتاريخ ، والمدارس التاريخية المعاصرة . وذلك نتيجة الاحتكاك الثقافي بين العرب والغرب في هذا القرن ، ولا سيما في مصر ، حيث عمل (محمد علي) على إنشاء « دولة حديثة » على غرار الدول الاوربية القومية . وكان التعليم على النمط الاوربي ، والاخذ من مناهل الحضارة الغربية عنصرا هاما من عناصر تكوينها . فقد أرسل عددا من الشباب المصري ، ببعوث الى أوربا وعاد هؤلاء ليشاركوا في بناء الدولة الحديثة ، وفي النهضة الفكرية ، المصرية والعربية . ويلاحظ هذا التأثير الغربي كذلك في بلاد الشام بخاصة ، حيث قامت البعثات التبشيرية بتأسيس المدارس والكليات ، وتطبيق مناهج التعليم الغربي ، كانشاء « الكلية البروتستانتية » في بيروت التي غدت « الجامعة الامريكية » .

ويمكن القول إن التأليف التاريخي العربي في الحقبة المعاصرة أخذ في القرنين التاسع عشر والعشرين طريقاً جديدة ، تأثر فيها بحركة الترجمة الواسعة لمؤلفات الغرب ، وبالحركة العلمية المرتقية في أوربا وكشوفها الوفيرة في جميع الميادين ، وبتزايد اهتمام الحكومات والشعوب بالتاريخ علماً موضوعياً ، وبانتشار الطباعة والصحافة في الوطن العربي ، وتأسيس الجمعيات السياسية والفكرية المختلفة التي اتجهت نحو إحياء التاريخ العربي والتراث العربي . وبكلمة موجزة لقد تأثرت حركة التأليف التاريخي العربي في الحقبة المعاصرة ، أي من القرن التاسع عشر وحتى الوقت الحاضر بتيارات « النهضة العربية » : من تيار للقومية العربية ، وآخر للقومية المحلية ، وثالث للعالمية الاسلامية ، والأحداث الكبيرة التي أحاطت بها ، والتطورات العلمية المختلفة من اقتصادية ، وسياسية ، واجتماعية ، وفكرية .

وأخذت الكتابة التاريخية العربية طابعاً أكثر قرباً من التاريخ الاوربي ، أكان ذلك في الموضوعات المبحوثة ، أو في طرائق النقد ، أو في التركيب والتعليل ، أو في أسلوب الصياغة .

وهكذا اتجه المؤرخون العرب الى بعث التاريخ العربي والاسلامي بمنهجية جديدة ، مركزين دراساتهم بخاصة على شؤون الاقطار التي ينتمون إليها ، والحركة الوطنية فيها ، وآثار التطورات العالمية على أوضاعها . إلا أن هذا الخط من التطور ، لم يبد واضحاً تمام الوضوح إلا في المرحلة الثانية من النهضة العربية حيث ظهر « **مؤرخون اختصاصيون** » أي مؤرخون أعدوا مسبقاً للبحث والتأليف التاريخيين عن طريق الجامعات ، في أنحاء الوطن العربي ، وتوجيه البعوث العلمية الى أوربا . وفي الواقع إن **الجامعات العربية** تسهم اليوم اسهاماً كبيراً في **حركة التاريخ العربي المعاصرة** ، عبر أساتذتها ، والنشاطات التاريخية التي تمارسها ، ومدى الحفز والتشجيع اللذين تقدمهما لها . ويجب أن لا ننسى في هذا المجال ، **دور المؤتمرات التاريخية العربية والعالمية** ، في تطوير هذه الحركة ، وما يولده الاحتكاك الواسع بين مؤرخي الغرب والمؤرخين العرب ، من تأثر بمختلف المدارس التاريخية الحديثة في الغرب ، ناهيك عن الاحداث السياسية الضخمة التي عاشها ويعيشها الوطن العربي .

ومثلما كانت الفترة السابقة غنية بعديد من المؤرخين العرب ، فان الحقبة المعاصرة زخرت بالكثير منهم ، وخصبت المكتبة العربية بمؤلفاتهم . ومع أن السمات الكبرى المشار اليها آنفاً ، تطبع انتاجهم ، إلا أن هذا لا ينفي وجود سمات خاصة لمنهجية كل مؤرخ ، وللمؤرخين في كل قطر من الاقطار العربية . ولا بد من التأكيد هنا ، بأن حركة التأريخ العربية المعاصرة ، شأنها شأن حركة التأريخ في العالم ، تأثرت وتتأثر **بالتيارات الفكرية السياسية** التي تجوب المنطقة العربية :

---

(١) ارجع للتعرف باقطاب حركة التاليف التاريخي العربي في الحقبة المعاصرة ، ومؤلفاتهم كتاب « المدخل للتاريخ » تاليف الأستاذ نور الدين الحاطوم ، نبيه عاقل ، احمد طربين ، صلاح مدني . دمشق ١٩٦٥ ص ٥٧٠ فما بعد .

كتيار القومية العربية ، وتيار الاقليمية ، وتيار الدين السلفي ، والتيار الماركسي وغيرهـا .

وفي الحقيقة ، يلاحظ أن حركة التأريخ العربي المعاصرة نشيطة وتتجه بصفة خاصة نحو البحث عن المصادر الأولى للتأريخ العربي في جميع الحقب ، كالوثائق الكتابية الرسمية ، والمؤلفات التاريخية ، وغيرها ، التي لا تزال ثاوية في المكتبات ، ثم العمل على نشرها ، والاستفادة منها في « تاريخ جديد » للتاريخ العربي في جميع مراحله . كما تسعى لدراسة الحقبة المعاصرة التي تعايشها ، وبالمقابل لتتبع الاكتشافات الكثيرة الضخمة التي تتوصل اليها الحفريات المعاصرة في مختلف أجزاء الوطن العربي ، وذلك كي ترسم صورة الماضي العربي كاملة الخطوط ، وواضحة القسمات ، ما أمكنها ذلك .

* * *

Damascus University

الفصل الثاني

العلوم المساعدة للتاريخ

لم ير « علم التاريخ » نموه الكبير في أوربا ، إلا منذ القرن التاسع عشر ، نتيجة نمو علوم أخرى مساعدة له ، وسعت آفاقه ، وعمقت نظرته ، وزودته بوسائل عمل جديدة ومجدية ـ كما أسلفنا القول ـ . ومن هذه العلوم :

١ ـ الكرونولوجيا ، او علم التوقيت :

وهو في تعريفه العام ، العلم الذي يبحث في الزمن بصفته بعداً يقاس من أبعاد الوجود الانساني . فمن الملاحظ أن حياة الانسان تجري في الزمن ، وفي الزمن تتتالى الاحداث وأنماط التفكير ، ونشاطات الانسان ، التي يكوّن مجموعها تاريخ العالم . ومن خلال الزمن يكتب الانسان التاريخ . فكل امرىء يدرك إذاً الحاجة الملحة التي شعر بها هذا الانسان ، منذ ظهوره على الارض ، لقياس هذه الظاهرة المسماة « الزمن » ، والتي رأى فيها أقدم الفلاسفة تياراً دائماً ومطلقاً في الوجود ، وحقيقة مستقلة عن الاحداث التي تملؤه . وفي الحقيقة ، إن « طبيعة الزمن » مشكلة ميتافيزقية ، درسها الفلاسفة منذ القديم ولا يزالون ، واختلفوا حولها ، فمن قائل بأن الزمن وهم ، ومن مؤيد أنه حقيقي ، ومن مشكّك أنه بعد رابع . ولكن مهما قال الفلاسفة فيه ، فهو بالنسبة للمؤرخ حقيقة يعتمد عليها علم التاريخ كله ، وهذه الحقيقة لا بد أن تقاس . ولقد رأى الانسان إنه من الممكن قياس الزمن ، فسعى لقياسه فعلا ، وربط به بالطبع قصة حياته وحوادثها . ومن ثم فانه يقال عن تثبيت أي عمل ، أو أي اتجاه ، أو أي فكر إنساني ، في نقطة معينة من هذا البعد من

أبعاد الواقع مع تثبيته في الوقت ذاته ، في نقطة محددة من المكان ، بأنه « مؤرّخ» • وقد استطاع هذا الانسان أن يقيس « الزمن » باليوم ، والشهر والسنة • ومع تطور تفكيره ، واتصاله مع البشر في بقاع أخرى ، رأى أن التحديد العام للزمن يتطلب استخدام منطلق واحد في حساب توالي هذا الزمن ، أو بتعبير أدق تقويم زمني مشترك • ويشاهد اليوم ، أن معظم شعوب العالم قد تبنت **التقويم الميلادي الغريغوري** ، الذي شرعت أوربا بتطبيقه منذ عام ١٥٨٢ • ولكن هذا الأمر ، ظاهرة حديثة • أما بالنسبة للفترات القديمة ، فان دراسة النصوص والوثائق التاريخية تثير دائماً « أبحاثاً زمنية » حول تاريخ واقعة ما ، أو تحقيقه ، لأن معظم الشعوب القديمة كان لها تقويمها الخاص ، وطريقتها في عدّ توالي السنين • فمن مهمات المؤرخ الرئيسية إذاً ، أن يجيب على هذا السؤال الهام : كيف يمكن تحويل تاريخ الاحداث المختلفة الواردة في شتى المصادر ، وبصفة خاصة القديمة منها ، الى التقويم المستخدم اليوم ؟ إن « **الكرونولوجيا** » او « **علم التوقيت** » هو في الواقع ، العلم الذي يساعد على الجواب عن ذلك السؤال • ولكن يجب التمييز أولا بين « الكرونولوجيا الرياضية أو الفلكية » ، و « الكرونولوجيا المسماة بالتقنية » •

« **فالكرونولوجيا الفلكية** » تبحث في الزمن كما تحدده حركة الفلك ، وهذه الحركة تفرض على الحياة الأرضية ثلاث وحدات لقياس الزمن ، وهي : **اليوم ، والشهر ، والسنة** •

فتعاقب النهار والليل ، ينظم حياة الانسان على الارض ، ويأخذ مصدره من شروق الشمس وغروبها : فالنهار يتلو الليل ، والليل يتلو النهار ، والاثنان معاً يكوّنان « اليوم المدني » الذي حدد بـ (٢٤) ساعة ، وهو يعادل متوسط طول اليوم « الشمسي » عند الفلكيين ، ويرتبط بدورة الارض حول نفسها • ويحسب « اليوم المدني » من منتصف الليل الى منتصف الليل التالي ، بينما حسبه العرب والصينيون من مغيب الشمس الى المغيب التالي • وكان المصريون ، والكلدانيون ، والفرس يبدؤونه مع شروق الشمس ، ويقدرون مدته بـ ٢٣ ساعة و ٥٩ دقيقة و ٤٢ ثانية •

أما « **الشهر** » ، فهو مدة الدورة القمرية ، أو هو الزمن الفاصل بين ميلاد قمر وميلاده الثاني . ويحدده في الواقع ، دوران القمر حول الارض ، بتواصله مع الشمس ، بحيث يمكن معرفة وقت ميلاد كل هلال بدقة رياضية . ومن ملاحظة عدد كبير من الشهور القمرية المتتالية (التي لم تكن متساوية فيما بينها) تم التوصل الى معرفة المدة المتوسطة للشهر ، وتعادل (٢٩ يوماً مدنياً ، و ١٢ ساعة ، و ٤٤ دقيقة ، و ٢٫٨ ثانية) .

واذا ما انتقل الى الوحدة الثالثة المزمن وهي « **السنة** » ، التي تسير الحياة الارضية خلالها بتواتر أطول من اليوم والشهر ، فانه يلاحظ أن طولها ومجراها يعتددان بدورة الفصول ، وتغيرات المناخ والنبات . وتعرف « السنة المدارية » أو « السنة الاعتدالية » التي يطلق عليها باختصار كلمة « السنة » ، بأنها الزمن الذي ينقضي بين اعتداليين ربيعيين متتاليين ، أي بين مرورين للشمس في خط الاستواء السماوي ، ومدتها المتوسطة (٢٤٢٣٠ ، ٣٦٥) يوماً مدنياً أو ٣٦٥ يوماً وخمس ساعات و ٤٩ دقيقة . ويمكن النظر إليها على أنها ثابتة ، والتقدير قد تم بتقريب يعادل ١/١٠٫٠٠٠ من اليوم .

ذلك موجز عن « الكرونولوجيا الفلكية » التي استند اليها في قياس الزمن بصفة عامة . إلا أن ما يهم المؤرخ في الواقع هو **الكرونواوجيا التقنية** . وهذا العلم هو المساعد للتاريخ الذي يدرس النظم المختلفة ، المستخدمة خلال العصور ، لتحديد الزمن ، ويمكننا من تعيين تاريخ الاحداث بحسب نمط تقويمنا الحالي : فقد أشرنا الى أن الروايات ، والوثائق ، تعطينا أزمنة ، قليلة الدقة أو كثيرتها ، ومختلفة أحيانا من مصدر الى آخر ، بل إن عناصر التأريخ التي تتضمنها تكون أحيانا متناقضة ، أو قد تبدو كذلك ، ولا بد من القيام بعمل لتصحيحها ، وضبطها ، وتعيينها بدقة . هذا بالاضافة الى أن نظم حساب الزمن تختلف بحسب العصور والبلاد ، فحتى توزيع الساعات على اليوم والايام على الشهر ، والشهور على السنة ، لا يتشابه . فقد جعل المصريون القدماء مثلا ، سنتهم مؤلفة من (٣٦٥) يوماً ، ومقسمه الى (١٢) شهرا ، وكل شهر من (٣٠) يوما ، وكانوا يضيفون خمسة أيام في نهاية العام يتسمونه بها . وكان المصريون أول شعوب العالم في ايجاد

تقويم ثابت يعتمد على الشمس ، إذ تم ذلك حوالي ٤٠٠٠ ق٠م : فقد نظموا حياتهم متوافقة مع الحياة السنوية لنهر النيل ، التي تنقسم الى ثلاث مراحل : مرحلة الفيضان ، ومرحلة الانحسار ، ومرحلة التحاريق ٠ وكانوا أول من عرف أن السنة تعادل ٣٦٥٫٢٥ يوما ٠ وكانت السنة عند اليونان (١٢) شهرا قمرياً ، وليسدوا الثغرة الحادثة من الفرق بين السنة القمرية والشمسية ، فانهم كانوا يزيدون كل عدد من السنين شهرا ثالث عشر ، وذلك بعد شهر « بوزايدون » ، ويسمونه « بوزايدون الثاني » ٠ ولقد بيّنا سابقاً بأن عرب الحجاز في العصر الجاهلي ، كانوا يستخدمون الطريقة ذاتها ، أي كانوا « ينسؤون الشهور » وهذا ما نهى عنه القرآن الكريم ، كما أشير الى ذلك سابقاً ٠

ان تعيين نقطة انطلاق ، أو بداية ثابتة ، لعد السنوات وتسلسلها ، يكوّن « التقويم الاصطلاحي » لشعب أو أمة ما ، كتحديد اليونان بدء الالعاب الاولمبية « الاولمبياد » منطلقاً لتأريخهم ، ويعادل بالنسبة للتقويم الميلادي ٧٧٦ ق٠م ، والرومان عام تأسيس « مدينة روما » عماد تقويمهم ويعادل سنة ٧٥٣ ق٠م، واتخاذ المسيحية ميلاد المسيح بداية لما نسميه اليوم « بالتقويم الميلادي »[1] ، واعتبار المسلمين عام هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، أول تقويمهم الذي يطلق عليه اسم « التقويم الهجري » ، وكان ذلك بالنسبة للتقويم الميلادي ، في عام ٦٢٢ م ٠

واذا ما رجع الى ماض أبعد ، يشاهد أن بعض الشعوب قد اتخذت سني حكم ملوكها ، أو رجالها الكبار ، هي عناصر أخرى في حساب الزمن ٠ فقبل القرن السادس ق٠م ، كانت قوائم الملوك في بلدان الشرق الكبرى ، كبابل ومصر ، هي أساس كل « الكرونولوجيا » ، والشيء نفسه يقال عن الصين ، والهند ٠

---

(١) إن الذي انشأ التقويم الميلادي هو « دنيز الصغير Denys Le Petit (المتوفى حوالي ٥٤٠ م) ، وذلك عام ٥٢٥ م وقد عاش في روما ، وحدد تاريخ ميلاد المسيح بالنسبة لتأسيس هذه المدينة . إلا انه في الحساب الذي اجراه ، جعل ميلاد المسيح متأخرا عن واقعه بحوالي خمس سنوات ، أي جعله في عام ٧٥٤ من تأسيس مدينة روما ، بينما هو عام ٧٤٩ ، وبذلك يكون التاريخ الحقيقي لميلاد المسيح هو (٤ م) .

وخلال العصور الوسطى الاوربية ، فقد أثقلت الكرونولوجيا ، وتعقدت ، بسبب الاختلاف في التأريخ المختارة لبداية العام : ففي فرنسا كانت السنة تبدأ يوم « عيد الفصح » وهو يوم يتحرك بين ٢٢ آذار و ٢٥ نيسان ، لارتباطه « بالشهر القمري » وبسدى توافقه مع الشهر « الشمسي » . وقد أدى هذا الى أن يوما بتاريخ محدد قد يتكرر مرتين في العام الواحد . ففي عام ١٣٤٥ م كان عيد الفصح ومن ثم بداية العام في الـ ٢٧ من آذار ، وفي عام ١٣٤٦ م في الـ ١٦ من نيسان . فالعاشر من نيسان ، مثلا ، أتى في عام ١٣٤٥ م مرتين ، مرة بعد بداية السنة ، ومرة أخرى قبل نهايتها . هذا بينما تبنى الانكليز تاريخ يوم عيد الميلاد (٢٥ ديسمبر) مطلعاً للعام الجديد ، ثم عدلوا عنه الى يوم البشارة في ٢٥ آذار . ونم تتخذ فرنسا يوم الفاتح من كانون الثاني أول العام ــ وهو بداية السنة المدنية عند الرومان ــ الا بالمرسوم الذي أصدره الملك شارل التاسع عام ١٥٦٤ . ولا بد من الاشارة هنا أنه بالنسبة لتاريخ الشرق القديم ، لا يمكن أن تكون جميع السنوات السابقة للقرن التاسع ق.م صحيحة ومؤكدة بشكل مطلق . ان الحسابات التي اهتم بها « بيروزيوس » و « مانيتون » في العصور القديمة ، تركت أثرا كبيرا ، ولمدة طويلة ، في الكرونولوجيا البابلية . وان الملاحظات التي أشير اليها عن وجوه كوكب الزهرة ، والتي جرت تحت حكم « امبزادوكا » وهو الملك العاشر من ملوك الاسرة البابلية الاولى ، ساعدت على القيام ببعض الحسابات الفلكية ، ولكن نتائجها فسرت تفسيرا مختلفاً ، مما افسح المجال لظهور « كرونولوجيا طويلة » تجعل بداية السلالة البابلية الاولى عام ٢٢٢٥ ق.م « وكرونولوجيا قصيرة » ترد هذا التاريخ الى ٢١٠٥ ق.م ، ثم اقترح « كرونولوجيا أكثر قصرا » تجعل بدء السلالة البابلية الاولى في ٢٠٤٩ ق.م . وجاءت حفريات « ماري » لتضعف كل تلك التأريخ التقريبية ولتحدد حكم « حمورابي » حوالي ١٧٩٢ ــ ١٧٥٠ ق.م ، ولتجعل عام ١٩٠٠ ق.م تقريبا هو تاريخ استلام الاسرة البابلية الاولى للحكم . ومن هذا ينتج أن سلالة « اور » الاولى التي يقدرون قيامها عادة في الالف الرابع ق.م ،

يجب أن توضع في منتصف الالف الثالث ق.م[1] .

فالكرونولوجيا علم يقدم خدمات كبيرة للتاريخ ، ولقد نشط العمل في ميدانه في أوربا في القرن السادس عشر حين وضع « سكاليجر Scaliger »[2] كتابه الهام « في تصحيح الزمن » . وتابع تطوره في القرنين التاليين ، وترك القرن الثامن عشر شاهدا ضخما على هذا التطور ، وهو كتاب « في تحقيق التواريخ » الذي أصدره « البندكتيون » في عام ١٧٥٠ ، وأعيد نشره بثلاثة مجلدات عام ١٧٨٣ ـ ١٧٨٧ . وأهمل العمل بالكرونولوجيا بعد ذلك ، على الرغم من مؤلفات العلمـاء والمؤرخين البارزين من أمثال « تيئودور مومسن Th. Mommsen »[3] الا أن هذا العلم عاد الى النهوض ثانية ، وذلك بسبب الخلاف الذي حدث عام ١٩٤٧ وما بعده ، حول نسبة كتاب « أمور فلسفية Philosophoumena » لـ « هيبوليت دوروم Hippolyte de Rome »[4] فقد اضطر المختلفون الى الرجوع الى قوائم (أعياد الفصح) التاريخية ، وتوالي الملوك الفرس ، وقائمة أجداد المسيح . وفي هذه المرحلة من الزمن كذلك قام « الاستاذ الامريكي جونز Jones » (المولود عام ١٩٠٥) ، وفي عام ١٩٤٣ في الولايات المتحدة ، بتقديم طبعة جديدة هامة للدراسة التي كان

---

(١) Grand Larousse Encyclopédique. 10 Vols. Vol 111 (Paris 1960) art. Chronologie. p. 103.

(٢) انظر ص ٨٠ من هذا الكتاب هامش ٤ .

(٣) مؤرخ ألماني (١٨١٧ ـ ١٩٠٣) له بحوث عديدة في ميدان التاريخ الروماني ووثائقه . ترك اثرا كبيرا في الدراسات التاريخية والفيلولوجية في عصره . وحصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٠٢ .

(٤) من رجال المسيحية الكبار في روما عاش (١٧٣ ـ ٢٣٥ م) . ويبدو على أنه أفضل فقيه للكنيسة الرومانية في عهده . دخل في صراع مع البابا ، وأوجد انشقاقا في عام ٢٢٢ م فنفي الى سردينيا . وكتابه الشهير « أمور فلسفية » يحتوي معلومات ثمينة عن الهرطقات الغنوستية ، وان كان مشكوكا في نسبته اليه .

قد ألفها رجل الدين المسيحي « بيد Bede »[1] في عام ٧٢٥ عن « حساب الزمن De temporum ratione » ، والتي كانت الركيزة لجميع العاملين في الحسابات الزمنية ، الذين أتوا بعده .

واذا كان الاهتمام بالكرونولوجيا قد بعث ثانية ، فان المشكلة التي يعيشها عالمنا المعاصر من حيث انقسامه بين عدد من « التقاويم » تشعر الباحثين بضرورة ايجاد حل لها ، لانها تعرقل البحث التاريخي وتعقد أمره . ففي الهند مثلا أربعة تقاويم مستخدمة (التقويمان الغريغوري والهجري اثنان منها) ، والحكومة ملزمة في كل عام ، على طبع تقويم تزيد صفحاته عن ٣٠٠٠ صفحة[2] . وبالفعل فقد نشأت حركة لوضع تقويم عالمي موحد وثابت ، وبعيد عن كل تأثير اقليمي ، أو عرقي ، أو ديني . وقد جرت محاولات من هذا النوع ابان الثورة الفرنسية (١٧٨٩) ، كما فكر في ذلك جدياً عالم الاجتماع « اوغست كونت » عام ١٨٤٩ ، وبعده الفلكي الفرنسي « فلاماريون » عام ١٨٨٧ .

ولقد شجعت « عصبة الامم » بعد الحرب العالمية الاولى هذا الاتجاه ، وتبعت خطاها « منظمة الامم المتحدة » بعد الحرب العالمية الثانية ، وقامت دراسة عملية للموضوع سنة ١٩٥٣ ، من قبل السكرتير العام للامم المتحدة « تريغفلي Trygve-Lie »[3] ، وأيدتها حكومة الهند ، ودعمها المجلس الاقتصادي والاجتماعي . ولا تزال السيدة الامريكية « اليزابيت أشيليس E. Achélis » تتابع الأمر .

وأخيرا لا بد من التأكيد ثانية ، أن على الباحث التاريخي والمؤرخ أن يكون

---

(١) مؤرخ انكليزي موسوعي المعرفة (٦٧٥ ــ ٧٣٥) ، ورجل ديني ، وعالم لاهوت . منح صفة قديس .

(٢) L'histoire et ses méthodes, p. 43 .

(٣) رجل سياسي نرويجي ولد عام ١٨٩٦ . وعمل وزيرا للعدل والعمل . ثم وزيرا للتجارة والصناعة . ورافق حكومته الى المنفى اثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٤٠) . وعمل سكرتيرا لهيئة الامم المتحدة من ١٩٤٦ ــ ١٩٥٢ ، ولعب دورا في القضية الكورية والفلسطينية . وتوفي ١٩٦٨ .

دقيقا في فحص الوثائق المتوافرة بين يديه من الناحية الزمنية ، سواء أكانت تحمل تأريخ معينة ، أم كانت هذه التأريخ غير كافية ، أم غير واضحة ، أم مشكوكا بها ، أو بتعبير آخر ، على الناقد التاريخي ان يجهد ، ليثبت بأقصى دقة ممكنة ، وانطلاقا من التقويم الزمني الذي نستخدمه ، تأريخ الاحداث . ان مهمة المؤرخ هي نقد العناصر التي تركب تلك الوثائق ، والتحقق من توافقها ، وهذا لايمكن أن يتم الا بالتعريف بهوية الحساب الزمني الذي استخدم سابقا فيها ، واكماله اذا كان ضروريا ، أو احلال غيره مكانه ، اما بوساطة محتوى النص المدروس نفسه ، أو بوساطة وثائق أخرى . « ففي عالم من الكائنات الحية ، الانسان فيه هو الذي ينظم ، ويعمل ، ويفرض إرادته على الطبيعة ، غدا لا شيء أهم من تثبيت زمن العمل والفكرة[1] » .

وفي آخر المطاف في الحديث عن الكرونولوجيا ، لاغنى لمن يشق طريقه عبر البحث التاريخي من معرفة « التقاويم الكبرى » التي كانت مستخدمة سابقا ، وتلك المستعملة حاليا .

التقويم الغريغوري :

وهو التقويم الميلادي الذي يتبع في معظم أنحاء العالم . وهو يعتمد على « السنة المدارية » ، وتعتبر مدتها (٣٦٥،٢٤٢٥) يوما ، وبذلك فهي قريبة جدا من المدة الحقيقية لها ، لان الخطأ لايتجاوز ثلاثة على عشرة آلاف من اليوم ، أو بتعبير آخر يعادل ثلاثة أيام كل عشرة آلاف من السنين . ان السنة في الواقع كما هي في التقويم اليوم تعادل مبدئيا (٣٦٥) يوما ، الا انه كل أربع سنوات ، يضاف الى السنة يوما ، فتصبح سنة « كبيسة » (وهو يوم ٢٩ شباط) . وهذا يتفق مع اعتبار أيام السنة المدارية « ٢٥ ، ٣٦٥ » ، أي أكثر من مدتها الحقيقية التي تعادل تقريبا (٣٦٥ ، ٢٤٢٢) يوما . وهذا الفرق الذي يبدو بسيطا ، يتراكم مع مرور السنين بحيث يكوّن زيادة (٧,٥) من الايام كل الف عام . ولتضييق شقة

---

(1) A. Cordoliani, le tempa et le lieu, dans, L'histoire et ses méthodes, p. 50.

الاختلاف ، فقد اصطلح على الغاء ثلاث سنوات كبيسة من أربع ، من سنوات مطلع القرون ، ومن ثم لم يحتفظ من تلك السنين الا تلك القابلة للقسمة على (٤٠٠) ، وهي عام (١٦٠٠) وعام (٢٠٠٠) وعام (٢٤٠٠) • وان هذه الخاصة الاخيرة ، هي التي كانت الجزء الرئيسي من الاصلاح الغريغوري للتقويم ، الذي أمر به عام ١٥٨٢ ، البابا « غريغوري الثالث عشر » (١٥٠٢ ــ ١٥٨٢) • فالتقويم السابق له كان التقويم اليولياني ، الذي أوجده « يوليوس قيصر » في عام ٤٦ ق•م (أي في عام ٧٠٨ من تأسيس مدينة روما) بمعرفة الفلكي اليوناني المقيم في الاسكندرية « سوزيجين Sosigène » والذي اكتفى بكبس السنة كل أربع سنوات ، وجعل أول العام ، الفاتح من شهر كانون الثاني ، بدل الاول من شهر آذار • ولقد قرر في الاصلاح الغريغوري نفسه ، بأن تعاد الفصول بالنسبة للدورة الشمسية ، الى الأوضاع السابقة ذاتها التي كانت عليها عند انعقاد « مجمع نيقيا » عام ٣٢٥ م ، الذي ثبت القواعد الرئيسية للتقويم الكنسي • فخلال (١٢٥٧) من السنين ؛ (أي من عام ٣٢٥ وحتى ١٥٨٢) حدث اختلاف في التقويم بالنسبة للمدة الحقيقية للسنة المدارية ، يعادل (١٠) أيام تقريبا • ومن ثم قرر الاصلاح الغريغوري أن يتلو يوم الخميس في (٤) الرابع من شهر تشرين الاول عام ١٥٨٢ ، ومباشرة ، يوم الجمعة في (١٥) تشرين الاول ١٥٨٢ وبذلك لم يتغير تتابع أيام الاسبوع • ولقد تبنت فرنسا هذا الاصلاح في عام ١٥٨٢ واتبعت يوم ٩ كانون الاول عام ١٥٨٢ بيوم ٢٠ كانون الاول مباشرة • أما انكلترا فقد تأخرت بالعمل به الى عام ١٧٥٢ ، حيث قرر بارلمانها في (٣) ايلول من تلك السنة أن يصبح ذلك اليوم (١٤) ايلول مباشرة لا (١٣) ايلول ، لان التقويم اليولياني كان قد أضاع يوما بين ١٥٨٢ ــ ١٧٥٢) • وكانت السنة تبدأ في انكلترا كذلك في ٢٥ آذار لا في الاول من كانون الثاني : فقد كان يتلو يوم (٣١) كانون الاول ١٦٩٠ م ، يوم الاول من كانون الثاني عام ١٦٩٠ لا ١٦٩١ ، ويتلو يوم ٢٤ آذار عام ١٦٩٠ ، يوم ٢٥ آذار عام ١٦٩١ • ففي عام ١٧٥٢ نفسه الذي تبنت فيه انكلترا التقويم الغريغوري جعلت بداية السنة لديها هو الفاتح من كانون الثاني • وحتى مرحلة قريبة ، جرت العادة في انكلترا أن يسجل تاريخ الوثائق بسنين مزدوجة ، بالنسبة لتآريخ الأحداث القائمة بين الاول من شهر كانون الثاني والرابع والعشرين من آذار •

ولم تأخذ روسيا بالتقويم الغريغوري الا في عام ١٩١٨ ، واليونان في عام ١٩٢٣ . ويمكن النظر الى هذا التقويم اليوم ، على انه يستخدم من قبل الجزء الاكبر من العالم . فالتقاويم القديمة أهملت ، ولم تعد لها قيمتها إلا في الطقوس والاعياد والشعائر الدينية .

التقويم الهجري :

يعتمد التاريخ الاسلامي على التقويم الهجري ، الذي يستند بدوره الى « السنة القمرية » . فالسنة تضم (١٢) شهرا قمريا تتراوح مددها بين (٢٩) و (٣٠) يوما ، ومجموع أيامها هو (٣٥٤) يوما . فهناك فرق (٢٥ ، ١١) بين طول السنة المدارية والسنة القمرية . وتبدأ السنة الهجرية في الفاتح من شهر محرم ، ويدور هذا اليوم على مدار السنة الشمسية ، فيتأخر كل عام عن العام الذي سبقه بمقدار أحد عشر يوما ، ومن ثم فانه لا يعود الى التاريخ نفسه من السنة الميلادية الا بعد (٣٣) سنة تقريبا ، وهذا يوجد اختلافا بيّنا بين التقويمين الميلادي والهجري .

وحتى يوجد الباحث التاريخي التوافق بين التاريخ الميلادي الغريغوري القائم حاليا والتاريخ الهجري ، لا بد له من الرجوع الى جداول خاصة أعدت لهذا الغرض اعدادا خاصا ودقيقا[1] . ويمكن كذلك اتباع القاعدة التالية لتحويل سني الهجرة (هـ) الى سنين ميلادية (م) وبالعكس .

$$\text{السنة الميلادية} = \left(\text{عدد السنين الهجرية} \times \frac{٣٢}{٣٣}\right) + ٦٢٢^{(٢)}$$

$$\text{السنة الهجرية} = \frac{٣٣}{٣٢}\left(\text{عدد السنين الميلادية} - ٦٢٢\right)$$

---

(١) من اشهر هذه الجداول او اللوحات ما قام بعمله المستشرقان « فستنفلد ومالر » . وفي العربية هناك كتاب « التوفيقات الالهامية » للواء محمد مختار باشا بمجلدين . بيروت ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م .

(٢) ان رقم (٣٣) يعادل عدد السنين الهجرية التي تمر حتى يقع اول السنة الهجرية موافقا على وجه التقريب لاول السنة الميلادية هذا وكل ٣٣ سنة قمرية تساوي على وجه التقريب ٣٢ سنة شمسية . اما عام ٦٢٢ م فهو عام هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة المدينة وفيه بدأ التاريخ الهجري .

ولا بد من الاشارة الى ان العرب المسلمين استحدثوا في مصر « السنة الخراجية العربية » التي كان يجمع الخراج بموجبها ، وقد ظل معمولا بها زمنا طويلا ، وهي في مدتها سنة شمسية ، وبدايتها مع بداية السنة المصرية ، ولكن السنين فيها تحسب من عام الهجرة . فنشأ عن ذلك فروق بين عدد سني الهجرة وعدد سني الخراج وكثيرا ماكان هذا سببا فيوقوع الاضطراب عند تأريخ الحوادث[1].

ولقد استخدم الاتراك العثمانيون سنة مالية تشبه السنة الخراجية العربية التي استحدثت في القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) ، أيام العباسيين . وقد أدخلها الاتراك في سنة ١٠٨٧ هـ / ١٦٧٧ م . والسنة المالية التركية ــ التي كانت هي السنة الرسمية ، وان كانت تستخدم الى جانبها السنة الهجرية لاغراض دينية ــ فهي توافق السنة اليولیانية ، وأسماء شهورها هي أسماء الشهور العربية السريانية (كانون الثاني ، شباط ، مارس ، نيسان ...) مع فروق طفيفة . وهي تبدأ في أول مارس . ويقع الكبس في التاسع والعشرين من شهر شباط ، وهو أيضا آخر يوم في السنة . أما السنون فيها فكانت تحسب طبقا للتاريخ الهجري . وكانت تسقط سنة قمرية من كل (٣٣) سنة ــ والسنة المسقطة تسمى « سويش » (أي الالغاء بالتركية) ــ لايجاد تساو بين حساب السنين على هذه الطريقة ، وبين السنين القمرية المقابلة لها ، والتي هي أقصر من السنة التركية . وعندما جاءت سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩ م و ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م ، فانهما لم تسقطا ، وحسبتا خطأ ، مما أوجد ارتباكا في حساب السنين المالية[2] .

وأخيرا ، فان هناك في الوقت الحاضر « تقاويم دائمة » تمكّن لوحاتها من معرفة تقويم أي عام وحل كل مشكلة تتعلق بالتأريخ وأيام الاسبوع المقابلة لها .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية المعربة . المجلد العاشر . العدد العاشر ص ٣٨١ ، بند « الزمن » .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٨٢ . وانظر كذلك البحث القيم للدكتور خليل الساحلي : « سنوالازدلاف أو ازمات الامبراطورية العثمانية المالية » تعريب الدكتور عبد الجليل التميمي . في « المجلة التاريخية المغربية » . تونس . جويلية/يوليو ١٩٧٨ . ص ١٤٣ ــ ١٧٢ .

وأكثر هذه التقاويم شهرة تلك التي أعدها موره G. D. Moret [1] .

وختاما لبحث « الزمن » وأهمية تحديده في الكتابة التاريخية ، لا بد من التأكيد مرة أخرى أن « الزمن » هو إحدى عيني التاريخ اللتين يبصر بهما ، فكلما كان دقيق التعيين كان البصر ثاقبا ، والرؤية أقرب للحقيقة . ومن ثم فلا بد للباحث التاريخي من جعله دعامة من دعامات بحثه ، وألا يصرف عنه عينه أبدا في كل خطوة يخطوهـا .

٢ ـ علم الجغرافيـا وصلته بالتاريخ :

ان التاريخ لا يجري عبر الزمن فحسب، وانما تجري احداثه أيضا وتنتشر في المكان. ومن ثم فان الحادث التاريخي ، على مستوى الفرد ومستوى الجماعات الانسانية، يسجل دائما باحداثيات مزدوجة ومترابطة وهي احداثيات الزمان ، واحداثيات المكان . والمكان هو المحيط الجغرافي الذي يعيش فيه الفرد أو الجماعة . وان تتويج « شارلمان »[2] عام (٨٠٠) امبراطوراً ، دون ذكر مكان التتويج ، وهو « روما » ، يفقد احدى مميزاته الأساسية . وإن تاريخ أي بقعـة دون اطارها الجغرافي من جبال ، وسهول ، وأنهار، وبحيرات، وسواحل ، لا معنى له . فحتى الظاهرات الروحية والفكرية نفسها ، لها قاعدة أرضية . فاذا كان « الكرونولوجيا» هو القاعدة الاولى الضرورية لفهم التاريخ فإن « علم الجغرافيـا » هو الأساس الثاني لإدراك كثير من الأمور فيه .

---

(١) انظر حول تفصيلاتها : G. L. E. Vol 11 p. 518. art Calendrier

(٢) شـارلمان Charlemagne (٧٤٢ ـ ٨١٤) : هو ملـك الفرنجـة (الفرنكيين) في فرنسا (٧٦٨ ـ ٨١٤) ، وامبراطور الغرب (٨٠٠ ـ ٨١٤) . وهو حفيد « شارل مارتل » ، الذي اصطدم مع العرب المسلمين في « بواتيه » . وقـد امتدت ممتلكاته بين بحر الشمال في شمال اوربا الى بوهيميا في وسطها ، والبيرنه جنوبها والاطلنطي غربها . كان له علاقات عدائية وحربية مع المسلمين في اسبانيا . وسعى لعلاقات سلام مع هارون الرشيـد . وكان لتتويجه في « روما » عاصمة الامبراطورية الرومانية سابقا ، وبيد البابا ، في عام ٨٠٠ م ، مغزاه الكبير ، اي بدا وكان المسيحية الاوربية كلها قد اسلمته الدفاع عنها وعن كنيستها .

وعلم الجغرافيا بمعناه العام ، هو العلم الذي يصف سطح الأرض . وقد مر هذا العلم في تطوره بمرحلتين رئيسيتين : الأولى : وكان اهتمامه فيها منصباً على الأوصاف الطبوغرافيـة (أي وصف المكان وتمثيله بيانيـاً) ، وعلى التأملات الرياضية . إلا أنه مع تطور العلوم والمعرفة ، أخذ يسعى الى فهم « الظاهرات الجغرافية » و « البشرية » على سطح الأرض . وكانت المرحلـة الأولى طويلة ، تلمس خلالها طريقة لكشف مظاهر الكرة الأرضية . أما الثانية فحديثة نسبياً ، وتبدأ مع القرن التاسع عشر ، وتتميز ببحوث علمية توصل فيها الجغرافيون ، الى قوانين اعتمدت على ملاحظات هامة .

وفي الواقع منذ القديم ، وجد عند المصريين والكلدانيين ما يمثل جغرافية العالم المعروف آنذاك . ونتيجة تحاك اليونان بالشرق وحضاراته فإنهم أخذوا منه تلك الأصول وطوروها ، فارتقت « الجغرافيـا » الى مستوى العلم . وظهرت « الجغرافيا الرياضية » على يد الفيلسوف اليوناني و « العـالم » « أناكسيمندر Anaximander » (٦١٠ — ٥٤٧ ق.م) حيث عمل على الإحاطة بالمعرفة الطبيعية والرياضية للأرض . وأوجد بعده « هيكاته الميليتي » في ٥١٦ ق.م — وهو الذي أشير اليه سابقا في تطور علم التاريخ — « الجغرافيا التاريخية » أي وصف البلاد والشعوب ، ومزج ذلك الوصف بالأقاصيص التاريخية . وآمن اليونان بكروية الأرض ، وتابعوا تعرفهم الرياضي بالأرض وسطحها ، ولا سيما عن طريق رحلاتهم الملاحية والتجارية ، وبعد أن قام « الاسكندر المقدوني » بفتوحاته التي وصل فيها حتى بلاد الهند . وظهر عديد من الفلاسفة والباحثين اليونان ، يؤكدون علاقات البشر والأحداث بالطبيعة ، ومنهم هيرودوت ، وأريسطو ، وتيئوفراستوس ، وحتى « هيبوقراط » (أبو الطب ، وظهر حوالي ٤٨٠ ق.م) . وجاء العالم «إيراتوستين» في القرن الثالث ق.م ليقيس في مصر ، خط الطول ، وليضع خريطة للعالم ، رسمت عليها خطوط الطول والعرض ، وقد بقيت هذه الخريطة أساساً من أسس المعرفة الجغرافية عبر العصور . وظهرت من ثم كلمة « جغرافيا » إلى حيز الوجود ، وأطلقت على تلك المعرفة .

وفي العهد الروماني ، تطورت الدراسة الجغرافية في المجال الرياضي ؛ حيث

وجدت أول خرائط تعتمد على المرتسمات ، وتوسعت الرقعة المكانية الموصوفة من سطح الأرض نتيجة الفتوحات الرومانية . ووضع « بطليموس » في القرن الثاني الميلادي كتابه الهام « الجغرافيا » .

وفي العصور الوسطى الأوربية انحطت المعارف الجغرافية ، وكان اهتمام الاوربيين بالكتاب المقدس ، وبالتوراة منه ، عاملا هاما في تقليص صورة العالم ، إلى الصورة الواردة فيه ، واعتقدوا أن الأرض مسطحة . إلا أن العرب المسلمين في تلك المرحلة الزمنية ارتقوا بعلم الجغرافيا ارتقاء كبيرا ، فآمنوا بكروية الأرض، وترجموا بطليموس ، وقاموا برحلات جغرافية عديدة وواسعة ، وانشؤوا كرات أرضية وسماوية لاتزال نماذج منها قائمة ، وصنعوا الخرائط ، وخلفوا الكتب الجغرافية العديدة . وبرز عدد كبير من الجغرافيين الأفذاذ ، كابن خرداذبة[1] ، الاصطخري ، وابن رسته[2] ،والمقدسي[3] ، وأبي الفداء ، والادريسي ، وياقوت الحموي وغيرهم .

وكان لاحتكاك الأوربيين بالحضارة العربية الاسلامية على الارض الأوربية (في الأندلس، وجنوبي ايطاليا،وصقلية، وجنوب شرقي فرنسا)، وعلى الارض العربية (في بلاد الشام عبر الحروب الصليبية ، وفي شمالي أفريقيا عبر التجارة) أثره الكبير في تطور علم الجغرافيا عند الأوربيين . وجاءت الكشوف الجغرافية لتفتح آفاقا جديدة أمام هذا العلم : فتطورت مرتسمات تمثيل الأرض ، ورسمت خرائط

---

(١) ابن خرداذبة : عبيد الله بن احمد المتوفى ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م مؤرخ جغرافي من اهل بغداد . تولى البريد والخبر في عهد الخليفة المعتمد العباسي . له عدة تصانيف منها « المسالك والممالك » . انظر الاعلام ج ٤ . ص ٣٤٢ .

(٢) أحمد بن عمر بن رسته : عاش في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ بين التاسع والعاشر الميلاديين ، في مدينة اصفهان ، ولا يعرف شيء كثير من حياته . صنف كتابه « الاعلاق النفيسة » ولم يصل منه سوى جزء . وهو مطبوع .
فان ارندنك ، ابن رسته ، دائرة المعارف الاسلامية المعربة. مجلد ١ . ص١٦٦.

(٣) محمد بن أحمد البشاري شمس الدين المقدسي ، المتوفى حوالي ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠ م . ولد في القدس ، وعمل في التجارة ، ورحل كثيرا . صنف كتابه « أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » ، وفيه كثير من الخرائط .
الأعلام . ج ٦ . ص ٢٠٣ .

ذات طابع علمي دقيق ، وقيس محيط الأرض في أواخر القرن الثامن عشر ؛ وتزايدت الرحلات ، ودونت كتب كثيرة في وصف أجزاء الأرض .

إلا أن القرن التاسع عشر كان هو القرن الذي خطت فيه « الجغرافيا » خطوات كبيرة نحو الأمام على يد العالمين الألمانيين (اسكندر همبولت) (١٧٦٩ـ ١٨٥٩) ، و « وكارل ريتر » (١٧٧٩ ـ ١٨٥٩) ، حيث طبقا الطرائق العلمية على دراسة مشكلات الجغرافيا البشرية ، وبيّنا أثر الوسط الجغرافي على الانسان وعلى تاريخه.وظهرت الجمعيات الجغرافية لدفع هذا العلم قدماء ونشأت مؤسسات جغرافية في الجامعات ، وصدرت المجلات الاختصاصية بهذا الشأن ، والمؤلفات الضخمة والمعاجم الجغرافية ، والموسوعات ، كما تكون الاتحاد العالمي الجغرافي. ونما مع هذا التطور علم الخرائط . وصنع الأطالس ، كما ازداد التخصص . وغدت « الجغرافيا الحديثة » تملك وسائل بحث وتوثيق غنية جداً ومتنوعة . وقد ظهرت متقدمة بوجهيها : **الأول** ، الوجه الوصفي الذي يعرّف بمظاهر العالم وأنماط حياة المجتمعات البشرية **والثاني** : الوجه الرياضي ، الذي هو بمثابة نوع من هندسة الأرض ، أي القياسات التي لاغنى عنها لتحديد مختلف المظاهر على سطحها (خط الطول ، العرض ، الارتفاع ، طول السواحل ، الشبكات المائية، واقع المدن .. الخ) ، وتكون الخريطة في هذه الحالة هي الترجمة البيانية لمختلف تلك القياسات .

وفي الحقيقة إن « الجغرافيا الوصفية » لم تكتف بالوصف ، بل سعت للبحث عن أسباب الظاهرات التي تصفها ، وتوصلت إلى قوانين بهذا الشأن .

ويمكن القول إن الجغرافيا بدت في القرن العشرين ، وإلى حد ما ، كعلم طبيعي للانسان ، أي علم يدرس العلاقات المتبادلة بين الانسان والطبيعة . فالانسان ليس مجرد ساكن للأرض ، وإنما يلعب دور عنصر أساسي في بنية الكرة الأرضية مثله في ذلك مثل العناصر الطبيعية .

وقد تفرع علم « الجغرافيا » مع نموه ، إلى عدة فروع منها : « الجغرافيا الاقليمية » وتدرس « إقليما معينا » من جميع النواحي الطبيعية ، والبشرية . و « الجغرافيا العامة » والدراسة فيها على مستوى الكرة الأرضية لجميع العناصر

التي تدخل في بنية تلك الكـرة : (العوامل الجوية ، المائيـة ، الجيولوجية ، والبيولوجية، والبشرية)•وهذا النوع من الجغرافيا ينشعب إلى أقسام: كـ«الجغرافيا الطبيعية »، و « الجغرافيا الحيوية » (وتبحث في الحياة النباتية والحيوانية) ، و«الجغرافيا البشرية»، وهي جغرافية الجماعات البشرية في علاقاتها مع سطح الأرض• فهي تدرس الانسان في توزعه ، وفي أشكال فعالياته ، التي يمارسها ، ليحصل من الأرض على المنتوجات الضرورية ، لارضاء حاجاته (الغذاء ، اللباس ، السكن ، الأدوات •• الخ) • وقد انبثق عن الجغرافيا البشرية بدورها فروع ، « كالجغرافيا الديموغرافية » ، وتدرس السكان على سطح الأرض، وفي اقليم محدد ، أي عددهم في وقت معين وبنيتهم • ولا تركز على العدد الاجمالي فحسب ، وإنما تهتم بالعنصر الفعال منهم ، كنسبة الشباب إلى الشيوخ ، ومدى سرعة التجدد البشري ، وحركات الهجرة •

وهناك أيضا « الجغرافيا الاقتصادية والاجتماعية » ، وتوجه انتباهها إلى أشكال الفعالية التي تهدف الى استثمار المنطقة التي يتوزع عليها السكان ، وإلى الانتاج ، لا بصفته سلعة ، وإنما بصفته تعبيراً عن العمل ، أي عن الظروف التقنية ، والاجتماعية والديموغرافية •

ويمكن القول إن « الجغرافيا البشرية العامة » بتفرعاتها ، تهدف الى وضع قائمة بأشكال الفعاليات البشرية ، ودراسة توزع الأنماط الرئيسة على سطح الأرض ، وتفسيره •

ومن العرض السريع السابق « لتاريخ علم الجغرافيا » ، ودراساته ، تتضح تماماً ، تلك الصلة القوية بين علمي التاريخ والجغرافيا • فطرح المشكلات الانسانية بتماسها مع الأرض ، أو بتعبير أدق ، في إطار من الحقائق الجغرافية ، لايقل أهمية وضرورة عن طرحها في إطارها الزمني ، وذلك لادراك المعطيات التاريخية **بطريقة مشخصة وواقعية** ، والبحث فيها عن **اثر الوسط والبيئة ، وعن اثر الانسان الفاعل في التاريخ بالمقابل** ، في الوسط والبيئة •

إن الحقيقة الأخيرة ، تفرض على كل من يمارس البحث في التاريخ ، أن

يحدد مكان الوقائع التي يدرسها ، وان يتثبت من هوية اسماء الامكنة ، وان يلاحظ على الطبيعة ومباشرة مواقع الأحداث ، وان يتعرف آثار الماضي ومخلفاتـه في تلك المواقـع .

إن **تحديد المكان** قد يجري أحيانا دون صعوبـة مـا ، بسبب الايضاحات الكافيـة ، الواردة في النصوص ، أو وثائق الأرشيف ، أو عن طريـق المخلفات الأثرية ، إلا أنه قد يكون من العسير جدا أحيانا أخرى تحديد ذلك المكان ، ولا سيما إذا كان من الماضي البعيد ، وتغير اسمه على مرور الزمن . فمن عمل البلحث التاريخي أن يسعى بشتى السبل لتحديد ذلك المكان ، الذي تشير الوثيقة الى انه كان مسرحا لاحداث تاريخية معينة .

ولا يكتفي الباحث بتعيين مكان الأحداث ، وإنما عليه بادىء ذي بدء تحديد المكان الذي كتبت فيه الوثيقة التي يستقي منها « فتاريخ » وثيقة دبلوماسية مثلا ليس تحديدا لزمانها فحسب ، وانما المكان أيضا الذي صدرت منه . وقد تشير الوثيقة إلى المكان ، وقد تذكر مكانا غير الذي تمت كتابتها فيه .فقد جرت العادة في فرنسا منذ القرن الثالث عشر مثلا ، ان ترسـل الوثائق باسم الملك ، وباسم العاصمة ، إلى البلاطات الأخرى ، حاضراً كان الملك في العاصمة أم غائبا عنها . ومن هنا يتضح أنه من الصعب وضع خط لتنقلات شخصية كبيرة ما ، عن طريق دراسة الوثائق التي صدرت باسمها ، أو بتعبير آخر ، التعرف « بالاماكن » التي وجدت فيها خلال فترة زمنية معينة ، جرت خلالها أحداث هامة .

ومهما تكن الصعوبات التي تواجه الباحث عند « تحديد المكان » ، فانه لابد من التذكير ان هذا التحديد يتم ببيان احداثيي المكان ، أي بخطي الطول والعرض اللذين يمران منه . وإذا كان من العسير الوصول الى تلك الدقة بالنسبة للماضي، فيكون التحديد ببيان بعد هذا المكان عن مكان معروف جدا ، وبايضاح اتجاهه بالنسبة اليه ، (ضمن الجهات الاصلية والفرعية) .

إن « تحديد أمكنة الأحداث » يفرض بالطبع **« التعرف باسماء الامكنة »** وتحديد البقاع ، أو البلدان ، أو المدن ، أو غيرها التي تقابل تلك الاسماء في الوقت

الحاضر . فقد ترد هذه الاسماء بلغات قديمة ، وقد تكون اسماؤها السابقة قد زالت واعطيت أسماء أخرى على توالي العصور . وهذا يلاحظ على نطاق واسع في اختلاف اسماء الامكنة بين القديم والحديث . فـ « أوغاريت » في الماضي مثلا هي « رأس شمرة » اليوم ، و « ايبلا » هي « تل مرديخ » ومثلها كثير وكثير . ولذا لا بد من العودة إلى « علم اللسانيات » (اللنغوستيك) لتعرف كيف تغير لفظ اسم المكان مع توالي الزمن .

وفي الحقيقة ان لدى المؤرخين عديدا من الوسائل المعينة للتعرف بأسماء الامكنة وتحديد مواقعها : فهناك المعاجم الجغرافية ، والطبوغرافية ، والخرائط والاطالس . وقد اهتم العرب المسلمون بالمكان وتحديده ، وبيان الاسماء التي توالت عليه ، وتاريخه ، ولذلك فانهم قدموا عن طريق المعاجم الجغرافية التي انشؤوها ابان ازدهار الحضارة العربية الاسلامية ، ومن خلال مؤلفاتهم الجغرافية المختلفة وخرائطهم خدمات جلى للتاريخ . ككتاب « معجم البلدان » لياقوت الحموي[1] ، و « تقويم البلدان » لابي الفداء[2] ، و « المسالك والممالك » للاصطخري[3] ، وغيرها كثير . وإن معظم بلدان العالم تملك هي الأخرى عديدا من المعاجم التاريخية الجغرافية والاطالس والخرائط ، التي تفيد الباحث في الوصول الى حقيقة المكان . بل إن فرنسا أصدرت معجما طبوغرافيا يزيد عن أربعين مجلدا[4] وإن « سورية » بصدد اصدار معجم جغرافي كبير ، وقد ابتدأت العمل به في هذا العام ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م .

---

(١) ياقوت بن عبد الله الرومي . مؤرخ ومن ائمة الجغرافيين والعلماء باللغة والأدب . كان عبدا ثم اعتق . من مؤلفاته « معجم البلدان » و « معجم الأدباء » توفي ٦٢٦ هـ/١٢٢٩ م .

(٢) اسماعيل بن علي الملك المؤيد صاحب حماه مؤرخ وجغرافي له « المختصر في تاريخ البشر » و « تقويم البلدان » توفي ٧٣٢ هـ/١٣٣١ م .

(٣) ابراهيم بن محمد الفارسي . جغرافي له « صور الاقاليم » و « المسالك والممالك » توفي ٣٤٦ هـ/٩٥٧ م .

(٤) انظر حوله :

Charles Higounet, La Géohistoire, dans « l'histoire et ses Méthodes ». p. 70.

وعلى المؤرخ عند تحديده للمكان أن يستخدم « الخريطة » ، ليكون تحديده واضحا ، ودقيقا ، وليرى كيف ان التاريخ يجري في اطاره المكاني المحسوس . وهناك الخرائط القديمة ، والخرائط الطبوغرافية الحديثة قادرة على أن توضح للباحث المواقع الدقيقة للاماكن بعد تعرف أسمائها . وقد يقوده هذا إلى « ملاحظة مواقع الأحداث مباشرة » أي يرى تلك المواقع على الطبيعة لا على الخريطة ، وهذا هو المفضل في البحث التاريخي : فالباحث في معركة اليرموك مثلا عليه أن يلاحظ المكان الذي جرت فيه المعركة ، والدارس لحضارة « ماري » عليه أن يكون في موقعها ، وهلم جرا . ان « علم الآثار » يعتمد كليا على « الملاحظة في المكان » ، وكان « التاريخ العسكري » أول ماذهب إلى المكان ، ولاحظ مواقع الأحداث . ولم تتوسع دراسات « الجغرافيا البشرية » عن « المكن » إلا بملاحظة المكان مباشرة . وفي الواقع إن الفائدة التي يجنيها التاريخ من تحديد المكان وملاحظته مباشرة لاتقل أبدا عن فائدة العلوم السالفةالذكر : فبملاحظته للمكان تأخذ بعض مظاهر التاريخ السياسي ، والاجتماعي ، والقضايا الاقتصادية المختلفة ، بل وبعض مظاهر الحياة الدينية ، أبعادها الحقيقية ، وتتضح كثير من جوانبها الخفية . ان مشاهدة موقع « قلعة » : تعني التهيؤ لفهم تاريخها ، وزيارة مدينة كتدمر مثلا وملاحظة ابنيتها ، ومخططها ، ومعابدها وأحيائها ، هي تغلغل في ماضيها الاجتماعي . فعلى المؤرخ اذا أن يخرج من مكتب عمله ، وان يضيف الى الصيغة المتداولة والمعروفة ، وهي « التاريخ يصنع بالوثائق » — بمعناها الواسع — « التاريخ يصنع بالمكان والموقع » . ان هذا التماس الشخصي مع الوسط الجغرافي ، والمعنى المكتسب من المنظر التاريخي ، يعطيان المؤرخ حماسة جديدة ، ويولدان لديه تماطفا أكثر عمقا مع موضوع الدراسة ويمنحان صياغته التاريخية اسلوبا اشد دقة ، ويقودانه للتفكير في الصراع اللانهائي بين الانسان والاشياء[1] .

(1) L'histoire et ses méthodes, p. 71.

العلاقة بين الجغرافيا والتاريخ :

اذا ما حلت مشكلة تحديد المكان أو الأين : فانه تبقى المشكلة الكبيرة ، المرتبطة بهذا الأين ، وهي العلاقة بين الجغرافيا والتاريخ . وهنا يمكن تجاوز الجدل الذي دار بين العلماء حول مبدأ « الحتمية الجغرافية » . فقد حاول بعض المفكرين والمؤرخين أن يفسروا تاريخ منطقة ما بجغرافيتها ، فـ « بودان Bodin »[1] ومونتسكيو Montesquieu [2] فسرا تاريخ اليونان بجغرافيتها ؛ قائلين ان قلة خصوبة أرض منطقة أتيكا في بلاد اليونان (منطقة أثينا) أدى الى قيام حكومة شعبية فيها ، بينما كانت خصوبة لاكيديمونيا (اسبرطة) سببا في قيام حكومة ارستقراطية ، الا أن « هيغل » رفض هذا التفسير . ومع ذلك فقد عاد الجغرافي الالماني « راتزل Ratzel » في القرن التاسع عشر ، وهو مؤسس الجغرافيا البشرية ، يطرح بين عامي ١٨٨٢ ـ ١٨٩١ مبدأ « الارتباط الحتمي » هذا بين التاريخ والجغرافيا ، مؤكدا ان « الوسط يصنع الانسان » . الا أن هذا التعميم المطلق أثار جدلا طويلا لا يزال قائما الى الآن . وقد رفض العلماء والمؤرخون بصفة عامة مفهوم التأثير المطلق ، مع اعترافهم بالاثر الكبير للمحيط الجغرافي على الانسان وتاريخه . ومن أفضل ما كتب في هذا المضمار كان « الارض والتطور البشري » للمؤرخ الفرنسي « لوسيان فيفر L. Febvre » وذلك في عام ١٩٢٢ .

واذا ما أريد طرح بعض الامثلة عن العلاقة بين التاريخ والجغرافيا ، فانه لن يلجأ الى تلك الامثلة التقليدية ذات المضمون الواسع ، كأثر كون انكلترا جزيرة على تاريخها مثلا ، وانما سيسعى الى ابراز علاقات الصق ، وأكثر تحديدا : فهناك التغيرات المناخية المحلية المستمرة والدائمة ؛ أو التي تجري صدفة وآنيا . ان تلك التغيرات ذات أثر واضح بل ومهيمن : فكثير من الازمات الغذائية في تاريخ

---

(١) فيلسوف واقتصادي فرنسي (١٥٣٠ ـ ١٥٩٦) . له مؤلفات في طريقة تسهيل المعرفة التاريخية ، وآراء جديدة في الاقتصاد والتضخم النقدي ، الذي عاشته أوربا في القرن السادس عشر . ومن مؤلفاته الهامة كتابه « الجمهورية » .

(٢) مفكر واديب فرنسي (١٦٨٩ ـ ١٧٥٥) كان لكتاباته اثر في حركة التنوير التي سبقت الثورة الفرنسية . من أشهر مؤلفاته « الرسائل » و « روح القوانين » .

العصور الوسطى والحديثة مثلا ، كان نتائج مباشرة لفصول شتاء قاسية ، أو لفيضانات كاسحة . إلا أنه مقابل الأمثلة التي تدل على تغلب قوى الطبيعة على الانسان ، هنالك شواهد لا حصر لها عن تغلب الانسان على الظروف الطبيعية : فقد استطاع أن يحول المناطق الجافة الى رياض وارفة ، باستخدامه وسائل مختلفة لايصال الماء اليها ، كما عاش في المناطق ذات البرد القارص ، كالكنديين والسيبريين، وسعى بالتقنيات التي اخترعها كي يوفر لنفسه فيها سبل حياة طبيعية . واذا كانت التأثيرات المناخية في الماضي قد لعبت دورها في تاريخ المعارك الحربية ، ومن ثم فإن المحاربين نادرا ماكانوا يشنون القتال في فصل الشتاء ، وان شتاء روسيا كان له أثره الفعال في هزيمة نابليون ، فإن التطورات التقنية الجديدة ، تغلبت اليوم على الكثير من تلك الصعاب .

وقد يبدو أثر التضاريس أقوى ما يكون على حياة الانسان عندما منعه من شق طرق مواصلات عبر الكتل الجبلية المرتفعة ، إلا أن هذا بدوره ،لم يقف عائقا في وجه الانسان عن إيجاد ممرات له عبرها . فالانسان يبدو فعالا وقويا في تخطي العقبات الطبيعية والجغرافية وازالتها . فرمال قناة السويس تراجعت أمام جهود العمال المصريين عندما قام« فرديناند دولسبس »[1] بحفرها سنة (١٨٥٩–١٨٦٩). وعنت الأرض مهما كان نوعها للتقنية الحديثة .

وخلاصة القول إن الطبيعة تقدم للانسان امكانات البقاء ، والدفاع ، والتنقل، أو امكانات علاقات ، والانسان يتناولها غالبا غريزيا ، أو بعد تفكير ، ويستفيد منها،إلا أنه قد يفرض كذلك اختياراً آخر، لاعلاقة له مع هذه الامكانات الممنوحة، فالتاريخ إذا لا يخضع للحتمية الجغرافية ، بشكل متصلب وقاس . وبهذا المعنى كان رد المؤرخ الجغرافي الفرنسي « برودیل Braudel » في كتابه الشهير « البحر

(١) دبلوماسي فرنسي ، كان يعمل قنصلا لبلاده في مصر عام ١٨٣٣ ، وقد استطاع ان يحصل من خديوي مصر (سعيد) عام ١٨٥٤ ، على امتياز بتكوين شركة تعمل على فتح قناة السويس واستثمارها لمدة (٩٩) سنة من تاريخ افتتاحها مقابل ١٥٪ من الارباح لمصر . وبعد افتتاحها عام ١٨٦٩ ، انصرف الى الاهتمام بتكوين شركة لفتح قناة « بنما » ، إلا ان الشركة افلست عام ١٨٨٩ . وقد عاش بين عامي (١٨٠٥ – ١٨٩٤) .

المتوسط والعالم المتوسطي زمن فيليب الثاني » فقال : « إن المحيط الجغرافي لا يخضع البشر لسلطانه كليا ، لأن قسما كبيرا من جهودهم ... كان للتخلص من قيود الطبيعة وقيوده » . فالجغرافيا لا تفسر اذا كل حياة البشر ولا تاريخهم ، إن الطبيعة تقدم وتقترح والانسان يتصرف ويدبر ، والمكان الذي يعيش الانسان فيه ، ويتحرك ضمنه ، لا يسيطر على كل شيء في حياته ، اذ أنه بدوره يسيطر على الأرض . ومن هنا كان على الباحث التاريخي ألا ينجرف وراء تلك التعليلات والتفسيرات العامة ، والبسيطة ، والواضحة ، بل عليه أن يبحث فقط عن مقدار **نصيب المحيط الجغرافي في تفسير التاريخ** . ونسبة دوره فيه . إن ماتلزم معرفته هو المقدار الحقيقي للتأثيرات الجغرافية ، وارودد الفعل البشرية خلال مجرى التاريخ . إن هذا التلاقي بين التاريخ والجغرافيا ، جعل المؤرخ « بروديل » يطلق على هذه الدراسة المتبادلة اسم « التاريخ الجغرافي Géohistoire » .

التاريخ الجغرافي والجغرافيا التاريخية : يرجع ظهور « الجغرافيا التاريخية » الى القرن السابع عشر، وقد نمت في القرن التاسع عشر على يد « فكتور دوروي »[1] و « هنري فالون »[2] ، إلا أنها تجمدت نتيجة لدراسات « أوغست لونغنون »[3]، في بحث « حدود الدول » و « التقسيمات الادارية » ، و « التقسيمات الكنسية » . ومع ذلك فإن أبحاثها العامة كانت مكملة للتاريخ السياسي والديني ، الاوربي بصفة خاصة ، إلا أنه كان ينقصها الاهتمام بالمناخ والتضاريس والنبات وأنماط الحياة القديمة .

---

(١) V. Duruy مؤرخ فرنسي (١٨١١ ـ ١٨٩٤) له نشاط واسع في حقل التعليم . كان وزيرا للتعليم ايام حكم « نابليون الثالث » .

(٢) H. Wallon مؤرخ ورجل سياسة فرنسي (١٨١٢ ـ ١٩٠٤) له مؤلفات تاريخية عديدة اهمها « القديس لويس وعصره » و « تاريخ المحكمة الثورية في باريس » .

(٣) A. H. Longnon مؤرخ فرنسي (١٨٤٤ ـ ١٩١١) درس « الجغرافيا التاريخية » في كلية فرنسا ١٨٩٢ . له « جغرافية بلاد الغول في القرن السادس » ، و « أطلس تاريخي » .

وقد أدت دراسات الجغرافي « راتزل » عن بنية الدول ، وأعمال « المؤرخين الجغرافيين » (الكارتوغراف) ، إلى ولادة علم جديد بين الحربين العالميتين ، وهو « السياسة الجغرافية » الذي يربط سياسة الدول وتطورها بعوامل جغرافية . وقد أثار هذا العلم كثيرا من القضايا المفيدة ، إلا أنه ما لبث أن فقد قيمته ، لاستخدامه المادة التاريخية الضئيلة التي كان يملكها ، استخداما غير سليم . ومنذ عام ١٩١٣ ، فكر « شارل بيرغاميني » « بجغرافيا تاريخية » ، تبحث بموجب مخطط تاريخي، أية مشكلة من مشكلات الجغرافيا البشرية ، ولا تقتصر على مشكلات « الجغرافيا السياسية » . وما لبثت أفكاره أن تبناها عدد من المؤرخين والجغرافيين ومنهم « لوسيان فيفر » .

وبذلك تكون « الجغرافيا التاريخية » هي **إعادة بناء الماضي الجغرافي** . فهي جغرافيا بشرية تنظر إلى الماضي والى الخلف ، وبتعبير آخر هي « طريقة لفهم التاريخ وكأنه تسلسل لعدة جغرافيات في الزمن » . وبذلك فهي مع « التاريخ الجغرافي » الذي يملأ اللوحات الجغرافية الماضية بحوادث التاريخ السياسي ، علم مساعد هام للباحث التاريخي ، إذا لم تكن عنصرا أساسيا من عناصر عمله . وفي الحقيقة ، هناك موضوعات تاريخية كثيرة لها علاقة ماسة بالجغرافيا التاريخية ، وأهمها قضية الحدود ، ومراحل تعمير مناطق الأرض المختلفة عبر العصور ، والهجرات ، والتطورات الاقتصادية بأنواعها ، وطرق المواصلات ، والتجارة ، والحج ، والفتوح ، والتطور التقني ، إلى غير ذلك من أمور أخرى عديدة . والمهم في جميع هذه الموضوعات ، وفي كل دراسة تاريخية أخرى ، أن يقدر الباحث التاريخي أولا معيار هذا النوع من الدراسات في التاريخ بصفة عامة ، وان يقدر معيار الجغرافيا فيها ثانيا .

وإذا كانت الدراسة التاريخية تستند دائما إلى خلفية جغرافية ، فإنه من الواضح أنه لا بد لكل دراسة جغرافية من خلفية تاريخية . فلا مناص مثلا عند دراسة المدن في الجغرافيا من مقدمة تاريخية لها ، طويلة أو قصيرة . فالتاريخ وحده هو القادر على تفسير أمور عديدة في بنية المدن : كيفية اتساع المدينة ،

ووسائل امتدادها بالطرق والتجارة ، والصناعة ، وكيف تحولت مثلا إلى عاصمة، أو الى مدينة صناعية ، وغير ذلك .

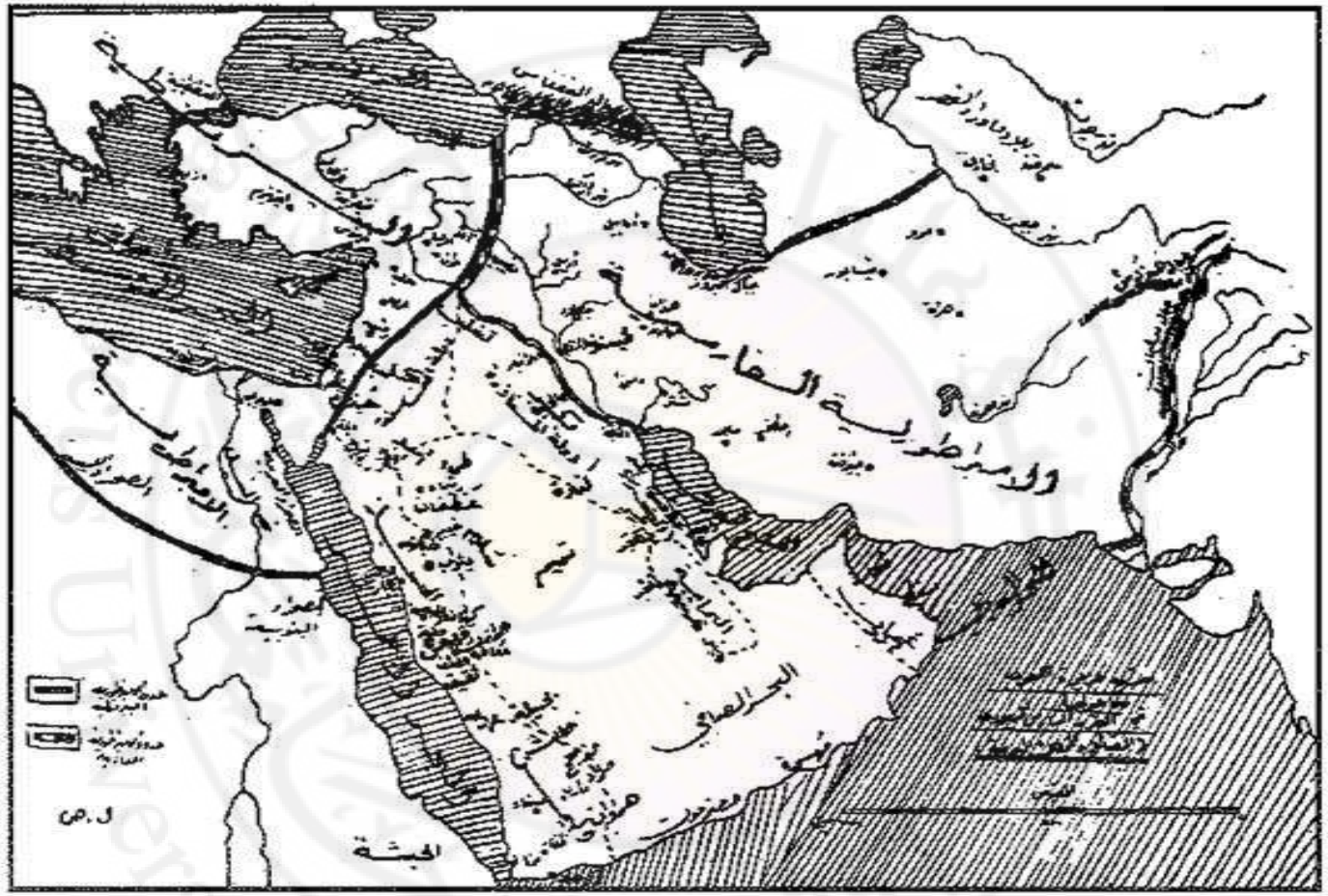
٣ ـ علم الخرائط التاريخية Cartographie Historique

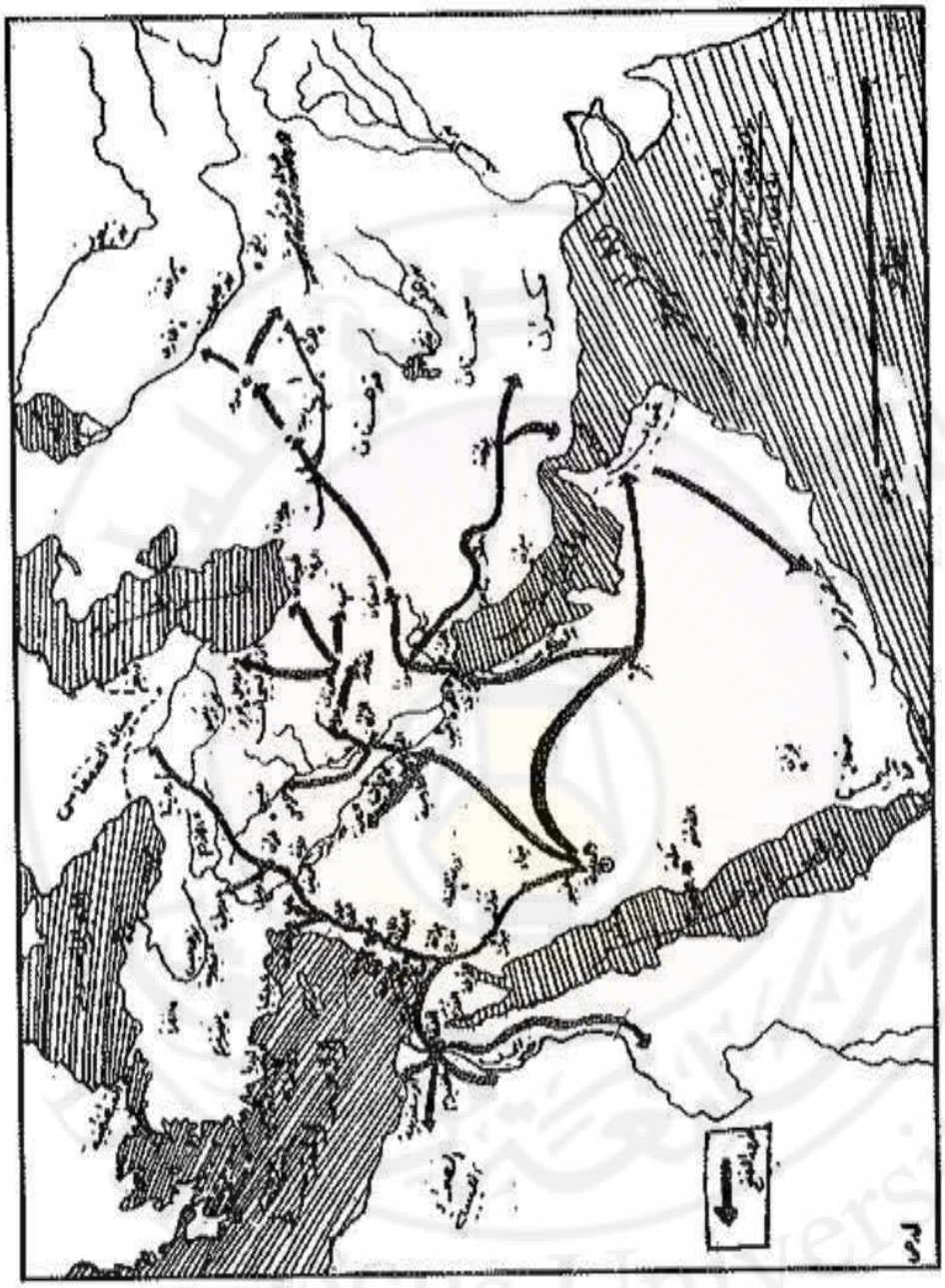
تجد « الجغرافيا التاريخية » مصبها الأخير في صنع « الخرائط » و «الاطالس التاريخية » . ويجب ألا يخلط ، كما يحدث أحيانا ، بين « خرائط تاريخية » و « إعادة صنع الخرائط القديمة » . فهذه الأخيرة هي من عمل الجغرافيين القدماء، أو صانعي الخرائط القدماء ، ومن ثم فهي « مصادر » التاريخ مثل غيرها من الوثائق ، وفي الوقت ذاته عامل مساعد هام لصنع « خرائط تاريخية » ، مثل « خريطة بطليموس »[1] « لشبه الجزيرة العربية» ، و « خريطة العالم » للجغرافي العربي الكبير«الادريسي »[2]. أما«الخرائط التاريخية »فهي **خرائط علمية معاصرة** تشمل خلاصة ابحاث ، تهدف لتمثيل ظاهرات تاريخية معينة ، أو هي الصورة التركيبية لتلك الابحاث . انظر الخريطة (١) ، والخريطة (٢) . وتمثل الاولى المشرق العربي ، وتوزع القبائل العربية فيه ، قبل ظهور الاسلام . بينما تمثل الثانية الطرق التي سارت عليها الجيوش الاسلامية خلال حروب الردة ، والفتوحات الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين .

---

(١) فلكي ورياضي وجغرافي يوناني عاش بين (٩٠ ـ ١٦٨) في الاسكندرية . وكتابه الذي اشتهر به هو « التركيب الكبير » أو « المجسطي Almageste » كما ترجمه العرب المسلمون . وله كتاب مهم آخر هو « جغرافية بطليموس » الذي تقدم خرائطه معطيات جغرافية تاريخية عن الزمن الذي عاشه .

(٢) محمد بن محمد الحسني الطالبي مؤرخ وجغرافي (توفي ٥٦٠ هـ/١١٦٥ م) من ادارسة المغرب الاقصى . رحل إلى صقلية ، وقربه اليه صاحبها « روجر الثاني » النورمندي ، فوضع له كتابه المشهور « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » . وله مؤلفات اخرى مفيد . وبعضها في علم النبات .


البحر العربي
الحبشة



(الخريطة ـ ٢)

إن علم « الخرائط التاريخية » قد اهتم أول ما اهتم ، بحدود الدول ، والتقسيمات الادارية شأنه في ذلك شأن « الجغرافيا التاريخية » نفسها . إلا أنه ما لبث أن وسع دائرة عمله مع اتساع أفق ذلك النوع من الجغرافيا . فظهرت في أوربا مثلا عدة أطالس تاريخية تقدم وصفا لجميع مظاهر التاريخ في مختلف دول أوربا الوسطى ، وضمن نظام معين . ولم تلبث أعمال المؤرخين والجغرافيين على السواء أن فتحت الباب لمسالك جديدة، كخرائط للهجرات وأخرى للغابات القديمة، وللحصون الاقطاعية ، والفن الروماني ، وغير ذلك من الأمور. بل إن الاتجاه اليوم هو تثبيت جميع مظاهر الحضارة على الخريطة. ومن أشهر هذه الاطالس « أطلس الحضارة الغربية » L'Atlas de la Civilisation Occidentale الذي وضعه عالم الآثار الهولندي «فردريك غربين لويس فان درمير F. Van der Meer »(١٩٠٤—) وأراد منه بصفة خاصة أن يكون منعكسا للحياة الثقافية . وان الاطلس الذي ظهر حديثا بالالمانية تحت اسم Atlas Zur Weltgeschichte [1] ، يفسح مكانا لتمثيل الفعاليات الاقتصادية ، الى جانب الخرائط السياسية التقليدية . ومن أمثلة تلك الفعاليات : التعمير الريفي ، المعارض ؛ الاسواق ، النقود ، والمقاييس ، التيارات التجارية، المناجم ، والصناعات . كما إنه يحتوي تمثيلا للنواحي الدينية ، والفكرية والفنية (توزع المذاهب الدينية في أوربا خلال الاصلاح الديني ، الجامعات ، الطلاب ، المطابع ، انتشار التقنيات والفنون) . وفي الواقع إن كل دولة اليوم تسعى ليكون لها مرآة خريطية لتاريخها ، على غرار ما احتواه ذلك الاطلس . ولذا فمن الواجب أن يكون لسورية أيضا اطلس تاريخي علمي ، يعتمد على تفتح البحث التاريخي والجغرافي القائم حاليا .

---

(١) صدر في ايلول عام ١٩٦٤ بطبعته الالمانية من قبل « هرمان كيندر وفرنر هيلغمان » Hermannkinder and worner Hilgemann وبالتعاون من اجل صنع الخرائط ، مع « هيرالد وروث بوكور Herald and Ruth Bukor » . وصدرت الطبعة الفرنسية عن طريق مكتبة « ستوك » عام ١٩٦٨ تحت عنوان اطلس تاريخي Atlas Historique

الطريقة الخريطية في التاريخ :

إن « الخريطة » في التاريخ ، أكانت خريطة طبوغرافية أم خريطة عمل ، أم خريطة أطلس ، يجب ألا ينظر اليها على أنها مجرد قائمة تتجمع ، أو تتمثل فيها الظاهرات الماضية فحسب ، وإنما على أنها وسيلة للبحث والتفسير أيضا . وفي هذا الاتجاه يمكن أن نستخلص منها « طريقة خريطية » . ومن المهم قبل كل شيء ، تحديد كل لبس حول مفهوم « الطريقة الخريطية » : فهذه الطريقة بصفتها طريقة تفسير ، تأتي لتضاف الى الطرائق السابقة : كالطريقة النقدية ، وطريقة الموازنة ، والطريقة الاحصائية ، أداة بحث بين أيدي المؤرخين ، لا لتحل محلها . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ، يجب الا تفسر كلمة « خريطة » على انها تقتصر على البحث عن وسائل « التمثيل البياني » بهدف صنع « الخرائط التاريخية » . صحيح ، انها لن تهمل قضايا التعبير البياني ، الا ان هدفها الرئيسي سيكون البحث ، عبر صنع خرائط مؤقتة أو « وسيطة » ، وعبر تفسير الخرائط الطبوغرافية ، عن علاقات بين جميع الحقائق التي سجلت على الخريطة ، بما فيها الحقائق الطبيعية ، وهي علاقات قد لا يمكن أن ترى بطريقة أخرى . وبصورة مختصرة ، ان « الطريقة الخريطية » هي طريقة بحث تسعى لايضاح الظاهرات التاريخية من طريق تسجيلها على خريطة .

وانطلاقا من المسلمتين المذكورتين آنفا : واولاهما ان التاريخ قد جرى في المكان ، وثانيتهما انه قد خلف قليلا أو كثيرا ، آثارا على الارض ، فان المؤرخ الذي يدرس مشكلة معينة ، أو مرحلة محددة ، يمكنه أن يضع كفرضية من فرضيات البحث ، هذا المخطط او ذاك ، كما يمكنه أن يستشير تلك الخريطة القديمة ، أو هذه الحديثة ، ليفهم بعض مظاهر الاشياء ، أو الاحداث ، التي لا تبدو واضحة في الوثائق المكتوبة ، أو التي تستعصي على طرائق التفسير الاخرى . فالخريطة باجابتها عن السؤال (أين) ، قد توحي بعناصر اجابة عن الاسئلة : (كيف) و (لماذا) ، فهي بهذا المعنى « تجربة » قد تنجح وقد تخفق .

واذا ما أريد تطبيق « الطريقة الخريطية » عمليا فانها تظهر في أمرين :



(الخريطة ـ ٣)

أولهما انشاء « خرائط توزيع » (انظر الخريطة ٣) وهي وسيلة مستخدمة على نطاق واسع ، ومنذ مدة طويلة في علوم الملاحظة ، كما هي مستخدمة في علم الاجتماع ، وعلم الاقوام (اتنوغرافيا) ، وعلم اللسانيات (اللنغوستيك) . الا ان تطبيق هذه الطريقة على التاريخ يتطلب عملا تحضيريا كبيرا من البحث ، والنقد ، يفوق ما يتطلب في علوم الملاحظة . فصنع « خريطة توزيع » يفرض على الباحث، بالاضافة الى البحث والنقد ، دراسة أوسع من حدود الموضوع الذي يطرحه . فليس أخطر من صنع خريطة توزيع لجزء فقط من التوثيق ، بل اذا كان هنـاك ثغرات في هذا التوثيق ، لابد أن يستنبط منها ما أمكن جميع احداثيات الزمان والمكان ، حتى يستطاع اعتبار الاماكن الشاغرة في الخريطة ملغاة .

ان هذا السير المنهجي ، يطرح مشكلات « التعبير البياني » (الغرافي) : كاختيار حجم الخريطة ، ومقياسها ، وأرضيتها ، ثم رسم المعطيات التاريخيـة . وهذه أمور من السير الدخول في تفصيلاتها هنا ، الا أن هيكلا أوليـا للخريطة ، وبمقياس صغير ، يكوّن نوعا من التجربة المسبقة ، قد يؤدي الى نتائج مفيدة . ان المقياس النهائي للخريطة يرتبط بالطبع بالحادث المدروس، ومدى تشتت المعطيات، وسعة المسافات الا أنه يمكن القول بصورة عامة ، ان العمل يجب ان يجري على مقاييس كبيرة للخرائط ، حتى يكون تحديد مواقع المعطيات دقيقـا ، ويتجنب تكدسها فوق بعضها . ومن حيث الارضية الاساسيـة للخريطة ، فمن المغري أن تستخدم مباشرة خرائط قديمة أو حديثة ، ولكن مقياس المساحات على الخريطة قد يشوش عمل التفسير . ولذا فمن المستحسن ، أن تهيـأ « أرضية الخريطة » مقدما ، مع بعض المواقع عليها ، ومع المظاهر الاساسية للتضاريس ، لان حـذف هذه الاخيرة من الخريطة يعني في الواقع افتقاد الباحث عامل فرضيات هام . أما حول « رسم المعطيات » ، فان هذا الرسم يجب أن تتحقق فيه امكانية الرؤيـة الواضحة ، وامكانية الموازنة . ويوجد اليوم تقنية حقيقية لهذا الامر ، واشارات اصطلاحية ، ومركبات بيانيـة ، كان « جاك برتن Bertin » قد وضعها نظريا ومارسها عمليا ، ولا يمكن للمؤرخ أن يجهلها .

ان **التطبيق العملي الثاني** الطريقة الخريطية هو في تحليل المخططات والخرائط الطبوغرافية القديمة والحديثة ، اما بهدف ايضاح ظاهرة خاصة جرت في نطاقها المحدد ، أو الكشف بطريقة نظامية عما تحويه تلك المخططات ، من تاريخ متطبق لا يظهر للعيان . ومن الخريطة الطبوغرافيـة ، يقترب الباحث أكثر فأكثر من « **التصوير الجوي** » . ويشخص هذا التصوير بشكل أفضل من الخريطة ، بعض الوقائع التاريخية المتحجرة في الارض ، أو التي لاتزال العين في المنظر العام لمنطقة ما : كالبنى الزراعية القديمة ، والمساكن والمباني المندثرة ، والطرقات السابقة . وبهذه الطريقـة تمكنوا من تعرف عديد من المواقـع الأثرية ، ومن التلال التي تخفي تحتها آثاراً ذات قيمة . ويتضح من ذلك ، ان هذه الخطوة الثانية في « الطريقة الخريطية » تقود الباحث الى الارض ذاتها .

ولكن يجب الا ينسى في هذا المجال ، ان « خرائط التوزيع » ، و « الخريطة الطبوغرافية » و « الصور الجوية » ، والارض نفسها : كلها غير قادرة على تحقيق الدور المنتظر منها ، الا اذا سئلت وفسرت .

ويتم تفسير « **خرائط التوزيع** » بالبحث عن العلاقات بين المعطية التاريخية الممثلة بيانياً ، وبين مجموع المعطيات الاخرى التي توضحها الخريطة ، أو توحي بها . وأول العلاقات الموحى بها ، قد تكون علاقات مع الخلفية الطبيعية ، كالتضاريس ، والتربة ، والانهار والنباتات . وقد تكون هذه العلاقات شبه واضحة على المستوى المحلي : فالتضاريس في سورية يمكن أن تفسر جزئياً مثلاً ظهور « دول المدن » في العصور القديمة ، وموقع مدينة « تدمر » يفسر الى حد ما نشأتها ونموها ،وخصوبة التربة وفقرها ، ووفرة الماء وشحه يفسران توزع القرى في الماضي والحاضر ، الى غير ذلك . بل ان علاقات المعطيات الخريطية مع ظاهرات أخرى ، بشرية واقتصادية معاصرة ، قد تثير هي الاخرى أموراً ذات شأن . فقد لاحظ الباحثون في فرنسا مثلاً ، علاقة بين مجموعة الحصون الصغيرة في جنوبها الغربي وبين مناطق التماس في هذا الاقليم في القرن الثالث عشر ، أي بين حدود فرنسا آنذاك ومنطقـة الاكيتين . ومع ان التفسير العسكري لهذه العلاقة هو مجال نقاش ، الا انهم يرون ان لابد من تفسير هذه الصلة (الجزئية في مجموع الظاهرة) بين هذه الحصون والحدود . ومشابه

لهذه الظاهرة الى حد ما ، القصور التي بناها الخلفاء الامويون على تخوم الصحراء في بلاد الشام (كقصري الحير ، ودارة القصور في شرق الاردن) ، والتي كان البيزنطيون قد أقاموا في السابق قربها حصونا • وان البحث عن صلات مع محاور الانتقال والاتصال يمكن أن يكون له جدواه أيضا • ومثال على ذلك ، ان احد الباحثين استطاع من معطياته عن أصل « سائسي البغال » و « سائقي العربات » الذين استخدمهم تجار مدينة « طولوز » في فرنسا ، أن يضع يده على أهمية الطريق التي كانت تصل هذه المدينة بمنطقة « البيارن Bearn » في القرنين الرابع عشر والخامس عشر • ويستدل من هذا انه من واجب الباحث الا يهمل أية امكانية موازنة خريطية ، حتى ولو بدت المعطيات لاول وهلة متباعدة جدا عن بعضها في نوعيتها •

إن دراسة مخططات القرنين السابع عشر والثامن عشر وخرائطهما ، ودراسة الكاداستر[1] في القرن التاسع عشر ، لاتدخل ابدا ضمن « الطريقة التحليلية » السالفة الذكر ، اذا ما استخدمت تلك الوثائق بصفتها مصادر مباشرة لتاريخ الحقبة المشار اليها • ان « الطريقة الخريطية » لاتطبق في الحقيقة عليها ، ولا على الخرائط المعاصرة ، الا اذا عمل على قراءة تطبقات الماضي فيها ، كما يقرأ في نقش • ان تلك **الدراسة التحليلية للخرائط** ، من الدراسات الهامة جدا في التعليم الجغرافي ، وفي البحوث الجغرافية ، وبتوجيهها بصفة خاصة نحو ملاحظة المشكلات الطبيعية ، فانها تفسح المجال واسعا لملاحظات وقضايا بشرية •

فعلى المؤرخ اذا أن يدرس ، شأنه في ذلك شأن الجغرافي ، الملامح الكبرى للمورفولوجيا ، والمياه ، والغطاء النباتي ؛ في المنطقة الممثلة على الخريطة ، كي يصل الى شواهد مفيدة توضح الحقائق أو الحوادث التي وضعها في هذا الاقليم ، أو تقربها من ملاحظات منظمة يتتبعها فيما بعد • ويمكن أن توجه هذه الملاحظات المنظمة نحو بعض النقاط الاساسية التالية : كالحدود الزراعية ـ الصحراوية في الوطن العربي مثلا ، محاولة منه ارسم الخطوط الكبرى للمنظر النباتي القديم ،

---

(١) السجل العام الذي يثبت مختلف الملكيات الارضية في بلد ما ، مع مساحاتها واوصافها

ونحو مواقع الجسور القديمة والحديثة ، والممرات وبقايا الطرق التي تبدو أنها كانت متصلة مع بعضها، وذلك لبعث شبكات الطرق الماضية . ومثل تلك الملاحظات المنظمة أيضا ، توزيع الزراعات ، وشكل الحقول ، وهي أمور هامة في التاريخ الزراعي ، وأنواع المساكن ، ومواقعها وأشكالها ومخططات القرى ، والتجمعات الريفية ، والمدنية ، والمساكن الخاصة كالقصور ، والمباني العسكرية والدينية ، كالحصون ، والمساجد ، والكنائس ، والمؤسسات الصناعية ، وعدد المؤسسات الدينية في الوحدات الادارية . وكل ذلك لتبين مراحل التعمير السكني، والتطورات الاقتصادية المحلية . وأخيرا تأتي أسماء القرى والامكنة ، التي يسعى لتصنيفها وفق تسلسلها الزمني ، وبحسب أحدث المعطيات التي توصل اليها علم « الطبونيمي » (علم أسماء الامكنة) ، وعلى المستوى المحلي ، ومرتبطة دائما بالظاهرات التي أفادت في تعيينها .

ان تحليلا كالذي شرح سابقا ، يمكن أن يفتح الباب واسعا ، لترميم مشاهد من مختلف الازمنة ، ويساعد من ثم ، على فهم الاحداث والوقائع التي كانت هذه المشاهد اطارا معاصرا لهـا . **فلا غنى للمؤرخ عن مثـل ذلك التدريب على قراءة الخرائط كما لاغنى للجغرافي عنه** ، سواء بسواء . ولكن لابد من التحذير بأنه من المهم الا نتمادى في خداع أنفسنا بهذا التماس الخريطي مع التاريخ . فالنتائج التي قد يتوصل اليها ليست الا **فرضيـات** فقط ، أكان العمـل يجري على خرائط توزيع أو خرائط طبوغرافية . « فالطريقة الخريطية » لا تقدم الا احتمالات ، وقد تقود صاحبها الى الحتمية الجغرافية . ولا بد للباحث أن يضـع نصب عينيه بأن ليس لجميع التوزيعات علاقة بالجغرافيا ، وان كل خريطة قد تطرح توافقات خادعة، يلعب عامل الصدفة فيها دورا أساسيا .

وخلاصة القول : ان مفهوم « المكان » يشق الطريق لميدان عمل تاريخي كبير، ولوسائل تحقيق عديدة ، أكان ذلك في ميدان المعرفة التاريخية ، أو في مضمار المفهومات الجغرافية للتاريخ . وفي الحقيقة ، ان امكانات « الطريقة الخريطية » لم تستثمر حتى اليوم الاستثمار المنتظر منها والكافي . ومن المستحسن التأكيد في خاتمة المطاف ان تعليم التاريخ في المدارس وفي مختلف المراحل التعليمية ، يتم في

بعض البلدان كفرنسا مثلا ، ملازما للجغرافيا . للعلة القوية بين المادتين .

واذا كان تطور العلوم التي تدرس المفهومين الاساسيين في التاريخ ، وهما الزمان والمكان ، قد ساعد ، كما لاحظنا ، على اغناء علم التاريخ بمعرفتهما وطرائق بحثهما ، فان هنالك علوما أخرى نمت في القرن التاسع عشر كان لها هي الاخرى دورها الهام في هذا الميدان، وكانت وما تزال عونا لا غنى عنه البتة للباحث التاريخي. ومن هذه العلوم :

٤ ـ علم اللغات او الالسن Linguistique :

هو العلم الذي يدرس وسيلة التعبير عن الافكار ، واللغات . وهذا العلم مع « علم الآثار » من العلوم التي طورت علم التاريخ ، ودفعته قدما ، من القرن الثامن عشر وحتى الآن .

ومن الواضح انه لابد للباحث التاريخي مبدئيا من معرفة اللغة الاصلية الخاصة بالموضوع التاريخي الذي يقوم بدراسته ، أي لابد للباحث في تاريخ العرب من معرفة اللغة العربية ،وفي تاريخ اليونان من معرفة اللغة اليونانية القديمة، وفي تاريخ أوربا في العصور الوسطى من عرفان باللغة اللاتينية ، وفي تاريخ فرنسا في العصور الحديثة من اتقان اللغة الفرنسية ، وهلم جرا ...

وفي الواقع كلما تعددت اللغات التي يلم بها الباحث ، فانه يكون أقدر على الرجوع الى الاصول والمصادر التاريخية الاولى ، وادراك الحقائق من مظانها المباشرة ، بدل الاعتماد على الترجمات التي قد تشوه المعاني الاصلية وتحرفها . ومن هنا كانت **قضية اللغات القديمة ، والحديثة الضرورية للبحث التاريخي ، امرا جوهريا واساسيا لا يمكن الاستغناء عنه او تجاوزه ،** بأي حال من الاحوال . اذ يبقى الباحث التاريخي ـ اذا لم يحقق هذا الامر ـ عالة على غيره من باحثة ومترجمين . وبعيدا عن ادراك كنه الحقائق واعماقها .

الا ان معرفة لغة أو أكثر لايعني معرفة « علم اللغات » أو « الالسن » . فهذا العلم على الرغم من حداثته يتفرع الى ثلاثة فروع رئيسية : علم اللغات

الوصفي ، وعلم اللغات التاريخي ، وعلم اللغات العام ، وهي متضامنة تضامنا كبيرا فيما بينها ، وكل واحد منها يقوم ببحوث حول أمور ملموسة ، وأخرى عامة . « فعلم اللغات الوصفي » يسعى كي يعرف جميع أشكال اللغة التي يتحدث بها ، بجميع تفصيلاتها ، التي لاتزال حية أو التي انطفأت . و « علم اللغات التاريخي » يصف تطور مختلف اللغات ، واذا أمكن ، التطور العام للغة الانسانية ، وهو يدرس أيضا طريقة التطور العام للغات ، وان فرعا رئيسيا منه وهو « القواعد المقارنة » يعتمد على طريقة للموازنة ذات تطبيق عام . وإخيرا هناك « علم اللغات العام » الذي يقوم بعملية تركيب للمعطيات المقتطفة من دراسة مجموع اللغات .

ومن المفيد التحذير من الخلط بين « علم فقه اللغة » (الفيلولوجيا) وبين (علم اللغات) . فموضوع الأول هو دراسة الوثائق المكتوبة ، وانتقالها . بينما « علم اللغات » يدرس اللغة كنشاط انساني ، وهو يطرح أفكارا عامة يمكن أن تحمل اسم « فلسفة اللغة » ، ويقدم ابحاثا دقيقة تقع على حدود علوم انسانية أخرى: فهو بدراسته اللغة كمؤسسة اجتماعية يدخل ضمن علم الاجتماع ،وبدراسته المظاهر النفسية ـ الفيزيولوجية للغة ، يرتبط بالعلوم التي تدرس العضوية البشرية : فدارسو « نطق اللفظ » مثلا يجب أن يعرفوا آليات النطق والسماع .

وعلم اللغات لايزال فتيا ، وقد ظهر أول ما ظهر على شكل « فقه لغة مقارن » أو « فيلولوجيا » مقارنة : فقد لوحظ بعض تشابه بين اللغات السامية وذلك في القرنين العاشر والحادي عشر . وفي القرن السادس عشر ، حيث عرفت أوربا عددا أكبر من اللغات الاجنبية ، فانه لوحظ توافق بين اللغات الهندو ـ اوروبية ،المتباعدة جغرافيا عن بعضها ، كالسنسكريتية والايطالية مثلا . وفي القرن الثامن عشر وضعت مؤلفات هامة حول الموضوع . الا ان علم « قواعد اللغة المقارنة » لم يضع لنفسه طريقة مكينة الا في القرن التاسع عشر ، بفضل تزايد المعرفة باللغات الهندو ـ أوربية ولا سيما منها السنسكريتية . وكان ذلك نتيجة أبحاث العلماء راسك Rask [1]

---

(١) راسموس كريستيان (١٧٨٧ ـ ١٨٣٢) . البت قرابة اللغات الجرمنية مع اليونانية واللاتينية ، والسلافية ـ البلطيقية .

الدانمركي ، والألمانيين فرانزبوب[1] ، وبروغمان Brugmann [2] . فالتشابه بين مفردات بعض اللغات وقواعدها ، اذا ما تكرر بشكل يقطع دابر عامل الصدفة فيه، فتح الباب أمام دراسات متعمقة ، وأدى الى كشف قوانين صوتية تنظم تحول لغة الى أخرى ، مما يساعد على اعادة بناء جزء من لغة مجهولة بموازنتها مع اللغة المعروفة المشابهة لها . فمن مقارنة « نظام الافعال » في السنسكريتية ومثيله في اليونانية ، واللاتينية والفارسية والالمانية ، توصل العالم « بوب » الى ان هذه اللغات ذات أصل واحد ، وان اللغة الهندو ـ اوربية الاصلية الاولى ، قد يكون تكلمها « الشعب الهندو ـ اوربي » الواحد في الالف الثالث ق.م ، قبل أن يتفرق في أجزاء العالم ، وقبل أن يعمل كل فريق على تطويرها بحسب ظروفه . وهكذا يبدو واضحا انه بفضل « علم الالسن » ، تمكن التاريخ من ان يشق طريقه الى مناطق لاتتوافر فيه ابدا شواهد مكتوبة . والشيء نفسه يقال عن الدراسات المقارنة للغات السامية ، والنتائج التي توصل اليها . فقد لاحظ المهتمون بلغات منطقتنا العربية ، وجود أوجه شبه بين اللغات البابلية ، والآشورية ، والكنعانية ، والآرامية، والعبرية ، والعربية واللهجات العربية الجنوبية ، والنبطية ، والحبشية . فهي تشترك في كثير من جذور الافعال وفي تصريفها ، وفي عديد من أصول المفردات ، وفي التعابير التي تدل على منظمات الدولة ، والمجتمع والدين ، فقالوا بوجود وحدة مشتركة كانت تضم هذه الاقوام ، فأطلقوا على الجماعة الاصيلة التي انبثقت منها هذه اللغات اسم « الجنس السامي » وعلى مجموعة اللغات التي تكلمت بها « اللغات السامية »[3] . وكان العرب منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي قد لاحظوا عن طريق علماء النحو والصرف ، علاقة القرابة بين اللغات السامية التي كانوا يعرفونها كالعبرية ، والعربية ، والآرامية .

---

(1) (١٧٩١ ـ ١٨٦٧) . له مؤلفات عديدة في مقارنة اللغات . توصل الى معرفة العلاقات العامة بين اللغات الهندية ـ الجرمنية ، والمبادىء المشتركة في تكوينها.

(2) فردريك كارل (١٨٤٩ ـ ١٩١٩) . له عدة مؤلفات في قواعد المقارنة ، ومنها « مبادىء القواعد المقارنة للغات الهندو ـ جرمنية » .

(3) انظر جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام . ثمانية أجزاء . الجزء الاول. بغداد ١٣٧٠/١٩٥١ . ص ١٤٨ .

« فعلم الألسن » اذاً ، فتح طريقا أمام التاريخ لاغناء ميدان شواهده وللتوغل بعيدا في الماضي الانساني • من المؤكد ان هدف هذا العلم عندما نشأ ، كان التعرف بأصول خصائص اللفظ والقواعد لكل لغة ، بمقارنتها مع اللغات المجاورة ، وذلك لتفسير تطورها وشرحه • الا أن هذا الامر بحد ذاته جزء هام من الماضي ، أو على الأقل من ماضي الجماعة البشرية التي تتكلمها • وبهـذا المنحى يكون نشوء « الطريقة المقارنة » في دراسة أصول اللغات بداية اغناء هام للتاريخ •

ويمكن الذهاب أبعد من ذلك ، وتجاوز المجال البحت لعلم الالسن : ان اللغة في الواقع هي مظهر حضاري : فوجودها يفرض وجود مجموعة بشرية متلاحمة ، يستخدمها أعضاؤها في الاتصال فيما بينهم ، وبذلك فهي تعكس في تركيبها نفسه نمط تفكير هذه المجموعة وحياتهـا • فمن دراسة مرحلة معينة من تاريخ هذه اللغـة ، يمكـن استنباط بعض انماط الحياة ، والفكر ، المعاصر لتلك الحقبة. ويفيد هذا النوع من الدراسة بصفة خاصة في بحث تاريخ العرب في العصر الجاهلي، والشعوب القديمة • فترميم بعض الالفاظ ، في المفردات الهندو ـ أوربية البدائية، وخلال الفترة السابقة لوجود أي شاهد كتابي ـ أي منذ الالف الرابع أو الخامس ق•م ـ ، ولا سيما منها الدالة على روابط قرابة ، أو على التوضع الاجتماعي ، أو النبات ، قد أفاد المؤرخين في استشفاف بعض مظـاهر التركيب الاسري أو الاجتماعي ، وبعض ملامح البيئة الجغرافية للهندواوربيين الاول ، الذين كان من الممكن أن يضيعوا نهائيا في تاريخهم الصامت ، لولا استمرار لغتهم التي تطورت في أحفادهم • ان معطيات كهذه ضئيلـة ، ويعرف المؤرخون ، وعلمـاء الالسن الحقيقيون ، ان ايجادها أمر صعب ودقيق جدا ، الا أنه بالمقابل لايمكن أن يستعاض عنها • كما أن الدراسة اللغوية التاريخية المقارنة تقدم عناصر موضحة للدراسـة الهجرات الماضية ، وتاريخ الشعوب ، والحضارات ،وللتأثيرات الثقافية بين مختلف تلك الحضارات وتلك الشعوب • بل إنه شرع منذ أكثر من نصف قرن بتطبيق « الاحصاء » على تصنيف اللغات ، وذلك بحساب العناصر المشتركة بينها •واتخذت هذه الطريقة طابعا زمنيا ، عندما أخذت قوائم بكلمات من المفردات الأساسية في جميع اللغات (مائة كلمة تقريبا) ، ثم أحصي عدد الكلمات في كل قائمة ، التي

يعرف وجودها في لغات أخرى ، وطرح التساؤل : هل يمكن التوصل إلى معرفة في أي تاريخ انفصلت تلك اللغات عن بعضها بعد أن كانت مجتمعة ؟ وكان الجواب: بالإيجاب ، بعد أن طبق ذلك على عدد من اللغات ، عرف تاريخياً متى استقلت . فإذا تم قبول هذه الطريقة نهائيا ، فإنه يمكن إعداد كرونولوجيا عامة تحدد زمن انفصال اللغات المعروفة عن بعضها ، بما فيها اللغات التي تباينت جداً ، وإلى درجة أن طرائق المقارنة المعتادة بين أشكال القواعد اللغوية ، غدت غير قادرة على اظهار قرابتها ، أو صلتها ببعضها .

ولهذا فان « علم الالسن التاريخي » لم يقدم للباحثين في الماضي ، شواهد جديدة فحسب ، وانما نوعا خصبا من الشواهد ، وغير منتظر ، ولا سيما انه يزداد اهتماما ، يوما بعد يوم بالعلاقات بين اللغات المتماسة مع بعضها . وهذا الاتجاه الجديد سيفتح آفاق البحث التاريخي واسعا على دراسة الصلات بين الشعوب ذات اللغات المتماسة .

٥ ـ علم فقه اللغة (الفيلولوجيا Philologie) :

هو دراسة اللغة عبر الوثائق المكتوبة التي تعرفنا بها . ويدخل في نطاقه أيضا دراسة النصوص وانتقالها . فمثلما يدرس علم الآثار المخلفات المادية للماضي، فان « علم فقه اللغة » يهتم بدراسة « الكلمات » وتاريخها ، وتطورها ، وتطور مضمونه ، ويسعى لمعرفة حضارة ما عن طريق دراسة لغتها ومخلفاتها الادبية . فعلم فقه اللغة الكلاسيكي مثلا يعمل على معرفة الحضارات القديمة اليونانية والرومانية ، عبر دراسة آدابها ولغاتها . ويتضح من هذا ان « علم فقه اللغة » يختلف عن « علم الالسن » : فالاول يهدف لاستخلاص حقائق تاريخية محسوسة من اللغة ، والظاهرات اللغوية ، بينما يبحث الثاني في قوانين اللغة وقواعد تطورها. فعلم فقه اللغة إذاً علم مساعد أساسي للتاريخ ، وضروري للباحث ، كي يفهم النصوص ، ومعانيها فهما دقيقا وصحيحا . وهو بالاضافة إلى ذلك ، علم نقد للوثيقة المكتوبة : أي أن عليه أن يعرف كيف تثبت الوثائق المكتوبة ، وكيف تحفظ ، وكيف تنتقل ، أو بتعبير أدق ، إن علم الفيلولوجيا يساعد المؤرخ في تتبع تاريخ الوثائق ، ومعرفة فيما إذا كانت أصلا أو نسخة .

وإن هناك معاجم خاصة في اللغات الأجنبية تبحث في فقهها ، وتبين العوامل التي أدت إلى تطورها . وإن معاجم اللغة العربية الموسعة لهـا فائدتها الكبرى في معرفة الكثير عن التطور الذي طرأ على اللغة العربية ، ومعاني ألفاظها ، عبر توالي العصـــور .

٦ ـ علم الآثـار L'Archéologie :

إن الكشوف الأثرية في القرن التاسع عشر وتوسعها ، قدمت خدمات لمنهجية البحث التاريخي أكبر مما قدمه « علم الألسن » ، لأنها وسعت مفهوم « الشاهد الماضي » بشكل حقيقي وملموس ، وأغنت المادة التي يقتبس منها التاريخ معارفه .

لقد كان المصدر الوحيد لإعادة بناء الماضي ، حتى نهاية القرن الثامن عشر ، « الشاهد الكتابي » و « الرواية الشفوية » المنقولة عبر التدوين الكتابي . وبذلك كان المؤرخ مقيدا مادام لا يستطيع أن يتجاوز في الزمن مرحلة ظهور الكتابة وهذا الحدث التاريخي قريب نسبيا ، إذ لا يبعد عن ميلاد المسيح بأكثر من ٣٥٠٠ عام . ومن المعروف أن شعوبا عديدة قد جهلت خلال حياتها كلها ، استخدام أي نوع من أنواع الكتابة . ولذا يلاحظ أن المؤرخ قبل القرن الثامن عشر ، قـد اكتفى في دراسته لفترات ما قبل التاريخ ، بالاستقاء مما جاء في « التوراة » .

وفي الحقيقة ، لم يكن مجهولا أن القدماء قد خلفوا وراءهم آثارا محسوسة غير الكتابات ، فقد قام السياح والمسافرون بوصف هذه الآثار ، إلا أن وصفهم لها لم يكن في الواقع نتيجة إثارة علمية حفزتهم للقيام بهـذا العمل ، وإنما لأن تلك الآثار كانت محط إعجابهم أو فضولهم ودهشتهم ، أو تقديسهم ، ومن ثم فزيارتهم لها ووصفها ، كانا يستهدفان الناحية الجمالية أكثر من الناحية العلمية .

ويمكن القول إن « الاهتمام العلمي » بالآثار القديمة قد ظهر بشكل واضح

منذ عام ١٧٣٦ على أثر اكتشاف مدينتي « هركولانوم »[١] و « بومبي »[٢] ، وخلال حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨ .

ولم يعد البريق الفني للآثار هو الذي يجذب الانتباه ، ولا الذكريات القديمة الحنون ، وإنما محتوى تلك الآثار من القدم ، أو ما تحتفظ به ، وما تحمله إلينا وتوحي به من حقائق وصور عن عصر مضى . فهذه المخلفات التي صنعها الإنسان تختزن ، بطريقة أو بأخرى ،معطيات كثيرة عن صانعيها الذين زالوا ، وهي لاتعكس وجودهم فحسب ، وإنما نمط عملهم ، وتفكيرهم ومجرى حياتهم . ومن ثم فانها إذا سئلت ،فستكون قادرة بطريقتها ، على أن تحدثنا عنهم وتعرفنا بهم ، وتبحث بعض ما يبدو مندثراً من شؤونهم .

وبمثل هذا الهدف ، والشعور ، قامت الحفريات الكثيرة ، ولا سيما في الثلث الثاني من القرن التاسع عشر ، وفي أماكن متفرقة من العالم ، وبصفة خاصة في المشرق العربي وآسيا الصغرى . وفي الحقيقة كان العاملون في الحفريات الأثرية يبحثون في معظم الحالات عن « وثائق مكتوبة »، أي نصوص بتلك اللغات القديمة التي فكوا رموزها ، والتي يمكن أن تشرح لهم تلك الآثار وشؤون بنائها ، الا انهم كانوا يبحثون أيضا عن مخلفات « اركيولوجية (اثرية) » بحتة ، أي ليس عن أشياء فنية فقط وانما عن خرائب المدن ، والقصور والمعابد ، والبيوت ، وعن الاسلحة والادوات المعدنية ، والحجرية ، والفخارية ، بل وعن قطع صغيرة من الصواني استخدمها الانسان القديم في أموره . وهكذا نما تدريجيا مفهوم جديد «للشاهد التاريخي» وهو ان كل انتاج بشري ، قادر على ان يحدثنا عن الماضي الانساني ، وان يعطينا بعض معرفة عنه ، بل ويرممه ويبعثه حيا .

---

(١) مدينة في ايطاليا القديمة ، قرب مدينة بومبي وفي مقاطعة كامبانيا . طمرت تحت رماد بركان فيزوف عام ٧٩ م هي وبومبي .

(٢) مدينة في ايطاليا الجنوبية وفي مقاطعة نابولي ، تقع في سفح بركان «فيزوف» اصيبت عام ٧٩ م بكارثة طبيعية ، اذ انفجر بركان « فيزوف » ، ودفنها تحت حممه لقرون طويلة . وقد تضاعفت عمليات الحفر فيها منذ ١٨٦٠ وخلص ثلث المدينة من تحت الانقاض .

ان علم الآثار في الحقيقة هو تقنية تاريخية جديدة لدراسة هذه الوثائق الصامتة وجعلها تتكلم ، بينما تبقى « الشواهد المكتوبة » ذيلا لعلم فقه اللغة . لقد استطاع علم الآثار بحفرياته ،ودراساته ، أن يكوّن موضوعه الخاص ، وكانت كل حفرية جديدة يجريها ، ترتقي بطرائق البحث ، وبوسائل استخلاص الماضي من الشواهد الصامتة ، حتى بدا هذا العلم في نهاية القرن التاسع عشر ، علما واضح المعالم ، والطرائق ، وتعمل في حقله بعثات عديدة انتشرت في جميع القارات ، وفي الشرق الادنى بصفة خاصة .

وهكذا فان علم الآثار ، الذي نشأ وترعرع خلال القرن والنصف الاخيرين ، قد وضع في يد المؤرخين لا نوعا جديدا من شواهد الماضي فحسب ، وانما النوع الاكثر انتشارا من هذه الشواهد ، واقلها تعرضا للخراب والزوال ، وأقدرها على الوصول الينا سالمة وصحيحة . لان هذا النوع يحتوي كعنصر اساسي فيه ، أدوات كان يستخدمها الانسان الماضي في حياته المادية ، ومن ثم فانه صنعها من مواد أشد مقاومة لعوامل التلف من تلك التي تصنع منها المواد المكتوبة . فالمعدن، والحجر ، والفخار ، مواد أكثر قدرة على تحدي الزمن من البابيروس ، والرق ، والورق .

ان هذه الوفرة ، وذاك الغنى ، والسهولة النسبية التي قد تكشف بها أية حفرية بعض أثر من الماضي ، هي التي تفسر لنا حماسة علماء الآثار ، ونشاطهم الكبير في البحث منذ مائة عام بصفة خاصة ، كما تبين الدور الذي لعبوه في اخصاب التاريخ .

انهم دون شك ، لم يلغوا عمل فقهاء اللغة (الفيلولوجيين) ، بل على النقيض من ذلك جددوه . وذلك لان الوثائق الصامتة ، لا تكون لها كل قيمتها الايحائية للماضي ، الا اذا أمكن التعليق عليها ، وشرحها ، عبر شواهد مكتوبة من المصدر نفسه . ومن ثم فان كلا من « الشواهد الصامتة » و « المكتوبة » ، لها دورها في حقلها ، ولا يمكن أن تعوّض ، أو يستغنى عنها . ان رؤية الماضي من خلال (الأثر الاركيولوجي) هي أكثر تشخيصا ومباشرة : فهو يتحدث للحواس والخيال بطريقة ابلغ مما يفعله (الاثر المكتوب) . الا ان هذا الاخير يبقى أقدر على الايضاح

التفصيلي ، وعلى مخاطبة الفكر بشكل مباشر ، وعلى تقديم احداثيات للذهن أكثر عقلانية ووضوحا ، وادنى تحليلا ؛ اذ أن بعض المعطيات لايستطاع التعبير عنها الا باللغة المنطوقة أو المكتوبة : فوصف دقيق جدا لمعبد بابلي قديم ، قام به فرد معاصر له ، يبقى شبه خيال مالم يأت محفار الاثري ويظهر جدرانه ، ومخططه . وبالمقابل فان العثور على مبنى قديم في بلاد مابين النهرين ، لا تتكامل صورته ، مهما كان كامل البناء وسليمه ، الا اذا أعلمتنا كتابة ما ، أو نقش ، عن استخداماته : ككونه معبدا مثلا ، أو معبدا مهدى لإله ، وانه كان يتعبد فيه بطريقة معينة . فحيثما وجد النوعان من الشواهد ، المكتوبة والصامتة فان عمل علماء الآثار يدعم ويحيي، عمل الفيلولوجيين .

وبالاضافة الى ذلك ، فهناك نتيجة قيّمة أخرى لهذه الحفريات العديدة التي يقوم بها علم الآثار : فكثير منها أخصب كنز « الشواهد المكتوبة » نفسها ، بكشفه عن مخطوطات جديدة ، أو نقوش لم تكن معروفة سابقا . أو نصوص جديدة ، بكتابات ولغات مجهولة[1] . ولهذا السبب كان علم الآثار من أكثر العلوم التي أسهمت منذ قرن أو قرنين ، مباشرة أو بصورة غير مباشرة ، في اثراء معرفة الماضي وتجديد التاريخ . فمعظم الكشوف التاريخية الكبيرة في الفترة المعاصرة ترجع في الواقع الى أصل اركيولوجي . ومن هذه الكشوف تاريخ عصور ما قبل التاريخ وحضاراته . وضمن العصور التاريخية يتم التكامل التدريجي لتاريخ حضارات الشرق الادنى القديمة ، ولا سيما حضارة عرب الجنوب ، وتاريخ

---

(١) من امثلة تلك الكشوف « حجر رشيد » الذي كانت الكتابة المثلثة اللغات عليه ، من العوامل الهامة في كشف رموز الكتابة الهيروغليفية . وكذلك الواح الصلصال المشوي ، التي عثر عليها في بلاد ما بين النهرين ، وقد دوّن عليها مايشبه المعاجم اي أن رموز الكتابة المسمارية قد وضع الى جانبها ، لفظها الصوتي ، ومعناها . وقد ساعدت هذه الالواح الفيلولوجيين على تأكيد النتائج التي توصل إليها العالم اللغوي والمستشرق الانكليزي « رولنصون Sir Henry Greswicke Rawlinson (١٨١٠ — ١٨٩٥) ، وعالم الآثار الآشورية الايرلاندي « ادوار هنكز E. Hincks » (١٧٩٢ — ١٨٦٦) ، من عملهما في فك رموز الكتابة المسمارية .

حضارة أمريكا الجنوبية وتاريخ اليونان ، والرومان ، ومصر القديمة وما تأتي به الحفريات عن تاريخ مناطق آسيا المختلفة ، وأفريقيا ، وبلاد المغرب العربي .

ولا بد من التذكير في النهاية بأن علم الآثار شرع يستخدم التقنيات الجديدة في بحوثه : « كالتصوير الجوي » لمعرفة أماكن التجمعات الاثريـة ، والأجهزة المغناطيسية الكهربائية المستخدمة في كشف الألغام عادة ، لمعرفة الأشياء المعدنية التي يمكن أن تحويها منطقة ما ، والأقمار الصناعيـة ، والطرائق الكيماوية ـ الفيزيائية الجديدة في تحليل موجوداته . فهناك إلى جانب الفحص الميكروسكوبي (المجهري) ، التصوير بمظاهره المختلفة : التصوير المصغّر والمكبّر ، ثم التصوير الشعاعي Radiographie الذي يكشف أموراً لاتراها العين المجردة ، ويساعد على التمييز بين الصحيح والمزور . ويضاف الى تلك التقنيات أيضا ، التحليل الطيفي، وطريقة الفحم (١٤)[1] لتقدير أعمار الموجودات الأثرية .

ولقد اتسع نطاق الحفريات الاثرية ، الى أعماق البحار القريبة من السواحل باحثا عن سفن قديمة غارقة[2] ، وبذلك ساعد على توسيع دائرة عمـل التاريخ واخصاب مادته بالجديد .

٧ ـ علم الخطوط القديمة « الباليوغرافيا » Palégraphie :

تعني كلمة « باليوغرافيا » حرفيا « طرائق الكتابة القديمة » ولقد اتخذت اليوم عمليا معنى مغايرا فأصبحت تعني « علم الخطوط القديمـة » . وهو بهذا

---

(١) إن الفحم (١٤) ، أو « الفحم المشع » يدخل في تركيب كل مادة حية : حيوانية او نباتية . فبعد الموت تتناقص القدرة الاشعاعية للكاربون بانتظـام خلال القرون ، وبذلك يمكن تحديد عمر مادة عضوية بقياس الكاربون المشع الموجود فيها .

(٢) لقد جرى سبر للمنطقة القريبة من « المهدية » على السـاحل الشرقي لتونس عام ١٩٠٧ ، فوجدت حمولة سفينة قديمة غارقة . وقد نقلت الى متحف باردو . وكانت هذه السفينة عندما غرقت ، في طريقها من آسيا الى ايطاليا في مطلع القرن الاول ق.م ، وحمولتها كلها اعمال فنية . ومثل هذا السبر اجري ايضا على سواحل اليونان وكان مردوده الحصول على قطع فنية لاتقدر بثمن .
L'Histoire et ses méthodes, p. 200.

المعنى علم حديث نسبيا ، اذ ظهر في مطلع القرن الثامن عشر ، حيث نشر العالم البندكتي « مون فوكون »[٣] خلال عام ١٧٠٨ كتابه « باليوغرافيا غرايكا Paléographia Graeca » أو « مقال حول الطريقة التي كتب بها اليونان القدماء» وكان هو أول من استخدم كلمة « Paléographie » الفرنسية .

وفي الواقع ان كلمة « باليئوغرافيا » تحمل معنى عاما جدا ، فهي تشمل في الواقع جميع البحوث التي تتعلق بطبيعة الخط ، وتطوره ، وبالادوات التي كتب بها ، وعليها . فميدان « الباليئوغرافيا » واسع جدا وغير محدود ، ويمتد الى كل بقعة ثبتت فيها لغة البشر منذ ستة آلاف سنة باشارات اصطلاحية بغية الحفاظ عليها ، ونقلها الى الاجيال . فهناك « باليئوغرافيا مكسيكية » و « باليئوغرافيا يونانية » و « باليئوغرافيا لاتينية » ، و « باليئوغرافيا منطقة الشرق الادنى » ، و « بالبيئوغرافيا عربية » وغيرها . وهناك كذلك باليئوغرافيا النقوش ، وأخرى للوثائق والرقم ، وللملفات البردي وغيرها ؛ بل إن اللغة المنشدة أو المغناة لها خطها أو كتابتها ، شأنها في ذلك شأن اللغة المنطوقة، ومن ثم كان هناك «علم الباليئوغرافيا الموسيقي » . ولما كانت أشكال تثبيت اللغة البشرية في طريق التغير ، أو على الاقل شرعت في استخدام طرق غير كتابية بالمعنى الدقيق للكلمة ، فانه لا بد من التفكير في علم في المستقبل يشرح وسائل التثبيت الجديدة ، ويتلاءم مع النوع الجديد من الوثائق .

وهذا يطرح المشكلة الزمنية : فعندما يقال إن الباليئوغرافيا هو علم الخطوط القديمة فانه يتساءل : بعد أي تاريخ يصبح الخط قديما ؟ ويبدو ان الحد يجب أن يقترب أكثر ما يمكن من المرحلة التي نعيش فيها ؛ لان الخطوط ــ على الاقل اليدوية ــ تتغير بسرعة كبيرة ، وبذلك تصبح موضوعا للتاريخ .

فالباليئوغرافيا إذاً علم يرسم تاريخ الخطوط المختلفة ، ويعلّم كيفية فك

---

(٣) Dom Bernard de Montfaucon من العلماء الفرنسيين الموسوعيين . (١٦٥٥ ــ ١٧٤١) .

رموز الكتابة في الوثائق المختلفة مع تحديد زمنها ، بل بتعبير أوسع ، غدا يدرس تاريخ هذه الوثائق .

الا أنه عندما يصب بحوثه على المخطوطات فانه عندها يطلق عليه اسم « الكوديكولوجيا Codicologie » أي العلم الذي يدرس المخطوطات وتاريخها ، وخطوطها . وبذلك يمكن أن يلحق به أيضا « علم البرديات Papyrologie » وترجع نشأته إلى أواخر القرن الثامن عشر ، عندما تم نشر بعض الوثائق المدونة على ورق البردي . ونما لما توجه الباحثون الى التنقيب عن مثل تلك الوثائق الثمينة على أرض مصر بصفة خاصة .وقد دونت معظم تلك الوثائق باللغة اليونانية، وبعضها بالعربية . وقد اهتم بالأخيرة المستشرق « غروهمان Grohman » الذي قام بنشر « البرديات العربية في المكتبة المصرية » في ثلاثة مجلدات (القاهرة ١٩٣٤ ــ ١٩٣٨) .

ومن الضروري التأكيد في ميدان ، « **الباليوغرافيا العربية** » ، ان الخط العربي قد تطور منذ نشأته وعبر العصور ، ولا بد للباحث في التاريخ العربي من معرفة هذا التطور . فهناك الخط المسند (خط عرب الجنوب) وخطوط عرب الشمال (اللحيانية ، والثمودية ، والصفوية) والخط النبطي ، والحيري ، والكوفي ، والنسخي ، والرقعة ، والثلث ، والطومار ــ وكان يكتب به سلاطين مصر علاماتهم على المراسلات ومنشورات الاقطاع ــ ، والفارسي، والمغربي والغبار (وهو خط دقيق جدا أشبه بذرات الغبار ، وكانت تكتب به الرسائل التي يحملها الحمام الزاجل ، ويسمى أيضا قلم الجناح) . والخط العثماني هو الآخر مر بتطورات منها « الخط الديواني » الذي كتبت به الفرمانات و « خط القيرمة » (من قيرمق التركية بمعنى الثني والتكسير) وهو خط كثير الزوايا والثنايا ، ويمكن أن تكتب به معلومات كثيرة في حيز ضيق، ولقد كتب به العثمانيون الشؤون التي أرادوا احاطتها بالكتمان .

ومن العلوم المساعدة للتاريخ أيضا ، والضرورية للباحث التاريخي :

٨ ـ الكريبتوغرافيا Cryptographie (علم الشفرة) :

وهو مجموع التقنيات المستخدمة لفك رموز الشفرة أو رموز كتابة اللغة السرية الاصطلاحية التي تبناها طرفان لاخفاء مضمونها عن ثالث . كما تطلق هذه التسمية كذلك على التقنيات المستخدمة في تدوين تلك الكتابة . فهو إذا ، بمفهومه العام ، « فن حفظ أسرار المراسلات عن طريق كتابة اصطلاحية » . وهذا الفن قديم جدا ، وقد كشف العلماء الحديثون عن الطرائق الكريبتوغرافية في الهيروغليفية ، والنصوص المسمارية . كما استخدمه اليونان والعبرانيون والرومان ، بل ان اسم « يوليوس قيصر » قد أطلق على طريقة من طرائق الكريبتوغرافيا . وللكريبتوغرافيا نظم معينة يجري فك الرموز بحسبها وهي تستخدم الابجدية بتسلسلات مختلفة عن الابجدية العادية ، كما تستعمل الارقام لتحل محل الحروف[1] .

وفي الواقع لابد للمؤرخ من ان يعرف (علم الشفرة) ليتمكن من قراءة الوثائق وفهم محتوياتها . وقد تشير دور الارشيف لمفتاح مثل هذه الوثائق فتسهل عمل الباحث .

ويمكن في هذا المجال الاشارة الى ما يسمى « بالتأريخ الشعري » ، الذي استخدم في العصر المملوكي والعثماني . وكان بيت الشعر فيه أو صدره أو عجزه يرمز إلى تاريخ معين ، كتاريخ تولي سلطان العرش ، أو تاريخ وفاته ، أو تاريخ بناء مدرسة أو مسجد أو غير ذلك ، ويتم ذلك بحساب الجمّل ، فكل حرف عربي في الابجدية يقابل رقما معينا ، وبجمع تلك الارقام يكون التاريخ المحدد[2] .

---

(١) انظر لمعلومات أكثر تفصيلا :

G. L. E. Vol 111 p. 688, art Cryptographie.

(٢) جمعت الابجدية العربية بترتيبها الاول في الكلمات الآتية : (ابجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ) . فالالف يقابلها رقم ١ والباء ٢ والجيم ٣ والدال ٤ والهاء ٥ والواو ٦ والزاي ٧ والحاء ٨ والطاء ٩ والياء ١٠ والكاف ٢٠ واللام ٣٠ والميم ٤٠ والنون ٥٠ والسين ٦٠ والعين ٧٠ والفاء ٨٠ والصاد ٩٠ والقاف ١٠٠ والراء ٢٠٠ والشين ٣٠٠ والتاء ٤٠٠ والثاء ٥٠٠ والخاء ٦٠٠ والذال ٧٠٠ والضاد ٨٠٠ والظاء ٩٠٠ والغين ١٠٠٠ .

ومن الامثلة على ذلك ما ورد على لسان الشاعر العربي « عبد الرحمن الملاح» (في العصر العثماني وفي القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي) يمدح السلطان العثماني « عثمان الثاني » عند وصوله للعرش ويؤرخ هذه المناسبة التي هي عام ١٠٢٧ هـ بقوله :

قد تولى الملك في عـام الصفا ارخوه شاه عثمـان مؤيـد[1]

ومن الضروري التأكيد أن التأريخ الشعري لايقصد منه السرية ، وانما هو نوع من الفذلكة الشعرية تشبه بتعقيداتها وتقنيتها الكريبتوغرافيا إلى حد ما .

وعلى الباحث التاريخي اذا ما أراد فك رموز الشفرة السرية ، ودراسة الوثائق التي كتبت بها، ان يعرف أولا **اللغة** التي كتبت بها الوثيقة ، ثم **النظام المتبع في الشفرة المستخدمة** ، وذلك بالرجوع الى كتب الكريبتوغرافيا ومعلوماتها . وان معرفة قواعد كتابة الوثائق السرية الخاصة بكل بلد تسهل مهمة الباحث . ومع كل هذه التسهيلات فان عملية فك رموز الكتابات السرية عملية شاقة تتطلب وقتا وجهدا كبيرين ، وصبرا وخيالا ، وكلها صفات مطلوبة من المؤرخ . واذا كان فك رموز الكتابة الهيروغليفية والكتابة المسمارية قد تم بالاستعانة بلغة ثانية ، فان كشوفا أحدث من تلك ككشف المتطمية الفينيقية ما بعد الهيروغليفية في جبيل ، أو الكتابة الخطية الكريتية قد جرت دون عون من لغة ثانية ، وانما باستخدام طرائق الكريبتوغرافيا . وهذا وحده يكفي لاعطاء هذا العلم مكانته بين العلوم المساعدة للتاريخ .

---

(١) يؤخذ من بيت الشعر عادة ما يأتي بعد كلمة (تاريخ) أو (ارخوه) أو غير ذلك مما يفيد التاريخ . والقسم الذي ورد في بيت الشعر اعلاه بعد كلمة ارخوه هو (شاه عثمان مؤيد) فاذا ماحولت الحروف في هذه الجملة الى ارقام كان ما يلي:

شاه ـ الشين (٣٠٠) ، الالف (١) ، الهاء (٥) =	٣٠٦
عثمان ـ العين ٧٠ ، الثاء ٥٠٠ ، الميم ٤٠ الالف ١ ، النون ٥٠ =	٦٦١
مؤيد ـ الميم ٤٠ ، الواو ٦ الياء ١٠ ، الدال ٤ =	+٦٠
	١٠٢٧

٩ ـ علم الوثائق Diplomatique :

اللفظة مشتقة باللغة الاجنبية من كلمة (ديبلوم) التي تعني أية وثيقة صادرة عن السلطة الشرعية ، تقيم ، أو تؤيد ، أو تعطي حقا ، أو لقبا . وعلم الديبلوماتيك أو الوثائق ، هو العلم الذي يبين القواعد التي يمكن بها التمييز بين الوثائق الصحيحة والمزيفة . أو بتعبير آخر انه يدرس (الوثائق الرسمية) خلال مختلف العصور ويحاول أن يفسرها . كما انه يدرس كذلك كيفية انشاء مثل تلك الوثائق (أي المراحل المتتالية بين الفكر والاصدار) ، وانتقالها ، وما يطرأ عليها منذ الاحرف البدائية الاولى التي خطت بها حتى تحريفات الناسخين ، ويدرس كذلك المؤسسات التي أصدرتها والتي يمكن أن تستفيد منها (الاشخاص أو دوائر الدولة المختلفة ، أو المحاكم والقضاة) . كما ان العامل في بحث الوثائق يجب أن يعرف أيضا ، كيف يقوم (بنقد التصحيح) ، والمادة التي دونت عليها الوثيقة ، وبها ، وشكلها .

بصورة مختصرة ، عندما يقوم الوثائقي بوصف الوثيقة ، ويحدد تاريخها ، ومصدرها ، واطارها ، ونصها ، ومؤلفها ، وعصرها ، فانه يكون قد أعد الوثيقة للمؤرخ . وبالفعل ، فقد قام علماء الوثائق ، بتلك الطرائق ، ونشروا عديدا من الوثائق الرسمية ، التي هي مادة العمل الأولى والرئيسة للمؤرخ ؛ وبذلك قدم « علم الوثائق » وعلمائه للتاريخ خدمة جلى ، ولا يزال يفعل .

وفي الحقيقة لم يكن المؤرخون الاوربيون في فترة العصور الوسطى يستخدمون وثائق الارشيفات (المحفوظات) بشكل واسع كمصادر لكتاباتهم التاريخية ، وكانوا يجهلون نقدها ـ كما أشرنا الى ذلك سابقا ـ ، الا أنه منذ القرن السادس عشر شرعوا يهتمون بها ، ويبحثون عنها ، ويستثمرون ذلك المعين الدبلوماسي الغزير . ولكن لم تظهر أول الاعمال العلمية في هذا الميدان الا في القرن السابع عشر . وكان أهم المؤلفات كتاب « حول الشؤون الوثائقية De re Diplomatica » الذي وضعه

(دوم مابيون) الفرنسي[1] عام ١٦٨١ • وقد فتح باب هـذا العلم بفضل إقامته قواعد النقد ، وأوجد طريقة جديدة ونوعية رفيعة من المحاكمة والحكم • وقد تابع البندكتيون الفرنسيون عمله في القرن الثامن عشر ، إلا أن القرن التاسع عشر هو الذي رأى الاعمال الكبيرة للمدرسة الالمانية التي نشرت كثيرا من الوثائق (من أمثال سيكل Sickel [1] وفيكـر Ficker [2] وغيرهما) ؛ والمدرسة الفرنسية (من أمثال بنجامان غيرار[3] ، وباردیسو Pardessus [4] وغيرهما) • وقد غدت « المدرسة الوطنية للوثائق » التي اسست في فرنسا عام ١٨٢١ هي المركز الفرنسي لتعليم (علم الوثائق) •

وفي الحقيقة إن « الطريقة النقدية التحليلية » في دراسة الوثائق التي لاتزال تتبع حتى الآن ، كان قد وضعها « مابيون » • فقد فحص الوثيقة من ناحية المادة التي دونت عليها ، والحبر الذي دونت به ، والخط ، والترقيم ، واللغة ، والصيغ، والاختام ، والتواقيع ، والتاريخ • وبذلك وضع امام الباحث التاريخي مجموعة من التساؤلات يمكن ان تطرح على كل الحالات الخاصة ، وتوصل الى نقد دقيق، واصدار حكم قيمة ، على الوثيقة المدروسة • وبذلك يكون « مابيون » قد كوّن العناصر الاساسية في الطريقة النقدية في منهج البحث التاريخي نفسه • وجاءت

---

(١) دوم جان مابيون Dom Jean Mabillon : عالم فرنسي بندكتي ، مؤسس « علم الديبلوماتيك » والباليئوغرافيا . عاش (١٦٣٢ ــ ١٧٠٧) . وقد قام بجمع عدد كبير من الوثائق الهامة الى جانب دراستها ونقدها .

(١) تيئودور سيكل : (١٨٢٦ ــ ١٩٠٨) كان استاذا في جامعة (هال) ، ثم عمل مديرا « للمعهد النمسوي التاريخي » . توصل عن طريق موازنة الخطوط والاسلوب في الوثائق ، الى معرفة كتابها ومنشئيها ، ووضع قواعد عامة لذلك .

(٢) يوليوس فيكر (١٨٢٦ ــ ١٩٠٢) عالم الماني ، ومؤرخ للقانون . كان استاذا في جامعة « انسبروك » في النمسا . كان له اثر كبير في تطوير الدراسات الوثائقية .

(٣) Benjamin Edme Charles Guérard : مؤرخ فرنسي (١٧٩٧ ــ ١٨٥٤) وكان عضوا في اللجنة التي الفها رئيس الوزراء « غيزو » عام ١٨٣٤ ، لنشر وثائق لم تنشر بعد عن تاريخ فرنسا .

(٤) جان ماري باردیسو ، مؤرخ ، وباليئوغراف ، وقانوني فرنسي (١٧٧٠ ــ ١٨٥٣) . قام بنشر مجموعة هامة من الوثائق الفرنسية .

التقنيات الجديدة لتساعد العملية النقدية السالفة الذكر : من فحص أدق للورق الذي كتبت عليه الوثائق ، ومن وسائل لمعرفة عمرها ، واستخدام لبعض أنواع الاشعة الحمراء والبنفسجية للكشف عن الخطوط غير الواضحة أو المطموسة أو المحرفـة عمدا[1] .

١٠ ــ علم النقود او علم النميات (المسكوكات)

إن كلمة « النميات » منبثقـة من اليونانية « نوميسما Nomisma » ومن اللاتينية « نوميسما Numisma ». وهو علم يعالج وصف « النقود » وتاريخها، وكذلك « الميداليات » . وهو يقدم شواهد ثمينة للجغرافيا ، وللتاريخ ، ولعلم الصور « ايقونوغرافيا » ، وتاريخ الديانات ، والعادات ، وتاريخ الفن . وهو علم مساعد هام للتاريخ إذ هو مصدر للمعرفة التاريخية . فقد يكون الوحيد أحيانا الذي يكشف عن وجود ملك ، أو مدينة ، أو يشير لاثر ، أو لحادث تاريخي . والنقود بما سكّ عليها من صور للملوك وملكات ، أو لمظاهر اجتماعية ، أو دينية ، تهم الباحثين في « علم الجمال » و « تاريخ الفن » . لان تلك الرسوم والاشكال ترسم منحنيا للتطور الفني يمكن تتبعه بدقـة ، بينما في مجالات الاركيولوجيا لايكون أمام الباحث الا خرائب أو مخلفات جزئية من الصعب تركيب كلّ منها . وقد تكون النقود الاغريقية في هذا المنحى نموذجا شبه كامل[2] .

وفي الحقيقة ان مايعطي دراسة النقود أهمية كبيرة هو أنها تحوي معلومات من الدرجة الاولى عن البنية السياسية والاجتماعية . فسك النقود تحت حكم الفرس الاخمنيين مثلا كان من عمل الملك ، فهو مظهر اذا للسلطة السياسية الموحدة، ولكن مالبث أن ظهر بين القرنين السابع والثالث ق.م (٥٠٠) حاكم من « حكام المدن » ، قد سكوا النقود باسمائهم وشعاراتهم ، مما يدل على استقلالهم . ولم تلبث النقود في العصور الوسطى الاوربية أن غدت مصدر ربح وفائدة ، فسكها

---

(١) انظـر في :
Vicent (j. M), Aids to Historical Research. New-York 1924.

(٢) L'histoire et ses méthodes, p. 361.

تحت حكم الميروفنجيين والكارولنجين مثلا ، لم يكن دليل استقلال ذاتي بقدر ماكان للفائدة والربح المادي . بل ان استخدام النقد تجاوز حاجات التجارة العادية ليصبح أداة دعاية . وقد استخدمه حكام روما خلال العهود المختلفة لهذه الغاية وعرف أن أبا جعفر المنصور أيضا سك النقود باسم ابنه « المهدي » للغرض نفسه، وهو لما يزل وليا للعهد .

وبالاضافة الى هذا فان معظم احداث التاريخ الكبرى قد سجلت بتأريخها على النقود منذ اختراع هذه الوسيلة في التعامل ، في القرن السابع ق.م ، وفي منطقة ليديا على شاطىء آسيا الصغرى[1] . فميدالية من الفضة مثلا تثبت تأسيس القسطنطينية من قبل قسطنطين عام ٣٣٠ م ، وهي تصور تمثال العاصمتين روما والقسطنطينية وقد جمعا في حيز واحد . كما أن النقد العربي الاسلامي الاموي يحتفظ لنا بذكرى تعريبه ، وبصورة عبد الملك بن مروان عليه . واذا كان النقد العربي الاسلامي قد ابتعد عن الصورة بعد عهد الملك بن مروان ، وبذلك فقد عنصرا وثائقيا هاما في الدراسة التاريخية ، إلا أن العبارات الدينية ، والآيات القرآنية المسجلة عليه تكسبه خصبا فكريا يعوض نقص الصورة[2] .

والى جانب ذلك فالنقد ، وتركيب معدنه ، وتطوره ، شاهد على التطور الاقتصادي نفسه . فاذا كان النقد المستخدم مثلا من الذهب أو الفضة فهذا دليل على توافر هذين المعدنين لدى الدولة صاحبة النقد ، ومن ثم شاهد على ثرائها ، بينما اذا كان من النحاس أو من معادن غير ثمينة أخرى، فان هذا يدل على ضعفها الاقتصادي . كما ان استخدام نقد دولة ما في انحاء مختلفة من العالم ، دليل على مدى النفوذ الاقتصادي والسياسي لهذه الدولة مثلما كان عليه الامر مع الدينار البيزنطي قبل ظهور الاسلام ، ومع الدينار والدرهم العربيين أثناء الحكم العربي الاسلامي العباسي .

فالنقد يقدم اذا معلومات عن التبادلات التجارية ، والاقتصاد ، في كل المراحل

---

(١) انظر حول اختراع النقد وتطوره Ibid, p. 336 et seq.

(٢) انظر حول النقد العربي الاسلامي ، ابن خلدون . المقدمة ص ٢٦١ ـ ٢٦٤ .

التاريخية ، وذلك عن طريق وزن المعادن المستخدمة فيـه ، وتوزيع الموجودات النقدية ، ومدى إنتشار هذا النوع منه أو الآخر .

ولقد نما هذا العلم من القرن السادس عشر نموا ملحوظا نتيجة الدراسات التي قام بها « وليـام بوده W. Budé » الفرنسـي (١٤٦٧ ـ ١٥٤٠) ، ثم « شبانهايم » الألماني في القرن السابع عشر و « أكهل Eckhel » الألماني (١٧٣٧ ـ ١٧٩٨) في الثامن عشر ، الذي يعتبر كتابه حتى يومنا هذا المرجع الأكبر لعلماء النقود . وتبع ذلك دراسات مستعمقة ، ساعد عليها ان مجموعات كبيرة من النقود لمختلف البلدان وضعت في متناول يد الباحثين . وظهرت فهارس عديدة للنقود ، وأبحاث ودراسات خاصة ، بموجودات كل مدينة من المدن الغربية (لندن ، برلين ، باريس ، بروكسل ، فيينا ، نيويورك ، أثينـا) ، أو حول مجموعات Corpus من كل الأنواع الصادرة في اقليم معين . وهناك دراسات نقدية عن نقوش النقود أيضا وما كتب عليها ، وعن صور الملوك والامراء المنقوشة عليها ، وعن أوزان النقد (ميترولوجيا) . ويمكن القول إن « علم النقود » لم ير عددا كبيرا مـن العلماء بقدر ما يراه اليوم ، حيث تشعبت الدراسات الى مختلف العصور ، وشتى المناطق في العالم ، وتضاعف عقد المؤتمرات ، وازداد التعاون بين الباحثين .

ولا بد من التأكيد في هذا المجال ، أن النقود العربية الاسلامية كانت هي الأخرى مدار دراسات خاصة من قبل علماء النقد و « المستشرقين » ، والمؤرخين الغربيين[1] .

---

(١) ممن أدلى دلوه في هـذا المضمار عالم النقود الفرنسـي « هنري لاڤوا H. Lavoix » (١٨٢٠ ـ ١٨٩٢) وله « دليل النقود الاسلامية في المكتبة الوطنية » . Catalogue des mannaies Musulmanes de la Bibliothèque Nationale. 3 vol. 1887 - 1891

والمستشرق الفرنسي « پول كازانوڤا P. Casanova » (١٨٦١ ـ ١٩٢٦) الذي كان مديرا مساعدا في معهد علم الآثار في القاهرة ، وأكمل عمل « لاڤوا » في كتابه « دليل النقود الاسلامية » ، وضمنه ما هناك من نقود في مصر وسوريا ، وافريقيا واسبانيا في عهد الخلفاء . والمؤرخ الانكليزي « ستانلـي لين پول S. Lane Pool (١٨٥٤ ـ ١٩٣١) في كتابه :

١١ ــ علم الأختام Sigillographie :

وهو علم آخر مساعد للتاريخ ، يعمل على دراسة الأختام • ويسمى أيضا « سفراجيستيك Sphragistique » وهو في الواقع يدرس المجموعتين من الأشياء التي توضع تحت اسم « خاتم » : قالب الخاتم نفسه ، والآثار المطبوعة التي يخلفها.

وإذا ما رجع الى العصور القديمة فإنه يلاحظ أنهـا أقل غنى من العصور الوسطى « بطابع الأختام » منها بالاختام نفسها • فالأختام (أو بتعبير آخر قوالبها) وجدت في الحفريات الأثرية لمختلف الحضارات القديمة • ويشهد استخدامها على الاهتمام الواقعي للحفاظ على شاهد دامغ يثبت الاتفاقات ، والتعهدات المتخـذة بين فريقين ، أكان ذلك في نطاق التجارة وتطورها ، أو في تنظيم المجتمع • والخاتم عبر تاريخ العالم كان له ثلاثة أهداف: أولا ــ الختم أو الاغلاق (لضمان سلامة محتوى النص المختوم أو سريته) ، وثانيا ــ تأكيد ملكية شيء ، ثالثا ــ إثبات أصالة قرار يعبر عن إرادة فرد أو شخص معنوي • وقد تجتمع الأهداف الثلاثة أحيـانا •

ويرجع تاريخ الخاتم إلى الاصول الأولى للحضارة : فقد وجد في مدافن سوزا (جنوب غربي فارس) التي تعود إلى منتصف الألف الرابع ق•م على الأقل[1] •

→

« دليل النقود الشرقية في المتحف البريطاني » وهو بعشرة مجلدات ، وصدر في لندن بين عامي ١٨٧٥ ــ ١٨٩٠ .

Catalogue of Oriental Coins in the British Museum

وعالم النقود الانكليزي المعاصر « جون وكر J. Walker » (١٩٠٠ ــ) وله مؤلفان : « دليل النقود العربية ــ الساسانية في المتحف البريطاني » و « دليل النقود العربية ــ البيزنطية » . ويجب الا يغفل عمل الأب « انستاس الكرملي » في كتابه « النقود العربية وعلم النميات » .

(١) لقد وجد في مقابر (سوزا) خاتم من الحجر يقدرون عمره بستة آلاف عام (من الالف الرابع قبل الميلاد) على شكل جزء من كرة مثقوب في الوسـط . وقـد نقش على القسم المسطح صورة حيوان قد يكون ضبا محاطا بكرات صغيرة ، او نملة مجسمة تدفع بيوضها .

إن الخاتم في بلاد ما بين النهرين كان على شكل قسم من كرة ، مثقوب في وسطه ونقش عليه نقش معين ، اتخذ شكل حيوان مستلق أو رأس حيوان . ثم ظهر « الخاتم الاسطواني » وظل سائدا حتى المرحلة « البابلية الجديدة » حيث أفسح المجال للخاتم الهرمي .

أما في مصر القديمة فقد كان الخاتم على شكل « خاتم يدوي » من الذهب عادة ، تزينه فصوص « الجُعَل » الذي كانوا يعتقدون أنه فأل سعادة وخير . وكانوا يضعونه بشكل يمكن أن يخفي ما حفروه عليه ، زيادة في الحيطة .

وفي الواقع إن جميع حضارات البحر المتوسط عرفت الاختام وكذلك بلاد فارس والهند . وكانت الأختام الصينية التي انتشر استخدامها في اليابان وكوريا تصنع من الأحجار الثمينة ، والبرونز ، والذهب ، والخشب ، وتستخدم لطبع إشارة توثيق ، أو رسم تزييني بالحبر الأحمر أو الأسود . وأخيرا في العالم اليوناني ـ الروماني ، كان الخاتم يحمل حجراً نقش عليه اسم ، أو صورة ، أو رمز .

ويمكن القول إن جميع الأختام في حضارات الشرق القديم ، بما فيها الاسطوانية كانت تحمل الثقب المشار إليه في وسطها . ويبدو انه كان يستخدم لوضع وسيلة تعليق فيه كخيط أو سلسلة ، لأنهم كانوا يعلقون الخاتم في رقابهم ، أو في خصرهم ، أو يضعونه في أصبعهم ، إذ كانوا يعطونه قيمة سحرية كبيرة كمجلبة للحظ السعادة ، هذا بالاضافة إلى أنهم كانوا حريصين على إبقائه معهم ليلا ونهارا خشية سرقة أحد له ، واستخدامه استخداما يسيء لصاحبه .

ولقد استخدم اليونان والرومان الخاتم كذلك ، وتفننوا في النقوش التي اتخذوها رموزا لطوابع خواتمهم .وفي العصور الوسطى فإن أنماط الأختام اليونانية ـ الرومانية استخدمت في المرحلتين الميروفنجية ، والكارولنجية . ووجدت في أوربا خواتم عديدة استخدمها الخاصة وحملت اسماءهم . وإن القرارات الملكية في هذه الفترة احتفظت أحيانا بأختام الشمع التي طبعت عليها ، كما أن هناك قرارات ومراسيم قد احتفظت بطوابع أختام على المعدن ، كالرصاص ، أو الذهب ، أو الفضة. وفي هذه الحالة كانت تعلق هذه القطع المعدنية المطبوعة تعليقا بأشرطة معينة.

وهذه السكوك المعلقة تشاهد في قرارات البابا منذ القرن السادس . وقد انتشرت وثبتت في أوربا في القرن الحادي عشر ، واستخدمت السكوك الرصاصية في ممالك البحر المتوسط ، والسكوك الذهبية في بعض الظروف الخاصة .

ولم تلبث الأختام الملكية الكبيرة أن حلت محل السكوك السالفة الذكر .وقد استخدمها الملوك أولا ، وكبار الاقطاعيين ورجال الدين . إلا أن الاختام تعممت منذ القرن الثاني عشر ، فتبنتها الجماعات الكنسية ، والتعاونيات ، والبلديات والجامعات والكليات وحتى الأفراد الخاصين البرجوازيين ، والعمال ، والفلاحين، فقد غدا الخاتم بمثابة التوقيع . وان الأرشيفات الوطنية في فرنسا مثلا تحوي (٦٥٠٠٠) قالب من اختام العصور الوسطى[1] ، تكوّن الرسوم عليها مصدرا ثمينا لمعرفة تاريخ اللباس ، والتقنيات ، والاسلحة ، وغيرها من الأمور حتى الفكرية والدينية .

ولقد عرف العرب المسلمون الخاتم أيضا وكان بحسب تعبير ابن خلدون « من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية »[2] . وقد أخذ به المسلمون منذ عهد الرسول ، حيث اتخذ خاتما من فضة نقش فيه (محمد رسول الله) ، وختم به الرسائل التي بعث بها الى الملوك والامراء يدعوهم فيها للاسلام . وقد اتخذ الخلفاء الخاتم ، وديوانه ، لحفظ الرسائل وتوثيق الأوامر . وكانوا يختمون به على قطعة من الشمع فيرتسم النقش في الشمع ، أو يختمون على مكان اللصق بخاتم غمس في مداف من الطين معدّ لذلك ، فيرتسم ذلك النقش عليه . وكان الخاتم خاصا بالذات « بديوان الرسائل »، وكان للوزير في الدولة العباسية ، ثم أصبح لمن إليه الترسيل، وديوان الكتّاب في الدولة . ولم يلبث أن صار يعد من علامات الملك وشاراته ولا سيما في دول المغرب . ولذا فإنهم شرعوا يضعونه في أصابعهم ويصنعونه من الذهب ، ويرصعونه بالأحجار الكريمة .

وفي « العصور الحديثة » أخذ التوقيع يحل تدريجيا محل الخاتم ؛ ولم يعد

---

(١) G. Larousse Encyclopédique, art, Sigillographie

(٢) المقدمة ص ٢٦٤ .

الخاتم يستخدم الا للقرارات العامة الهامة . وحل محله « الخاتم على الورق » ، الذي طبع على قطعة صغيرة ، علقت بالقرار أو لصقت فوقه ببعض نقط شمع . الا أن هذا لا ينفي بقاء الخاتم ذي اليد الخشبية الذي رسم عليه شعار الدولة .

وقد زال الخاتم بشكله التقليدي في الفترة المعاصرة ، الا أنه بقي بأشكال مختلفة فكل دولة لاتزال تحتفظ بخاتمها الكبير ، الذي تستعمله لختم قراراتها ، وأعمالها الكبيرة ، كالاتفاقات ، والمعاهدات ، والمراسيم ، إلا أن « الطابع الجاف » غدا أكثر استعمالا في الاتفاقات العالمية . فهو يوضع على ورقة مستديرة قد قصت عادة على شكل « نجم » وأشبه ما تكون بالطابع البريدي . ولكن هـذا لا يعني زوال خاتم النحاس ، أو الكاوتشوك ، الذي يغط بالحبر ويختم به ، اذ أن سهولته تفسر انتشار استخدامه ، وبقاءه .

من العرض السابق للأختام ، وتاريخها ، وتطورها ، تتضح أهميتها لكثير من العلوم : كالتاريخ ، وعلم الوثائق ، وعلم الأنساب ، وعلم الرنوك ، وعلم الآثار ، وتاريخ القانون ، وتاريخ الفن ، وتاريخ السلاح ، وتاريخ العادات . كما تظهر قيمتها في ميادين أخرى ، كعلم التعدين ، وعلم فقه اللغة ، وتاريخ علم نفس الأفراد ، والطبقات الاجتماعية ، وغيرها من العلوم .

وقد يتساءل ما الخدمات التي تقدمها الأختام وعلمها للتاريخ ؟ إن الجواب مقتضب ، وهو أن وجودها نفسه خدمة له . فإذا كان عمل المؤرخ ليس تعداداً للملوك ، ولا للمعارك ، وليس فقط ، الحصول على احصاء لمستوى حياة مختلف الطبقات الاجتماعية ، في شتى المراحل الزمنية ، وفي مختلف البلاد ، وإنما عمله بالإضافة الى كل ذلك ، أن يظهر مستوى الحضارات ، لا في رخائها المادي فحسب ، وإنما في العلاقات بين الناس ، ـ وهذا هو حجر الزاوية في بنيان كل حضارة ـ فعلى هذا المؤرخ الا يهمل هذا المظهر الهام في العلاقات الاجتماعية : فمنذ نشأة الحضارة ، والخاتم موجود ، فهو إذا جزء لصيق من نظام الحياة القائم منذ القديم وقد أوجده الانسان ليكون دليلا ماديا لا يقهر ، للكلمة المعطاة من انسان الى آخر . وقد صنع الصياغ على مدى العصور ، الآلاف والآلاف من الأختام ، فكل واحد منها إذاً ، هو جزء هام من تاريخ مرحلة زمنية معينة ، بالمادة التي صنع منها ،

وبطريقة صنعه ، وبما احتواه من معلومات في ثنايا الرسوم ، والكتابات ، والتاريخ، المنقوشة عليه أو فيه .

هذا ويجب ألا تنسى الخدمات التي يقدمها الخاتم لعلم الوثائق ، فهو العنصر المرئي والواضح ، القادر على تحديد مصدر الوثيقة ، ومدى صحتها . وهو المساعد للباحثين في وثائق الأرشيفات ، على التمييز بين الوثائق من مجرد النظر إليها ، وعلى تعرّف الادارة التي أصدرتها . كما أنه عامل هام في تحديد الزمن بدقة ، ناهيك ، عما يمنحه من عون لتاريخ الفنون ، وللدراسات الاجتماعية ، عن طريق الرسوم المتنوعة ، والعبارات المثبتة عليه .

١٢ ـ علم النقوش الكتابيـة Epigraphie :

وهو علم آخر من العلوم المساعدة للتاريخ ، يدرس المسجلات على مادة دائمة البقاء كالحجارة والمعدن . وهو بذلك يتميز عن علم الخطوط (الباليوغرافيا) الذي يهتم بالمسجلات على المواد القابلة للفناء والزوال كالبردي ، وبالدراسة الشكلية للخط .

وهناك نظريا علم « نقوش كتابية » لكل بلد ولكل حضارة ، قديمة أو حديثة. والنقوش قد تكون مدونات على القبور Epitaphes . ومعظم القديمة منها تحظر على الاحياء الاساءة الى القبر أو استخدامه ، وتوضح العقوبات الدينية أو القانونية التي يمكن أن تلحق بالفاعل . وقد تتضمن ، كما هو الحـال في شواهد القبور الاسلامية ، اسم الشخص ، وتاريخ وفاته وآيات قرآنية ، وأبيات شعرية ، أو جملا تترحّم على المتوفى ، أو تثني عليه . كما قد تكون المدونات اهداءات للآلهة، أو مدونات شرفية تمنح ألقابا شرفية أو تمجد مواطنين، أو غرباء ، أو مدنا ... الخ . وقد تقوم « المدينة » أو « السلطة » أو « الأفراد » بهذا التدوين على جدران المدن أو المعابد أو المنازل أو غيرها . ويمكن أن تكون المسجلات « أعمالا عامة » أو « خاصة » أو « قرارات » أرادت السلطة ،أن تكون عامـة ، أو معلومة من الشعب أو الجمهور . فتدوينها على الحجر ، أو المعدن ، هو وسيلة نشر عامة لها ، وفي الوقت نفسه أداة تثبيت لها في أذهان الاجيال المتلاحقة . فهناك مثلا معاهدات

بين الدول وقرارات حكومية ، وقوانين قد نقشت على جدران المعابد ، أو القصور، أو المساجد أو المسارح أو غيرها من المباني العامة .

والنقش الكتابي هو دائما تقريبا **وثيقة اولى** ، وشاهد مباشر ، أكان قطعة من الارشيف (قرار أو معاهدة أو سجل رسمي آخر) أم مدونة على قبر . وهي تصلنا دون وسيط على نقيض المؤلفات التاريخية القديمة التي وصلتنا عبر مخطوطات نقل بعضها عن بعضها الآخر خلال قرون . فليس هناك سوى **نقش كتابي واحد** قام« الناقش» بحفره بحسب المخطوط الذي طلب منه أحد الخاصة أو أحد الحكام نقشه . ومهما كان نوع الخط الذي نقش به ، فانه يلاحظ أن الاخطاء نادرة ، وعلى الاغلب لا قيمة لها ، ويمكن بسهولة تصحيحها ، ماعدا بعض الاستثناءات . فنقد النقش الكتابي إذاً مختلف عن نقد نص المخطوطات .

ويشعر القارىء الحديث وهو أمام النقش الكتابي ، أنه قد نقل مباشرة اليه عبر العصور ؛ فهو يقرأ الوثيقة بشكلها نفسه الذي قرأها معاصروها . فهو مثلا عبر نقوش الخط المسند في بلاد اليمن ـ اذا كان يتقن قراءة هذا الخط ـ يتعرف مباشرة كثيرا من القوانين التي سطرها ملوك البلاد واسماءهم ، دون وسيط ، وكأنه يقرأها كما كان معاصروها يقرؤونها .

فعلم النقوش الكتابية يعطي للتاريخ القديم أو الوسيط ، نضارة وتجددا دائمين ، وثقة وتثبيتا . فهو يضع حدا لمناقشات ومجادلات لا نهاية لها حول نصوص كتابية محورة أو مزيفة ، ويحسم خلافات علمية قديمة . ويضاف الى ذلك أنه يقدم للتاريخ بعامة معلومات عن القانون ، والادارة ، والحياة الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والدينية ، والأدب ، واللغة ، وكذلك عن تاريخ المباني والاشياء التي تحملها تلك النقوش .

وقد جمعت النقوش الكتابية في « مجموعات Corpus » ضخمة : فنقوش العالم الروماني جمعت في الـ Corpus inscriptionum Latinarum الذي يضم بضع مئات من آلاف النقوش . إلا أن الكشوف في هذا المضمار متتالية وتصدر في مجلات خاصة . وقد جمعت النقوش الكتابية الاسلامية كذلك في :

Le Corpus Inscriptionum Arabicorum الذي وضعه المستشرق « فان برشم Van Berchem »[1] . وقد جمع فيه نقوشا كتابية عدة من مصر ، وسورية ، وجاء بعده المستشرقان « سوفاجه »[2] و « فييت »[3] ليتابعا عمله .

والعالم بالنقوش الكتابية يبحث دائما عن جديد في ميدانها ، ويدرس النصوص الموجودة منها ، إما مباشرة أو عبر صور لها ، ويعمل على سد الثغرات فيها ، اذا ما وجدت ، عن طريق موازنتها مع وثائق معاصرة أو مماثلة ، ويحدد تاريخها ، عبر الاشارات السياسية أو الادارية التي تحويها ، أو عن طريق معطيات مادية كتطور الخط مثلا . وبالاضافة الى ذلك فانه ينقد تلك النقوش الكتابية ويفسرها ، ويصل لمعطيات تاريخية ثمينة منها .

١٣ ـ علم الاسماء Onomastique :

وهو العلم الذي يدرس الاسماء . وينقسم الى عدة فروع ، أهمها بالنسبة للمؤرخ ، تلك المكرسة لأسماء **الامكنة ، و الانهار ، و الاشخاص** . ويطلق على الفرع الاول اسم « طوبونيمي Toponymie » ، وعلى فرع أسماء الانهار الـ « Hydronymie » وعلى دراسة أسماء الأشخاص Anthroponymie .

---

(١) ماكس فان برشم : (١٨٦٣ ـ ١٩٢١) مستشرق سويسري . عين استاذا للغات الشرقية في جامعة جنيف ، وانصرف الى البحث عن الآثار الاسلامية ، انظر حوله . الأعلام ج ٦ . ص ١٢٦ .

(٢) جان سوفاجه J. Sauvaget (١٩٠١ ـ ١٩٥٠) : مستشرق فرنسي ، اتقن اللغة العربية ، وعمل في دمشق عام ١٩٢٤ ، وعين في ١٩٣٧ مديرا للدراسات تاريخ الشرق الاسلامي في « مدرسة الدراسات العليا » في باريس ، فاستاذا للفن بمدرسة اللوفر . ساح كثيرا في بلاد الشام والعراق ، وايران ، وتركيا . له عدة مؤلفات منها « مصادر التاريخ الاسلامي » و « الآثار التاريخية في دمشق » و « مدينة حلب » ، وغيرها .

المصدر نفسه ج ٢ . ص ٩٧ ـ ٩٨ .

(٣) غاستون فييت G. Wiet (١٨٨٧ ـ ١٩٧١) : مستشرق فرنسي ، درّس الادب العربي في جامعة القاهرة ، وكلف بادارة متحف الفن الاسلامي فيها عام ١٩٢٦ . وعمل استاذا في كلية فرنسا ١٩٥١

G. L. E. Vol. 10. p. 946 et supplément II. art « Wiet »

ولم يصبح علم الأسماء « الاونوماستيك » علما إلا حوالي نهاية القرن التاسع عشر عندما وضعت المبادىء الكبرى « لعلم اللغات التاريخي » . ومن المستحسن أن نذكر أن « الاسم » هو شيء حي : فهو يولد ، ويحيا ، ويموت . وقد ينشأ من أن سلطة ما تفرضه (كالآباء مثلا الذين ينتقون أسماء أولادهم) لسبب ما أو لمجموعة أسباب ، أو أنه يفرض نفسه على الأذهان نتيجة ظاهرة بارزة ما ، تركت أثرها المتشابه في المجموع . وتنتقل الاسماء من جيل الى جيل ، إلا أن لفظها يتغير مع مرور الزمن ، ومع دخول عناصر بشرية جديدة أحيانا . وتغير اللفظ يخضع عادة لقواعد التطور الصوتي في اللغات .

فلا بد للمؤرخ من معرفة هذه القواعد التي تتغير حسبها مختلف تلك الاسماء عبر الزمن . وهذه القواعد تختلف من لغة الى أخرى . ومن المفيد الاشارة الى أن المؤرخين ، والجغرافيين العرب أظهروا اهتماما كبيرا بشرح أسماء الظاهرات الجغرافية المختلفة ، والمدن ، بردها الى لغتها الاصلية ، أو بيان ماحيك حولها من حقائق أو أساطير .

ان اسم مكان او نهر له قيمة الوثيقة التاريخية . ولاستخلاص المعلومات التي يختزنها ، من الملائم إرجاعه الى اللغة التي أوجدته ، والحضارة التي رأت ميلاده: فقد يكون دليلا على هجرة مرت من المكان ، او أقوام توضعت فيه أو بالقرب منه، أو أحداث معينة جرت فيه ، إلى غير ذلك من الأمور . أما الهدف الرئيسي من دراسة أسماء الاشخاص فهو معرفة الطريقة التي سمي بها الافراد ، واذا أمكن أسماء أعضاء أسرة ما في مختلف مراحل التاريخ . كما أن الدراسة تسمح بتحليل أسماء الامكنة التي تحمل أسماء الافراد وتاريخهم . ان هذا العلم بفروعه علم حديث ، وهو يقدم خدمات أكثر فأكثر لاعادة بناء الماضي ، ويمكن النظر اليه على أنه فرع من علم اللغات .

١٤ ـ علم الانساب Généalogie :

إن علم الانساب من أقدم علوم العالم . انه دراسة تسلسل نسب الافراد

وتتابع الاجيال . وقد كان هذا اللون من المعرفة ناميا جدا عند عرب الجاهلية ، وعاد الى القوة والانبعاث في العصر الاموي نتيجة الصراع القبلي القائم .

وكان هدفه التمييز بين القبائل ، وبين الاسر ، واستمرار ملكية الاراضي ، وتعيين النسل الحقيقي لقبيلة معينة مختارة . وفي العصور الوسطى في أوربا كان الهدف من هذا العلم إثبات نبالة الفرد ، أو الاسرة ، للتمتع بامتيازاتها المختلفة . إلا أن هذا العلم في الفترة المعاصرة لم يعد يهتم بأسر النبلاء وانما بكل الاسر . وتتبدى فائدته الاساسية في ميدان « علم الاجتماع » : لانه الى جانب تنمية الشعور العائلي ، فانه يساعد على الترابط الاجتماعي ، باحلال مفهوم القدم ، والاصالة الواحدة محل مفهوم النبالة . أما بالنسبة للتاريخ فانه يساعده على إبراز صلات القرابة في كثير من الامور الهامة كالتحالفات ، والحروب ، والمعاهدات ، وانتقال الارض ، والحقوق ، والالقاب ، وبذلك يقدم العون له في تفسير كثير من القضايا . فعلم الانساب يمكن مثلا أن يفسر كثيرا من الصراعات السياسية في العصر الاموي . كما أنه أساسي أحيانا ، لدراسة الاحوال الاجتماعية والفكرية في بقعة ما وزمن معين ، كمعرفة أصول بعض الفئات الاجتماعية ، وانتماءاتها الاولى ، واتجاهاتها السابقة واللاحقة ، ومدى تواصلها أو اختلافها . وهذه الأمور غدت ذات أهمية كبيرة اليوم ، في تفسير كثير من الظاهرات التاريخية .

١٥ ـ علم الرنوك Héraldique :

وهو العلم الذي يدرس : الشعار أو الرموز المتوارثة الخاصة بالاسر ، أو الجماعات أو الافراد . وبالنسبة لاوربا ظهرت مثل هذه الشعارات من القرن الثاني عشر . وكان أصلها عسكريا وفرديا : فقد كانت وسيلة للتعارف أولا ، ثم تطورت فغدت رمزا للاسرة . وأصبح الامراء الاقطاعيون يستخدمون تلك الرموز والشارات على أسلحتهم وفي بيتهم وعلى اثاثهم ، وفي كل مناحي حياتهم ، وعلى اختامهم ، وكتبهم . وبفضل هذه الرنوك يمكن للمؤرخ أن يتعرف ملكية عربة مثلا ، أو خاتم أو سيف أو صورة لا اسم عليها ، أو مخطوط . وبفضل الرنوك يمكن للمؤرخ أن يميز بين أسرتين غير معروفتين له وألا يخلط بينهما ، ووجود الرمز في مدخل بناء

أو في كنيسة يعطي أحيانا الفترة الزمنية التي شيدا فيها ويوضح هويتهما . فوجود الرنوك اذاً يوجه البحث التاريخي توجيها صحيحا نحو معرفة الزمن ، والاشخاص، ويمكّنه من اثبات صحة مايقع تحت يده من دروع واسلحة ، ووثائق ، ومقتنيات أخرى شتى . وبذلك يكون علم الرنوك علما مساعدا للتاريخ .

وقد وجدت الرنوك لدى العرب المسلمين ، واستخدمها ، وخاصة في الشرق الاسلامي ، السلاجقة والمماليك والعثمانيون ، للدلالة على وظائف أرباب السيف، ومنها الهلال ، وذيل الحصان ، والكأس ، وغير ذلك . ويمكن أن يمدّ هذا العلم بمعناه العام ، لا بمعناه الخاص بأوربا فقط ، الى التاريخ العالمي ، ودراسة الشعر والرموز المستخدمة من قبل الملوك ، والأسر الحاكمة ، والفئات الاجتماعية المختلفة، في العصور القديمة وحضاراتها ولا سيما حضارات البلاد العربية ، وفي العصور الحديثة ، أي لايحدد برنوك أوربا في العصور الوسطى ، كما هو جار اليوم .

١٦ ـ علم الاقتصاد l'économie :

وهو يدرس مجموع سلوك البشر تجاه الخيرات الطبيعية ، وما ينتجونه في حقلها ، وما يقدمونه من خدمات . أي يدرس تلك الظاهرات الاجتماعية ، الناجمة عن فعالية الناس ، وأعمالهم لارضاء حاجاتهم المادية . ويدخل فيه بالطبع دراسة النظم الاقتصادية المختلفة عبر العصور . وهو من العلوم الاساسية المساعدة للتاريخ ، وان الدراسات التاريخية المعاصرة لتظهر هذه الحقيقة أكثر فأكثر . فعند منتصف القرن التاسع عشر تسارع التطور الاقتصادي ، ووضع في المستوى الاول المشكلات الاجتماعية ، ومن ثم ازداد اتجاه المؤرخين واهتمامهم إلى هذا المظهر الاقتصادي والاجتماعي من الماضي البشري ، كما بيّن سابقا عند بحث المدارس التاريخية المعاصرة .

وفي الواقع لقد انتبه المؤرخون الى أهمية العوامل الاقتصادية في بناء تاريخ الانسان منذ القديم ، ولكنهم لم يركزوا عليها التركيز الملاحظ في القرن التاسع عشر ، فمع أزمة ١٨٤٨ ، حقق التاريخ الاقتصادي تقدما كبيرا . فمن المعروف ان أفكار « كارل ماركس » و « فردريك انغلز » ، قد تكونت في السنوات التي سبقت

ثورات ١٨٤٨ ، الا ان هذه الثورات جاءت لتؤكدها وتنشرها • فبحسب نظرية « المادية التاريخية » لماركس ، ان البنية الاقتصادية العميقة المستندة الى وسائل الانتاج وانماطه ، هي التي تحدد المؤسسات القانونية ، والسياسية ، والظاهرات الاجتماعية والفكرية ، والمعتقدات الدينية ، وكل ما يشكل البنية الفوقية • ومن تحليل هذه البنية الاقتصادية استخلص ماركس قانونه الاساسي في « صراع الطبقات » •

ومع ان حوارا حادا قام بين الماركسيين وغير الماركسيين ، فان معظم المؤرخين قد أحس بأهمية العامل الاقتصادي في المصير الانساني ، ووجه ابحاثه هذه الوجهة• وظهرت مدرسة المانية قامت بدراسات ذات شأن في هذا المضمار ، وكان من أبرز دارسيها المؤرخ الاقتصادي الالماني « فيرنر سومبارت W. Sombart » (١٨٦٣ ــ ١٩٤١) في كتابه « الرأسمالية الحديثة » • وتتالت الابحاث لعديد من المؤرخين الغربيين في هذا المضمار • وحملت هذه الدراسات الاقتصادية والاجتماعية الى الماضي لتكون ساحة الرؤية الماضية أكمل وأدق •

وبذلك نشأ « التاريخ الاقتصادي » الذي هو غير « تاريخ المذاهب الاقتصادية » كما أراد بعضهم تحديده ، وهو ليس ذلك الوصف البسيط «للحقائق الاقتصادية » الذي لجأ إليه بعض المؤرخين الاختصاصيين ، كتعداد المنتوجات والسلع المتبادلة ، والاسعار والاجور التي انتقيت عشوائيا ، فحسب ، وانما هو بالاضافة الى ماذكر « طريقة » • فهو ينطلق من وصف مشخص وجغرافي ما أمكن، ليقود الى تحليل بنى الاقتصاد : من خلايا الاساس ، ووحدات الاستثمار في الريف، والمصانع والمشروعات التجارية والبنوك، الى الظروف العامة لعمل النظام الاقتصادي• ولا بد أن يكون هذا التاريخ حركيا (ديناميكيا)، أي ان يتتبع التذبذبات الاقتصادية، ويميز بين تلك التي ترجع الى تغيرات بسيطة في التوازن القائم ، وتلك التي تعبر عن تطور أعمق في النظام •

ولقد ضايق بعض المؤرخين في هذا التاريخ الاقتصادي الحسابات والبيانات الاحصائية التي لابد أن تتسلح أية دراسة في ميدانه بها • ولهذا فانهم فضلوا

« التاريخ الاجتماعي » الـذي تخلص هو نفسه تدريجيـا من « تاريخ المذاهب الاجتماعية » . وانتشر الاعتقاد في أواخر القرن التاسع عشر بامكان عزل الظاهرة « الاجتماعية » ، وبذلك نما « علم الاجتماع » . وفي الواقع تظهر دراسة التاريخ الاجتماعي بشكل بيّن استحالة فصل الاقتصاد والاجتماع عن بعضهما . فاذا ما أريد دراسة توزيع الثروات في بيئة معينة في الماضي ، وتحديد الطبقات الاجتماعية وعلاقتها فيما بينها ، أو سلوك الفئات الاجتماعية ، فانه لابد أن يكون التاريخ الاجتماعي اقتصاديا في الوقت نفسه ، والا افتقدت الدراسة قاعدة صلبة . وقد قال المؤرخ « شارل موراز » Ch. Morazé بحق : « ان التقدم الاقتصادي يسبق دائما التقدم الاجتماعي ، مهما كان أثر التقدم الاجتماعي فيه كبيرا » .

فالتاريخ الاقتصادي ـ الاجتماعي يبدو في الدرجة الاولى « علم تركيب » : فهو يتطلب طرائق مشابهة للعلوم التي تهدف بصورة خاصة الى دراسة الحاضر ، كعلم الاقتصاد ، والاجتماع ، والجغرافيا البشرية ، والديموغرافيـا ، وغيرها ، ويستفيد من معطياتها .

ومن الواضـح ان تلك العلوم تعتمـد على « الاحصاء » ، ولـذا تساءل المؤرخون الى أية فترة من التاريخ يمكن مد تطبيق الاحصاء في الدراسة الاقتصادية التاريخية؟ أو بتعبير آخر هل كان لدى جميع الشعوب في العصور القديمة والوسطى وحتى الحديثة من الوثائق الاحصائية ما يمكن به تحقيق دراسة اقتصادية علمية ؟ ان معظم المؤرخين يحددون ظهور الفكر الاحصائي بحوالي أواخر القرن السابع عشر ، ثم انتشر في القرن الثامن عشر ، وارتقت الطرائق الاحصائية خلال القـرن التاسع عشر ، الا انه وجد من الوثائق الاحصائية ما يسمح بدراسة علمية للقرن السادس عشر ، ولذا فقد اعتبر هذا القرن نقطة الانطلاق في التاريخ الاقتصـادي الحقيقي . ولكن هذا لايعني ابـدا الانصراف عن التغلغل في العصور الوسيطة والقديمة اقتصاديا .

ومن كل هذا يتضح بأن الباحث التاريخي اليوم لا يمكنه أن يقوم بدراسة ذات معنى إلا اذا كان مسلحا بمعرفة في ميدان علم الاقتصاد .

١٧ ـ علم الأقوام L'Ethnologie :

كما أن علم الاقتصاد علم هام للتاريخ ، فإن « علم الأقوام » من العلوم التي تتبادل التعاون مع التاريخ . « وعلم الأقوام » فرع من العلوم الانسانية ، غايته معرفة صفات كل قوم ، بهدف إقامة الخطوط العامة لبنية المجتمعات وتطورها . وهو يدرس الأقوام في الماضي والحاضر ، ويستمد مادته الأساسية من « علم الاتنوغرافيا Ethnographie » ، الذي يقدم دراسة وصفية للأقوام ، أي للجماعات البشرية التي تربطها ثقافة واحدة . ويستقي مادته أيضا من « علم الاجتماع » ومن « علم الألسن » ، وكذلك من « تاريخ ماقبل التاريخ » ، ومن « علم الآثار » . ويقدم له « علم الانتروبولوجيا : علم الانسان العرقي » ، ما يميز به بين توزع الأنواع العرقية ، والأقوام الثقافية .

وفي الواقع ، إن « علم الأقوام » علم تاريخي ، ويبدو هذا في دراسته للحياة التقنية للأقوام ، ولأوضاعها الاجتماعية ، والدينية ، ولبناها الاقتصادية ، وروابطها الثقافية ، من لغة ، وقيم ، وفن ، وآداب . وقد كانت الفجوة كبيرة نسبيا بين هذا العلم عند نشأته في القرن التاسع عشر وبين التاريخ التقليدي ، إلا أنها آخذة في الزوال ، عندما اتجه الاتنولوجي نحو تركيب مادته المشتتة ، وانعطف التاريخ في الوقت نفسه نحو البحث عن التفسيرات الاقتصادية والاجتماعية لتوازن الشعوب. وتبدى للتاريخ أن الشيء الذي لا يوجد في باطن الأرض أو على سطحها، أو في النصوص المكتوبة ، يمكن أن يشاهد ويلاحظ في فكر الناس الأحياء وسلوكهم . فاذا أريد فهم حياة المجتمعات في التاريخ ، فإن هذا الأخير لاغنى له عن « علم الأقوام » .

١٨ ـ علم السكان « الديموغرافيا » Démographie :

وكما أن « علم الأقوام » علم هام للتاريخ فان «الديموغرافية» او علم السكان ضروري : فدراسة السكان وعددهم ، وتكاثرهم ، وأعمارهم ، وتوزعهم بين ذكور واناث ، وصفاتهم الاساسية ، ودخولهم ، ومواقعهم من الحياة ذات أهمية بالغة في التاريخ ، وفي تفسير كثير من أحداثه . وقد كان « علم السكان » يهتم أولا بالناحية الاحصائية فحسب ، إلا أنه أخذ اليوم يلتفت أكثر فأكثر الى صفات هؤلاء السكان المختلفة .

١٩ ـ علم الاجتماع Sociologie

إن نمو « علم الاجتماع » قد شجع المؤرخين كذلك على مد أبحاثهم في الماضي التاريخي . وعلم الاجتماع هو العلم الذي يدرس الظاهرات الاجتماعية ، أي « المؤسسات الاجتماعية الحية » كما تتكون ، وتعمل ، وتتطور . وقد نشأ في القرن التاسع عشر في أوربا ، ونما نموا كبيرا ، وتفرع إلى أقسام كثيرة : فهناك علم الاجتماع العام ، وعلم اجتماع الطبقات الاجتماعية ، وعلم الاجتماع الاقتصادي والصناعي ، وعلم اجتماع القانون ، والأخلاق ، والتربية ، وغيرها . وقد ساعد هذا العلم التاريخ على دراسة النفسيات الاجتماعية ، والعلاقات الاجتماعية ، ومظاهرها المتنوعة . ان تاريخ الاسرة ودورها في الاقتصاد ، والانتقال من الاسرة الابوية الى الاسرة الزوجية ، والانحلال التدريجي للتضامنات الاسرية ، كلها تبدو واقعا هاما ، وان كانت المعرفة عن هذه الامور لاتزال ضئيلة . كما هناك قضية العلاقات بين الدين ، والوسط الاجتماعي ، والنمو الاقتصادي ، وغيرها من القضايا الكبرى التي يسمى علم الاجتماع لدراستها .

فعلى المؤرخ للمجتمعات القديمة ولا سيما في ميدان الاقتصاد والاجتماع ، أن يغتني بملاحظة الحاضر ، وأن يكون على معرفة بالعلوم المتولدة من هذه الملاحظة كعلم الاقتصاد ، والاجتماع ، والجغرافيا البشرية ، لانه سيجد فيها عدة نماذج من المجتمعات البدائية الحاضرة ، مثلا في افريقيا وامريكا اللاتينية ، تساعده على فهم بعض مشاكل التاريخ القديم ، وتجعله يشعر بخطورة القضية المطروحة على مستوى التاريخ الاقتصادي والاجتماعي ، والتاريخ بشكل عام ، وهي : هل من الممكن انشاء لغة ، ومارائق بحث ، وتفكير ، تكون بابعاد العالم ؟

وأخيرا هل يمكن للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي ان يصل الى مرحلة ايجاد « القوانين » القادرة على ايضاح حاضر الانسانية ومستقبلها ؟ ان في الجواب عن هذا التساؤل تختلف فلسفات التاريخ[1] .

---

(١) انظر في الفصل السادس من هذا الكتاب .

٢٠ ـ علم الاحصاء Statistique :

ولا بد أخيرا من العودة الى تأكيد **أهمية الاحصاء وعلمه** في الدراسة التاريخية : فدراسة الارقام قد تكشف احيانا مظاهر من المسرحية التاريخية مهملة جدا ، كما انها تعطي ثباتا علميا لانطباعات مشكوك فيها ، وتوسع آفاق التفسير التاريخي . فالتطور الديموغرافي أو التزايد في عدد السكان في القرن الثامن عشر مثلا ، كان عاملا هاما في كثير من التطورات الاقتصادية والسياسية ؛ بل ان نسبة الشباب في السكان كان سببا من أسباب الثورة الفرنسية . فالاحصاء اذا والاستفادة من الارقام هام جدا في التاريخ ، بل ان الاعتماد عليه أدى في الوقت الحاضر الى ظهور ما يسمى بـ « **التاريخ الكمي** » . فلم يعد يحصى عدد السكان فقط ، واعمارهم ، وجنسهم ، ـ وهذا ما يدخل عادة في نطاق الديموغرافيا ـ ، وانما مهنهم ، ودخولهم ، وكذلك جميع ما يخص مظاهر النشاط الاقتصادي ؛ بل ان الاحصاء دخل في الانتخابات والتنبؤ بالفائزين فيها . كما استخدم لمعرفة الآراء السياسية وغيرها . ان الاحصاء قد تسرب الى كل مجال ، واعتمدت عليه مختلف الدراسات العلمية الدقيقة ، والتخطيط لكل مجالات المجتمع وفعالياته . وظهر في ميدان تلك الدراسات ما يسمى بـ « الطريقة الاحصائية »[1] . وقد استخدم العقل الالكتروني (الكومبيوتر) في تحقيق أعماله المختلفة . فالاحصاء اذا لا يمكن الاستغناء عنه ابدا في التاريخ ، ولا عن أرقام الظاهرات المتنوعة التي تطرحها المجتمعات المعاصرة ، أو التي قدمتها المجتمعات الماضية . ولذلك ، فإنه أخذ يدخل تدريجيا كمادة أساسية في أقسام التاريخ في الجامعات .

٢١ ـ علم النفس Psychologie :

لقد أراد التاريخ منذ بدايته الاولى أن يكون معرفة نفسية : فمنذ ان كان سردا لاحداث فردية ، فانه عزا تلك الاحداث لبعض الابطال ، وبعض الرجال المتميزين ، وكان عليه أن يبحث عن السبب العميق لاعمالهم ، إما في اقدارهم أو في أهوائهم . وفي اطار علم الانساب أو التاريخ المجد لجماعة أو لسلالة ، فانه

---

(١) انظر حول تفصيلاتها : G. L. E. Vol. 9. p. 990. art « Statistique »

اهتم بتمييز رؤساء الجماعة بفضائلهم الشخصية أو رذائلهم . فالتاريخ اذا كان يبدو وكأنه دراسة للسلوك النفسي والمواقف النفسية ، ولا سيما عندما يكون اشبه بمسرحية ، أو عندما يبحث في ترجمة حياة شخصية من الشخصيات ، ويسعى كي يقدمها نموذجا يجب أن يحتذى به ، أو ينفر منه . فالقصة التاريخية للانسان أكانت للتسلية ، أم للعبرة ، سياسية كانت أم اخلاقية ، من وضع « فلوارخوس » أو « جوانفيل »[1] أو « كومين »[2] أو « ابن خلكان » أو غيرهم من مؤرخي السير والتراجم فانها تفسح المجال لتحليل الاحوال النفسية .

ولكن « علم النفس » هنا كان يتدخل ، كما هو ظاهر ، من الخارج ، وكمفسر تفسير شخصي : فلكي يفهم المؤرخ سلوك « بطله » وليجعل هذا السلوك يُفهم ، فانه كان يحمّله الرغبة ، والطبع والمزاج ، التي تبدو له طبيعية ومنسجمة مع رد فعله الخاص ، فيما لو كان موجودا في الظروف نفسها . وعمله هذا ليس خطرا من وجهة النظر التاريخية ، مادام التاريخ الذي يقصه معاصرا له ، وقائما في وسط مألوف لديه . ومن هنا فان مواقف الملوك والخلفاء لاتبدو مشوهة بعدا عبر المؤرخين المعاصرين لهم ، لانهم ينتمون الى الجيل ذاته تقريبا ، ويتحركون في محيط مشابه ، فشهود العيان والابطال يتقاسمون دون شك انماطا متشابهة من المشاعر والتفكير .

ولكن عندما يتكلم مؤرخ ما ، عن أناس بعيدين عنه في الزمان ، والمكان ، والمستوى الثقافي فانه يشك بأوصافه لهم ، لانه يطرح على أولئك الناس مشاعره ، وأفكاره الخاصة ، وهذا من أسوأ الامور في التاريخ ، كما يقول المؤرخ « لوسيان فيفر » ، اذ من المعلوم ان المشاعر ، والعواطف ، والقيم الخلقية ، بل وتحركات الفكر تتغير من وقت لآخر ، ولها هي الاخرى تاريخها .

---

(١) جان دوجوانفيل J. de Joinville : مؤرخ فرنسي ، ومستشار الملك لويس التاسع (القديس لويس) عاش خلال (١٢٢٤ ـ ١٣١٧ م) . ومذكراته تتحدث عن تاريخ الملك لويس وحروبه الصليبية . وهو من المصادر الدقيقة والهامة عنه .

(٢) فيليب دوكومين Ph. de Commynes : مؤرخ فرنسي (١٤٤٧ـ١٥١١). له « مذكراته » عن تاريخ ملكي فرنسا لويس الحادي عشر وشارل الثامن .

ومن هنا تتبدى الرابطة الوثيقة بين التاريخ وعلم النفس . وعندما اتجهت الدراسة التاريخية منذ القرن العشرين نحو بحث الحوادث الاجتماعية دون الفردية وابتعد المؤرخون عن تركيز التاريخ على الافراد ، ووجهوا أنظارهم الى دراسة الجماعات والشعوب ؛ وإهمال الأحداث البسيطة والسطحية ، ازداد اهتمام علماء النفس بالتالي بعقلية المجتمع أو « بالكيفية العامة للتفكير السائد في المجتمع » ، إلى جانب اهتمامهم بدراسة النفسية الانسانية بشكل عام . وبذلك تم الربط بين سلوك الجماعات والأفراد ، وبين أحوال المجتمع . وهكذا ظهر ما يسمى بـ « علم النفس الجماعي » . وقد رأى التاريخ أن عليه أن يستفيد من هذا المنحى . وكان « لوسيان فيفر » المؤرخ الفرنسي أبرز من وجه الدراسة التاريخية الى الاستعانة بالعلوم الانسانية وبعلم النفس بالذات . وقد كتب موضوعا بهذا المعنى عام ١٩٣٨ تحت عنوان «علم النفس والتاريخ» في الجزء الثامن من دائرة المعارف الفرنسية، واتبعه عام ١٩٤١ بموضوعه « الحساسية في التاريخ La sensibilité dans l'histoire » . ومن هذا الاتجاه الجديد للتاريخ ، يتبين أن المؤرخ بحاجة إلى « علم النفس » والى علم النفس الاجتماعي بصفة خاصة .

٢٢ ـ علم النفس الاجتماعي[1] : يمكن أن يقدم للمؤرخين تقنيات جديدة للملاحظة ، أو بدقة أكبر ، وسائط أفضل لتفسير الشواهد التاريخية واثباتها ، ولا سيما عن طريق الاستفتاءات التي يجريها ، والمقابلات ، التي أخذ التاريخ يلتفت إليها شيئا فشيئا . فاحتكاك التاريخ مع علماء النفس الاجتماعيين أملى على التاريخ في جميع الاحوال مواقف نفسية ، وسلوكا ، يجرانه الى توسيع حقل ملاحظته ، ويدفعانه لطرح قضايا أخرى ، والانطلاق الى مسالك جديدة . فالتاريخ لم يعد قادرا على الاكتفاء بمفهوم « الشعور الجماعي » البسيط جدا ، لان علم النفس الاجتماعي قد بين ان المهم هو الحوار بين الأنا والغير ، ومعرفة العلاقة بين النفسية

---

(١) لقد نشأ هذا العلم في الولايات المتحدة الأمريكية ، وادخل حديثا الى أوربا . وقد نشأ ليواجه بعض المشكلات العملية ، اكان في ميدان الدعاية والاعلام او التربية . وتوصل الى انه لايمكن فهم السلوك الفردي إلا اذا فحصت بدقة البيئة المحيطة بذلك الفرد ، اي أنه لايمكن عزل شخصية من الجماعة التي تحتويها .

الفردية والمحيط الاجتماعي ، كما أوضح للتاريخ الأثر ، الذي تمارسه على تكوين الشخصيات أطر الفعالية النفسية ، التي تبثها الجماعة في جميع أفرادها . الا انه قد يشير في بعض الحالات ، وبطريقة أكثر وضوحا ، الى ان الردود الفردية بدورها ، قد تغير الوسط النفسي والثقافي . ان الامتداد الطبيعي لعلم النفس الاجتماعي هو مايسمى بـ « تاريخ النفسيات » ، L'histoire des mentalité الذي ليس هو في الواقع ، سوى ملاحظة طويلة الامد ، لاحوال الافراد والجماعات ، والعلاقات بينهما ، والتغيرات الناجمة عنها . فهذا النوع من التاريخ يهتم بـ « النماذج الثقافية » ، وردود الفعل الفردية ، أو بتعبير آخر ، هو تاريخ اجتماعي ، وفي الوقت نفسه تاريخ تراجم .

وخلاصة القول ان المؤرخ بحاجة لعلم النفس في كل خطوة من خطوات عمله ولا سيما في مرحلة النقد التاريخي ، وفي مرحلة التركيب ، اذ يعينه على فهم نفسيات الماضي ، وكيف يتغلغل في مشاعر رجال بيئة معينة ، وكيف يفسر سلوكهم والعلاقات القائمة بينهم . كما ويساعده أيضا على رؤية العالم والغير بعيونهم نفسها ، وهذا هو المطلب الموضوعي للتاريخ . ولا يجب أن يغفل أبدا أن « السلوك البشري » ، مهما كان نوعه ، خاضع لمؤثرات نفسية مباشرة ، وغير مباشرة . بل يمكن أن نفسر كثير من الأحداث التاريخية بعوامل نفسية . وقد طرح « القرآن الكريم » هذه الحقيقة العلمية الهامة ، عندما عزا التطور في المجتمعات للعامل النفسي ، في قوله تعالى : « إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم »[1] و « ذلك أن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم قط، حتى يغيروا ما بأنفسهم »[2]. وعزا ابن خلدون كثيراً من شؤون المجتمع وتحركه إلى قوانين نفسية .

٢٣ ـ الأدب :

واذا كان علم النفس ، وعلم النفس الاجتماعي ، من المعينات الاولى للمؤرخ في عمله ، فان « الادب » وهو تعبير عن أفكار الانسان وعواطفه ، ونفسيته ،

---

(١) سورة الرعد . الآية ١١ .

(٢) سورة الانفال . الآية ٥٣ .

والرسم لنواح مختلفة من حياته الواقعية وسط الجماعة ، ومن حياة الجماعة نفسها ، هو مادة أساسية ، ومصدر هام لا غنى للمؤرخ عنه . فالأدب العربي في العصر الجاهلي مثلا يساعد الباحث التاريخي على ادراك نواح مختلفة من الحياة الجاهلية . فالشعر كما قال ابن خلدون هو « ديوان العرب » ، فهو ينبي عن كثير من الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، وعن الاتجاهات الفكرية في المجتمع العربي الجاهلي . والشعر ذاته يقال عن أي أدب في أي عصر ، فما كتبه الجاحظ[1] ، وابن المقفع ، وابن قتيبة[2] ، من العصر العباسي مورد هام للباحث التاريخي في العصر العباسي ، وكذلك ادباء أي قرن في أوربا والعالم .

٢٤ ـ الفنون :

وكما ان معرفة الأدب في عصر من العصور عون كبير على فهم تاريخه ، فان الفنون بأنواعها من رسم ، وتصوير ، وعمارة ، وتمثيل ، ونحت ، وموسيقى ، ورقص ، هي الأخرى مرآة للعصر ، تعكس حضارة المجتمع ، وتوضح كثيرا من مناحي حياته وتقاليده ، وتطلعاته . وفي الواقع لا يمكن فهم عصر النهضة في ايطاليا مثلا دون معرفة بالفن وخصائصه فيها ، في أواخر العصور الوسطى ، وأوائل العصور الحديثة .

وخلاصة القول يتضح مما ذكر عن العلوم المساعدة للتاريخ ، ان المعرفة التاريخية المنهجية تتطلب معرفة مجموعة من العلوم والمعارف . وكلما ازداد عرفان

---

(١) هو عمرو بن بحر ابو عثمان ، من ائمة الأدب في عصره . عاش بين (١٦٣ـ ٢٥٥ هـ / ٧٨٠ ـ ٨٦٩ م) . ورئس الفرقة الجاحظية من المعتزلة . مولده ووفاته بالبصرة . له مؤلفات كثيرة منها : « الحيوان » ، و « البيان والتبيين » و « البخلاء » وغيرها .

الأعلام ، ج ٥ ، ص ٢٣٦ .

(٢) هو عبد الله بن قتيبة الدينوري ، من ائمة الأدب ، ولد ببغداد وتوفي فيها . له عدة مؤلفات منها « الامامة والسياسة » و « عيون الأخبار » و « فضل العرب على العجم » وغيرها .

المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٢٨٠ .

الباحث التاريخي بها ، توسعت آفاقه ، وكان استيعابه للابحاث التي يقوم بها أجدى وأعمق . وفي هذا قال المفكر « مابلي Mably »[1] ، في القرن الثامن عشر ، في كتابه « بحث دراسة التاريخ » : « هناك دراسات تحضيرية لايمكن للمؤرخ أيا كان شأنه أن يستغني عنها » . وكان من رأيه « أن يدرس أولا القانون الطبيعي ، والقانون العام ، والعلوم الاخلاقية والسياسية » . أما المؤرخ الفرنسي « دونو Daunou »[2] فقد أوضح في كتابه « دروس ودراسات »، ان هناك ثلاثة أنواع من الدراسات يجب أن يحيط بها المؤرخ وهي :

« دراسات أدبية ، وفلسفية ، وتاريخية . أما الادبية فعلى المرء أن يكون قد قرأ بعناية « النماذج الكبرى » من الادب . واولها : روائع الشعر الملحمي ، لان الشعراء هم الذين خلقوا فن القصص ، وثانيها : روائع القصص ، اذ ان هذه تعلم المؤرخ كيف يضع الوقائع ، والاشخاص ، ويوزع التفاصيل ، ويقود مجرى الاحداث ببراعة .. وكيف ينذي اهتمام القراء بقلق الاستطلاع » . والدراسات التاريخية التي يوصي بها « دونو » هي قراءة كتب هيرودوت ، وتوكيديديس ، واكزينفون[3] ، وبوليبيوس ، وفلوطرخس ، وقيصر[4] ، وتيت ليف[5] ،

---

(1) Gabriel Bonnot de Mably مؤرخ وفيلسوف فرنسي ، عاش قبل الثورة الفرنسية (١٧٠٩ ـ ١٧٨٥) . وله كتاب « الحق العام لاوربا » و « ملاحظات حول تاريخ فرنسا » .

(٢) Pierre Claude François Daunou (١٧٦١ ـ ١٨٤٠) مؤرخ ورجل سياسة فرنسي شارك في الثورة الفرنسية وكان من منظمي ارشيف الامبراطورية الفرنسية ايام بليون .

(٣) Xénophon : مؤرخ وفيلسوف يوناني ، وقائد حربي اثيني ، اسهم في حرب البيلوبنيز . كان تلميذا لسقراط . وكان فكرا فضوليا للمعرفة ، وشاهدا موثوقا لاحداث عصره ، وكاتبا نافذ البصيرة . له عدة مؤلفات منها ، « الاقوال المأثورة لسقراط » . عاش بين (٤٢٧ والى مابعد ٣٥٥ ق.م) .

(٤) هو « يوليوس قيصر » القائد العسكري ، والسياسي الروماني الكبير (١٠١ ـ ٤٤ ق.م) . قام بفتح بلاد الغول (ثاليا اي فرنسا الحالية) . وقد كتب « تعليقاته » الشهيرة عن « حرب الغول » .

(٥) مؤرخ من العصر الروماني (٥٩ ق.م ـ ١٧ م) . له كتاب « الفصول

وتاسيتوس ، وماكيافلي ، وغيشاردان ، وروبيرتسون[1] ، وغيبون ، وفولتير .... لان بين كتاباتهم تنوعات كبيرة . وأخيرا الدراسات الفلسفية ، وتعني التعمق في دراسة الافكار ، والاخلاق ، والسياسة ، ويوصي بالذات بقراءة أرسطو ، وافلاطون ، وشيشرون ، وغروسيوس[2] ، ومونتيسكيو . وفي الفترة المعاصرة ، لابد كما أسلفنا القول ، من أن يتعرف الباحث التاريخي بالفكر الفلسفي التاريخي ، عبر دراسة « فلسفة التاريخ » ، والمبادىء التي نادى بها العاملون في حقلها ، من أمثال ابن خلدون ، وفيكو ، وفولتير ، وهردر ، وهيغل ، وماركس ، وكروتشه ، وشبنغلر ، وتوينبي وغيرهم .

وفي الحقيقة ان جميع المعارف بشتى صورها ، وحقائقها ، تدخل في بنية الحقائق التاريخية ، بل ان جميع العلوم فيها عون لاغنى للباحث التاريخي عنه ، حتى علوم الفيزياء ، والكيمياء ، والرياضيات ، وعلم الطب ، وعلم الانسان ، وغيرها . والأمر نفسه يقال عن جميع الفنون .

وقد يبدو للباحث التاريخي انه من الصعب جمع هذه الثقافة المتنوعة والعميقة . ولكن هذه الثقافة ، يبدأ صاحبها باقتنائها في الواقع شيئا فشيئا ، ومنذ طفولته فشبابه ، وخلال دراسته الثانوية ، فالجامعية ، فالعالية ، وفي فترات فراغه ، وأثناء البحوث المختلفة التي يقوم بها وتجاربه خلالها ، ويجب أن لاينسى أبدا بأن العلوم والمعارف بمضمونها ، وطرائقها المقارنة ، تكوّن الاساس الذي يقوم عليه علم التاريخ . فهذا العلم لم يصل الى الازدهار الذي وصل اليه الا بفضل نمو هذه العلوم والمعارف . فكما نظر الفلاسفة اليونان في المرحلة الهلنستية للفنون الادبية

العشرة Décades » عن التاريخ الروماني . ويتميز بأسلوبه اكثر مما يتميز بضخامة معلوماته . كان وطنيا متحمسا ، وممجدا لروما ، وراوية مشوقا .

(١) William Robertson: مؤرخ سكوتلاندي (١٧٢١ ـ ١٧٩٣) . له « تاريخ سكوتلاندة » ، و « تاريخ شارلكان » و « تاريخ أمريكا » .

(٢) Hugo de Grotius : باحث قانوني ، ودبلوماسي هولاندي (١٥٨٣ ـ ١٦٤٥ م) له كتاب عن « قانون الحرب والسلام » .

والرياضية ، على أنها خادمة للفلسفة ، فان تلك « العلوم المساعدة »[1] تبدو وسائل عمل لاغنى عنها للصناعة التاريخية .

ويجب ألا تنسى في خاتمة المطاف ، **تجربة المؤرخ العملية في الحياة :** فعلى المؤرخ ألا يعيش فقط ضمن الوثائق والكتب ، وإنما عليه أن يكون انسانا منفتحا على كل المواقف والتجارب الحياتية ، أي انسانا يحيا حياته الخاصة ، وحياته كمواطن ، وأن يناضل ، ويفرح ويتألم . فجميع تجاربه الفردية لها فائدتها في بحوثه : فهو سيتحسس بعمق أكبر القضايا التي يكشفها في الماضي إذا كان في حياته ما يشابهها . فالتاريخ يبدو امتدادا لا نهائيا للتجربة الحياتية الانسانية التي يعيشها الفرد والمؤرخ .

* * *

(٥) انظر نماذج من الآثار ، والاختام ، والخطوط ، والنقود ، التي تدرسها العلوم الخاصة بها ، والتي أشير إليها آنفا ، في نهاية هذا الكتاب .

الفصل الثالث

اختيار موضوع البحث

تمهيـــد :

لقد أشرنا سابقا إلى الهدف من البحث التاريخي ويلخص بانه : صنع معرفة علمية من الماضي الانساني • ونعني بالعلمية ، أنها تستند إلى طرائقية عقلانية ، توصل الى الحقيقة بقدر ماتسمح به الظروف التي تخضع لها ، كالظروف التقنية (طبيعة الوثائق المستخدمة ، ومدى وجودها) ، والظروف المنطقية (تلك التي تحللها نظرية المعرفة) ، والتي ترتبط بالتكوين الفكري للباحث التاريخي •

وفي الحقيقة **إن صنع معرفة علمية من الماضي الانساني عمـل شاق ومعقد ،** الا أنه يمكن تحليله الى مراحل أو خطوات تجعل ادراكه أكثر سهولة ويسراً •

وهذه الخطوات **خمس** : وهي :

١ ــ اختيار موضوع البحث

٢ ــ تقميش المصادر

٣ ــ النقـــد

٤ ــ التركيب

٥ ــ انشاء الموضوع

١ ـ اختيار موضوع البحث :

ان الخطوة الاولى في أي بحث تاريخي هو اختيار الباحث موضوعا يود استكشاف نواحيه ودراسته ، أو بتعبير أدق طرح مشكلة تتعلق بهذا القطاع ، أو ذاك من الماضي . فهذه الخطوة الايجابية ، هي التي تطلق اشارة البدء في العمل التاريخي الجاد ، وتوجهه ، وتحدد منطقته . والباحث الاصيل هو الذي يعرف كيف يختار المشكلة الحقيقية ، أو يعرف كيف يسأل الماضي ، ليجيبه عن مسألة يكون لها بالنسبة له ، ولنا ، أهمية واقعية ، وقيمة وجودية ، وتتجاوب مع واقع قائم في المحيط المدروس . ولا بد من توافر الشرطين السابقين في القضية المختارة، لانه اذا كان هناك قضايا لا نفع منها ، ولا معنى لها بالنسبة للانسان الحاضر ، فان هناك قضايا أيضا لا وجود لها بالنسبة للماضي : فمؤرخو « التربية القديمة » مثلا في أوربا الذين كانوا يعملون عام١٨٨٠ ، تأثروا بالمشكلات التي كان يطرحها زمنهم، وبخاصة السياسة التعليمية التي اتبعها رئيس الوزارة الفرنسية « جول فيري »[١]، فعرضوا ببساطة القضية التالية « هل كان التعليم الابتدائي الزاميا في أثينا » ؟ لقد اثبت الضيق الذي عانوه لايجاد عناصر الجواب، وبوضوح ، ان المسألة ما كان يجب أن تطرح .

وكان المؤرخ والمربي الانكليزي الكبير « اللورد اكتون »[٢] يوصي طلابه في « جامعة كامبريدج » دائما بقوله « ادرسوا مشكلات ، لا فترات زمنية » . وحتى عندما يبحث المؤرخ في موضوع ، محدد في اطاره الخارجي بحدود زمنية ، فانه يختاره عادة لان ضمن « الفترة » التي اختارها « مشكلة انسانية » ،

---

(١) رجل سياسي فرنسي (١٨٣٢ ـ ١٨٩٣) . كان له يد طولى في تنظيم التعليم الابتدائي في فرنسا ، كما لعب دورا هاما في التوسع الاستعماري الفرنسي في تونس ، والهند الصينية ، والكونغو .

(٢) جون ادوار دالبرغ اكتون J. E.D. Acton : مؤرخ انكليزي ، واسع الثقافة ، وحر الراي ، وكاثوليكي المذهب . كان استاذا في جامعة كامبريدج ، وهو الذي بدا مشروع كتابة « مجموعة كامبريدج في التاريخ الحديث » عاش (١٨٣٤ ـ ١٩٠٢) .

هامة وذات معنى . فعندما كتب « رانكـه » كتابه الذي نشره عام ١٨٢٨ تحت عنوان « تاريخ الشعوب اللاتينية والجرمنية بين ١٤٩٤ ـ ١٥٣٥ » ، والذي ينظر إليه على أنه الانتاج التاريخي العلمي الأول بدون منازع ، في علم التاريخ المعاصر، فانه كان امامه موضوع قيّم للمعالجة: فبين هذين التاريخين حدثت **الثورة الفكرية** في أوربا التي كان من مظاهرها « النهضة » و « الاصلاح الديني » ، والتي تمثل في تاريخ أوربا الغربية ميلاد حضارة حديثة ، كان القرن التاسع عشر يشعر بأنه يتابعها ، بل هو استمرار لها .

ومن ثم اذا أراد باحث عربي مثلا أن يبحث في تاريخ « الدولة الاموية في الاندلس » (١٣٨ هـ ـ ٤٢٣ هـ / ٧٥٦ ـ ١٠٣١ م) ، فان دراسته تكون غير ذات معنى ، الا إذا خصص عمره كله لها ، حتى يستوفي مختلف المشكلات الهامة التي يثيرها موضوع ضخم وطويل كهذا ، ولو أنه في إطاره العام هذا يكون قد طرح دراسة عامة ، مفيدة للثقافة العامة ، ولتكوين خلفية أولية للباحث التاريخي. فعلى الباحث إذاً أن يختار مشكلة معينة من ضمن هـذه الفترة الزمنية ، كعهد « عبد الرحمن الثالث » (الناصر) مثلا . ففي هذا العهد تحولت الامارة العربية الى خلافة ، وكان لهذا التحويل عوامله ومغزاه في مجموع التاريخ العربي الاسلامي، لابد من كشفها ، وتوثيقها ، وتفسيرها .

ان تقدم المعرفة التاريخية لايتم بتكديس المعلومات فقط ، أو في جمع أكبر كمية من المصنفات المزودة بالوثائق ، والمعطيات ، التي تجيب عن مسائل متشابهة مع ما سبقها ، إنما المعرفة التاريخية هي في « الانتفاضات الفجائية » و « الحركات الفكرية » ، التي تتولد عندما تظهر مدرسة جديـدة من المؤرخين ، تحمل روحا جديدة وتعمل على طرح مشكلات جديدة ، وعلى البحث في الماضي عن مجموعة أخرى من القضايا مختلفة تماما عن السابقة . وان النمو الحديث للتاريخ الاقتصادي، والاجتماعي ، ذو معنى هام في هذا المنحى ، ففي أوربا مثلا كان المؤرخون يعرفون منذ مدة طويلة وجود سجلات الكنائس في القرى ، ولا سيما في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ولكنهم قبل الفترة الحاضرة لم يكونوا ليرجعوا اليها الا لأخذ معلومات عن أنساب الافراد الهامين أي (التاريخيين) . إلا أنه منذ أن البثقت

الطرائق الديموغرافية ، فانه ظهر للمؤرخين أنه يمكن أن يطرحوا عليها مسائل عن ظواهر بشرية كبرى وهامة مثل ، طبيعة السكان ، وكثافتهم ، وتطورهم ، ومراحل نموهم ، أو الظاهرة المعاكسة كتضاؤلهم أو هجراتهم . ففجأة اذا ، شرعت الوثيقة تتحدث ، وتعلّم ، عندما سئلت بحذق ومهارة .

والنقطة الهامة التي يجب ابرازها في هذا المجال ، انه ليس لدى المؤرخ قائمة نموذجية من « المشكلات » يحملها معه ، ويطرحها ، مهما كانت المرحلة الزمنية ، أو المكان المدروس . وفي الواقع ، إن التجربة هنا لتثبت هذه الناحية ، فهذا الأمر غير مقبول إلا بالنسبة لمدرسة تاريخية معينة ، تجمّد ذاتهـا في منظور للامور لا يتغير . كأن تطرح المدرسة الماركسية التاريخية مثلا في كل مجال قضية « العامل الاقتصادي » . الا أنه يلاحظ عبر نمو علم التاريخ نفسه ، أن الفضول العلمي لابد أن يتحرك ثانية ويفتح طرقا جديدة . ومن الناحية العلمية ، **ان عدد المسائل التي يمكن للباحث التاريخي أن يطرحها غير محدود** ، فالكشف عن الماضي يبدو معينا لا ينضب .

واذا كان ما ذكرناه سالفا يوضح أن المسألة المطروحة على بساط البحث يجب ان تنطلق **من المبادرة الذاتية للباحث التاريخي** ، وتنبثق من **فضوله العلمي الخاص**، الا أنه يبين كذلك ، ومن خلال الممارسة اليومية ، ان عديدا من القضايا التي يسعى تحليلنا الى تمييزها ودراستها ، قد دُفعنا اليها دفعا . فقد يتم اختيار القضية مثلا نتيجة الصدفة ، كأن يكشف أثناء الحفريات الاركيولوجية عن أمر جديد ، أو يفتح مستودع للوثائق كان ممنوعا فتحـه ، أو عثر عليه فجأة ، وبذلك يوضع تحت تصرف التاريخ توثيق جديد ، يثير الفضول العلمي ثانية ويوجه البحث . وهذا كثير في التاريخ القديم حيث الوثائق نادرة ، وكل وثيقة جديدة يرحب بها . كما أن هذا ملاحظ في التاريخ العربي الاسلامي مثلا ، حيث أن بعث التراث التاريخي العربي ، والاجنبي المعاصر له ، ونشر المخطوطات وتحقيقها ، يفتح أبوابا جديدة للبحث ويثير قضايـا جديدة ، والشيء ذاته يقـال عن التاريخ العربي الحديث والمعاصر : فوثائق المحكمة الشرعية في حماه وحلب ودمشق الموجودة في « مديرية الوثائق في دمشق » ، قد وسعت آفاق المشكلات التي يمكن أن تدرس في تاريخ

بلاد الشام . ولكن حتى في هذه الحالة التي يفتح فيها باب توثيق جديد ، فانه لا يكون هناك بحث تاريخي إلا من اللحظة التي يطرح فيها التساؤل حول آي « مصنف وثائقي » و « أية قضية » يمكن أن تكون الوثائق الجديدة المكتشفة ، ذات فائدة وجدوى .

وخلاصة القول إن على الباحث التاريخي عند اتقانه لموضوع بحثه ، ان يلتزم النقاط التالية :

١ ـ أن يتم اختياره له ذاتيا . واذا ما أرشده استاذه ، أو باحث آخر الى موضوعات معينة فان عليه أن يناقشها بنفسه ، وأن يكون هو الذي يحدد ما يراه منهـا .

٢ ـ أن يتوخى في اختياره الشرطين السالفي الذكر ، أي أن يكون الموضوع ذا وجود بالنسبة للماضي ، وذا معنى ومغزى للحاضر .

٣ ـ ان يلاقي الموضوع ميلا بل حبا من الباحث ، حتى يقدم على البحث بشوق ولهفة ، ويتحمل صعابه ومشاقه بجلد وصبر . وحب الباحث للموضوع المنتقى يعني رغبته الصادقة والمخلصة في كشف جوانبه الغامضـة بموضوعية والوصول فيه الى الحقيقة مهما كانت . وفي هذا المجال لا يهم أن يكون الموضوع متناقضا ، أو منسجما مع عقيدته وعواطفه ، مادام حب البحث لذاتـه ، وابتغاء الحقيقة ، هو هدفه والمحدد لسير عمله .

٤ ـ أن تكون المشكلة المطروحة جديدة ، لا في عنوانها فحسب ، وانما في مضمونها ؛ أو بتعبير آخر تضيف جديدا الى المعرفة التاريخيـة أكان في ميدان التوثيق ، أو في مجال التركيب . فعلى الباحث أن يتساءل : ألم يبحث الموضوع من قبل بحثا تاريخيا علميا ؟ واذا كان قد بحث ، هل كان البحث مستوفى من جميع النواحي ؟ واذا كان هناك نواقص معينة ، مـا تلك النواقص ؟ وقد يعيد بعض الباحثين بحث موضوعات طرحت سابقا ، اذا وجدت أصول تاريخية جديدة ، تسوغ اعادة بحث الموضوع من جديد ، واسقاط اضواء جديدة على بعض مناحيه .

٥ ــ أن تكون المشكلة المطروحة على قياس الباحث ، أي بقدر طاقته على العمل ، من ناحية ظروفه الخاصة . وامكاناته المادية والفكرية ، واللغات التي يتقنها، والمدة التي عليه أن يتم البحث فيها ، والعلوم المساعدة التي درسها ، والتي هو على استعداد لدراستها ، والضرورية للبحث المنتقى . كما لابد أن تكون منسجمة مع مدى قدرته على الحصول على الاصول الضرورية . والتنقل بين الارشيفات الوطنية والقومية ، والاجنبيـــة .

٦ ــ ان تكون الاصول عن المشكلة المنتقاة : قادرة على تقديم ما يوضحها ويحلها : من وفرة فيها ، وفيما تتضمنه من معلومات موثوقة ، اذ أن المصادر قد تعوز بعض القضايا التاريخية بالرغم من أهميتها .

٧ ــ يؤكد معظم المؤرخين على ضرورة كـــون الموضوع المنتقى بعيدا بما لا يقل عن خمسين عاما عن زمن الباحث .

والهدف من ذلك أولا ــ ابعاد الباحث عن التأثرات الشخصية التي تعيق تقويمه للامور تقويما سليما ، وموضوعيا . فبُعد الباحث عن زمن الموضوع يجعله أكثر هدوءا ، واتزانا ، وعقلانية ، بل وحرية في نقده للحوادث : والتمحيص فيها وفهم معطياتها . فمرجل الحوادث التاريخية يكون قد هدأ ، وبانت كثير من الامور التي لم تكن لتتضح لو كانت الفترة الزمنية الفاصلة بين الباحث والموضوع قصيرة.

وثانيا ، إن دور الارشيف لاتفتح وثائقها عادة للباحثين الا بعد انقضاء خمسين عاما ، وذلك حرصا منها على مصالحها السياسية والاقتصادية والعسكرية . واذا ما نشرت بعض الوثائق فان هذا لا يعني انها افصحت عن كل ماعندهـــا أو أهم ماعندها ، بل قد يكون العكس تماما أحيانا . وقد تكون قد حذفت ، أو اقتضبت من تلك الوثائق ذاتها عناصر هامة للبحث التاريخي ، وقد يمر خمسون عاما ، أو قرن أو أكثر ، والدولة لا تسمح بالافصاح عن اصالة بعض الوثائق السرية جدا التي تعالج بعض المسائل الهامة والخطيرة . الا ان هـــذا لاينفي ان بعض دور المحفوظات تفرج عن وثائقها بعد ربع قرن أو ثلاثين عاما فقط .

وهذا الشرط الأخير في انتقاء الموضوع قد يعني امتناع الباحثين عن تناول

عصرهم أو الحوادث الجارية المعاصرة لهم بالدراسة ، وقد يؤدي هذا الشرط الى حرمان مؤرخي المستقبل من أصول هامة . ولكن يرى في الحقبة المعاصرة لنا ، ان عديدا من المؤرخين يبحث في شتى القضايا المحيطة بهم ، وقد يقدمون خلالها وثائق قيمة ، وأبحاثا مجدية وموضوعية .

وفي الحقيقة ان دراسة الحوادث المعاصرة من سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وفكرية ، أمر ضروري ولازم ؛ إذ تجعل المجتمع يتماس واع مع مشكلاته ، وتوجهه للبحث عن الحلول الملائمة لها ، وتساعده على التقدم والارتقاء، كما أنها أصول أساسية في البحوث التاريخية في العصور التالية . إلا أن هذه الدراسات تبقى خارج الاختصاص التاريخي بالمعنى العلمي الدقيق . واذا ما كتب مؤرخون فحول في هذا المضمار ؛ فانهم قد يعترفون بأن ما قدموه ليس تاريخا ، وإنما مقدمة الى التاريخ .

ان الباحث التاريخي عند تعيينه المسألة التي سيبحث فيها يكون في أحد وضعين : أما انها انبثقت في ذهنه ، واتضحت أطرها ، عبر مطالعته السابقة فصمم على الكشف عنها ، واستطلاع غوامضها ؛ وفي هذه الحالة يتم تحديده الاولي لها بيسر . أو يكون شبه خالي الذهن عنها ، أو أن الغموض يكتنفها في فكره ، وفي هذه الحالة لابد أن يقوم بخطوات مبدئية تنير له بعض الطريق ، وتبين له أبعادها. كأن يكوّن **عبر قراءات ومطالعات أولية في المراجع** ، وكتب المعارف العامة (كالموسوعات مثلا وبعض المصادر) ، خلفية ثقافية ، يحدد عليها موقع المشكلة ، أي يطالع عن الفترة الزمنية ، والرقعة المكانية اللتين تؤلفان احداثيها ؛ وبعد ذلك **يقوم بسؤال الاشخاص المعاصرين الذين بحثوا مشكلات مقاربة لتلك المشكلة** ، أكان في الزمان ، أو المكان ، أو الموضوع ، للتعرف منهم بالقضايا المختلفة التي أثارها البحث ، والصعوبات التي اعترضت سبيلهم وما يعرفون من مصادر وأصول ومراجع ، ويطلع على بحوثهم . كما انه يقوم ببحث عام أولي عن مصادر «المشكلة» حتى يتأكد من توافرها .

وبعد هذه المطالعة الاولية والمقابلات ، والبحث العام عن المصادر ، فانه **يضع هيكلا للمشكلة التي تجمعت خيوطها بين يديه**، أو بتعبير أدق يقوم بتحليلها الى

عناصرها المختلفة ، ويسطر مخططا مبدئيا للنقاط التي سيعالجها بالبحث والدراسة، مقسما مسألتـــه الى موضوعات فرعيـــة ، يحددها بعناوينها الصغيرة ضمـــن ، **مقدمة ، وابواب ، وفصول ، وخاتمة .**

إلا أن تحديد « عنوان المسألة » لايعني أبدا أن خط سير الباحث سيكون خطا مستقيما يوصل الى الهدف دون توقف أو تراجع . بل إن الباحث ، أثناء بحثه، يتقدم خطوات للامام ثم يتراجع خطوات للوراء . إذ من النادر أن تحظى أية مسألة مطروحة بالجواب الملائم بسرعة ، وبشكل مباشر ، الا اذا كان بسيطا نسبيا كأن يكون السؤال عن وفاة شخصية معروفة أو ميلادها مثلا ، وحتى هنا لا يكون الجواب دائما سهلا وممهدا . ولكن من المعروف في التاريخ ، ان المسائل الهامة فيه ، هي دائما معقدة ودقيقة . وقد يكشف المؤرخ ـــ وغالبا ما يحدث هذا ـــ نتيجة تماسه مع المصادر والاصول ، انه طرح مشكلته طرحا غير سليم . وهذا الامر لا يمكن في الواقع تفاديه ولا سيما عند الانطلاق . فتساؤلاته المختلفة ـــ وتغذيها شتى اهتمامات فكره ، الذي يعيش في الربع الاخير من القرن العشرين ـــ تعكس نمط تفكير الناس المعاصرين له ومشاعرهم ؛ وهذه أضعف الانحرافات والتذبذبات في سير بحثه . فمن النادر أن يستطيع ، قبل مرور فترة من الزمن من العمل في بحثه ، التآلف مع **الواقع الاصيل للماضي** : فكلما تقدم في فهمه للوثائق لابد أن يعود ، ويعيد النظر في المشكلة المطروحة ويصححها ، ويخضعها لتجربة جديدة . وهكذا فالباحث خلال بحثه يعدل في موضوعه المبحوث ، حتى انه قد يأخذ مسارا غير منتظر ، أو تتغير معالمه الاولى وتقسيماته المبدئية تغيرا يجعل من الصعب تعرفها، بل من النادر أحيانا أن يجد المؤرخ ما كان يظن في البدء أنه يبحث عنه .

ان تعديل هيكل الموضوع ، وعنوان الموضوع ، أمر طبيعي بعد توغل الباحث في مجالات بحثه لما يتضح له من أمور ، وفروع وذيول ، لم يكن قد تعرفها قبلا . واذا كان هذا الامر **لايضير الباحث الحر** ، اذ يمكنه ان يجري من التغيير مايقتضيه

مجريات الدراسة وكشوفه فيها ، فانه يزعج الباحث الذي يعد رسالة ماجستير أو دكتوراه ، لأن عليه ان يثبّت ـ ما أمكنه ذلك ـ موضوعه في الجامعة التي يدرس فيها ، وكذلك لدى المشرف على بحثه • ومن ثم كان من المستحسن ان لم يكن من اللازم أن تكون مطالعاته الاولية أكثر عمقا وشمولا ، حتى يكون التذبذب في خط سيره ضئيلا ، وحتى لايضطر الى التعديل الكثير ، والجوهري •

* * *

الفصل الرابع

جمع المصادر

بعد ان طرح الباحث التاريخي « المشكلة » فانه لابد له من أن يجد الوسيلة للاجابة عنها . وهنا تأتي الخطوة الثانية في منهج البحث التاريخي وهي « جمع المصادر » . فالمؤرخ لايخترع الحوادث التي يقصها من ذهنه وخياله كما يفعل القصصي ، وانما عليه أن يعيد تركيبها « بشكل مماثل تماما لواقعها الماضي » ، ومن ثم عليه ان يستقيها من ينابيعها الماضية اي من « الوثائق » ، التي تحتفظ بشيء من الماضي يمكن تلمسه في قلب الحاضر . ولكن ماهي الوثائق التي تجيبه عن قضيته ؟ وأين يمكنه أن يجدها ؟ وكيف يصل إليها ؟

ومرة أخرى تدخل هنا شخصية المؤرخ ، وسفلته ، ومدى سعة أخباره ، وقدراته ومهاراته الابداعية . فالمؤرخ الفعّال هو ذاك الذي يعرف كيف يطرح مشكلة مثيرة ، ويعرف في الوقت نفسه كيف يضع لها برنامجاً للبحث يتيح له الحصول على الوثائق الملائمة .

ان عمل « جمع المصادر » هو أكثر دقة وصعوبة مما قد يبدو لاول وهلة . وقد نظر إليه المؤرخان « سنيوبوس ، ولانغلوا » على أنه من أهم أعمال المؤرخ . ولقد اطلق على هذا العمل باللغة الاجنبية اسم « هوريستيك Heuristique » . فالتاريخ يصنع بالوثائق ، وحيث لا وثائق لا تاريخ .

ولكن ما الوثيقة ؟ إن الكلمة في مصدرها اللغوي بالعربية أتت من « وثق به وثاقة وثقة أي ائتمنه ، والوثاقة مصدر الشيء المُحكم الوثيق ، والوثيقة في الأمر

إحكامه ، والاخذ بالثقة »[1] . أما باللغة الاجنبية فهي « أداة » و « بيّنة مكتوبة صحيحة » يثبت بها أي فرد حقه[2] . وقد طغت فكرة « الصحة والإحكام » في القرن العشرين على فكرة « النص المكتوب » حتى انتهى الامر بالمؤرخين الى تعريف الوثائق بأنها « جميع الآثار التي خلفتها أفكار البشر القدماء وأعمالهم »[3]. ومنذ ذلك الوقت ومعنى الكلمة يزداد شمولا حتى أصبحت الكلمة تعني في أذهان المؤرخين « كل ما يمكن أن يكشف لنا شيئا عن ماضي الانسان » . ويقول المؤرخ المعاصر « لوسيان فيفر » بهذا المعنى : « ان التاريخ دون شك يصنع (بالوثائق المكتوبة) اذا ما وجدت . ولكن يمكن أن يصنع بكل ما يمكن أن تسمح للمؤرخ براعته باستخدامه ... أي أنه يصنع بكلمات ، أو اشارات ، بمناظر طبيعية ، وبقرميد الابنية ، وبأشكال الحقول والاعشاب الضارة ، ويصنع بخسوفات القمر ، وأزمّة ربط الحيوانات ؛ بل يصنع كذلك بالاحجار التي يكشفها الجيولوجيون ، وتحاليل السيوف المعدنية التي يجريها الكيماويون »[4] . ان مفهوم الوثيقة اذاً ذو شمول واسع ، ولا حد له الا مفهومها المرسوم في ذهن المؤرخ . ولهذا قال عالم الآثار والفيلسوف الانكليزي « كولنغود Collingwood » (١٨٨٩ـ١٩٤٣) : « ان أي شيء في العالم يمكن أن يغدو شاهدا على أية مسألة كانت[5] .

« Everything in the world is potential evidence for whatever ».

واستنادا الى ذلك فمن المستحيل تقريبا حصر « مصادر التاريخ » أو «وثائقه» حصرا كاملا ، ومن الصعب جدا تقسيمها وتبويبها . وقد حاول بعض المؤرخين تصنيفها ضمن زمرتين : الروايات الناقلة ، والمخلفات . وعرّفت « الروايات » بأنها مصادر رغب الانسان الماضي بنقلها الى من بعده . وهذه قسمت الى ثلاثة أنواع : الروايات الشفوية ، الروايات المكتوبة والمطبوعة ، والروايات المصورة ،

---

(١) ابن منظور : لسان العرب (دار صادر بيروت) ج٤١ ص ٣٧١ بند (وثق).
(٢) L'histoire et Ses méthodes p. 1247
(٣) Ibid.
(٤) Ibid, p. 1512.
(٥) Ibid, p. 1513.

بما فيها الرسوم والخرائط . أما « المخلفات » فهي بقايا خلفها الانسان الماضي دون قصد منه أو شعور ، وهي بقايا اللغة والادب مثلا ، وغيرهما من أنواع التعبير الفني ، والمنتجات الصناعية ، والقوانين ، والعادات . ولكن هذا التصنيف وجزئياته لاينطبق على الواقع : فبعض المصادر يمكن أن يكون مخلفا بقصد ، ودون قصد ، أي قد يكون في آن واحد نوعا من الروايات ، ونوعا من المخلفات على حسب اختلاف وجهات النظر ؛ فمثلا صحيفة من الصحف ، تتضمن عادة تقريرا عن الاحوال والحوادث ، مقصودا أن يصل إلى جمهورها المعاصر ، وإلى الاجيال بعده ، هي رواية مقصودة ، وهي في الوقت نفسه « مخلف مادي مباشر » يعكس بشكل غير مقصود ، ذوق العصر وميوله وروحه . ويمكن القول ان المخلفات الانسانية لاتدخل جميعها ضمن الرواية ، ولكن كل الروايات ليست هي من المخلفات[1] .

وقد قال المؤرخون بتقسيم آخر لمصادر البحث ففرعوها الى « أولى » و « مشتقة » . ويطلق على الاولى كذلك اسم « مصادر اصلية » أو « اصول » ، أو « مصادر » فقط . وهي إما مخلفات مادية مباشرة ، ومعاصرة للمشكلة المدروسة ، أو نقش مباشر ، أو تعبير مباشر ، بأي طريقة من طرق النقش أو التعبير ، وصلا الينا من العصر الذي ينتميان اليه . وقد تكون هذه المخلفات اما مباني أو طرقا ، أو جسورا أو نقدا ، أو أدوات أو بقايا انسانية . وقد تكون تقارير دونها شهود عيان ، أو مذكرات شخصية سجلها أصحابها عن حوادث عانوها بأنفسهم ، أو نصوصا لقوانين ومراسيم وأوامر ، وعهود ، ودساتير ، واحكام قضائية ، ومعاهدات وتوجيهات رسمية وتعليمات ، ورسائل[2] .

أما « المصادر المشتقة » فهي تلك المقتبسة من « المصادر الاولى » . وقد تكون « مصادر ثانية » اذا كان الاقتباس مباشرا ، وقد تكون من الدرجة الثالثة اذا ما بنيت على مصادر ثانية . فتاريخ الطبري مثلا هو مصدر ثان للعصرين الراشدي والاموي والعباسي حتى بدء فترة حياته ، وتاريخ « ابن الاثير » (الكامل) هو

---

(١) هنري جونسون . تدريس التاريخ . ترجمة وتقديم الدكتور ابو الفتوح رضوان القاهرة ١٩٦٥ . ص ١ـ٢ .
(٢) المصدر نفسه . ص ٣ .

مصدر من الدرجة الثالثة بالنسبة لهذه العصور ، لاعتماده على الطبري فيها • وفي الحقيقة ان هذا التقسيم كسابقه ، لايمكن أن يكون له صفة المطلق ، إذ أن كثيرا من المصادر ولا سيما المكتوبة ، ذات طبيعة مزدوجة ؛ أي هي أصل ومشتق في آن واحد • فقليلون هم الذين يكتفون بتدوين ماشاهدوه مباشرة فقط ، إذ يقدمون عادة لمشاهداتهم المباشرة ، بدراسات معتمدة على الاصول السابقة • فاذا كان تاريخ الطبري مصدرا مشتقا بالنسبة للعصر الراشدي ، والاموي والعباسي الاول، فانه أصل ، بالنسبة للنصف الثاني من القرن الثالث الهجري الذي كان معاصرا له ؛ وكذلك ابن الاثير بالنسبة للنصف الثاني من القرن السادس الهجري وأوائل السابع •

وتسهيلا للدراسة والبحث وخروجا من العيوب المشار اليها في التقسيمات السالفة ، فانه يمكن تصنيف المصادر ، أو الوثائق بمعناها العام الشامل لثلاث مجموعات :

آ ـ الوثائق المكتوبة والمطبوعة •

ب ـ الوثائق الاخرى •

جـ ـ الرواية المباشرة أو المصدر الحي •

والاولى اي « الوثائق الكتابية » :

هي التي يطلق عليها تعبير « النصوص Textes » • وهي كل ما خلفه الانسان الماضي من « مدونات كتابية » على الفخار ، والحجر ، والمعدن (وهي ما يطلق عليها النقوش الكتابية أو الابيغرافيا) ، أو على البابيروس (البردي) (وتسمى البرديات وهناك علم خاص بها) ، أو على الرق أو الورق • ويضم إليها كذلك جميع المدونات المطبوعة • وكثير من المؤرخين ينظرون الى هذه (النصوص) على أنها وحدها دون مخلفات الانسان الماضي الاخرى ، تمثل الاصول الكبرى التي يجب أن يستند إليها التاريخ • ويمكن أن يلحق بها اليوم « المسجلات الصوتية » • فسنيوبوس مثلا ، على الرغم من تعريفه الوثائق بمعناها العام الشامل

فانه لم يبحث عمليا إلا في الوثائق المكتوبة أو النصوص . وقد قال « مارو » : « اذا كان التاريخ لايصنع بالنصوص فحسب ، الا انه يصنع بالنصوص بخاصة ، تلك (النصوص) التي لايمكن ان يحل محل دقتها شيء »[1] . ويكفي لادراك مدى صحة هذه الحقيقة ، ملاحظة المؤرخين وهم يتخبطون عندما تعوزهم المعطيات الزمنية والطبوغرافية التي لا تحددها عادة الا النصوص .

ويرى بعض المؤرخين[2] في تعبير « الوثائق المكتوبة » بعض الصعوبة ، لان مفهوم الكتابة يمثل مركبا منوعا جدا : فهناك الاشكال البدائية للكتابة من اشارات ورموز ، وهناك الخط اليدوي ، والخط الآلي (الطباعة بأنواعها والتسجيل على الاشرطة) . فالقرآن الكريم المدون على الرق ، والمدونات المسمارية على الآجر المشوي ، والقرارات الحكومية المنقوشة على جدران المعابد والمساجد ، وخطبة لرئيس دولة معاصر مسجلة على شريط تسجيل ، هي كلها في الواقع وثائق مكتوبة، على الرغم من أن ادراك الخطبة يعتمد على الاذن لا على العين . وكذلك فان الرسالة التي بعث بها القائد الميليتي « هيستيه Histiée [3]» ، وسجلها على الرأس الحليقة لمبعوث سري هي وثيقة مكتوبة كذلك . ويمكن القول ، ان « الوثيقة المكتوبة » هي الوثيقة التي تتضمن ألفاظا ذات معنى ، وعبّر عنها برموز كتابية . ولما كان تعامل الباحثين مع الوثائق ، التي تسجل النطق والاصوات ، لايزال محدودا ، « فالوثيقة المكتوبة » هي اذاً الوثيقة التي تحمل رموزا تحل بالقراءة ، مهما كانت المادة التي سجلت عليها تلك الرموز ، ونوعيتها .

وتشكل « **الوثائق المكتوبة** » كما أسلفنا القول ـ ميدانا واسعا جدا ، وهي كثيرة التنوع ومنها :

---

(1) L'histoire et ses méthodes, p. 1247.

(2) Alphonse Daine, Témoignage écrit et philologie dans Ibid, p. 449.

(٣) طاغية مدينة ميليتوس في آسيا الصغرى . كان في بادىء امره حليفا مخلصا لداريوس امبراطور فارس . الا انه مالبث ان دفع (ايونيا) للثورة على الفرس ، فصلب في عام ٤٩٤ ق.م .

١ ـ وثائق الارشيفات او (المحفوظات الحكومية) : وتتضمن جميع الاوامر والبلاغات والتعليمات والقرارات والمراسيم ، والقيود ، والسجلات ، في جميع دوائر الدولة ، وفي إطار جميع الدواوين الاختصاصية من مالية (ضرائب ، عقود مالية ، سندات تملك) وقضائية (قضايا واحكام في جميع أنواع المحاكم ، وقوانين وتشريعات) ، واقتصادية (زراعية وصناعية وتجارية ، وطرق مواصلات ... الخ) وعسكرية ، وتربوية ، وصحية ، واجتماعية وثقافية .. الخ من الامور . ويدخل ضمنها بالطبع ضبوط جلسات المجالس النيابية وغيرها من مجالس اختصاصية ، وعرائض المواطنين وشكاواهم الى مختلف دوائر الدولة .

وبكلمة مختصرة انها تشمل كل الاوراق المكتوبة المتبادلة بين الدولة والمواطنين في جميع الميادين ، وبين الدولة والدول الاخرى ، وقد تدخل فيها « أوراق سرية ». وفي إطار الارشيفات الحكومية تكوّن « وثائق السياسة الخارجية » من معاهدات ، واتفاقات ، ومراسلات دبلوماسية بين الدولة وممثليها في الخارج ، وتقارير هؤلاء الممثلين عن أوضاع البلدان التي يقيمون فيها ، عنصرا هاما جدا من الوثائق التي يلاحقها المؤرخ عادة ، ولا سيما المهتم « بالتاريخ الدبلوماسي » أو « السياسي ».

ان سجلات الدولة المختلفة تلك ، مستندات وثائقية ذات قيمة كبيرة للبحث التاريخي ، لانها دونت دون قصد من أصحابها إعلام الاجيال القادمة بما فعلوا ، فهي من طبيعة العمل ذاته . وهي تقدم معلومات ذات شأن عن الاحوال الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والفكرية ، للمجتمع في الحقبة التي دونت فيها .

٢ ـ ارشيفات المنظمات المختلفة في المجتمع : كسجلات الجمعيات والنقابات بأنواعها ، والاحزاب السياسية ومختلف الهيئات السرية والعلنية . وتتضمن قوائم بأسماء أعضائها عادة ونبذا عن حياتهم ، والانظمة التي تعمل ضمنها ، ونشاطاتها في جميع الميادين . وهي ذات أهمية كبيرة لدراسة تاريخ المجتمع وتطوره كذلك في جميع المناحي .

٣ ـ المدونات الإعلامية : وهي جميع المدونات التي قصد منها إعلام الجمهور(١) عن الأحداث الجارية ، والنشاطات في المجتمع وخارجه بمختلف نوعياتها . ويدخل في نطاقها النشرات ، والصحف ، والدوريات المتنوعة ، والاذاعة وغيرها . ولقد غدت الصحف مصدرا وثائقيا منذ ظهورها وانتشارها ، وكان ذلك في القرن السابع عشر في أوربا . وقد أصبحت اليوم لا عنصرا اعلاميا فحسب ، وانما أداة أساسية في تحريك المجتمع نتيجة تفاعلها مع الجماهير . ومن ثم كان لابد للمؤرخ من العودة اليها ، وان كان عليه أن يخضع معلوماتها لنقد دقيق وعميق .

٤ ـ التقارير السرية وهي قسمان ، الأول : حكومية رسمية كتبها رجال الدولة الكبار ، وهم على رأس عملهم ، لاعلام اشخاص مسؤولين آخرين يرتبطون بهم في داخل الدولة نفسها أو خارجها ، وعندها تكون جزءا من الارشيفات الحكومية ، ولها قيمتها الكبيرة في البحث التاريخي اذ قد تصحح الملفي والمعروف من المعلومات ، وتلقي عليه أضواء أقوى تجعله أكثر صحة ودقة ؛ كالتقارير السرية العسكرية ، والسياسية الخارجية ، أو بعض التقارير المالية والاقتصادية . ويدخل ضمن التقارير السرية الحكومية كذلك « تقارير المخابرات » ، ولو أنه من اللازم دراستها بحذر اذ أنها في مجموعها تهدف الى خلق انطباع خاص قد يكون أحيانا مغرضا أو متعاملا .

أما القسم الثاني من التقارير السرية فهو التقارير الخاصة . وتحتوي « اليوميات » « والمذكرات » « والمراسلات الشخصية » : فهي قبل ان تنشر كانت تقارير سرية خاصة كتبها أصحابها بينهم وبين أنفسهم . وقد تكون لمسؤول كبير

---

(١) إن الاعلام في الحقيقة هو الذي يزود الانسان بالمعطيات التي يعكس عليها فكره ، ويحرك بها ذهنه قبل اتخاذ قرار . وهي التي تعرفه بكل ما يجري في المحيط الخارجي والداخلي . ومن ثم فالعنصر الاول من المادة الوثيقية التي يتناولها المؤرخ هو (الإعلام) . فكلما كان صحيحا وكاملا ، ودقيقا فإن بناء الحقيقة التاريخية يكون واقعيا وحقيقيا .

انظر التفصيلات حول الاعلام ووسائله عبر العصور .

L'histoire et ses méthodes, p. 86 Seq.

في المجتمع ، أو لفرد عادي . فهناك مثلا مذكرات نابليون بونابرت[1] ، ووتستون تشرشل[2] ، والجنرال دوغول[3] وغيرهم كثير . وفي تاريخنا العربي الحديث والمعاصر هناك « حوادث دمشق اليومية » « للبديري الحلاق »[4] في القرن الثامن عشر ، ومذكرات عدد من العاملين في النهضة العربيةمن أمثال « محمد كرد علي»[5] و « ساطع الحصري »[6] ، وغيرهم كثير . ولهذه التقارير الخاصة قيمتها الكبيرة للتاريخ ، وان كان الطابع الشخصي فيها يضعف منها أحيانا . ومن الافضل عند دراستها ، الرجوع الى الاصل ذاته الذي دونه صاحبه بخط يده ، اذ قد يعمل النشر أحيانا على تشويهها لاغراض شتى ، أما بالاضافة اليها ، أو بالاجتزاء منها ، أو بتبديل بعض نقاطها . ويمكن القول بصورة عامة ، ان التقارير الخاصة للافراد العاديين أكثر ثقة ، لان أصحابها عندما دونوها لم يفكروا يوما ما بامكان نشرها، ولذا فهي تعبير خالص عن مشاعرهم وملاحظاتهم . هذا بينما تكون مذكرات كبار

---

(١) امبراطور فرنسا من (١٨٠٤ ـ ١٨١٤) . وكان قائدا عسكريا بارعا ، قام باجتياح معظم اجزاء أوربا ، ونظم فرنسا داخليا . ولد في جزيرة كورسيكا (اجاكسيو) عام ١٧٦٩ ، وتوفي منفيا في جزيرة القديسة هيلانة في المحيط الاطلنطي عام ١٨٢١ .

(٢) رجل السياسة الانكليزي الكبير (١٨٧٤ ـ ١٩٦٥) ، ورئيس الوزارة البريطانية خلال مرحلة هامة جدا من الحرب العالمية الثانية (١٩٤٠ ـ ١٩٤٥) . والى جانب اهتماماته السياسية ، كان كاتبا من الدرجة الاولى ، نال جائزة نوبل للآداب . له عدة مؤلفات منها « مذكرات الحرب » في ستة مجلدات .

(٣) قائد عسكري فرنسي ماهر ، وسياسي بارع (١٨٩٠ ـ ١٩٧٠) قاد حركة المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال الالماني أثناء الحرب العالمية الثانية ، وانتخب رئيسا لجمهورية فرنسا (١٩٥٩ ـ ١٩٧٠) كتب مذكراته .

(٤) شهاب الدين احمد بن بدير البديري الشهير بالحلاق . لايعرف تاريخ مولده ووفاته ، كتب مذكراته في دمشق وعنها بين ١١٥٤ ـ ١١٧٥هـ/١٧٤١-١٧٦٢ م .

(٥) محمد بن عبد الرزاق كرد علي (١٨٧٦ ـ ١٩٥٣) اشتغل بالعلم والصحافة والسياسة وكان رئيسا للمجمع العلمي العربي بدمشق ، وتولى وزارة المعارف السورية . له عدة مؤلفات ، منها « مذكراتي » و « خطط الشام » .

(٦) من واضعي ايديولوجية القومية العربية خلال النصف الاول من القرن العشرين ، ومرب عربي كبير . له مؤلفات عديدة ، منها « مذكراتي في العراق » و « يوم ميسلون » . (١٨٨٠ ـ ١٩٦٨) .

السامة ذات مآرب ، وقد يشاركهم في كتابتها مؤرخون رسميون لهم ، أو أمناء سرهم ، ومن ثم فقد لايعرف ماهو لهم ، وما هو لهؤلاء المعاونين . وقد يكتبونها وهم في سن متقدمـــة فتخونهم الذاكرة في كثير من الاحداث المروية ، أو تتوه عليهم الامور .

٥ ـ **المؤلفات الادبية والجغرافية والعلمية والفلسفية والفنية والتاريخية ،وكل مادون في مجالات المعرفة الاخرى** . وهنا لابد من التأكيد **ان المؤلفات غير التاريخية البحتة هي مصادر للبحث ، لا تقل اهمية عن المؤلفات التاريخية البحتة** ، لما تقدمه من صور شتى عن فعاليات الحقبة التي يدرسها الباحث التاريخي ، من فكرية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وسياسية ، وفنية . فمؤلفات « الجاحظ » الادبية مثلا مصدر هام ، وأساسي ، لدارس التاريخ العربي الاسلامي في الدور العباسي الاول، ومؤلفات الفلاسفة ، والادباء والعلماء في القرن الثامن عشر في أوربا مصدر هام لدراسة الثورات في ذلك القرن ولا سيما الثورة الفرنسية .

اما المؤلفات التاريخية : فقد دونها أصحابها وهم قاصدون ايصال معلوماتها الى الاجيال التالية . والقسم الاساسي والهام منها هو ذاك الذي يتحدثون فيه عن الوقائع التي اشتركوا فيها فعلا ، أو شاهدوها مباشرة ، أو التي حملت اليهم من رواة ثقات معاصرين . وهذه المؤلفات كانت تكتب باليد طبعا قبل اختراع الطباعة، ولذا أطلق عليها اسم « المخطوطات Manuscrits » ؛ وقد عملت الدراسات الحديثة على تحقيق عديد منها وطبعها ونشرها . وانه ليلاحظ في العالم العربي ، والاسلامي، على السواء ، اتجاه كبير نحو احياء هذا التراث الثمين . ويسهم في هذا العمل مؤرخون عرب ومسلمون ، وكذلك كثرة من المستشرقين .

واذا ما أراد الباحث التاريخي أن يصل إلى الوثائق الكتابية المختلفة التي تتعلق ببحثـه وتكون مصـــدرا أوليا أصيلا ، فعليه أن يراجع **« دور الارشيف »** في كل دولة وفهارسها ، و **« المكتبات »** وفهارسها ، و **« المتاحف »** وفهارسها ، فهذه الامكنة هي التي عملت على حفظ هذه الكنوز التاريخية .

ب ـ الوثائق الاخرى :

وهي بقية المخلفات المحسوسة الاخرى التي كنا قد اشرنا اليها سابقا ، كالمباني المتنوعة (قصور ، معابـد ، كنائس ، مساجد ، أضرحـة ... الخ) والطرق ، والجسور ، والنقود ، والبقايا الانسانية ، والادوات المتنوعة ، والصور التي يمثلها الرسم (اليدوي والآلي) ، والنحت ، والسجاد ، والاقمشة ، والفنون الاخرى . فالصور مثلا نوع من التعبير عن الافكار والعادات ومجموع الحياة . ومـا عدا الآثار الكبيرة الحجم والتي حفظت في مكانهـا ، فان هذه المخلفات وضعت في « متاحف » متنوعة ، على الباحث التاريخي أن يعمل فيها كما يعمل في المكتبات ، ودور الارشيف ، والاماكن الاصيلة للاحداث .

ولا بد في مجال « الوثائق الاخرى »، من تأكيد دور « **التصوير الفوتوغرافي** » و « **السينمائي** » في مدار البحث التاريخي ، بصفتهما مصدرا وثائقيا جديدا هاما ؛ حتى أن « فيليب دوليل آدم »[1] كتب عام (١٨٨٦) قائلا : « لقد ظهر التصوير الفوتوغرافي متأخرا جدا . أليس مؤلما التفكير بتلك اللوحات ، والصور ، والمناظر ، والمشاهد التي افتقدنا رؤيتها ، وكان ممكنا احتفاظ التصوير الفوتوغرافي لنـا بها ؟[2] ... » ولو عاون « الفوتوغراف » التصوير ، لأعطى الانسان فكرة صحيحة عن كثير من الاحداث . ولقد أثارت قصته العلمية « سحاء المستقبل » التي اخترعت السينما بعد ثلاث سنوات من نشرها ، قضيتين اساسيتين في وقتنا الحاضر :

١ ـ قيمة السينما الصامتة والناطقة ، والتصوير الفوتوغرافي الصامت والمتحرك والاصوات المسجلة « على اسطوانات ، وأشرطة مغناطيسية ... الخ » بصفتها مصادر تاريخية .

٢ ـ كيفية الحفاظ على الأرشيفات الفيلمية (الناطقة أو الصامتة)، وامكانات بقائها سليمة دون عطب ، أو مدى حظها من الحياة .

---

(١) Auguste Villiers de l'Isle - Adam اديب فرنسي (١٨٣٨ ـ ١٨٨٩) كتب الشعر والمسرحية والقصة . له انتاج وفير

(٢) تصـدير L'histoire et ses méthodes, p. 771.

ولقد تطور « التصوير الفوتوغرافي » منذ بداية اختراع « نقفور نيبس »(٣) له عام ١٨٢٢ حتى الوقت الحاضر تطورا ضخما ، وغدا ملونا ، ووجدت وسائل تقنية لاستخدامه في الصحف ، والدوريات ، والكتب . ولقد قدم التصوير في الواقع خدمات جلى للتاريخ عن طريق « الميكروفيلم » ، الذي يمكن بوساطته الحصول على أصول مختلف الوثائق المكتوبة من دور الارشيف ، وكذلك الكتب النادرة ، وصور مختلف الآثار والمخلفات ، وصور الاشخاص والاحداث .

والشيء ذاته يقال عن السينما ببداياتها الصامتة (١٨٩٣ ــ ١٨٩٥) ، ثم الناطقة ، (١٩٢٧ ــ ١٩٣١) وتطورها المعاصر ، واستخدام (السينما سكوب) والسينما الملونة ، وظهور الصناعة السينمائية في عديد من بلدان العالم .

ويجب ألا ينسى في هذا المجال « **الوثائق الناطقة** » من اسطوانات ، وأشرطة تسجيل صوتية ، فهي تقدم معطيات للباحث التاريخي ، بما تحمله من أصوات ، ولا سيما أصوات الشخصيات المؤثرة في مجرى الاحداث ، وبما تتضمنه ــ اذا لم يلحقها التحريف والتشويه والتزوير ــ من معلومات موثوقة مباشرة ، عن مختلف الامور التي تدور في حياة المجتمعات اليوم ، والتي يعمل العالم المعاصر على تسجيلها بالصورة والصوت . وقد أخذت الهيئات الحكومية ، والعلمية ، والخاصة ، تكوّن ارشيفات خاصة لحفظ « الوثائق المصورة » (صور فوتوغرافية عادية ، أو سينمائية) و « الوثائق الصوتية » ، وفي ايجاد الوسائل التي تمكنهم من الاحتفاظ بها أكبر مدة ممكنة دون أن يصيبها التلف .

وقد عملت « دور الارشيف » في بعض بلدان العالم على الاحتفاظ ببعضها ، وان الهيئات المختصة ، الحكومية والخاصة ، جاهدة اليوم لايجاد دور أرشيف عامة (للصوت والصورة) على نمط أرشيفات الوثائق المكتوبة ، تتجمع فيها نسخ من مختلف تلك الوثائق حتى يسهل على الباحث التاريخي العمل .

---

(٣) Nicéphore Niepce (١٧٦٥ ــ ١٨٣٣) : كيمياوي فرنسي . كان له الاسبقية في اختراع التصوير الفوتوغرافي وقد اخترع ابن عمه « كلود نيبس » (١٨٠٥ ــ ١٨٧٠) التصوير على الزجاج .

المكتبـــات :

هي المكان الأول والأساسي الذي يغز الباحث التاريخي السير إليه لأن فيه يجد أوليات مصادره ، وموارد علمه .

وللمكتبات تاريخ طويل : فقد اعلمتنا الحفريات والنصوص أنه كان في الالف الثاني ق.م في قصر ملك « اوغاريت » « مكتبة » . كما ان مكتبة « آشـور بانيبال » (من ملوك آشور الكبار) في القرن السابع ق.م معروفة ومشهورة . ومن المؤكد أن المؤرخين قد استخدموا خلال جميع العصور الموارد التي تضمها المكتبات . ولا بد أنه كان لليونان في مدنهم مكتباتهم ، وكذلك في بلاد فارس . ولا أدل على ذلك من المكتبات التي انشأها اليونان في بـلاد المشرق في العصر الهلنستي بعد احتلالهم لها ، وأهمها « مكتبة الاسكندرية » التي أقامها البطالمة ، وضمت ٤٠٠ر٠٠٠ مجلد . وكان لقيّم المكتبة ، الصلاحية الكاملة لشراء أي كتاب يجده ، وكان كل كتاب يدخل مصر يحمل الزاما الى المكتبة ، حيث ينسخ من قبل الناسخين القائمين فيها ، وتحتفظ المكتبة بالاصل ، ويعطى لمالك الكتاب نسخة . وحوالي الوقت نفسه (منتصف القرن الثالث ق.م) أنشئت المكتبة الكبرى في « برغام » حيث استخدم لأول مرة ــ إذا ما صدقنا بلينوس ــ جلد الضأن في صناعة الكتب بصورة منتظمة .

أما في روما فيبدو أن المكتبات العامة لم تظهر الا في العصر الجمهوري . وأول واحدة انشأها « يوليوس قيصر » ، وكان قيّمها الموسوعي الشهير «فارون»، الذي ضاع مع الاسف معظم انتاجه . ولم يلبث عدد المكتبات أن تزايد في العصر الروماني حتى كان تحت حكم الامبراطور هادريان (١١٧ ــ ١٣٨ م) مايزيد عن (٢٩) مكتبـة .

وجاءت الغزوات الجرمنية الكبرى ، وسقوط الامبراطورية الرومانية الغربية، فأدى هذا الى اختفاء المكتبات الكبرى في أوربا ، وان تركزت بعض مجموعات الكتب والوثائق المكتوبة في الاديرة .

الا انه ضمن **الدولة العربية الاسلامية** فان المكتبات انتشرت على نطـاق

واسع وأشهرها في بغداد ، « بيت الحكمة » ، أو « خزانة الحكمة » التي ينسب انشاؤها الى « الرشيد » أو « المأمون » ، والتي كانت تحمل اليها الكتب من كل صقع ، وقد زودت بالمترجمين والنساخ . وكان يرتادها البحاثة والمؤلفون ، ويذكر انها خربت عند هجوم التتر على بغداد عام ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م . ومن المكتبات العربية الاسلامية ايضا « مكتبة المدرسة المستنصرية » في بغداد . وكانت عامرة بالكتب النادرة في شتى العلوم ، وقد رتبت بحيث يسهل رجوع الطلبة اليها ، وتيسر نسخ المخطوطات للراغبين في نسخها . ومن أشهر مكتبات بغداد التي ورد ذكرها في كتب المؤرخين مكتبة وقفها (سابور بن اردشير) وزير (بهاء الدولة البويهي)[1] عام ٣٨١ هـ/٩٩٠ م ، وجعل فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد ، وقد احترقت عام ٤٤٧ هـ/١٠٥٥ م عند دخول (طغرل بك السلجوقي) الى بغداد . وفي الحقيقة ان جميع الدويلات المستقلة اقتدت ببغداد ، فأقامت المكتبات ، ومنها الخلافة الفاطمية في القاهرة ، حيث أسس « يعقوب بن كلس »[2] مكتبة في قصره سماها « خزانة الكتب » . ويذكر المقريزي انها كانت تحتوي على (١٦٠٠٠٠) كتاب في الفقه والنحو ، واللغة ، والتاريخ ، والكيمياء ، والنجوم ، والهندسة ، والفلسفة ، وتضم كذلك كثيرا من أدوات الهندسة والفلك[3] . كما ان الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي ، انشأ عام ٣٩٥ هـ/١٠٠٤م «دار الحكمة» في القاهرة وحمل إليها الكتب من خزائن القصور الاخرى . وفي طرابلس الشام ، عرف آن الفاطميين انشؤوا فيها « دار العلم » ، التي كانت تحوي ثلاثة آلاف كتاب ، نهبها الصليبيون عند استيلائهم عليها عام ٥٠٢هـ/١١٠٨ م .

وفي عهد الزنكيين ، فالايوبيين ، وجد في بلاد الشام الى جانب المدارس

---

(١) احد أولاد « عضد الدولة البويهي » . حكم خوزستان والعراق (٣٧٩ ـ ٤٠٣ هـ/ ٩٨٩ ـ ١٠١٢ م) ومد نفوذه الى فارس وكرمان .

(٢) يهودي ، أصله من بغداد . اعتنق الاسلام وعمل وزيرا للخليفتين الفاطميين المعز ، والعزيز . اشتهر بتنظيماته المالية وتشجيعه للعلم . عاش بين ٣١٨ ـ ٣٨٠ هـ/ ٩٣٠ ـ ٩٩٠ م) .

(٣) جورج حداد وعبدالرؤوف الحسامي : تاريخ الحضارة العربية . دمشق . د.ت . ص ٣١٠ .

« خزائن الكتب » التي عرفت « بالخزائن النورية » نسبة الى نور الدين الزنكي، ويذكر كذلك وجود خزانة للكتب في انطاكية كان « أبو العلاء المعري »[1] يتردد إليها ، هذا بالاضافة الى مكتبته الخاصة في معرة النعمان . والى جانب هذه المكتبات العامة هناك مكتبات خاصة انشأها الحكام ، والامراء ، والعلماء ، الا أن معظمها ذهبت به الفتن الكثيرة .

وفي بلاد ما وراء النهر اشتهرت مكتبة « نوح بن منصور الساماني » سلطان « بخارى » (٣٥٣ ـ ٣٨٧ هـ/٩٦٤ ـ ٩٩٧ م) التي قال فيها « ابن سينا »[2] « ورأيت فيها من الكتب مالم يقع اسمه الى كثير من الناس وما رأيته من قبل »[3]. وهذه المكتبة هي التي احترقت ، واتهم أعداء ابن سينا الفيلسوف الكبير بحرقها ، بحجة أنه كان لا يريد أن يصل أحد إلى مستوى علمه ، إذا طالع فيها ما طالعه هو فيها من نفائس الكتب . وكان في (مراغة) مكتبة أسسها (هولاكو)[4] « لنصير الدين الطوسي »[5] ، يقال أنها حوت (٤٠٠،٠٠٠) مجلد مما نهبه التتر من بلاد

---

(١) احمد بن عبد الله بن سليمان المعري . فيلسوف وشاعر . ولد وتوفي في معرة النعمان من بلاد الشام (٣٦٣ ـ ٤٤٩ هـ/٩٧٣ ـ ١٠٥٧ م) . له عدة كتب اشهرها « رسالة الغفران » ، اشتهر بشعره وحكمته وفلسفته فيه .

انظر حوله : الاعلام . ج ١ . ص ١٥٠ ـ ١٥١ .

(٢) الحسين بن عبد الله بن سينا (٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ/ ٩٨٠ ـ ١٠٣٧ م). الفيلسوف الرئيس ، والطبيب المبدع . اشتهر بمؤلفاته في الطب ، والمنطق ، والطبيعيات ، والإلهيات . له ما يقارب (١٠٠) كتاب . اشهرها « القانون » في الطب ، و « الشفاء » .

(٣) تاريخ الحضارة العربية (المصدر السابق) . ص ٣١١ .

(٤) حفيد « جنكيز خان » امبراطور التتر (المغول) . هزم آخر خلفاء بني العباس في بغداد (٥٦٦ هـ / ١٢٥٨ م) . وهزم المسلمون جيوشه الزاحفة على بلاد الشام في معركة « عين جالوت » في فلسطين عام ٦٥٨ هـ/١٢٦٠ م .

(٥) محمد بن محمد بن الحسن . فيلسوف وفلكي (٥٩٧ ـ ٦٧٢ هـ / ١٢٠١ ـ ١٢٧٤ م) . وكان علامة بالرياضيات والأرصاد . قربه هولاكو ، وابتنى له بمراغة قبة ومرصدا . له عدة مؤلفات ، انظر حولها : الاعلام . ج ٧ . ص ٢٥٧ـ٢٥٨ .

العرب . وهناك مكتبات خاصة كمكتبة « الصاحب بن عباد »[1] وغيرها في المشرق الاسلامي كثير .

وفي بلاد الاندلس أسس (الحكم بن عبد الرحمن الناصر)[2] مكتبة كبرى في قرطبة ، أتى إليها بالكتب من أنحاء العالم المعروف ، وجعلها في قصر قرطبة . وذكر « ابن خلدون » أن فهارس الدواوين وحدها بلغ عددها (٤٤) فهرسا ، في كل فهرس عشرون ورقة . ويقدر ابن خلدون ، والمقري[3] ما كانت تحويه من كتب بـ (٤٠٠,٠٠٠) كتاب في شتى العلوم . وقال « المقري » إن غرناطة وحدها كان فيها (٧٠) مكتبة عمومية . ولما استولى الاسبان على قرطبة ، أحرقوا كل ماوصلت إليه أيديهم من مؤلفات العرب ، ويقدرها الاستاذ « كونده Condé » الاسباني بـ ألف الف وخمسين ألف مجلد[4] .

وفي بلاد المغرب لم يكن اهتمام المسلمين أقل بالمكتبات ، فهناك مكتبة «جامع القرويين » في فاس ومكتبة جامع (الزيتونة) في تونس وغيرها .

وان هذا الازدهار المكتبي في العالم الاسلامي كان له آثاره في العالم الغربي المسيحي ، بل كان قدوة له . فالملك « لويس التاسع » (القديس لويس)[5] عندما

---

(١) اسماعيل بن عباد (٣٢٦ ــ ٣٨٥ هـ / ٩٣٨ ــ ٩٩٥ م) . وزير آل بويه . سمي « بالصاحب » لصحبته « مؤيد الدولة » من صباه . له تصانيف كثيرة في اللغة والأدب .

(٢) الخليفة الثاني من خلفاء بني امية في الأندلس . حكم بين (٣٥٠ ــ ٣٦٦هـ/ ٩٦٠ ــ ٩٧٦ م) . وقد خلف أباه « عبد الرحمن الناصر » ولقب بالمستنصر وكان خليفة جليلا ، ومحبا للأدب والعلم .

(٣) أحمد بن محمد المقري التلمساني المتوفى ١٠٤١ هـ/١٦٣١ م . ولد في تلمسان ، وانتقل الى فاس فالقاهرة ، وتوفي فيها . وزار دمشق . مؤرخ وأديب . له عدة مؤلفات ، اشهرها « نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب » .

(٤) تاريخ الحضارة العربية . ص ٣٨٢ .

(٥) ملك فرنسا (١٢٢٦ ــ ١٢٧٠) . اشتهر بحملته الصليبية على مصر عام ٦٤٧ هـ/١٢٤٩ م التي هزمته فيها جيوش المصريين في (معركة المنصورة) عام ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠ م ، واخذته أسيرا . وعندما خرج من مصر ، بعد فك أسره ، انتقل الى فلسطين

سمع أثناء وجوده في بلاد المشرق ، ابان حملته الصليبية ، بأن « ملك المسلمين يبحث عن جميع الكتب المفيدة لفلاسفة قومه ، وينسخها على حسابه ، ويضمها لمكتبته ، وإن أولاد الظلمات (هكذا !) يبدون أعقل من أطفال النور ، فانه عاهد نفسه أن ينسخ عند عودته لفرنسا كل مايخص الكتاب المقدس من كتب متوافرة في ابرشيات مملكته ليستفيد منها هو والعلماء ورجال الدين في قصره . ولهذا الهدف خصص قاعة في كنيسة القصر في باريس ليجمع فيها ما كتبه بعض القديسين كالقديس اوغستين وغيره »[1] ولكن يبدو أن تلك المكتبة لم تكن غنية بالكتب التاريخية ، إلا أنها هي التي كونت نواة « المكتبة الملكية » التي نظمها الملك « شارل الخامس[2] في برج من قصره في اللوفر ، والتي غدت « المكتبة الوطنية » الفرنسية اليوم .

وشرعت **المكتبات الخاصة** تظهر في عصر النهضة وتتزايد ، وتجمع فيها المخطوطات من الاديرة ، ومن كل مكان ، بما فيها المخطوطات العربية، والسريانية، والعبرية ؛ بل نظمت رحلات وبعثات خاصة لبلاد المشرق للحصول على هذه المخطوطات بكل الوسائل . وفي ايطاليا نشأت مكتبات كبيرة غنية مثل (سان ماركو) في فلورنسه (١٤٤٤) ، ومكتبة (الفاتيكان) التي أسسها في روما البابا (نيقولا الخامس) (١٤٥٠ م) ، ومكتبة (قصر بافيا) التي أسسها (آل فيسكونتي) دوقات ميلانو والتي حمل الملك الفرنسي (لويس الثاني عشر)[3] بعد احتلاله

ويبقى فيها من ١٢٥٠ ـ ١٢٥١ . وقام في ١٢٧٠ م بحملة صليبية أخرى ، هي الثامنة ، على تونس ، ولكنه مات بالطاعون بعد نزوله قرب قرطاجة . ومنحته الكنيسة البابوية صفة « قديس » .

(١) L'histoire et ses méthodes, p. 1063.

(٢) ملك فرنسا (١٣٦٤ ـ ١٣٨٠) . انتزع من الكثرة عددا من المقاطعات كانت قد استولت عليها من ارض فرنسا . وقام باصلاحات مالية ، وبتجميل عدة قصور منها « اللوفر » ، كما عمل على توسيع امتيازات جامعة الصوربون .

(٣) ملك فرنسا (١٤٩٨ ـ ١٥١٥) اشترك في « الحروب الايطالية » ، وطالب بعرش « الميلانيز » (وعاصمتها ميلانو) ، وانتزعها حربا ، إلا أن تحالفا تشكل ضده على رأسه البابا ، أجبره على الانسحاب .

للميلانيز عام ١٤٩٩ قسما كبيرا من كتبها الى فرنسا ، وجعلها نواة ثانية للمكتبة الملكية التي دعمها بعده الملك (فرانسوا الاول)[1] .

وهكذا انتشرت المكتبات في أوربا تدريجيا ، وجاءت الطباعة لتزودها بعديد من الكتب . ونظمت موجودات هذه المكتبات ، وفهرست لجعل البحث فيها سهلا ؛ وشرعت الجامعات بدورها ، تكوّن مكتباتها الخاصة ، وأصبح لها مجموعتها من المخطوطات والمطبوعات ، وأحيانا وثائق من الارشيفات . ولم يكن الاهتمام قاصراً على المكتبات العامة ، بل شرع الأفراد يكوّنون هم الآخرون مكتباتهم . ومن أشهر المكتبات الخاصة في القرن السابع عشر « مكتبة كولبير » .

وبصورة موجزة يمكن القول ان تطورا ضخما قد طرأ على **مكتبات البحوث** في القرن التاسع عشر ، والعشرين : فالى جانب كونها مستودعا لآلاف الكتب المخطوطة والمطبوعة ، ان لم يكن للملايين منها (يقدر عدد الكتب المطبوعة في المكتبة الوطنية بباريس بستة ملايين) ولعديد من وثائق الارشيفات ، والوثائق الاركيولوجية (النقود ــ والميداليات ــ وغيرها) ، والمصادر المصورة ، فانها مزودة كذلك بالفهارس المختلفة والمتنوعة ، لمحتوياتها تلك ، أي ببيبليوغرافيا للمخطوطات فيها ، والمطبوعات ، ووثائق الارشيفات وغيرها ، تهدي الباحث التاريخي وتنير امامه سبيل العمل .

وبالاضافة الى ذلك فقد زودت في الفترة المعاصرة بالرّكابة (الكومبيوتر)، لتسهيل سبل التصنيف والاعارة ، وتوسيع الخدمة المكتبية للقراء والباحثين ، وتيسيرها .

وفي الواقع لقد تحولت المكتبة في الفترة المعاصرة الى (مصنع عمل) ، يحوي الى جانب ماذكر سابقا ، جميع الادوات الحديثة التي تسهل مجالات البحث الجاد.

---

(١) ملك فرنسا (١٥١٥ ــ ١٥٤٧) . يمثل عهده « عصر النهضة » في فرنسا ، وتميز حكمه بصراعه مع « شارلكان » ملك اسبانيا ، وامبراطور الامبراطورية الجرمنية المقدسة . كما تميز بتوقيعه مع السلطان « سليمان القانوني » ما سمي « بالامتيازات» عام ١٥٣٥ .

كالقارئات (لقراءة الميكرو فيلم أو مصورات المخطوطات) وأدوات التصوير الفوتغرافي ، لتصوير مايريده الباحث من كتب ، ومخطوطات ووثائق وغيرها، وكل مايلزم لقراءة المخطوطات وتحقيقها ، واصلاحها ، أو بتعبير علمي أصح ، كل مايلزم لعلم الكوديكولوجيا Codicologie (وهو العلم الذي يقوم بدراسة المخطوطات من ورق وحبر) ، من مكبرات ، ومرايا صغيرة وأجهزة ضوئية متنوعة للكشف عن الكلمات غير الواضحة والتعرف بها « كفانوس وود » Wood الحامل للأشعة ما فوق البنفسجية المصفّاة . فالضوء الذي ينشره لا يرى بالعين المجردة ولكن له خاصة جعل بعض المواد مضيئة ومنها الرق والورق ، ومن ثم فالحبر الفاتح جداً ، وغير المقروء بالضوء العادي ، يظهر أسود على أرضية فوسفورية بيضاء مزرقة . كما تحوي تلك المكتبة ـ المخبر مواد كيمياوية ، وأدوات تصوير متنوعة . ويجب الا ينسى أيضا القسم الخاص بصيانة الكتب ، والوثائق، والمخطوطات وتجليدها .

وقد تزايد عدد المكتبات العامة في كل العالم ، وبعضها يحوي مجموعات تقدم للتاريخ موارد لاتقدر بثمن . وأشهر المكتبات العالمية الكبرى « المكتبة الوطنية » في باريس ، وتضم (٦) ملايين من المطبوعات ، ومكتبة « الفاتيكان » وأسست حوالي ١٤٥٠ وتحوي (٧٠٠ر٠٠٠) مطبوع . ومكتبة « دوتش شتات» في برلين (أسست عام ١٦٥٣) وتملك ١ر٤٠٠ر٠٠٠ مطبوع بالاضافة الى ١ر٧٥٠ر٠٠٠ حفظت منذ عام ١٩٤٥ في ماربورغ . ومكتبة (المتحف البريطاني) (اسست عام ١٧٥٣) وتضم أكثر من (٦) ملايين . ومكتبة « الكونغرس » في واشنطن اسست عام ١٨٠٠ وتضم (٩) ملايين . ومكتبة « لينين » في موسكو أسست عام ١٨٦١ وتضم (١٣) مليونا . والمكتبة الوطنية (فكتور عمانوئيل) في روما (أسست عام ١٨٧٥) وتضم ١ر٧٠٠ر٠٠٠ مطبوع . ومكتبة « الدولة » في بكين وتضم (٢ر٥٠٠ر٠٠٠) مجلد ، منها عديد من الكتب الغربية التي حملها المبشرون الى الصين في القرن السادس عشر ، وهي نادرة في أوربا . ومكتبة « الدولة » في طوكيو وتضم ٤ر٥٠٠ر٠٠٠ مجلد . ومكتبة « دلهي » في الهند (اسست عام ١٩٥١) بمساعدة اليونسكو .

أما المكتبات العربية الكبرى التي تحوي بخاصة العديد من المخطوطات العربية الهامة فهي (مكتبة دار الكتب) في القاهرة ، و (المكتبة الظاهرية) و (مكتبة المجمع العلمي) في دمشق ، ومكتبة (جامع الزيتونة) في تونس ، و (المكتبة الملكية) في الرباط وغيرها . وفي الحقيقة لقد بعث النشاط المكتبي في البلدان العربية حديثا فقط ، فعملت الحكومات العربية على توسيع المكتبات ، العامة والجامعية ، وتزويدها بمختلف المطبوعات والادوات الضرورية للبحث ؛ كما هيء لها الاختصاصيون في البيبليوغرافيا ، والخدمة المكتبية ، والتصنيف الحديث . هذا علما أن بعض هذه المكتبات تحوي كنوزا من المخطوطات العربية التي ترجع الى مختلف العصور الاسلامية ، لم تدرس بعد ، ولم يستفد منها الافادة الكلية في الدراسة التاريخية .

ولا بد من التذكير في هذا المجال بأن المخطوطات العربية لاتضمها مكتبة واحدة، ولا أرشيف واحد، وانما هي متناثرة في مختلف المكتبات العالمية وأرشيفاتها. وقد عملت الجامعة العربية على تصوير معظمها والاحتفاظ به في مكتبة (معهد المخطوطات العربية في القاهرة)، وقد أصدرت هذه المكتبة (بيبليوغرافيا) بالموجودات لديها منها ، كما أنها تصدر نشرة دورية اعلامية بما يطرأ من جديد حول المخطوطات العربية . وان « لجان بعث التراث العربي » في مختلف الاقطار العربية والاسلامية، تسعى حثيثا لتحقيق هذه المخطوطات ، في مختلف فروع المعرفة ، ونشرها ، وفي البحث عن مخطوطات أخرى قد تكون في بعض المكتبات الخاصة (التابعة لافراد).

بعد هذا العرض التاريخي السريع لنشأة المكتبات ونموها ، يتساءل عمّ يبحث المؤرخ في المكتبات ؟ انه يبحث في الواقع عن أمور ثلاثة :

١ ــ البيبلوغرافيا
٢ ــ الوثائق
٣ ــ أدوات البحث

١ ــ البيبلوغرافيا Bibliographie :

وهي في معناها العام مجموع مانشر عن موضوع معين ؛ وبمعناها الخاص ،

هو « علم المؤلفات الخاصة بحقل معين من المعرفة ، وما نشر منها » أو بتعبير آخر ، إن علم البيبليوغرافيا التاريخي يضم مؤلفات التاريخ التي كتبت من قبل المؤرخين وما نشر منهـا .

فالبيبليوغرافيا اذاً هو **اداة البحث الأولى** للمؤرخ : اذ أنه يقدم له الوسائل، لمعرفة ما أنتج حول الموضوع المنتقى من قبله ، أو حول المسألة المطروحة ، من دراسات.و(البيبليوغرافيا)في الوقت الحاضر، **علم اساسي من « علم المكتبات »** ، **يتركز عمله في احصاء جميع النصوص التي نشرت حول نوعية محددة من المعرفة** .

ان « البيبلوغرافيا » **يبحث ويسجل ، ويصف ، ويصنف الوثائق** ، بهدف **إيجـاد ادوات عمل فكرية** ، تسمى « فهارس بيبليوغرافية » أو (بيبليوغرافات). ومن هذا التعريف يتضح أن كلمة « بيبليوغرافيا » تطلق على العلم نفسه ، وعلى الفهارس التي أوجدها .

واذا كانت **البيبلوغرافيا** ، أو « فهارس المصادر » ، لاغنى عنها في كل العلوم، فان ضرورتها في مادة التاريخ مضاعفة . فهي لاتسمح فقط بالكشف عن الدراسات المنشورة عن قضية ما ، وانما تكشف عن المصادر نفسها أيضـا ، التي يمكن أن يتصنع التاريخ بها أو يتجدد ، أكانت مصادر مطبوعة ، أو مقتطفات من مصادر ، أو فهارس وثائق ، أو غيرها .

وقد تكون هذه الفهارس **وصفيـة** فقط ، او **تحليلية او نقديـة** . اي إما انه يكتفي بذكر اسم المؤلف والمؤلف ، مع ذكر عدد اجزائه ، وسنة طباعته ، ومكان طباعته وعدد صفحاته ، وتكون وصفية ، أو أنها تذكر نبـذة عما يحويه المؤلف ، بالاضافة الى أوصافه السابقة ، فتكون تحليلية . أو تقدم تحليلا عنه وتبين قيمته، وتكون نقدية. وقد تضم **كل مانشر** وبجميع اللغات . وقد تشمل **مختارات** فقط . وقد تكون متضمنة الماضي والحاضر ، أو مانشر حاليا فقط . وقد ترتب بحسب الابجدية (للمؤلف أو العنوان أو الموضوع) أو بحسب الزمن ،و بحسب نوعية الدراسة ، اقتصادية ، أو اجتماعية ، أو فكرية ... الخ .

والبيبليوغرافيا بشكل عام تكون (عالمية) و (عامة) ، اذا كانت تتضمن جميع

المنشورات المطبوعة ، دون تفريق في الموضوعات ، واللغات التي نشرت بها. وتكون في آن واحد (وطنية وعامة) اذا نشرت أسماء المؤلفات المطبوعة دون تمييز في الموضوعات، إلا أن تلك المؤلفات تكون على الأغلب مكتوبة بلغة واحدة هي لغة الوطن ، وتم نشرها في نطاقه . وإذا كانت البيبليوغرافيا تحدد ما نشر عن موضوع بعينه فقط فهي (اختصاصية) ، وقد تكون عندها (وطنية) أو (عالمية).

وفي الحقيقة لقد سعي منذ العصور القديمة لايجاد فهارس كتب ، وكذلك في العصور الوسطى ، ولقد أدرك العرب المسلمون قيمة هذا الامر وكتبوا فيه . وان كتاب (الفهرست) لابن النديم[1] لاكبر دليل على ذلك . وفي أوربا لم يظهر الاهتمام في الواقع بفهرس بيبليوغرافي إلا في القرن الخامس عشر ، فالسادس عشر، بل إن الكلمة نفسها لم تستخدم الا في عام ١٦٣٣ (استخدمها « غابرييل نوده»[2] في كتابه بيبليوغرافيا بولتيكا) . وفي الواقع ان ايجاد بيبليوغرافيا عادة ، يتجاوب مع الشعور بضرورة وضع أداة عمل في يد الجميع قادرة على منحهم الاعلام الذي يريدون . وقد قام على تدوينها في تلك القرون البعيدة علماء استهوتهم الثقافة . وكانت في بادىء أمرها اختصاصية دينية ، أو طبية ، الا انها ما لبثت أن شملت كل المعارف . ان هذا الاتجاه البيبليوغرافي لخدمة التاريخ ، أو العلم بعامة ، قوي في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ونمت (البيبليوغرافيا الاختصاصية) . ويرجع هذا بالذات الى ازدياد الكتب المطبوعة زيادة ضخمة ، والى نمو المكتبات ، وتعدد دور النشر ، التي أخذت بدورها تنشىء مثل تلك الفهارس لترويج بضاعتها . ولم يجر هذا في اوربا فحسب ، بل يلاحظ انه تم في نطاق العالم الاسلامي والعربي . ومن أشهر المؤلفات في هذا المجال « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » لحاجي خليفة[3] ، وهو من أنفع ما كتب في موضوعه بالعربية . وقد أصدرت

---

(١) محمد بن اسحق بن النديم (المتوفى ٤٣٨ هـ/١٠٤٧ م) من مدينة بغداد وكان متشيعا .

(٢) G. Naudé مفكر فرنسي كان قيما لمكتبة ريشليو فمازاران (١٦٠٠ – ١٦٥٣) .

(٣) مصطفى بن عبد الله كاتب چلبي . تركي مستعرب ولد في القسطنطينية (١٠١٧ – ١٠٦٧ هـ/١٦٠٩ – ١٦٥٧ م) . لقب بحاجي خليفة . ذكر بكتابه نحو ١٤٫٥٠٠ كتاب مع بيان مؤلفيها وأحوالهم . له عدة مؤلفات تاريخية بالعربية والتركية.

فرنسا منذ الـ ١٨١١ (بيبليوغرافيا فرنسا) ، وهي نشرة اسبوعية تشير الى المطبوعات الجديدة وأوصافها التي تدخل المكتبة الوطنية في باريس[١] ، وقلدتها بقية الدول الاخرى في ذلك . وقد غدا العمل البيبلوغرافي منظما ، ووزع بين اختصاصيين اكفياء ، مكلفين بأن يقدموا للباحثين جميع أحوال « القضية المدروسة » وهي تتجدد بسرعة . وقد قدمت (البيبليوغرافيا الاختصاصية) التي تشمل الدراسات المنشورة منذ القديم حتى الوقت الحاضر ، حول موضوع بعينه، أو المنتقاة ، ضمن (مركبات مشتركة) ، تحيط بكل المجالات العلمية : (تاريخ عالمي ـ تاريخ جميع العلوم ـ العصور القديمة اليونانية ـ اللاتينية ـ التاريخ الديني ـ تاريخ الفنون ... تاريخ قطر معين[٢] ... الخ) .

وهناك اليوم عدد كبير من « البيبلوغرافات الاختصاصية العالمية » التي تتضمن كل ماينشر اليوم . ويمكن الرجوع اليها في المؤلف الآتي :

L'Index bibliographus : répertoire des revues Courantes de bibliographies analytiques

وكانت الطبعة الثالثة لها عام ١٩٥٢ .

وفي اللغة العربية هناك مجلة دورية تصدر في مصر تحت اسم (عالم المكتبات) توضح ما يصدر من بحوث وكتب في الوطن العربي ، أو بتعبير آخر تبحث في البيبليوغرافيات المعاصرة . وقد أخذ (اليونسكو) يصدر منذ عام ١٩٤٧ فهرسا أوربيا مشتركا ، أضيفت اليه فيما بعد فهارس القارات الاخرى .

وقد نمت (البيبليوغرافيا الجارية) نموا كبيرا في القرن العشرين ، ونشر عدد كبير من (البيبليوغرافيا الوطنية) القديمة والحديثة . وهذان النوعان من

---

(١) لقد اصبحت تتضمن اليوم ثلاثة اقسام : بيبليوغرافيا رسمية تدوّن في المكتبة الوطنية في باريس ، وتضم الكتب الواردة الى المستودع العام فيها ، ومعلومات عن المكتبة والنشر ، واعلانات من كتب ستصدر .

(٢) ليس لبلاد الشام ، أو لسورية ، حتى الوقت الحاضر « بيبليوغرافيا » خاصة مع ضرورتها . الا ان هناك مانشره المؤرخ الفرنسي « بول ماسون P. Masson » تحت عنوان « البيبليوغرافيا الفرنسية من سورية » أو بتعبير آخر ، ماكتب بالفرنسية عن سورية . وقد نشر مؤلفه عام ١٩١٩ في مرسيلية .

Bibliographie Française de la Syrie. Marseille 1919.

البيبليوغرافات (الجارية والشاملة) أخذا يشيران الى جميع الوثائق المطبوعة من (كتب) لمؤلفين معروفين أو مجهولي الاسم ، ودوريات ، ورسائل بحث (دكتوراه وماجستير) وخرائط ومخططات ، ونقوش ، وصور ، ونصوص موسيقية ، ونشرات رسمية • وقد أقام بعض الباحثة نتيجة تزايد البيبليوغرافات ، (بيبليوغرافيا) (للبيبليوغرافيات) المختلفة ، وأشهرها في هذا المضمار •

Théodre Bestermanm, world Bibliography of Bibliographien 1940.

وقد أعيدت طباعتها مرتين ، واغنيت ، وتضم (٨٠،٠٠٠) دليل فهارس[1] •

ان على الباحث التاريخي اذاً ان يرجع أول ما يرجع عند تجميع مصادره الى (البيبليوغرافيا) • وقد يلجأ الى (البيبليوغرافيا التاريخية) فحسب ، وقد ترهقه مراجعة مافيها ، ومطالعة المنشورات التي تتضمنها ، ولا سيما اذا رأى ان بعض تلك المنشورات سطحي ، أو لا قيمة له ، أو لا فائدة كبيرة منه في بحثه • ولكن(الدربة البيبليوغرافية) لا بد منها لهذا الباحث ، حتى ان هذه المادة أدخلت في منهاج الدراسة في السوربون في مطلع هذا القرن ؛ لانه مهما كان بعض المؤلفات سطحيا ، فمن الضروري أن يتعرفه الباحث • كما ان الرجوع الى البيبليوغرافيا يجعل هذا الباحث يتوغل في مجال بحثه ، ويوسع وجهات نظره •

ان حدود (البيبليوغرافيا التاريخية) في الواقع سائبة كحدود التاريخ نفسه• فقسم كبير من أدوات العمل لعالم اللغة ، وباحث الأدب ، والاقتصادي ، والفقيه ، والقانوني ، والفيلسوف ، مفيدة بل وضرورية أحيانا للبحث التاريخي • وعلى الباحث الا يكتفي بالمراجع الحديثة عن الموضوع المطروح ، لان القديمة قد تفتح أمامه طرقا لمصادر ثمينة أولا ، وتوضح له وجهة نظر السابقين في القضية ثانيا •

وفي الواقع لقد تطورت « البيبليوغرافيا التاريخية » بفضل الباحثين الذين عملوا أفرادا ، وجماعات ، متعاونين على نشر كثير من الوثائق (نصوص ارشيفات أو مخطوطات سابقة) ، بعد نقدها ، وتحقيقها ، كما سعوا لايجاد فهارس منظمة

---

(1) L'histoire et ses méthodes, p. 1428.

تسهل سبل البحث[1] . هذا بالاضافة الى العناية بدوائر المعارف (الموسوعات) و (المعاجم التاريخية) التي يمكنها أن تقدم اجابات سريعة وموجزة عن كثير من الاسئلة المطروحة. وقد تعاون المؤرخون أحيانا في هذه المجالات مع طلابهم في أقسام التاريخ وكونوا منهم (جماعات عمل) مفيدة ومنتجة .

ولا بد من الاشارة في النهاية الى (**ببيليوغرافيا الدوريات**) بعد أن انتشرت الدوريات انتشارا كبيرا في العالم ، ولا سيما التاريخيـة منها . وهذه الدوريات تتضمن ابحاثا مستجدة عن موضوعات تاريخية شتى . وهناك فهارس بالدوريات العامة ، والاختصاصية ، كما ان هناك فهارس بالمقالات ، والبحوث الاختصاصية المنشورة في جميع المجلات . فهناك مثلا فهرس للبحوث الإسلامية الجارية المنشورة في مختلف الدوريات العالمية ، وبمختلف اللغات ، وهو يصدر سنويا ، مصنفا بحسب الموضوعات والبلدان ، وتحت عنوان Index Islamicus . وفي كل مكتبة فهرس خاص بهذه الدوريات ، لابد أن يتعرفه الباحث التاريخي ويستفيد مما ورد فيه . ومن أشهر الدوريات التاريخية (المجلة التاريخية) في فرنسا و (المجلـة التاريخية الامريكية) و (الالمانية) وغيرها . وهذه المجلات التاريخية قد خصصت قسما منها للببليوغرافيا الجارية ، أي مانشر من جديد في ميدان التاريخ ، مع نقد له وتحليل . وقد نشرت « المجلات التاريخية » ببيليوغرافيا عالمية بها هي :

World List of Historical Periodicals and Bibliographies. Oxford 1939.

ويمكن القول أخيرا ان المجلات التاريخية تلعب دورا رئيسيا في مجال الاعـلام عن الانتاج الحديث في ميدان جميع القضايا التاريخية . وقد شرعت الاقطار العربية تكوّن جمعيات للدراسات التاريخية لها مجلاتها المهتمة بهذا الامر واهمها مجلة « الدراسات التاريخية المصرية » .

---

(١) ان الكتاب السنوي الذي يصدر كل عام منذ ١٩٢٦ تحت عنوان « البيبليوغرافيا العالمية للعلوم الاجتماعية » ، وتهيؤه « اللجنة العالمية للعلوم التاريخية » يقدم معلومات قيمة عن الاصول التاريخية ، والمراجع التي صدرت في عام ، ولا سيما ان المؤلفات التي يوردها تشمل جميع مناحي التاريخ : من طرائق للبحث وعلوم مساعدة ، ودور ارشيف وتاريخ دستوري واقتصادي ، وتاريخ حضارة .. الخ من أمور . ويشترك في تحرير هذا الكتاب طائفة من المؤرخين .

٢ ـ الوثائق :

لقد أسلفنا القول ان المكتبات قد تضم أحيانا بعض وثائق الارشيف ، وبعض الوثائق الاركيولوجية (المداليات والنقود وغيرها) ، وبعض الوثائق المصورة ، والصحف ، وبعض مصورات وثائق موجودة في الارشيفات أو المكتبات الاخرى، هذا بالاضافة الى المخطوطات المتنوعة . بل إن أرشيف المكتبة نفسه يقدم معلومات ضخمة عن نشأة المكتبة ، وتاريخها ، وتطورها ، بل وعن حركة الفكر ،في العصور التي توالت عليها .

٣ ـ وبالاضافة لما سبق ، فهناك في المكتبات **ادوات العمل الاخرى** . وفي الحقيقة ليس هناك فاصل قاطع بين (البيبليوغرافيا) بكل أشكالها ، وأدوات العمل . فالبيبليوغرافيا التاريخية تضم فهارس ضخمة للقديم والحديث من المطبوعات ، والمخطوطات ، ولمجموعات وثائق الارشيف وللعلوم المساعدة ، وللبحوث في مختلف الدوريات . ولكن بالاضافة الى البيبليوغرافات المتنوعة لابد من الاشارة الى بعض **المؤلفات الرئيسية ، والموسوعات العامة** ، التي تصنف عادة تحت عنوان « **المعارف العامة** » . وهذه تضعها المكتبات في قاعات البحث لتكون في متناول يد الباحث دون الرجوع الى نظم الاستعارة المعروفة . وفي ميدان التاريخ بالذات ، فان مجموعات « كتب التاريخ العامة الكبرى » تعتبر في نطاق « المعارف التاريخية العامة » . ففي التاريخ العربي الاسلامي مثلا ينظر الى كتاب « الرسل والملوك » للطبري و « الكامل » لابن الاثير ، و « العبر » لابن خلدون ضمن هذه المجموعات .

اما الموسوعات العامة : وهي كتب معرفة عامة ومحيطة ، رتبت مادتها بحسب الابجدية أو بحسب الموضوعات ، وقام على دراسة فقراتها بحاثة اختصاصيون متبحرون ، فهي لازمة الباحث التاريخي ولا يمكنه الاستغناء عنها ابدا .وهي تضم في حد ذاتها بعد كل (بند) تدرسه ، بيبليوغرافيا هامة وضخمة يستعين بها الباحث . والى جانب ذلك فانها تعطيه بسرعة عناصر الاعلام الاولى التي توجه بحثه . وأهم هذه الموسوعات :

ـ الموسوعة الكبيرة (بالفرنسية) La Grande Encyclopédie (1885-1902)

ـ الموسوعة الفرنسية Encyclopédie française (1935)

ـ الموسوعة الالمانيـــة Der Grosse Brockhaus (1952-1960)

ـ الموسوعة البريطانية Encyclopaedia Britannica, 1947

ـ الموسوعة الامريكية Encyclopedia Americana, 1949

ـ الموسوعة الاسلامية Encyclopédie de l'Islam

أي الموسوعة الاسلامية الصادرة باللغتين الفرنسية والانكليزية ، والتي عمل في مصر على ترجمتها ولما تنته الترجمة بعد (حتى حرف العين) . وقد سعى عدد من المستشرقين الى اصدار طبعة جديدة منها لتقادم العهد على الاولى ، وهي تصدر من « لايدن » في هولاندة وقد أتم منها الى حرف (K) .

ومن أدوات العمل كذلك **معاجم الاعلام ، ومعاجم اللغات المختلفة ، والاطالس التاريخية والجغرافية ، والخرائط .**

هذا بالاضافة الى الادوات المادية الضروريـــة للبحث التاريخي ، كالاجهزة الضوئية المشار اليها سالفا من: **فارئات للميكرو فيلم ، ومصورات فوتغرافية، وبعض المواد الكيماوية المساعدة .**

وأخيرا على الباحث التاريخي أن يدون على سجل خاص كل ما وجده في المكتبات ضروريا ومساعدا ، ومفيدا لبحثه من مصادر ، وان يوزعها بين مطبوع ، ومخطوط ، ووثائق أرشيف ، ووثائق مصورة ، وغيرها من أنواع ، وان يسجل إلى جانبها كل الاوصاف المعطاة لها في الكتالوغات (الفهارس) التي راجعها مع رقمها فيها ؛ ومن المستحسن أن يسجل اسم المكتبة التي أخذ منها ،ومكانها لتسهيل العمل بالنسبة للمستقبل ، بصفة خاصة .

ثم يفرد **لكل مصدر بطاقة خاصة** (يفضل أن تكون من الكرتون حتى لاتتلف بسرعة) يدون في أعلاها المعلومات المشار اليها سابقا ويستحسن أن يكون لكل نوع من المصادر لون بطاقة خاص ، حتى يكون التمييز بينها سهلا .

دور الارشيف او المحفوظات : Archives :

يقول المؤرخ « روبير هنري بوتيه R. H. Bautier : « يتوقف المؤرخ عن أن يكون اركيولوجيا بالضرورة عندما تكون الحضارة التي يدرسها قد احتفظت « بأرشيفات » سلطاتها العامة ، والاقتصادية والدينية . فعندئذ فقط يمكنه أن يعمل على أرضية صلبة ، وان يكتب التاريخ بطريقة علمية ، مستندا الى الوثائق ، ودون أن يعمل على اعادة تركيبه معتمدا على الظن والاحتمال[1] » .

فالارشيفات (المحفوظات) ، في الواقع هي المصدر المباشر والأساسي ، الذي لاجدال حوله ، والذي على كل باحث تاريخي أن يرجع اليه ؛ لان الوثائق التي يضمها لم تتجمع فيه نتيجة الصدفة ، ولا نتيجة عمل قام به فرد قصدا ، وإنما أتت وتجمعت بشكل آلي وطبيعي ، نتيجة نشاطات الادارة العامة لمؤسسة دينية ، أو مشروع صناعي ، أو تجاري ، أو لاسرة ، أو لفرد خاص . فمجموعات الكتب في المكتبات ، أو الآثار في المتاحف ، أو مجموعات الهواة ، تبقى ذات طابع شخصي الى حد ما ، وتخضع لصدف البيع ، والشراء ، والهبات ، والوصايا . أما الوثائق في الارشيفات فتتوضع كما تتوضع الرسوبات في الطبقات الجيولوجية ، تدريجيا ، وبشكل دائم وثابت .

ولقد احتفظت مختلف الحضارات بارشيفاتها منذ القديم البعيد ، لانها تمثل « توثيق » « المؤسسة الدولة » ، ومنها : « سندات » الاملاك ، وحجج الحقوق أو الادعاءات ، و « نماذج » لقضايا عولجت ، فهي بذلك تسمح لمالكها أن يدافع أو يهاجم . وهي مبدئيا ليست مصدرا أدبيا ، وليست رواية ، وانما هي أمور قانونية ، وذات طابع أصيل ، وصحيح . وهي لم توجد ارضاء لفضول الجمهور ، وانما لتكون إعلاما خاصا لمن جمعها ، يستخدمها هو ، أو من يأتي بعده ، ويحافظ عليها لصالح مالكها . « فوثيقة الارشيفات » لم توجد في الاصل ليكون لها قيمة تاريخية ، الا انها اكتسبت هذه القيمة من مرور الزمن ، وهذا ما يعطيها اهميتها في أعين المؤرخين الحديثين .

---

(1) L'histoire et ses méthodes, p. 1120.

ومن المؤكد انه في جميع الحقب التاريخية رجع المؤرخون لمصادر الارشيفات، ولكن دخولهم للمخازن التي جمعت فيها تلك الوثائق لم يصبح شرعيا إلا في الحقبة المعاصرة ؛ وكان من نتائج الحركة التاريخية في القرن التاسع عشر ، التوسع الكبير في استخدام وثائق الأرشيفات (المحفوظات) حتى غدت مخازنها « مكاتب » لاغنى عنها للبحث التاريخي؛ بل وشرعت تنزع منذ ذلك الوقت لتصبح مستودعا لحفظ مجموع المادة التوثيقية لكل أمة ، ولكل أقليم . ولكن هذه المخازن لم تتنازل ، لهذا السبب نفسه ، عن **وظيفتها الاولى الطبيعية** وهي الادارة . أي انها بقيت مساعدة لاغنى عنها للحياة الادارية . ومن ثم كان من خصائص عمل الأرشيفات انها ادارية من ناحية وتاريخية من ناحية أخرى : فالعامل في الارشيف اليوم يعمل في الناحيتين ، وعليه أن يوفق بينهما .

تاريخ الارشيفات :

كانت جميع الابحاث حتى فترة قريبة ترجع تاريخ الارشيفات الى مرحلة العصور الوسطى ، بعد اشارة سريعة الى الارشيفات اليونانية والرومانية التي ضاعت . الا أنه بفضل الكشوف الاركيولوجية (الاثرية) تغير الامر ، فالحفريات كشفت في الشرق الادنى مجموعة من مخازن المحفوظات الملكية ، والدينية ، والخاصة ، تسمح لنا بمعرفة أكثر عمقا عن حكم الملك « شمشي حدد الأول »[1] ملك « ماري »[2] وآشور ، من معرفتنا لحكم الامبراطور الروماني

---

(١) شمشي حدد الاول (١٨٢٣ ــ ١٧٩١ ق.م) : ملك آشوري ، خلّص بلاد آشور من التبعية للحكم البابلي ، ووسع حدودها حتى مدينة (ماري) ، وكان المؤسس الاول للامبراطورية الآشورية .

(٢) مدينة قديمة ، اكتشفت في « تل الحريري » في سورية على بعد (١٠) عشرة كيلو مترات غرب بلدة البوكمال ، وعلى بعد ٥ر١ كم غربي الفرات الاوسط ، قرب الحدود العراقية . وكان كشفها في عام ١٩٣٣ . وكانت مركز مملكة قوية من الالف الثالث ق.م وحتى القرن الثامن عشر ق.م . وقام بالحفريات في هذه المدينة ، البعثة الاثرية الفرنسية برئاسة « اندره پارو A. Parrot » . وقد وجد في المنطقة ←

«قسطنطين »[1] ، أو غيره من حكام تتوافر لدينا عنهم المصادر الكافية .

ان جميع الملكيات التي قامت ، ومدت سيادتها على مختلف أجزاء آسيا الغربية ، كان لها ارشيفاتها المنظمة ، التي حفظت فيها المراسلات الدبلوماسية ، والمعاهدات بينها وبين الدول الاخرى ، والتقارير الادارية لمندوبي الملك في المقاطعات ، والرسائل الواردة من الملك واسرته ، والعقود ، ووثائق الديون ، وحسابات الواردات والنفقات ؛ وهذه كتبت في معظم الاحوال على لوحات من الفخار : ففي (أوغاريت) « رأس شمرة »[2] ، شمالي غربي سورية ، وعلى الساحل ، توصل السيد « شيفر »[3] الى « الأرشيفات الملكية » في المدينة ، وقدم لـ « مجمع

مخلفات اثرية من اواخر الالف الرابع ق.م ، وحتى العهد الساساني في القرن الثالث ق.م . ومن الموجودات الاثرية التي كشفت عنها الحفريات « قصر » ملوك ماري ، الذي هدمه الملك البابلي « حمورابي » (١٧٩٢ ــ ١٧٥٠ ق.م) ، وكان يضم (٣٠٠) غرفة ، هذا بالاضافة الى تماثيل ومخلفات متنوعة اخرى . ووجد في قاعات المحفوظات (٢٠.٠٠٠) عشرون الف رقيم ، كتبت بالخط المسماري .

(١) قسطنطين الأول او الأكبر . امبراطور روماني (٢١٢ ــ ٣٣٧) م ، كان أول امبراطور اعتنق الديانة المسيحية . وقد اعاد وحدة الامبراطورية الرومانية بعد انقسامها ، وبنى مدينة « القسطنطينية » محل « بيزنطة » وجعلها عاصمته .

(٢) مدينة اثرية قديمة ، الى الشمال من اللاذقية في سورية ، وعلى بعد ١٠ كم منها . وقد كشفها العالم الاثري الفرنسي « كلود شيفر » عام ١٩٢٩ . ووجدت فيها مخلفات اثرية منتالية من العصر الحجري الحديث وحتى خراب المدينة قبل ١٢٠٠ق.م وقد عرفت هذه المدينة الفنيقية أوج ازدهارها في القرن الرابع عشر ق.م . وعثر فيها على قصر ، ومعابد ، وتماثيل من المعادن . كما اكتشفت مجموعة من اللوحات بالخط المسماري ، وبلغات مختلفة . واهمها لوحة «بالأبجدية الاوغاريتية » التي تتمثل بثلاثين حرفا .

انظر حولها : Gabriel Saadé, Ras-Shamra, Beyrouth 1954.

(٣) Cl. Schaeffer كلود شيفر : عالم آثار فرنسي لايزال حيا . (ولد عام ١٨٩٨م) . قام بحفريات عديدة في اوربا وآسيا . وكرّس معظم جهوده « لراس شمرة » (اوغاريت) التي كشفها مع بعثته عام ١٩٢٩ . عمل استاذا في كلية فرنسا (١٩٥٤) . له عدة مؤلفات ، منها « النصوص المسمارية لراس شمرة ــ أوغاريت » و « أوغاريتيكا » وهي من عدة مجلدات ، ونشرها بين ١٩٣٩ ــ ١٩٦٦ .

النقوش الكتابية والآداب « Académie des Inscriptions et Belles - Lettres »[1] في باريس ، مخططه : فقد كان في القصر الأوغاريتي ثلاثة مخازن للارشيفات ، الدبلوماسية ، والمالية ، والادارية .

وقد اكتشف في (ماري) أكثر من عشرين ألفا من الرقم الفخارية (اللوحات)، مكتوبة بالخط المسماري ، وذلك خلال الحفريات في « القصر الملكي » فيها ، وشرع بنشر منظم للمراسلات الدبلوماسية للملوك المعاصرين لـ « حمورابي »[2].

ويشبه هذا الغنى الارشيفي في (ماري) ، ما كشفت عنه حفريات (تل مرديخ) (ايبلا Ebla)[3] : فقد حوت مكتبة القصر أكثر من (١٥٫٠٠٠) خمسة عشر ألف لوحة ، من الفخار المشوي ، دوّن عليها بالخط المسماري ، وبلغة سامية غربية قديمة ، نصوص تتعلق بالتجارة في النصف الثاني من الألف الثالث ق.م ، وسجلات مالية ، وأوامر ملكية تشرح سلوك الحكومة وتصرفاتها ، وتقارير من موظفي الملك ووجهاء البلاط عن أحوال الدولة . هذا بالاضافة إلى نصوص تصف الحياة

---

(١) أسس عام ١٦٦٣ في فرنسا ، بفضل الوزير الفرنسي « كولبير » ، واسمي آنذاك « الاكاديمية الصغيرة » . وكان هدفه جمع النقوش الكتابية على المباني التي شيدها لويس الرابع عشر ، وفي الوقت ذاته المداليات المسكوكة على شرفه . وثبت مؤسسة قائمة بذاتها عام ١٧٠١ . واخذ يصدر نشرات في التاريخ ، والآثار ، والألسن الغي عام ١٧٦٣ ، وعاد في مطلع القرن التاسع عشر على شكل جمعية للأدب والتاريخ. ثم اتخذ اسمه ثانية ، واخذ يعمل على اخراج « مجموعات » النصوص الكتابية المختلفة .

(٢) الملك البابلي الشهير (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق.م) (التقديرات الجديدة اقرب من ذلك اي انه حكم (١٧٣٠ ـ ١٦٨٥) . وهو سادس ملوك الأسرة البابلية الأولى ، ذات الأصل العموري . وقد فتح كل بلاد ما بين النهرين ، وأوجد تنظيما إداريا ممتازاً ، وسن مجموعة من القوانين لاتضاهى ، عرفت بـ « شريعة حمورابي » .

(٣) مدينة أثرية هامة ، تقع على بعد ٦٠ كم جنوب حلب ، في سورية ، كانت لها اهميتها في الالف الثالث ق.م . وقد اشتهرت في عهد « سارغون الأكادي » ، إلا انها اجتيحت من قبل « نارام سين » . وقد كشفتها البعثة الاثرية الايطالية بقيادة « باولوماتيه » بين ١٩٦٤ ـ ١٩٧٣ . وقد ثبت انها كانت عاصمة لدولة قوية ، مدت نفوذها على كل شمالي سورية في القرن الثامن عشر ق.م ، وقد وجدت فيها بقايا « العصر الملكي » الذي يدل على فن معماري راق .

التعليمية ، ولوحات سطر عليها قوائم بمفردات لغوية شبيهة بالمعاجم الموسوعية المعروفة في عصرنا ،وأساطير دينية وغيرها .

ومثل تلك الارشيفات الغنية أيضا، « المحفوظات الوثائقية الملكية في المدن السومرية والأكادية » جنوبي بلاد ما بين النهرين (العراق) ، كأرشيف مدينة (أور)[1] ، و (لارسا)[2] ، و (لاغاش)[3] .

وبالاضافة الى « الأرشيفات الملكية » : هناك « أرشيفات المعابد » . وهي على الأغلب ، ذات طابع مالي ، واقتصادي ، وديني ، حتى إنها في « نيبور Nippur »[4] توضح وجود أقدم المصارف (البنوك) في العالم ، وكان يديره (المواشو Murasu) ، وهم رجال أعمال بابليون من القرن الخامس ق.م .وتقدر الألواح السومرية ـ البابلية التي وجدت حتى الآن بـ (٣٠٠،٠٠٠) ثلاثمائة ألف لوحة[5] .

ويجب ألا نغفل كذلك « الأرشيفات الحيثية » التي وجدت في قصر

---

(١) مدينة قديمة في جنوبي بلاد الرافدين ، وتدعى (تل المقير) . كانت عاصمة السومريين ، وترجع اول أسرة حاكمة فيها الى الالف الثالث ق.م .

(٢) مدينة قديمة جنوبي بلاد الرافدين ، وشمالي أور ، وتبعد عن الفرات شمالا بشرق عشرين كيلو مترا . وهي « سنكر » اليوم . وقد نافست « أور » اثناء حكم الأسرة الثالثة وحلت محلها ، بفضل اسرتها السمورية الحاكمة .

(٣) مدينة قديمة ، جنوبي بلاد الرافدين ، وتسمى أيضا (تللو) . وتقع الى الشمال الشرقي من « لارسا » بين دجلة والفرات . وقد عثر فيها على (٥٠،٠٠٠) لوحة ، تبحث في الاقتصاد والدين والاحداث التاريخية .

(٤) مدينة قديمة هي الأخرى في جنوبي بلاد الرافدين ، وهي (نفر) اليوم . ويبدو انها « عاصمة دينية » ، وهي موطن (انليل) كبير الآلهة ، وفيها معبده . وتقع على بعد ٧٠ كم جنوبي شرقي بابل .

(٥) انظر وديع بشور : سومر واكاد . دمشق ١٩٨١ . ص ٣١ .

« بوغازكوي »[1] أو ما كان أقرب إلينا زمنا وهي «أرشيفات المملكة البارتية »[2]، التي اكتشفت في (نيسا)[3] ، وترجع الى القرن الثاني ق.م .

ومن وثائق الارشيفات أيضا آلاف البرديات اليونانية ، والرومانية ، والبيزنطية ، التي اكتشفتها حفريات مصر ، وترجع الى الارشيفات البلدية ، والدينية ، والخاصة ، وحفظها المناخ الجاف في مصر ، وقد قدمت للدراسات الكلاسكية القديمة معلومات اساسية لتنوعها .

أما أقاليم العالم الاخرى، فانها لم تستخدم مع الاسف لوحات، أو رقما مقاومة للظروف الطبيعية كمقاومة الفخار المشوي ، كما انها لم تتمتع بمناخ مصر الجاف ، الا انها حيثما وجدت فانها قدمت للتاريخ خدمات كبرى . ولا أدل على ذلك من الحفريات التي أجريت في روسيا (نوفغورود) وكشفت عددا كبيرا من الوثائق المكتوبة على شجر السندر Bouleau ؛ وما وجد على الحدود الجزائرية ـ التونسية من لوحات فاندالية ترجع الى نهاية القرن الخامس الميلادي؛ ومايبحث عنه بانتظام في الهند من مخطوطات دونت على سعف النخيل . وأخيرا ارشيفات « الجنيزة » على الورق ، التي كشفت في القاهرة ، والتي كانت مدفونة قرب كنيس يهودي ، وتعطي أهم المعلومات عن الحياة الاقتصادية في العالم الاسلامي من بلاد المغرب الى شبه الجزيرة العربية وزانزيبار أثناء الحكم الفاطمي .

---

(١) هي « هاتوشا » عاصمة الحيثيين (وهم شعب هندو ـ أوربي سكن آسيا الصغرى ، وشكل امبراطورية في القرن السابع عشر ق.م) . وتقع وسط تركيا الحالية ، على بعد ١٥٠ كم شمالي انقرة . وترجع آثارها الى القرنين الرابع عشر ، والثالث عشر ق.م .

(٢) المملكة البارتية (٢٤٧ ق.م ـ ٢٢٧ م) : انشأها الملك البارتي (ارساس الاول) ٢ في الشمال الشرقي من ايران ، ولم تلبث ان امتدت على كل ايران وهي دولة ارتبطت بتقاليد الدولة الفارسية الاخمينية السابقة لها . وقضت عليها الدولة الفارسية الساسانية على يد « اردشير » .

(٣) مدينة قديمة في الشمال من خراسان ، وشرقي بحر قزوين . كانت مركزا من مراكز الدولة البارتية .

وقد كانت المدن اليونانية كذلك تملك ارشيفاتها هي الاخرى ، المماثلة لارشيفات الممالك الشرقية ؛ ولا بد ان كلمة « ارشيف » ترجع في الاصل الى كلمة (الارخيون) اليونانية ، ولكن لم يصلنا شيء منها . والشيء ذاتـه يقال عن « التابولاريوم Tabularium » أيام الحكم الجمهوري والامبراطوري في روما . واذا ما تركت جانبا النقوش الابيغرافية في الكابيتول ، والفوروم ، فانـه يمكن القول ان التاريـخ لا يملك عن العصر القديم الكلاسيكي الا ارشيفات حديثة نسبيا ، كتبت وثائقها على البردي ، ووجدت في الرمال المصرية ، أو بعض الوثائق الخاصة التي كشفت في « هركولانوم » و « بومبي » .

الا انه وصل الى البحاثة عدد محدود من ارشيفات العصور الوسطى الاولى. ويلاحظ أنه منذ سقوط الامبراطورية الرومانية ضعف دور القانون المكتوب وازداد الاعتماد على الناحية الشفوية ، وذلك للضعف العام في المستوى الثقـافي للشعب الذي لم يعد يستخدم الكتابة ولا يجيد القراءة . كما ان الملكيات كانت بصورة عامة متنقلة ، ولذا فلم يحتفظ بكثير من وثائقها ، سوى بعض سندات الهبات ، والامتيازات الملكيـة .

الا انه منذ القرن الثاني عشر وحتى القرن السادس عشر انتشرت في أوربـا « **مخازن الوثائق او الصكوك** » . فكل ملك ، واقطاعي كبير ، ديني أو زمني ، نظم ارشيفاته ، في مكان خـاص ، ذي ارتباط مباشر مع مستشاريته وغالبـا مع كنيسته ، وحفظ فيها وثائقه المكتوبة على الرق ، وهي تضم بصفة خاصة سندات تمليكه وحقوقه ، وعقود الزواج والوصايا ، والاتفاقيات ، والهبات التي أتتـه وحساباته ، وبعبارة موجزة ، كل ما يمكن الرجوع إليه للاعلام ، والحجة . وكان لا يحتفظ ولا يصنف الا المهم ، أما الباقي فيتلفه . وقد اتبع هذه الخطة البابوات، ومدن ايطاليا ودويلاتها ، والمدن التجاريـة الشمالية في أوربا . وهكـذا نمت المحفوظات في أوربا ، وتزايد هذا النمو مع قوة السلطة الملكية ، وتنظيم الدولة ، وتضاعف الشؤون الادارية في المراكز والعاصمة . وأخذ « مخزن الوثائق » يلعب دورا هاما في إدارة الدولة .

والى منتصف القرن السادس عشر يرجع في الواقع تأسيس « **ارشيفات الدولة** » . وقد ابتدأت بذلك النمسا ، ونابولي ، حيث عملتا على تجميع وثائق الدولة في مركز واحد ، بدلا من تبعثرها . الا ان أكبر عمل في هذا المضمار كان ذاك الذي حققه الملك « فيليب الثاني » ملك اسبانيا ، حين جمع منذ عام ١٥٦٧ ، في القصر الملكي في (سيمانكاس Simancas) قرب « ولد الوليد » (شمالي اسبانيا) ، خزانة وثائق فشتالة ، والوثائق المتراكمة في مختلف المجالس الملكية ، وفي البلاطات ، والادارات المالية ، والمقاطعات . ووضع لهذا المخزن أول تنظيم حديث للارشيفات . واتبع ملوك أوربا وامراؤها خطوات « فيليب الثاني » .

وشرعت الارشيفات الاوربية تصنف وثائقها بحسب الزمن ، أو بحسب نوعيتها (قرارات ــ مناقشات ــ مراسلات) . وأوجدت سجلات خاصة بتلك الانواع ، ولا سيما بعد ان رأت أهميتها السياسية ، وإمكان استخدام الملوك لوثائقها أداة في صراعاتهم . وتنالت الدراسات حول الارشيفات وطرائق تنظيمها ، ودعمت تلك الدراسات ببحوث في نقد الوثائق ، منذ ان وضع « مابيون » مؤلفه المشار اليه سابقا .

وفي القرن الثامن عشر جرت مركزة أشد للمادة الارشيفية ، في مخازن كبرى تابعة للدولة ، وطلب من الدوائر ان تصب فيها ، في كل فترة زمنية محددة ، مالديها من وثائق ، كما الزم الدبلوماسيون على أن يسلموا أوراقهم إلى هذه الأرشيفات عند انتهاء خدمتهم .

واذا كانت مركزة وثائق الدولة قد تأكدت في القرن الثامن عشر في كثير من بلدان أوربا ، فان « الثورة الفرنسية » هي التي أوجدت في فرنسا « الارشيفات الوطنية » ، وجمعت فيها مجموع ارشيفات المجالس ، والدوائر الحكومية خلال مرحلة « النظام القديم » ــ أي مرحلة ما قبل الثورة الفرنسية ــ ، وكذلك ارشيفات كنائس باريس ، وارشيفات الابرشيات ، وارشيفات النبلاء المهاجرين ، أو الذين حكم عليهم بالاعدام . وفي الوقت نفسه أعلنت « الثورة الفرنسية » مبدأ ثوريا ينص على أن الارشيفات ــ وهي ملك للامة ــ يجب أن توضع تحت تصرف

المواطنين . وهذا يعني ان مبدأ نشر ما ورد في أرشيفات الدولة ، حل محل مبدأ السرية السائد سابقا . الا ان الارشيفات الاوربية لم تفتح في الواقع أبوابها للمؤرخين الا بعد قرن تقريبا ، أي حتى أواخر القرن التاسع عشر .

وشرع العاملون في تلك الارشيفات ينشرون عديدا من الوثائق ، ويصدرون الفهارس المنظمة لها . وقد نشرت فرنسا فهارسها هذه منذ عهد الامبراطورية الثانية ، وقد بلغ عددها اليوم أكثر من (٢٠٠٠) مجلد مطبوع . وكذلك فعلت انكلترا ، اذ أن ارشيفها المسمى « Public Record Office » في لندن وضع تحت تصرف المؤرخين مئات من مجلدات التقاويم « Calendars » التي طبعت ضمن المجموعة المسماة Master of the Rolls .

وقد اضطرت الدول المختلفة ، تحت ضغط كتلة أوراق ادارتها ، نتيجة تزايد فعاليات الدولة بصفة عامة ، ولا سيما بعد الأزمة الاقتصادية العالمية ، عام ١٩٢٩ ، وأثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها ، وتضاعف خدماتها ، لايجاد تنظيم آخر لمحفوظاتها من الوثائق . كما سعت الدول التي لم تنظمها بعد ، إلى إيجاد هيئة مركزية لها ، تشرف على كل دورها ، وأماكنها في جميع أنحاء البلاد . وكان من الدول الحديثة التي انشأت دارا مركزية لمحفوظاتها الوطنية ، الولايات المتحدة الأمريكية ، وذلك في عام ١٩٣٤ .

ن التطورات الجديدة في ميدان الارشيفات ، الاهتمام العالمي بها . فقد انشيء : « المجلس العالمي للارشيفات » تحت اشراف اليونسكو ، وهو يقوم بعقد مؤتمرات عالمية كل ثلاث أو اربع سنوات ، وندوات عالمية في كل عام (منذ ١٩٥٤)، تجمع المسؤولين عن سياسة الارشيفات في مختلف البلدان . كما نظم تدريب فني عالمي اتخذ مركزه بالقرب من « الارشيفات الوطنية » في باريس ، لتكوين العاملين في الارشيف في مختلف البلدان ، ولتبادل الخبرات بينهم . وهناك مجلة عالمية تحت اسم « Archivum الارشيف » تبث الاعلام البيليوغرافي الارشيفي، ونتائج تجارب مختلف البلدان في ميدان التوثيق .

ويمكن القول أخيرا ان ما يميز الارشيفات اليوم هو (أولا) توسع مفهومها اذ أخذت تضم إلى جانب ارشيفات المؤسسات الحكومية المختلفة ، الارشيفات الخاصة التابعة لمختلف المنظمات والافراد . و (ثانيا) تزايد خدماتها ولا سيما بالنسبة للمؤرخين : فقد عملت على نشر فهارس مفصلة بما لديها ، أو أدلة عامة ، أو أدلة بحث (كما فعلت فرنسا) هدفها توجيه الباحث عبر مجموعات الوثائق العديدة القانونية ، أو الاقتصادية ، أو الادبية ... الخ .

وبالاضافة الى ذلك قامت ارشيفات بعض الدول بخدمة خاصة هدفها اعداد طبعات من النصوص والمصادر التاريخية . فقد نشر الاتحاد السوفييتي بين (١٩٥٦ ــ ١٩٦٠) (٤٠٠) مجلد من النصوص الوثائقية . وفي الولايات المتحدة صورت أهم الوثائق (ميكروفيلم) ، وبامكان المكتبات والجامعات والافراد الخاصين ، الحصول عليها بتكاليف قليلة . وعملت بعض دور الارشيف على تصوير الوثائق في أرشيفات أخرى ، وضمها اليها لتسهيل عمل الباحث . كأن يسعى مثلا لتصوير الوثائق التي تخص التاريخ العربي ، والمبعثرة في مختلف دور المحفوظات العالمية ، وتضم إلى دور المحفوظات في البلاد العربية .

ولما كان جميع المؤرخين ، والباحثين ، مضطرين لزيارة دور الأرشيف ، ومخازنها ، فان ادارة المحفوظات الوطنية (الارشيف) ، في فرنسا ، أوجدت نشرة « اعلام عن البحث التاريخي في فرنسا » . وفيها توضح ضمن نظام معين ، ومنذ ١٩٥١ ، جميع الاعمال التاريخية التي تجري في كل عام ، أو في كل فصل، في مختلف ارشيفات فرنسا . ومن فوائد هذه النشرة ايجاد تنظيم في البحث التاريخي ، ومنع الازدواج في الموضوعات المبحوثة . وقد قلّد فرنسا في هذا الباب ، كل من بولونيا، ورومانيا ، واسبانيا .

وهناك طموح جديد للعاملين في الارشيفات ، وهو بث روح البحث التاريخي، وتذوق التاريخ ، و (تقدير قيمة) الوثائق في الاوساط الطلابية . ولذا نظمت ، وتنظم ، « معارض » في مناسبات معينة لتلك الوثائق في دور الارشيف ، ليطلع عليها جمهور الطلبة . بل إنه في بولونيا ، ويوغسلافيا ، نظمت « الاسابيع القومية

للارشيفات » وأصدرت افلام وثائقية ، واستخدمت كل وسائل الاعلام من صحافة، واذاعة ، وتلفزيون ، لنشر الوعي الوثائقي .

الا ان الاهتمام الاكبر كان موجها للطلبة ، فقد انشئت مؤسسة « الخدمات التربوية » في دار الارشيف الوطني في فرنسا ، وأسلمت لمدرسين . وهدفها **ايضاح درس التاريخ بالوثائق** ، وجعل تعليم التاريخ حيا ، وأشبه مايكون بدرس «المخبر» في العلوم الطبيعية .

فالارشيفات في الوقت الحاضر تهدف اذاً إلى احتواء الكتل المتزايدة من وثائق تاريخ البلاد ، اكانت عامة أو خاصة ، ادارية ، واقتصادية ، أو أدبية ، أو كانت مخطوطات ، أو مطبوعات، أو نسخا مصورة، أو صورا ، أو أصواتا مسجلة. بل أرسلت بعثات الى الخارج لتأتي لها بصور الوثائق الخاصة بتاريخها ، مثلما فعلت انكلترا ، وسويسرا ، والولايات المتحدة ، وغيرها .

دور المحفوظات (الارشيف) في التاريخ العربي :

لقد كان للدولة العربية الاسلامية منذ نشأتها في عهد الرسول (ص) وثائقها . وأهمها الرسائل التي بعث بها الرسول الكريم الى مختلف الملوك والحكام يدعوهم بها الى الاسلام ، وكذلك الاتفاقات التي عقدها مع بعض المدن شمالي شبه الجزيرة العربية . وازدادت هذه الوثائق بالطبع مع توسع الدولة وظهور الدواوين وتفرعها. وتذكر الاخبار أنه كان لبني أمية (دار للقراطيس) هي أشبه بما نسميه اليوم (الارشيف) تحفظ فيها السجلات الهامة . وفي العصر العباسي توسعت الدواوين، وتمرس كتابها ، وحفظت وثائقها وصنفت ورتبت . ومثلما كان للخلافة العباسية دواوينها المركزية في العاصمة ، فانه كان للاقاليم دواوينها . وعندما نشأت الدول الانفصالية أو المستقلة فانها اتبعت في تنظيماتها الادارية النمط السالف مع اضافات جديدة أحيانا . ومن ثم يمكن القول ان الدول العربية الاسلامية كان لها ارشيفاتها الادارية الضخمة . ولكن مع الاسف لم يصلنا من وثائق هذه الارشيفات الا النادر القليل ، اذ يبدو ان عاديات الزمن الطبيعية ، والحوادث السياسية الكثيرة من ثورات ، وفتن ، واكتساحات حربية ، قد اتلفت معظمها ، فضاعت على التاريخ ، الا

ما كان بعض المؤرخين قد سجلوه في كتبهم منها . وأهم ما وجد منها صدفة (أوراق البردي) في مصر وفلسطين التي تتحدث عن الضرائب بخاصة منذ الفتح الاسلامي حتى العهد الفاطمي . وقد يكون بعضها موجودا في مكان ما ولكن لم ينقب عنه تنقيبا علميا . ومن الوثائق الخاصة التي عثر عليها كذلك صدفة وثائق « الجنيزة » التي أشرنا اليها سابقا ، والتي تعطي معلومات قيمة عن أوضاع العالم الاسلامي ايام الحكم الفاطمي . واذا كانت ارشيفات الخلافة الراشدة ، والاموية ، والعباسية في العراق ، قد افتقدت لسبب أو لآخر — وان كان من الضروري التخطيط لتنقيب دقيق عنها — فان وثائق العصر الحديث والحقبة المعاصرة في العالم العربي، لابد من ملاحقتها أو متابعتها ، والنبش عنها ، والحفاظ على الموجود منها . ولما كانت الدول العربية قد نالت استقلالها حديثا ، فان عملها في هذا الميدان لايزال في مطالعه . وقد عملت كل دولة عربية على تأسيس دار خاصة للارشيف (مديرية وثائق) ، شرعت تجمع فيها كل ماتحصل عليه من وثائق عامة وخاصة، تخص تاريخها بالدرجة الاولى. فهناك (دار المحفوظات) المصرية في القاهرة ، و (مديرية الوثائق) في دمشق ، ومثلها في الأردن ، وفي العراق ، والجزائر ، وتونس ، والمغرب ، وليبيا وغيرها من الاقطار ؛ وأهم ما تحويه مديرية الوثائق في دمشق « وثائق المحكمة الشرعية » في حماة ، ودمشق ، وحلب ، ووثائق « المحاكم النظامية » و « المختلطة » . واذا كان التاريخ العربي بكثير من حقبه يفتقد وثائق الارشيفات الحكومية فان هناك بعض الوثائق التي تثير جنبات منه ، في بعض دور الارشيف الاجنبية ولا سيما التاريخ الحديث والمعاصر منه . فلا بد من البحث عن هذه الوثائق وتصويرها وضمها الى الارشيفات العربية المحلية . ومن هذه الارشيفات الاجنبية التي تحوي وثائق تخص التاريخ العربي بالذات :

١ — ارشيف « سيمانكاس » في اسبانيا ، ودور المحفوظات الاسبانية الأخرى، في مدريد والمدن الأخرى، لما تكشفه وثائقها من تاريخ بلاد المغرب العربي، ولا سيما في القرن السادس عشر ، ومن تاريخ العرب المنصّرين (الموريسك) عبر وثائق دواوين التحقيق (محاكم التفتيش) .

٢ — ارشيفات المدن الايطالية كالبندقية ، وبيزه ، وجنوه وفلورنسه ،

ونابولي ، وباليرمو . وهي غنية جدا لصلتها التجارية السابقة مع العالم العربي الاسلامي ، ولا سيما ارشيف البندقية . وأهم وثائق هذه الارشيفات الهامة ، المراسلات المتبادلة بين قناصلها على الارض العربية وحكوماتها ، والتقارير التي كان هؤلاء القناصل يقدمونها عن أوضاع البلاد . وقد طبعت بعض هذه التقارير البندقية المقدمة في القرن السادس عشر ونشرت . كما يجب ألا ينسى أرشيف وزارة الخارجية الايطالية في روما ، لما يتضمنه من وثائق عن تاريخ العرب المعاصر ، وبصفة خاصة عن تاريخ ليبيا ، والاحتلال الايطالي لها .

٣ ـ ارشيفات فرنسا . ومنها « الارشيف الوطني » و « أرشيف المكتبة الوطنية » و « أرشيف وزارة الخارجية » . وهي الاخرى تضم مراسلات القناصل الفرنسيين في بلاد الشام ، ومصر ، مع حكومتهم في العاصمة ، وكثيرا من الوثائق التجارية ، والاتفاقات المعقودة بين الدولة العثمانية وفرنسا ، وكذلك مراسلات سفراء فرنسا في القسطنطينية . هذا بالاضافة الى وثائق المرحلة المعاصرة الكثيرة ، التي تشمل مرحلة الاستعمار الفرنسي لجزء كبير من البلاد العربية في المغرب ، والمشرق .

٤ ـ ارشيف فينا . ويحوي كذلك كثيرا من الوثائق الهامة ، للعلاقات التي كانت قائمة بين الدولة العثمانية والنمسا . وفيها إشارات كثيرة إلى احداث في البلاد العربية .

٥ ـ الأرشيف الانكليزي . ومن أهم وثائقه ، الموجود منها في « المتحف البريطاني » والذي يخص شركة « الليفانت » الانكليزية التي اتخذت من حلب مركزا لنشاطها التجاري منذ آخر القرن السادس عشر ، ووثائق الحقبة المعاصرة ، المديدة ، التي لها صلة بتاريخ الاستعمار البريطاني للبلاد العربية وتطوره .

٦ ـ دور المخطوطات التركية في طوب قابي سراي وغيرها : وهي غنية جدا بشتى الوثائق الادارية والمالية ، التي تخص البلاد العربية . والدولة التركية في طريق تنظيمها تنظيما يسهل عمل الباحث . وهي تكشف الكثير من أوضاع البلاد العربية لانها وثائق الدولة الحاكمة نفسها ، وبذلك فهي مصدر لايمكن للباحث في

تاريخ العرب الحديث والمعاصر الاستغناء عنه ، بل هي تأتي في مليعة دور المحفوظات التي تجب مراجعتها •

٧ ـ ارشيفات القنصليات الاوربيـة في مختلف « الاسكالات » في البلاد العربية التي خضعت للحكم العثماني مثل الاسكندرية ، القاهرة ، بيروت ، حلب ، صيدا وغيرها • هذا مع العلم أن بعضها قد أصاب وثائقه التلف اما بسبب الحريق أو النهب •

وبعد أن يقوم الباحث التاريخي بالاطلاع على الفهارس والادلة التي أصدرتها مثل هذه الارشيفات ، فانه يعمل على زيارة تلك التي يرى ان وثائقها تستجيب لموضوعه • وإذا ما تعسرت عليه هذه الزيارة لظروف مادية أو غيرها ، فانه يعمل على مكاتبة القائمين عليها ، ويطلب منهم ايضاحات حول ما يريده ، وتصوير مايلزمه على ميكروفيلم ، أو على نسخ مصورة (فوتوكوبي) •

وعند قيام الباحث بهذه الاتصالات والزيارات ، فانه يعمل كما عمل عنـد مراجعة المكتبات ، على اعداد بطاقات لتلك الوثائق التي حصل عليها ، مع إفراد بطاقة لكل وثيقة ، يبين فيها الارشيف الذي أخـذها منه ، والمجموعة التي تنتمي اليها ، ورقمها الذي أعطاه لها الارشيف • وأحيانا عليه أن يقوم بنقل مضمون هذه الوثائق بيده ، دون اللجوء إلى التصوير ليعيش روح الوثيقة •

ولا بد من الاشارة في هذا المجال الى ان بعض « مخازن الوثائق » لم تفهرس بعد ، ولم يصنف محتواها ، حتى ان أحدا لا يستطيع أن يتعرف محتواها • كما ان بعض الارشيفات لايزال يسير بحسب انماط التصنيف القديم ، أو ان فهارسها ناقصة ، أو غير منشورة • وفي هذه الحالة لابد للباحث التاريخي من مراجعة دور الارشيف بنفسه ، والرجوع الى الوثائق ذاتها مباشرة التي لاتصنيف لها ولا سجل• وان عدم كمال التوثيق مدعاة في الواقع لتشبيط همم كثير من البحاثة ، الا ان العمل يرتقي يوما بعد يوم ، وقد يأتي اليوم الذي يستطيع فيه المؤرخ أن يحصل على معظم مصادر بحثه وهو وراء مكتبه •

المتـاحف :

اذا كانت الوثائق المكتوبة ، أو المصورة ، أو المنطوقة ، قد حفظت في دور الارشيف ، فان المخلفات الاثرية المتنوعة حفظت في المتحف . وهناك في الواقع ثلاث مجموعات من المتاحف : متاحف الفن ، ومتاحف التاريخ ، ومتاحف العلم . والى المجموعات الثلاث على الباحث التاريخي أن يتوجه ، ليحصل على الشواهد الاصيلة على نشاط الانسان ، في كل حقبة تاريخية وفي جميع المجالات ، بالاضافة الى تلك الآثار التي بقيت في مكانها . هذا مع العلم ان عددا من المخلفات الاثرية قد يكون ملكا خاصا لبعض الاسر أو الافراد ، وفي هذه الحالة عليه أن يزور أصحاب تلك المخلفات ليطلع عليها وليستفيد منها .

وقد تزايدت المتاحف تزايدا كبيرا مع تطور المعرفة ، ونمو الوعي الثقافي ، كما أنها غدت أكثر اختصاصا ، وبذلك أصبحت مهمة الباحث التاريخي أصعب وأكثر تعقيـدا .

واذا لم تساعد الظروف هذا الباحث على زيارة تلك المتاحف ، فان عليه أن يستفيد من الادلة التي تصدرها ، ومن فهارس محتوياتها التي تنشرها ، والتي قد تتضمن صورا لتلك المقتنيات .

ومن المهم جدا أن تقوم المتاحف بوضع بحوثها تحت تصرف الباحثين ، وان تتعاون معهم في بحوثهم عن مقتنياتها ، وان تنشر ما يتم في هذا الشأن .

وقد انتشرت العناية بالمتاحف في الحقبة المعاصرة الى أرجاء الوطن العربي ، لدورها العلمي ، والفني ، والتربوي ، فأنشأت هـذه الاقطار متاحف متنوعة ، ونظمتها بحسب الطرائق الحديثة . ويعتبر « المتحف الوطني » في دمشق من أفضل المتاحف العالمية تنظيما ، ومن أغناها بالمخلفات الاثرية .

وأثناء زيارة الباحث التاريخي للمتاحف أو دراسة فهارسها المفصلة ، وتعرفه ما يهمه منها ، فانه يعدّ كما أعد في مصادر المكتبات والارشيفات ، بطاقات خاصة بكل أثر يفيده في بحثه مع ذكر اسم المتحف ، والمدينة التي يوجد فيها ، والمجموعة التي تحتويه ، والرقم المعطى له ، مع صورة فوتغرافية له ، واوصافه الاساسية .

ـ الرواية المباشرة او المصدر الحي :

ولا يكتفي الباحث التاريخي عنـد تجميعه مصادر بحثـه بالرجوع لدور الأرشيف ، والمكتبات ، والمتاحف ، وارشيفات المؤسسات المختلفة إذا ما وجدت، للحصول على وثائقها المكتوبة والاركيولوجية ، وانما عليه اذا كان قد اختار مسألة تاريخية معاصرة ان يتصل بالناس الذين عايشوها وشاهدوها أو اشتركوا فيها فعليا، وان يحصل منهم على كل مايعرفونه عنها، بعد أن يكون قد أعد مجموعة من الاسئلة الشاملة الذكية يطرحها عليهم . وقد تكون أجوبتهم شفوية أو مكتوبة .ومن المفضل أن يكون اتصاله بهم مباشرة ليعيش أجواء المسألة معهم . واذا لم يتوافر له ذلك فعليه أن يراسلهم ويحصل منهم على مايريد من حديث ، ووثائق يملكونها مكتوبة أو مصورة ، أو ناطقة أو محسوسة أخرى .

وهنا أيضا يخص الباحث كل (شخص ـ مصدر) ببطاقة خاصة يضع عليها اسم الشخص ، وترجمة دقيقة لسيرة حياته (سنه ، بلده ، البيئة التي نشأ فيها ، ثقافته ، مدى سلامته الجسمية ، والنفسيـة ، والذهنية ، أخلاقه ، صلاتـه ، ميوله السياسية ، فعالياته المختلفة ، مدى علاقته بالموضوع المبحوث ، وصورته). ويسجل على تلك البطاقة أيضا المعلومات الأساسية التي استقاها منه ، ويربط بهـا الوثائق التي حصل عليها منه .

ومن المجد في الوقت الحاضر ، أن يسجل الباحث المعلومات التي يحصل عليها من « المصدر الحي » على **شريط صوتي** ، وفي الوقت ذاته **يدونها كتابة** .

ويجب الا ينسى أن الشخصيات المعاصرة للاحداث والمختارة كمصادر لبحث، يجب أن تخضع لنقد الباحث التاريخي من حيث الصحة الجسمية ، والنفسية ، والعقلية ، ومن حيث الأهواء والميول والعـواطف ، حتى يحكم على مدى ثقـة المعلومات التي تقدمها ، ومدى موضوعيتها .

وفي خاتمة المطاف حول جمع الباحث التاريخي لمصادره المتنوعة ، لابد من التأكيد أن عليه الا يكتفي بأخذ عنوانها ، وأوصافها فقط على بطاقاته ، وانما يسعى للتعرف بمضمونها . وقد يبعد بعض المصادر التي جمعها ، لملاحظته عدم فائدته للبحث ، على ان يشير الى ذلك ، على البطاقة الخاصة به .

وبعد أن يكون قد تجمع لديه مصنف ضخم ، وغني ، فان الباحث يخطو نحو المرحلة الثالثة من البحث وهي « نقد » ما تجمع لديه من مصادر .

* * *

الفصل الخامس

نقد المصادر أو الأصول التاريخية

لا يمكن النظر في الحقيقة الى المصادر التي قمشها الباحث التاريخي على أنها مصادر سليمة ، يمكن أن يستقي منها حقائق يقينية لاغبار عليها ، وتوضح مجريات الحوادث في الماضي.فكل ما وصل الى يد الباحث من وثائق (بمعناها العام الشامل) أي آثار متنوعة، ووثائق مكتوبة ،ومصورة ، وناطقة، **لايمثل الوقائع ذاتها ، وانما المخلفات المادية التي تركتها هذه الوقائع وراءها.** فالمعرفة التاريخية إذاً ، هي معرفة غير مباشرة ، بمعنى أن الباحث التاريخي لا يلاحظ الحادث ذاته وانما أثره . وحاله في هذا كحال الجيولوجي ، الذي لا يرى مثلا حادثة الانهدام الماضية وانما أثرها. ومن هنا كان على المؤرخ أن يستنتج من الوثيقة الموجودة أمامه الواقعة أو الحقيقة التاريخية ، أي عليه أن يقوم بعملية فكرية تراجعية ، نقطة الانطلاق فيها الوثيقة ، ونقطة الهدف الواقعة التاريخية . وبين النقطتين في الواقع سلسلة من الاستدلالات، تكون فيها فرص (الخطأ) عديدة . هذا علما أن هذه الوثائق التي يعمل عليها قد مر عليها زمن ، وجيل أو أجيال من الانسان ، كما تعاورتها الطبيعة بظواهرها واحداثها ، قبل أن تصل اليه . فهي إذاً قد تكون حافظت على الكثير من واقعها الماضي ، إلا أنه قد يكون طرأ عليها أيضا تغيير وتبديل كبيران .

ويطلق على عملية (التحليل) المفصل للاستدلالات التي تقود من ملاحظة الوثائق الى معرفة الوقائع والحقائق ، اسم **« النقد »** .

وعملية التحليل والنقد هذه ، قد تكون في الأبنية ، أو التماثيل ، والنقود ،

والمخلفات المحسوسة الأخرى ، أسهل مما هي عليه في الوثائق الكتابية ، لأن التحاك يكون في الأولى مع المادة البينة الواضحة ، بينما في الثانية مع نفسية الانسان وراءها . ومع أن الانسان قائم وراء المخلفات المحسوسة المختلفة ، إلا أن دوافعه لايجادها ، وانتاجه لها ، وتعبيره فيها ، تكون أكثر وضوحا ، وبيانا ، مما هي عليه في الوثائق الكتابية . لأن هذه الأخيرة تبقى أثراً فكرياً نفسياً ، وتعبيراً رمزياً عن (الحوادث) لا أثراً حسياً ومشخصاً . فصاحب الوثيقة قد مر بعمليات نفسية عديدة معقدة وصعبة حتى أخرجها . ولا بد لمعرفة مدى اصالة الوثيقة وفهمها فهما عميقاً، وادراك الحادثة التاريخية من خلالها ، من المرور بجميع العمليات التي قام بها مؤلف الوثيقة حتى انتجها بالشكل الذي هي عليه .

ولا بد من التأكيد، أن التحليل المشار اليه ضروري في الواقع **لجميع الوثائق ، مهما كان نوعها** . فالمؤرخ « ميشله »[1] الفرنسي مثلا استخدم الصورة التي رسمها الفنان « تيسيان »[2] للملك « فرانسوا الاول » ملك فرنسا ، مصدرا ليهين الملك ويسطره بالسباب قائلا : « بأن تيسيان في رسمه العميق والمضيء جدا، والذي ينير أعمق الاعماق ، قد أظهر أن الكذب في شخصية الملك ليس امرا آنيا ، وانما تعبيرا غريزيا عن شخصية مزيفة تماما » . ولكن لو كان ميشله قد طبق القواعد الأولية في النقد الخارجي عن مصدر الوثيقة ، لوقر على نفسه هذا القول المغلوط ، اذ كان قد اتضح له أن « تيسيان » لم ير أبدا « فرانسوا الاول » ، وانما صنع له تلك الصورة مستندا إلى صورته على الميدالية .

ان نقد مصادر « الخبر » من حيث معرفة صحتها أو زيفها ، والاسباب التي تدعو الى التحريف والتشويه ، والخطأ المتعمد فيها وغير المتعمد ، أمر معروف منذ

---

(١) Julea Michelet : مؤرخ واديب فرنسي (١٧٩٨ ــ ١٨٧٤) ، ومفكر حر . وقد كانت آراؤه الحرة سببا في ايقاف دروسه مرتين في « كلية فرنسا » . استطاع ان يحقق في كتابيه « تاريخ فرنسا » و « تاريخ الثورة » ما كان ينادي به من « الاحياء الكامل للماضي » .

(٢) رسام ايطالي (١٤٧٧ ــ ١٥٧٦) . زعيم مدرسة البندقية في فن الرسم واللون . اشتهر بصور الاشخاص .

القدم. وقد برع العرب المسلمون في ميدانه، عندما نقدوا « الحديث » و «الخبر»، ووضعوا له قواعد صارمة . ولقد اقتبس الاوربيون في العصور الحديثة كثيراً من أصوله ، وارتقوا به من القرن الخامس عشر وحتى الوقت الحاضر . ومع توافر كثير من الأدوات الميسرة له اليوم ، فانه يمكن القول انه احتفظ باطاره الاساسي التقليدي الذي حدده « لانغلوا » و « سنيوبوس » في عمليتين رئيسيتين :

١ ــ **النقد الخارجي** . ٢ ــ **النقد الداخلي او الباطني** .

ويتضمن **النقد الخارجي** بدوره النقاط التالية :

أ ــ اثبات صحة الاصل التاريخي بمجموعه .

ب ــ ترميم الاصل التاريخي أي ارجاعه الى حالته الأولى ، اذا كان قد طرأ عليه تغيير مـا .

جـ ــ تحديد مصدر الوثيقة (زمانها ــ مكانها ــ شخصية مؤلفها) .

اما **النقد الداخلي او الباطني** فان التحليل يسير فيه وفق خطوتين كبيرتين :

١ ــ النقد الباطني **الايجابي** والهدف منه تفسير **الأصل التاريخي**، وإدراك معناه الحقيقي ، ويمر في دورين :

أ ــ تفسير ظاهر النص وتحديد المعنى الحرفي له .

ب ــ إدراك المعنى الحقيقي للنص أي هدف المؤلف مما كتبه .

٢ ــ النقد الباطني **السلبي** وهو تعرف مدى صحة المعلومات ودقتها التي أوردهـا صاحب الأصل ، ومدى اخلاصـه الموضوعي فيهـا . وهـذا يعني **تحليل شخصية المؤلف وظروفه، ومدى صحة ما أورد من حوادث** .

وكل هذا يوضح لنا التعقيد الشديد للتحليل أو بتعبير آخر « **للنقد التاريخي** » الا انه يبين في الوقت ذاته الضرورة المطلقة له ؛ لأن طبيعـة الانسان تجرفه الى

تصديق ما يرد تحت يده وبصره من وثائق ، على الرغم من بواطلها . وبالفعل فقد مضت فترات زمنية كثيرة دون أن يعتمد عليه المؤرخون . ولا بد في الواقع من مجهود كبير للقضاء على ضعف ملكة النقد ، ذلك الضعف الذي هو في الواقع لون من ألوان « الجبن العقلي » . ومن ثم فالنقد ليس عادة طبيعية ، وإنما عادة فكرية يجب تكوينها ولا سيما في الوقت الحاضر ، حيث امكانات تزييف الحقائق وتبديلها، جارية على قدم وساق ، عبر وسائل الاعلام الجماهيرية المختلفة ، والمتنوعة .

١ ـ النقد الخارجي

ا ـ اثبات صحة الوثيقة :

أي اثبات أنها غير منتحلة ، أو مشوهة . وتزييف الوثائق أو الأصول ، وانتحالها كثير عبر التاريخ ، وذلك لتحقيق أهواء ومطامح ، أي للحصول على كسب مادي ، أو معنوي . وقد كان يقوم بمثل هذا التزييف والانتحال الملوك أنفسهم وغلبة القوم ، بأن يحذفوا مثلا أسماء أصحاب تلك الاصول ويضعوا أسماءهم . مثلما فعل الخليفة المأمون العباسي (١٩٨ هـ ـ ٢١٨ هـ/٨١٣ ـ ٨٣٣م) عندما حذف اسم الخليفة الأموي « عبد الملك بن مروان » من « مسجد الصخرة » في بيت المقدس ووضع اسمه ، إلا أن التزييف لم يكن متقنا ، إذ بقي التاريخ موجودا وهو عام (٧٢ هـ) فكشف ذلك الانتحال . والشيء نفسه قام به قديما فرعون مصر « تحوتمس الثالث »[1] عندما محا اسم عمته « حتشبسوت »[2] من

---

(١) فرعون مصر . من الأسرة الثامنة عشر . حكم بين ١٤٨٣ ـ ١٤٥٠ ق.م ، وكانت عمته « حتشبسوت » التي هي في الوقت ذاته زوجة ابيه ، وصية عليه في طفولته . وقد دعم القوة العسكرية لمصر . وفرض سيادته على بلاد الشام ، بعد عدة حملات . وفي عهده عاشت مصر في رخاء . كما انه هيمن ايضا على بلاد النوبة ، جنوبي مصر . وخلف عدة مبان .

(٢) ابنة « تحوتمس الأول » وزوج « تحوتمس الثاني » اخيها من أبيها . اعلنت وصايتها على ابن زوجها (اخيها) « تحوتمس الثالث » ، وحكمت مصر بمساعدة موظفين مخلصين لها . بنت معبد « الدير البحري » في « طيبة » جنوبي مصر ، وارسلت بعثة تجارية الى بلاد البونت ، ورسمت تفاصيلها على جدران معبدها . توفيت عام ١٤٨٣ ق.م .

البناء الذي بنته في مصر لتخليد أعمالها والمسمى « بالدير البحري » ووضع مكانه اسمه حتى ينسب أعمالها اليه . وقد يكون التزييف كاملا ، بمعنى وضع أصل لا وجود له ، كما حدث في وثيقة «هبة قسطنطين» التي كشف زيفها « اورنزوفالا» . وقد يقوم بالتزييف أفراد محترفون بوضع أسماء وتواريخ على وثائق تافهة لرفع قيمتها ، أو لتمجيد أصحابها ، أو لأي سبب آخر من مئات الأسباب التي تزور لأجلها المستندات في وقتنا الحاضر . وهذا ينطبق على جميع الوثائق من جميع الأنواع ، كالصور ، والتماثيل ، والنقود ، والمصنوعات المختلفة ، والكتب وغيرها .

ويتم الكشف عن صحة الأصول التاريخية عادة ولا سيما النصوص بالرجوع للعلوم المساعدة ، ومنها بالذات ، علم الوثائق ، وعلم الفيلولوجيا ، وعلم الخط . فيحلل الورق (أو المادة التي تمت الكتابة عليها) والحبر ، ويتعرف من ذلك تاريخهما ، وهل هو موافق لتاريخ الأصل . كما يدرس الخط ، وهل كان معروفا في الحقبة التي تنتمي اليها الوثيقة . وكذلك اللغة ، والاصطلاحات المستخدمة ، وبخاصة اذا كانت وثيقة أرشيف حكومي . وبعد هذا يدقق في مضمون الوثيقة ، من أسماء ، وأمكنة ، ومعلومات واردة ، وهل هي مطابقة للواقع التاريخي المعاصر للوثيقة ، وذلك بمقارنتها مع أصول أخرى ، أو بدراسة الواقع التاريخي السائد آنذاك . وكذلك بمتابعة أية معلومات خارجية ، تتعلق بالوثيقة موضوع النقد ، والتي توجد متفرقة في وثائق من العصر نفسه أو من عصر أحدث . وقد أوضح الدكتور أسد رستم مثالا لنقد وثيقة من وثائق بلاد الشام في عهد محمد علي قام بتحقيقها ، والخطوات التي أجراها لاثبات صحتها[1] . والوثيقة هي رسالة صادرة من (محمد شريف باشا) حكمدار بر الشام في عهد الادارة المصرية ، الى السيد (أحمد آغا دزدار) ، متسلم القدس (المشرف على الأمن وملتزم الأموال) بتاريخ (٢٤ ربيع الاول ١٢٥٦ هـ / ٢٧ أيار ١٨٤٠) ، يعلمه فيها بأن (محمد علي باشا) قد أصدر أمرا يمنع اليهود من تبليط البراق ، مع اعطائهم حق الزيارة على الوجه القديم . وهذه الوثيقة حاول بعض المعارضين في اللجنة الدولية التي شكلت لفصم الخصام بين المسلمين واليهود ، في الفترة المعاصرة ، ان يطعن بها . فقام « الدكتور

---

(١) مصطلح التاريخ ص ١٦ ـ ٢٧ .

رستم » بفحص التركيب الكيماوي لورقها ، ومداده ، وخطها . فثبت له أنها دونت على النوع نفسه من الورق الذي كانت تدون عليه الحكومة المصرية في مصر والشام أمورها ، كما أن المداد مداد استامبولي النوع ، والقلم قصبي ، والاثنان من النوع الشائع الاستعمال في ذلك العصر . هذا بالاضافة إلى أن الخط هو نفسه الذي كان يكتب به في دواوين مصر والشام في ذلك الوقت . وفاتحة الرسالة « افتخار الاماجد الكرام ذوي الاحترام ... » وخاتمتها « لكي بوصوله تبادروا لاجراء العمل بمقتضاها » . وهما تتوافقان مع الاسلوب المتبع في المراسلات الرسمية في ذلك الوقت . وإلى جانب ذلك ، فان استخدام ألفاظ أعجمية وتركية بالذات ، وعدم التقيد باللغة العربية وقواعدها ، كان من خصائص الكتابة الرسمية في عهد محمد علي ، وهذا ظاهر في الوثيقة .

ثم تأكد الدكتور رستم من الحقائق التاريخية الواردة في الوثيقة : مثل رغبة اليهود في عهد محمد علي باشا بتبليط البراق ، سيرا مع اعتقادهم باقتراب مجيء « المسيح المنتظر » ، وضرورة تعمير المدينة المقدسة ، وتجديد بناء الهيكل . وكذلك تأكد من وجود « محمد شريف باشا » حاكما عاما على الشام و « أحمد آغا دزدار » متسلما في القدس .

وبذلك أثبت الدكتور رستم صحة الوثيقة ، ودحض ادعاء اليهود بأن الادارة المصرية قد سمحت لهم بتعمير القدس ، وتبليط البراق .

والأمثلة كثيرة على تزييف الأصول ، أكانت ذات قيمة سياسية أو حياتية يومية ، وإن مختلف المحاكم تتضمن العديد والعديد منها . ومبادىء النقد التاريخي لاتختلف في الحقيقة عن المستخدم منها في مجالات القضاء ، أو في ميدان أية معرفة انسانية أخرى . وتعتمد في أصولها على المحاكمة السليمة ، والمنطق الصحيح ، والمعرفة الواسعة ، والتقنيات العلمية الجديدة ، والموازنة مع وثائق أخرى .

ان اثبات صحة الأصل أمر هام وضروري للمؤرخ . لأنه اذا ما بنى بحثه على أصول مزورة فانه سيخرج بنتائج لاتمت الى الحقيقة بصلة . ومن ثم فان عليه أن يشك بكل مايصل اليه من وثائق ، ويتأكد من صحتها ، قبل أن يبدأ باستخلاص

مايريده منها . وفي الحقيقة ، ان « نقد صحة الأصول » يقوم به في الوقت الحاضر العاملون في الأرشيف ، وفي علم الديبلوماتيك ، وبذلك يوفرون على البـاحث التاريخي جهدا كبيرا يمكنه ان يصرفه الى مجال آخر، ولكن يبقى هناك دوما وثائق لم تدرس بعد ، ولم يحقق في صحتها .

ب ـ تثبيت تاريخ الأصل :

بعد أن يتأكد الباحث التاريخي من الصحة العامة للوثيقة فان عليه أن يتحقق مـن **تاريخ تدوين الأصل ، او يحدده إذا لم يكن موجودا** . لأن هذا الأمر هام في معرفة البعد الزمني بين تاريخ وقوع الاحداث الواردة في الاصل وتاريخ تدوينها ، وللتأكد من الزمن الذي ترجع اليه أيضا .

وفي الواقع إن الكثير من الوثائق تحمل تاريخ نشأتها ، إلا أنه بالمقابل هناك كثير من الأصول لاتحمل تاريخا دقيقا ، أو كاملا ، أو لا تحمل تاريخا البتة . بل حتى في وقتنا الحاضر يلاحظ ان وفرة من المؤلفات المخطوطة أو المطبوعة لاتحمل تاريخا . وان معظم مخطوطات العصور الوسطى في أوربا لاتحمل تاريخا قبل القرن الخامس عشر . إلا أنه منذ ذلك التاريخ ، ونتيجة لتطور العقلية نحو الدقة ، ورغبة في اثبات الشخصية ، وتمشيا مع التطور العلمي العام ، والرياضي بالذات ، شرع الكتاب والمؤلفون يثبتون اسماءهم والتاريخ .

ولكن حتى لو كان التاريخ مثبتا على الأصول أو المخطوطات فهذا لا يعني صحته تماما ، كما قد تحدث ظروف معينة تدعو لازالته ، أو تشويهه ، أو تزويره . ومن ثم فان على **الباحث التاريخي الا يثق باي تاريخ مدون دون نقد** .

ان طريقة تحديد تاريخ وثيقة ما هي نظريا سهلة ومنطقية : فاذا كانت الوثيقة تمثل « الأصل » الاول ، فان ما أشرنا إليه سابقا من فحص للمادة التي دونت عليها، أو صنعت منها ، وللخط الذي سطرت به ، وكيفية تطبق الحفريات بالنسبة للآثار والنقوش الكتابية ، والرقم ، والبابيروس ، يعطي أول خطوة في هذه العملية . ويستطيع الباحث التاريخي أن يضع حدا زمنيا تقريبيا لها لا يتجاوز الواقع الفعلي بأكثر من (٢٥ ـ ٥٠ سنة) . وإذا كان النص « نسخة » ، فانه يمكن الحصول

بالوسائل ذاتها على الزمن ، الذي كتبت فيه النسخة . وتعيين الحد النهائي الذي لايمكن أن تكون قد كتبت قبله ، وبعده . وبعد ذلك يرجع الباحث التاريخي الى ما ورد في نص الوثيقة . وينزع منها الحوادث التاريخية التي تحدث عنها المؤلف والتي يمكنه أن يعرف تاريخها من وثيقة أخرى ، فيقترب من الزمن الحقيقي اقترابا أكثر دقة .

وفي الواقع عندما يقوم الباحث التاريخي بتعيين تاريخ تقريبي لها ، فانه يسعى لتحديد الزمن الذي لايمكن أن تكون الحوادث قد وقعت قبله ، وكذلك التاريخ الذي لا يمكن أن تكون قد وقعت بعده .

ويضرب المؤرخ (فلنغ) مثلا على ذلك[1] بخطاب بعث به سفير البندقية الى حكومته في مطلع الثورة الفرنسية دون تاريخ . فالحوادث التي تحدث عنها السفير (انتونيو كابلو) كانت حوادث حزيران ١٧٨٩، وكان آخر حادث ذكره ، هو اجتماع « مجلس طبقات الأمة » في ٢٧ حزيران ١٧٨٩ . فمن المرجح أن يكون السفير قد كتب رسالته بعد ذلك الحادث مباشرة وقبل أن يقع حادث آخر مهم كان عليه أن يقدم تقريره عنه . ومن المعروف أن مجلس طبقات الأمة قد عاد الى الأنعقاد في ٣٠ حزيران ١٧٨٩ ، فيكون السفير قد دوّن رسالته الى (سناتو) البندقية في ٢٨ أو ٢٩ حزيران .

ان الوثائق ذات الطابع السياسي ، والتي تتضمن عادة اخبار احداث معينة ، أسهل في تحديد زمنها من النصوص الأدبية ، ومن الوثائق التي تتحدث عن مظاهر الحضارة المختلفة ، ولا سيما منها التقاليد والأفكار ، لأنها تحوي عادة أحداثا قد ثبّت زمنها بدقة ، بينما الأخيرة تفتقدها . ومن ثمّ ، فمن العسير جدا ، في أحوال كثيرة ، تحديد زمن المصدر في تلك النصوص .

وبالاضافة الى استخدام« تاريخ الحوادث » الواردة في النص، لتحديد زمنه، فإن اللغة المستعملة فيه ، بمفرداتها ، وأسلوبها ، عامل هام في هذا التحديد ، إذ

---

(1) --- Fling, the writing of History New Haven, Yale University Press. 1962 pp. 67 - 73.

لكل زمان لغته الخاصة ، ومفرداته ، وأسلوبه . ومع ذلك تبقى عملية « تحديد زمن الوثيقة » عملية صعبة ، على الرغم من مظهرها السهل . وقد لايصل الباحث فيها الى الحقيقة اليقينية ، بل يظل عمله حاملا طابع الاحتمال .

ومن الأمثلة على تحقيق زمن الوثائق ، ذلك الجدل الفكري بين المؤرخ « هامر »[1] الذي أرخ للدولة العثمانية و« شارير » الذي نشر وثائق « المفاوضات الفرنسية في الشرق »[2] ، « البارون دوتيستا » الذي نشر « معاهدات الدولة العثمانية مع القوى الأجنبية »[3] . وقد دار ذلك الجدل حول تاريخ معاهدة ١٥٣٥ بين الدولة العثمانية وفرنسا ، والتي عرفت في التاريخ باسم « الامتيازات » . « فهامر » يشير في مذكرته عن « العلاقات الأولى بين فرنسا والباب العالي » ، إلى أن تاريخ هذه المعاهدة لا يمكن أن يكون (شباط ١٥٣٥) ، كما ذكر ذلك « فلاسان »[4] في كتابه « تاريخ الدبلوماسية الفرنسية » ، وإنما هو (شباط ١٥٣٦) . ويستدل على قوله ، بالمذكرات التي خلفها « السلطان سليمان »[5] نفسه ، عن حربه السادسة ضد الفرس ، والتي تسرد أعماله ، وتحركاته ، منذ

---

(١) جوزيف دوهامر برغستال J. de Hammer - Purgstall مستشرق نمساوي (١٧٧٤ – ١٨٥٦) . وكتابه الهام هو :
Histoire de l'Empire Ottoman (tr. Hellert) 18 vols. Paris 1835 - 1840.

(٢) E. Charrière : Négociations de la France dans le Levant 4 vol. Paris 1848 - 1860.

(٣) I. De Testa, Récueil des Traités de la Porte ottomane avec les Puissances Etrangères. 10 vols. Paris 1864 - 1901.

(٤) جان باتست فلاسان J. B. Flassan : دبلوماسي فرنسي (١٧١٠ – ١٨٤٥) عمل مؤرخا رسميا لوزارة الخارجية الفرنسية (١٨١٢ – ١٨٢٩) . وكتابه هو : « التاريخ العام والمقلاني للدبلوماسية الفرنسية ، منذ تأسيس الملكية حتى نهاية عهد لويس السادس عشر » .

(٥) هو « سليمان القانوني » وابن السلطان سليم الأول . عاشر سلاطين بني عثمان ، حكم بين (٩٢٦ – ٩٧٤ هـ / ١٥٢٠ – ١٥٦٦ م) . وصلت الدولة العثمانية في عهده الى ذروة القوة ، والاتساع ، والازدهار الحضاري . وقد تميز عهده بفتح العراق ، ومحاربة الفرس ، والامبراطورية الجرمنية المقدسة ، وبالتحالف مع فرنسا ضد امبراطورها شارلكان ، وتوقيعه مع ملكها « فرانسوا الأول » المعاهدة التجارية المعروفة بالامتيازات .

خروجه من عاصمته القسطنطينية وحتى عودته إليها . أي خلال عامين ونصف . ففي شباط ١٥٣٥ ، كان « ابراهيم باشا » الصدر الأعظم ، الذي عقدت معه المعاهدة ، في المعسكر الشتوي . وفي يوم ٢٣ ذي الحجة عام ٩٤١ هـ ، الموافق لـ (٢٦ أيار ١٥٣٥) ، خرج الى ذلك المعسكر ، مراسلون من قبل بكلرباي الروملي ومعهم سفير ملك فرنسا الى معسكر السلطان في اذربيجان . فالسفير لم يصل الى المعسكر الا في أيار عام ١٥٣٥ . ومن ثم فالمعاهدة لم تعقد في شباط ١٥٣٥ وانما في شباط ١٥٣٦ ، وكانت آخر عمل هام لابراهيم باشا . ولكن « شارير » و«دوتيستا» يريان ان هامر قد أخطأ ، لأنه قبل اصلاح التقويم في فرنسا عام ١٥٦٤ : كان يبدأ تاريخ السنة على الاشهر الثلاثة الاولى من السنة التالية ، بصورة أن السنة كانت تبدأ في عيد الفصح أي بين آذار ونيسان لا في أول كانون الثاني . وبذلك يكون التاريخ الصحيح هو (شباط ١٥٣٥) لا (شباط ١٥٣٦) .

وان النص التالي الذي أورده « السخاوي » في كتابه « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » يدل على قيمة تحديد الزمن في الوثائق : وأهميته في كشف الصحيح من المزور منها وكيفية إثباته ، والتأكد من صحته . وفي الوقت نفسه يظهر صورة من صور النقد التاريخي عند العرب .

نص السخاوي[1]

فائدة التاريخ :

« وأما فائدته فمعرفة الأمور على وجهها . ومن أجل فوائده إنه أحد الطرق التي يعلم بها النسخ في أحد الخبرين المتعارضين المتعذر الجمع بينهما ..... وكون الراوي لم يلق من حدث عنه إما لكونه كذب أو أرسل ، وذلك ينشأ عنه معرفة ما في السند من انقطاع أو تدليس ، للوقوف به على أن الراوي مثلا لم يعاصر من روى عنه ، أو عاصره ولكنه لم يلقه لكونهما من بلدين مختلفين ولم

---

(١) ورد بعض هذا النص في ص ٦١ من هذا الكتاب في المتن والهامش .

يدخل أحدهما بلد الآخر ولا التقيا في حج ، ونوه مع كونه ليست له منه اجازة أو نحوهـا ...

ومن الغريب ذكر « الخطيب »[1] ، « عبد الملك بن حبيب »[2] ، في الرواة عن « مالك »[3] ، مع كونه لم يرحل الا بعد موته بنحو من ثلاثين سنة ، بل انما ولد بعـده ...

وقع لابن السمعاني[4] في القداحي في انسابه ، ان عبد الله بن ميمون القداح[5] ادعى بعد موت اسماعيل بن جعفر الصادق[6] انه ابنه ، فرد عليه ابن الاثير بـأن

---

(١) هو احمد بن علي ابو بكر المعروف بالخطيب البغدادي (٣٩٢ ـ ٤٦٣ هـ/ ١٠٠٢ ـ ١٠٧٢ م) . نشأ وتوفي ببغداد . قربه وزير الخليفة (القائم بأمر الله) العباسي . كان من حفاظ الحديث الكبار ، وعارفا بالادب ، ومؤرخا ، له ما يقارب (٨٠) مؤلفا ، اشهرها « تاريخ بغداد » .

الاعلام . ج ١ . ص ١٦٦ .

(٢) عبد الملك بن حبيب القرطبي . عالم اندلسي (١٧٤ ـ ٢٣٨ هـ/ ٧٩٠ ـ ٨٥٣ م) . كان فقيها بالادب ، والتاريخ ، والفقه المالكي . له عدة مؤلفات ، منهـا « طبقات المحدثين » ، و « تفسير موطأ مالك » .

(٣) مالك بن انس (٩٣ ـ ١٧٩ هـ / ٧١٢ ـ ٧٩٥ م) . احد الائمة الاربعة عند اهل السنة . واليه تنسب المالكية . مولده ووفاته في المدينة . له كتاب « الموطأ » ومصنفات اخرى .

المصدر نفسه . ج ٤ . ص ٢٠٢ .

(٤) عبد الكريم بن محمد السمعاني (٥٠٦ ـ ٥٦٢ هـ / ١١١٣ ـ ١١٦٧ م). مؤرخ ونسابة ، ورحالة . له عدة مؤلفات ، اشهرها « الانساب » .

المصدر نفسه . ج ٤ . ص ١٧٩ .

(٥) عبد الله بن ميمون القداح ، المتوفى ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م . فقيه ، وهو من المحدثين الثقات عند الشيعة ، والواهين عند السنة . وكان ابوه فارسي الاصـل . وتذكر الروايات انه كان من الدعاة للاسماعيلية ، ومن مؤسسي مذهب « القرامطة » .

(٦) جد الخلفاء الفاطميين ومن آل علي بن ابي طالب ، واليه تنتسب الشيعة الاسماعيليـة التي قالت بامامته بدل اخيه موسـى الكاظم . توفي في حياة والده ١٤٣ هـ / ٧٦٠ م . وينكر الاسماعيلية موته في حياة ابيه ، ويدعون ان اباه اظهـر ذلك خوفا عليه من العباسيين .

اسماعيل مات في حياة والده جعفر الصادق ، فكيف يمكن للقداح ادعاء بنوته مع وجود والده ...

قال سفيان الثوري[1] : « لما استعمل الرواة الكذب ، استعملنا لهم التاريخ». وعن حسان بن زيد[2] قال : « لم يستعن على الكذابين بمثل التاريخ ، يقال للشيخ سنة كم ولدت ؟ فاذا أقر بمولده مع معرفتنا بوفاة الذي انتمى إليه ، عرفنا صدقه من كذبه » .

« وروى سهيل بن ذكوان أبو السندي[3] عن عائشة[4] انه لقيها بواسط ، وهكذا يكون الكذب . فموت عائشة كان قبل ان يخط الحجاج[5] مدينة واسط بدهر ....

ولما كان طريقا للاطلاع على التزوير في المكاتيب ونحوها كأن يعلم ان الحاكم الذي تنسب إليه الثبوت ، أو الشك، كشاهد ، أو غيرهما من أسبابه، أو نحو ذلك، مات قبل تاريخ المكتوب . ومن ثم لما أظهر بعض اليهود كتابا وادعى أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاط الجزية عن أهل خيبر ، وفيه شهادة الصحابة

---

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (٩٧ ـ ١٦١ هـ / ٧١٦ ـ ٧٧٨ م) من كبار المحدثين وعلماء الدين . ولد ونشأ في الكوفة ، ومات في الكوفة . له من الكتب « الجامع الكبير » و « الجامع الصغير » .

المصدر نفسه . ج ٣ . ص ١٥٨ .

(٢) وردت هكذا في « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي (ج ٧ . ص ٣٥٧) ولكن ابن عساكر يرى انه « حماد بن زيد » . وهذا الاخير هو شيخ المحدثين في عصره ، ويعرف بالأزرق ، وكان ضريرا (٩٨ ـ ١٧٩ هـ/٧١٧ ـ ٧٩٥) .

(٣) ورد في البخاري . (التاريخ . ج ٣ . قسم ٢ . ص ١٠٥) ولم يعرف شيء عنه .

(٤) عائشة ام المؤمنين (٩ ق.هـ ـ ٥٨ هـ / ٦١٣ ـ ٦٧٨ م) . زوجة الرسول محمد (ص) ، وابنة ابي بكر الصديق . من اعلم نساء المسلمين وافقههن كان لها مواقف سياسية معروفة بعد فتنة عثمان بن عفان . توفيت بالمدينة .

(٥) الحجاج بن يوسف الثقفي (٤٠ ـ ٩٥ هـ / ٦٦٠ ـ ٧١٤ م) . من قادة العرب المسلمين العسكريين ، ومن دهاتهم السياسيين . ولي مكة والمدينة ، والطائف ، والعراق . قمع الثورات فيها ، وقاتل عبد الله بن الزبير وقتله . اخباره واعماله كثيرة . بنى مدينة واسط جنوبي العراق في ٨٣ ـ ٨٦ هـ / ٧٠٢ ـ ٧٠٥ م .

رضي الله عنهم ، وذكروا ان خط علي رضي الله عنه فيه ، وحمل الكتاب في سنة سبع واربعين واربعمائة الى رئيس الرؤساء أبي القاسم علي[1] وزير القائم[2] ، عرضه على الحافظ الحجة أبي بكر الخطيب ، فتأمله ثم قال « هذا مزور » . فقيل له « من أين لك هذا » قال فيه شهادة معاوية ، وهو انما أسلم عام الفتح ، وفتح خيبر كان في سنة سبع . وفيه شهادة سعد بن معاذ ، وهو قد مات يوم بني قريظة قبل فتح خيبر بسنتين . فاستحسن ذلك منه ، واعتمده وامضاه ، ولم يجز اليهود على ما في الكتاب لظهور تزويره[3] » .

جـ ـ تثبيت مكان الوثيقة :

من نافلة القول التأكيد ، ان تحديد المكان الذي دونت فيه الوثيقة لايقل أهمية لتقدير قيمة ما تحويه ، عن تحديد الزمان : اذ أن معرفة المكان توضح ، هل دوّن شاهد العيان أخباره في مكان حدوثها أم في مكان بعيد عنه ؟ فالقرب والبعد عن مكان الاحداث أمر هام في تقويم المعلومات الواردة في الأصل ، وان كان هذا ليس شاهدا على صدق ما جاء فيها .

ومن المستحسن النظر الى كلمة (مكان) **لا بمفهومها الجغرافي البحت وانما بمعناها الاجتماعي** . فالوسط الذي دوّنت فيه الوثيقة ، أكان مؤسسة ادارية ما، أو هيئة دينية ، أو عسكرية مثلا ، ذو أهمية أكبر من المكان الجغرافي البحت، حتى انه من الممكن الا يكون لهذا المكان أي معنى جغرافي . فليس المهم أن يكتب مؤرخ

---

(١) علي بن الحسن ابو القاسم (٣٩٧ ـ ٤٥٠ هـ / ١٠٠٧ ـ ١٠٥٩ م) المعروف برئيس الرؤساء ابن المسلمة . من فضلاء الوزراء، قبض عليه «البساسيري» الذي دعا للفاطميين في بغداد وصلبه .

(٢) عبد الله بن احمد القادر بالله (٣٩١ ـ ٤٦٧ هـ / ١٠٠١ ـ ١٠٧٥ م) ابو جعفر (القائم بأمر الله) ، الخليفة العباسي (٤٢٢ ـ ٤٦٧ هـ / ١٠٣٠ ـ ١٠٧٥ م) عرف بورعه ، واهتمامه بالأدب . في أيامه كانت فتنة البساسيري (٤٥٠ هـ) ودخول السلاجقة الأتراك بغداد (٤٤٧ هـ) .

(٣) السخاوي : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ . في كتاب علم التاريخ عند المسلمين لفرانزروزنثال تعريب الدكتور صالح احمد العلي بغداد ١٩٦٣ ص ٣٨٥ ـ ٣٩٣ .

معاصر للاحداث روايته عنها في مكانها نفسه ، بقدر ما هو مهم أن يكون قد عاينها مباشرة . فمعرفة المكان الذي كتب فيه سجل أجور الجنود في القرن الثاني الميلادي ، أكان في هذه المدينة أو تلك من مصر ، ذات أهمية ثانوية وحتى لمصر بالذات . وانما المهم معرفة اذا كان أولئك الجنود مشاة أو فرسانا ، فرقا نظامية أو مساعدة ، لان هذه المعلومات ذات قيمة أكبر ، لسريانها على مختلف حاميات الامبراطورية . وعندما كانت البلاطات متنقلة مثلا ، لم يكن مهما أن يكتب الاخباري وقائعه في هذا المكان أو ذاك ، وانما من المهم أن يكون قد تبع البلاط في تنقله ، ورافق أخباره .

ان التعرف بـ (مكان الاصل) أو الوثيقة هو ذو قيمة كبيرة بالنسبة للنصوص المروية التي تبحث في أطر الحياة السياسية والاجتماعية : فان مدى امتداد معلومات مؤلف ما على رقعة جغرافية معينة هو بحد ذاته اعلام ايجابي عن مدى سعة علاقات الوسط الذي كان ينتمي اليه ، وعن الصورة التي كونها هو نفسه عن موقعه في العالم آنذاك . ففي الوقت الذي كانت فيه الخلافة العباسية لاتزال بامتدادها الواسع ، فان التاريخ عكس هذا الامر ، بحيث أنه تناول كل ذلك الامتداد، وعندما بدأت الدول تنفصل عنها وتستقل ، ظهر تأريخ الدول المحددة برقعتها الصغيرة ، وهكذا عكس المؤرخون صورة الوضع السياسي والجغرافي للدولة .

وقد لا يكون صعبا في تلك الظروف تحديد مكان نص من تلك الطبيعة : فالدراسة الباطنية للنص تظهر ما هو مركز الاهتمام فيه . وتكفي قراءة مقدمة أية طبعة حسنة لأي كتاب تاريخ لتعرف ذلك الأمر . كما أن الصفات الخارجية للنص، كالخط ، والمادة التي دوّن عليها ، تساعد هي الأخرى ـ اذا كانت الوثيقة أصيلة ـ في تعرف المكان ، والنجاح والاخفاق في هذا المضمار يرتبط بمدى تقدم « جغرافية علم الخطوط » .

انّ المكان الذي وجدت فيه الوثيقة يعطي بالطبع اشارات الى المكان الذي دوّنت فيه، أو أنشئت فيه إذا كانت أثراً محسوساً.ولكن قد يكون هذا صحيحاً أيضاً بالنسبة للموجودة في أراضي بكر ، فمن الممكن الاستخلاص مثلا أن وثيقة ما ، وجدت في خزانة زاوية من زوايا الصوفية في القرن التاسع عشر م/والثالث عشر هـ

وترجع الى القرن الحادي عشر الهجري ، قد كتبت في هذه الزاوية نفسها ، اذا كان لهذه الزاوية في ذاك القرن نشاط فكري . إلا أن ذلك يبقى تخمينا ، لا يقينا ، إذ أن الكتب والوثائق المكتوبة على مواد سهلة الحمل ، قد تنقلت عبر الطرقات . فالبابيروس كان نادرا نسبيا ومرتفع الثمن ، فعندما كانت الادارة الرومانية تفرغ من حاجتها الى أرشيفاتها التي تقادمت ، فانها كانت على ما يبدو تبيعها ، كما فعلت إدارة المالية في فرنسا في القرن الثامن عشر . وكان الموظفون ، والجنود المتقاعدون، يحملونها ويستخدمونها لتغليف أمتعتهم ، أو لينسخوا عليها كتبا . فدستور أثينا الذي دونه ارسطو ، عرفه الباحثون بهذه الطريقة ، إذ كان منسوخا على ظهر ورقة حسابات ملتزم مالي . وقد وجد في مصر وثائق بردي مكتوبة في سورية ، وكذلك هناك كتب كثيرة ومخطوطات ساحت من بقعة إلى أخرى ، ولا أدل على ذلك من المخطوطات العربية الوفيرة التي ترى اليوم في مكتبات البلاد الأوربية ، والآسيوية، بل والأمريكيـة .

وقد تساعد اللغة كذلك على تحديد المكان ولكن في حالات محددة جدا ، وهي الحالات التي تعرف فيها الخصائص اللغوية لكل أقليم ، هـذا مع العلم ان بعض الاقاليم هي « أقاليم عبور » أو بتعبير آخر ، فيها مزيج من اللهجات . كما أن كاتب الوثيقة قد يكون أصله من إقليم آخر غير الاقليم الذي دوّن فيه عمله ، وقد يدونها بلغة أخرى غير لغة المكان ، أو الاقليم الذي وجد فيه .

وفي الحقيقة إن علم اللغات ، وعلم الوثائق ، وعلم الخطوط ، تتعاون لحل معضلة مكان الوثيقة ، وقـد يكون تثبيت « **هوية مؤلف الوثيقة** » عاملا مساعدا أكبر في تعيين المكان ، وذلك عن طريق تعرّف حياته ، وتنقلاته المختلفة ، وهـذا ما كان يسعى اليه « علماء الحديث » ليضبطوا صحة الحديث الشريف ، وأسناده .

د ـ تحديد هوية المؤلف :

بعد تثبيت زمن الوثيقة ومكانها ، لا يبقى لمعرفة أصلها ، سوى تحديد هوية مؤلفها . وقد يتراءى للباحث المبتدىء ، إذا كان الأمر يخص وثيقة أرشيف إداري، ان المشكلة غير مطروحة . إلا أنها في الواقع تطرح ، وبشكل أكثر الحاحا مما هي

عليه في النصوص الأدبية ، أو « الروائية » . فاذا كانت الوثيقة قرارا خاصا ، فان المؤلف بالمعنى القانوني البحت ، هو ذلك الذي تحمل المسؤولية في قراره ، وهو بصورة عامة ليس الذي كتب القرار . ومثل على ذلك صكوك البيع والشراء ، فالذي يدونها عادة ويوقعها ليس البائع أو الشاري وإنما شخصية قانونية ، أوكل الأمر إليها . وفي هذه الحالة يمكننا ان نفرض أن « منشىء » القرار قد عبر بأمانة عن فكر « المؤلف الحقيقي ونواياه » ، وانه فهم إرادته ووضعه فهما جيدا . إذ أن « المنشىء » المخادع في تدوين مثل تلك الصكوك الخاصة يفقد زبائنه . ومن ثم ، فمن الناحية العملية لا فرق في الواقع بين المنشىء والمؤلف ، اذ يعتبران واحدا ، إلا إذا كانت هناك إشارات مضادة .

إلا أن الأمر مختلف بالنسبة للقرارات العامة: فقد اتضح ان تسعة أعشار قرارات ملك أو رئيس دولة أو وزير في أوربا — واليوم قد تصل الى ٩٩٫٩٪ — كتبت في الواقع في مكاتبهم ، ووقعت من قبلهم بعد طباعتها ، دون أن يقرؤوها . وهذا كان يجري منذ الماضي البعيد . بل ان الرئيس في الماضي كان لا يوقع ، وانما يضع خاتمه ، وكان أعضاء مستشاريته هم الذين يقومون بهذا الأمر . ثم أصبح له عندما ظهر التوقيع « سكرتير خاص » ليوقع مكانه . وهناك اشارة خاصة مثلا بالنسبة لنابليون ، تبين أحيانا الأوراق التي وقعت بهذه الطريقة . ويمكن القول انه لايمكن النظر الى معظم رؤساء الدول على أنهم هم المسؤولون عن جميع القرارات والأوامر الصادرة باسمهم ، ومن ثم فانه لايمكن للمؤرخ أن يرسم سياستهم من خلال قراراتهم . إلا أن المؤرخ مضطر لأن يقبل بالامر الواقع إذا لم يكن بين يديه شيء آخر .

ولقد اعتدنا أن نقرأ اسم المؤلف على صفحة عنوان الكتاب الذي هو بين أيدينا ، وقد تقول بأن المؤلف وقع كتابه . إلا أن هذه صورة فحسب ، اذ أن اسم المؤلف في الواقع مستقل تماما عن الكتاب نفسه ، فاذا ما نزعت صفحة العنوان ، فان الكتاب يصبح مجهول الهوية . ومن هنا يستنتج ان اسماء عديد من المؤلفين قد ضاعت عبر الزمن ، وان كثيرين قد انتحلوا كتبا ليست لهم ، كما نسبت كثير من الكتابات الى غير مؤلفيها الحقيقيين . وقد احتاط بعض المؤلفين لهذا الامر

فسجل اسمه ضمن مؤلفه ، وضمن المتن . كما اتخذ بعض المؤلفين اسماء مستعارة، وقد يستطيع الباحثون معرفة حقيقتها أحيانا إلا أنها قد تضيع أيضا .

ويجب الا ينسى في هذا المجال أن بعض الكتاب قد أعاروا قلمهم الى غيرهم، فقد أكد بعض النقاد ان الممثل « شكسبير » كان الاسم الناطق للشاعر الحقيقي الذي هو « ويليام ستانلي » ، الكونت السادس لدربي Derby .

ويضاف الى كل ذلك ، انه في بعض المراحل الزمنية لم يشعر المؤلفون بالحاجة الى التعريف بأنفسهم ، ولا سيما في أوربا في العصور الوسطى . ولذا فانهم خلفوا مؤلفات لاتحمل اسماءهم ، أو أنهم أخفوا تلك الاسماء عن العيون خوفا من ملاحقة السلطات لهم ، إذا كان ما يكتبون مخالفا لما تبغيه ، أو مثيرا للرأي العام ضدها .

ان الهم الاول للمؤرخ عندما يجد نفسه أمام وثيقة مجهولة المؤلف ، ان يتأكد أنه لم يتم التعرف بعد بهوية مؤلفها : فبالنسبة للعصور الوسطى الاوربية تمكن العاملون في مجالها من حصر الموضوع الى حد ما ، وأصدروا قائمة بمقتطفات من مقدمات الكتب المطبوعة أو المخطوطة المجهولة الهوية ، والتي تم التعرف بها . واذا ما تأكد ان الدراسات التي جرت قبله لم تصل الى نتيجة في هذا المضمار ، فان عليه أن يرجع الى المؤلفات التي وضعت عن « مصادر الحقبة » التي يعود اليها المؤلف ، ويبحث عن المدونات التي تتقارب في موضوعها من الوثيقة المدروسة .

واذا ما أخفقت جميع البحوث في ذلك المجال ، فعلى المؤرخ أن يبحث في الوثيقة ذاتها عن عناصر التعرف بهوية المؤلف . وعمليا تختلط عناصر التعرف مع تلك التي استخدمت من أجل تحديد هوية المكان ، والزمان ، مادام تحديد هوية المؤلف ليس شيئا آخر سوى الحد الذي تطمح بالوصول اليه هذه الابحاث . أي لابد من الرجوع الى تدقيق الخط ، واللغة ، ومضمون الوثيقة ، مع موازنتها مع وثائق أخرى تكون متقاربة بالزمن ، والمكان ، ومعروفة الهوية .

وهناك حالة خاصة لابد من الاشارة اليها : وهي ان ينسب الى مؤلف معروف بمؤلفاته الاخرى انتاج مجهول المؤلف . وهنا تكون دراسة اللغة ، الفاصل في

الموضوع : أي تقارن لغة المؤلف المعروف الهوية ، مع الوثيقة المجهولة الهوية فاذا لوحظ توافق اللغتين ، فان الوثيقة المجهولة الهوية تكون للمؤلف المعروف .

وقد جاءت الآلة في الوقت الحاضر فسهلت عمل الباحث : فهناك آلات تفرز جميع الكلمات ، وجميع استعمالاتها عند مؤلف ما ، ومن ثم فالموازنات اللغوية أصبحت في متناول الجميع .

وفي كل هذه الموازنات يبقى خصب مخيلة الناقد يلعب دورا رئيسيا في حل كثير من مشكلات معرفة هوية المؤلف : فالآلات عادة مهما ارتقت ، لايمكنها أن تعطي الا ما يلقمها اياه العامل فيها .

وأخيرا لابد من التأكيد ، أن عديدا من المؤلفات والوثائق لاتزال مجهولة المؤلف عند العرب ، والغربيين ، وهذا لا يعني أبدا رفضها ، بل إن المعلومات التي تحويها أحيانا قد تكون المصدر الوحيد : ومثل على ذلك كتاب « الطواف حول البحر الارتيري » الذي دونه مجهول ، وقد يكون اغريقيا ، وذلك حوالي سنة ٦٠ م ووصف فيه الموانىء التي مر بها من البحر الأحمر الى الخليج العربي ، فالهند ، فساحل شرقي أفريقيا . فمعلوماته طريفة وهامة[١] . وكذلك الأمر بالنسبة للمذكرات عن رحلة فاسكودوغاما عام ١٥٩٧ الى الهند[٢] ، ومثلهما كثير .

هـ ـ البحث عن موارد الاصل :

ان الهدف من البحث عن « موارد الاصل » بالمعنى التقليدي ، هو التأكد فيما إذا كان مؤلف النص شاهدا مباشرا للحادث ، أم أنه ليس كذلك : فاذا كان شاهدا مباشرا فان شهادته يؤخذ بها ، واذا لم يكن ، فهناك أحد أمرين :

. إما أن مورده الذي استقى منه قد حوفظ عليه وهو موجود ، وفي هذه الحالة

---

(١) Periplus of the Erythrean Sea. Trans. by W. H. Schoff. London, 1912.

(٢) A Journal of the First Voyage of vasco da Gama 1497 - 1499. Trans. by E. G. Ravenstein. Hakluyt Society. London, n. d.

تبعد شهادته ببساطة ، ويرجع للمورد الأصلي ، أو أن مورده مفقود ، وفي هذه الحالة ، يؤخذ بالشهادة التي يقدمها هو ، وانما بتحفظ كبير .

هذه باختصار الفكرة التي كانوا يحيطون بها البحث عن « الموارد » ، وهذا ما كان يجده الباحث عند مطالعته للكتب الطرائقية المعتادة في البحث التاريخي ، وهذا كان سلوك المؤرخ الحق سابقا ، ولو نظريا على الاقل . إلا أن الطريقة من الناحية العملية غير قابلة للتطبيق : لانه مامن نص ، حتى الحوليات الجافة جدا ، يعيد ماذكرته موارده بحرفيته . وتكون أقرب للواقع ، اذا قلنا ان جميع النصوص تحوّر وتبدّل ما أتى في مواردها ، عن قصد أو غير قصد . وان معظم المؤرخين قد استفادوا من هذه التغييرات ، باتخاذها شواهد أولية على ثقافة المؤلف ، واحكامه ، أو بتعبير آخر على عقليته ، ووسطه .

ان ما يهم المؤرخ في يومنا هذا هو النص نفسه الذي هو بالنسبة اليه الشاهد الرئيسي ، ومن ثم يجب أولا تقويم **مدى أصالة هذا النص** ، أي هل هو «أصيل» أم منقول عن آخر ، وإذا كان منقولا ، معرفة الاصل الاول .

ان معرفة هذا الامر تستند الى الفرضية القائلة ان ناسخين ، مستقل كل واحد عن الآخر ، لايرتكبان في المكان نفسه الغلط ذاته . وكذلك فان شاهدين أو أكثر مستقلين لايريان الشيء نفسه ، أو الحادث عينه بشكل واحد ، ومن ثم فلا يريانه ويصفانه بالكلمات ذاتها . فاذا كانت الاوصاف الواردة هي ذاتها ، وبعبارات متشابهة ، فان نصا أو أكثر اعتمد على النص الاصلي .

وللتمييز أيهما « الناقل » وأيهما المنقول عنه ، فان « الغلط المشترك » يفضح الامر : فالمؤرخ « ايجنهارد »[1] مثلا — وهو مؤرخ شارلمان — يقدر مدة حرب شارلمان ضد (الافار) التي دامت (١٢) عاما بثماني سنوات . والخطأ نفسه يوجد عند قس دير « سان غال »[2] . فهذا الاخير استخدم اذا ايجنهارد موردا ،

---

(١) Einhard او Eginhard : كان سكرتيرا لشارلمان ، وكتب له « سيرته La vie de Charlemagne » ، وعمل مربيا لاحد احفاده عاش بين (٧٧٥ — ٨٤٠ م).

(٢) Saint - Gall مدينة في سويسرا ، وكانت ديرا شهيرا خلال العصور الوسطى . والحولي المشار اليه قس مجهول الاسم من هذا الدير .

ولا سيما ان هناك تقاربا في المعلومات والاسلوب يؤيد هذا الرأي . وما يهم المؤرخ من عناصر التشابه في الدرجة الاولى ، الوقائع ، والتلويح ، والعناصر المحسوسة ، التي يمكن ملاحظتها مباشرة ، فاذا ما ابتدأ مؤرخان وانتهيا في التاريخ نفسه ، أو تلاقيا بشكل لصيق حول تاريخ هذا الحادث أو ذاك ، وقدما الاحداث نفسها بالترتيب ذاته ، أو بشكل مقارب أو حتى بأشكال مختلفة ، أو كان أحدهما في تقريره أكمل من الآخر ، وإذا ما ذكر الاثنان اسماء الاشخاص والامكنة عينها ، واهتما بالاقليم نفسه بصفة خاصة ، ورجعا باستمرار الى المجموعات نفسها من الوثائق الخ ... فان هناك حكما مبدئيا بأن احدهما قد استوحى من الآخر .

واذا كان هناك نصان يبدوان وكان أحدهما مأخوذ من الثاني ، وكانا متعاصرين ، مع عدم وجود تاريخ دقيق يمكن أن يعطي لكل واحد منهما ، فكيف يمكن التمييز بين الاصل والناقل ؟ وفي الواقع بقدر ما هنالك حالات ، هناك طرق ، وهنا تتضح نباهة الناقد وفكره المبدع . ولكن المبدأ يبقى ذاته : فعند قولنا (نقل) فان هذا يعني (خطأ) ، فمن المستحيل تقريبا ألا تظهر الموازنة الدقيقة بين نصين ، نقصا ما ، أو غلطا في أحدهما يفسر بعدم فهم الناقل للاصل ، أو تكرارا آليا لتفصيل ما ، لا يكون في موضعه .

واذا كان الأمر يخص أكثر من نصين ، فان ايجاد العلاقات بينهما عملية تشبه تلك التي تسعى الى اقامة شجرة نسب ، بين عدة نسخ لمخطوط ، لمؤلف واحد . وقد وضع النقادة بعض مبادىء ، منها : عندما يكون هناك ثلاثة نصوص تبدو متقاربة ، وكان كل واحد من اثنين منها يتفق في بعض الامور مع الثالث ، فانه يجب الاستنتاج ان هذين النصين قد اقتبسا مباشرة من الثالث ، شريطة الا يتفق النصان أبدا مع بعضهما ضد الثالث .

ومهما كان عدد النصوص التي يجب أن تدرس ، فان قوائم بالمتوافق من الامور بينها ، وقوائم بالمختلف ، والموازنات الثلاثية الآنفة الذكر ، تسمح كلها بايجاد مخطط يبيّن العلاقات المتبادلة بين « الموارد » .

ولا بد من التأكيد أخيرا بأنه كلما كان المؤرخ صاحب الوثيقة المدروسة جديا ،

وذكيا ومثقفا ، كانت موارده عديدة ومتداخلة . فالبحث عن موارد وثيقة ما عملية على الغالب كثيرة التعقيد . وحتى لايتوه الباحث عنها ، فان عليه أن يبذل جهدا كبيرا في ميدان النقد الذاتي ، وصفاء الذهن ، وان يسعى لطرح عدة فرضيات ، ويعمل على التحقق منها ، على أن تكون درجة الاحتمال النسبية لكل واحدة من تلك الفرضيات المتتالية التي كونها ماثلة في ذهنه تماما .

واذا كانت موارد مؤلف ما قد ضاعت ، فان النقد لا يقف مكتوف الايدي . **فدراسة داخلية دقيقة** لنص (الوثيقة) تعطي عن موارده ، بصورة عامة ، كمية وافية من المعلومات الصغيرة . فاذا ما أعيد جمعها وتفسيرها في ضوء المصطلحات الادبية للعصر ، فانها تسمح بتكوين فكرة عن موارده أكثر دقة ، وتفسح المجال لتقدير قيمتهـا .

و ـ اعادة النص الى اصالته وترميمه :

إن هذه الخطوة ليست جزءاً من « النقد الخارجـي » فحسب ، بل هي في الواقع جزء رئيسي من النقد الباطني الايجابي أيضاً إذ لا يمكن أن تتم إلا بفهم النص وتفسيره . وبذلك تكون هذه الخطوة تعاوناً بين النقدين .

ان من المهمات الاولى التي تفرض نفسها على المؤرخ ، بعد أن تجمعت لديه الوثائق التي سيعمل عليها ، أن **يحقق النص ويحييه** . وفي الواقـع ان نشر نص عملية صعبة دائما : فنشر نص أو طبعه ، يعني نقلـه ، والنقل دائما يعني وقوع (غلط) : فالناقل أو الطابع يرتكب دائما اغلاطا ، حتى ولو كانت النسخة المنقولة أو المنقول عنها نسخة مطبوعة ، فبالأحرى ان يقع هذا اذا كان النص مخطوطا . ولا سيما ان هذا النص قد يكون مكتوبا بلغة مغايرة للغة الناسـخ أو الطابع ، والخطوط تتفاوت وضوحا وتعقيدا ، وتختلف من فترة زمنية الى أخرى . ويقول المؤرخ « جيلبروي Gilbert ouy » : « في كل الحقب التاريخية ، هناك بعض أفراد يكتبون بشكل سيء ، ولكن هناك حقبا يكتب فيها جميع الناس بخط سيء . فخط البرديات اليونانية واللاتينية سيء جداً ، وكذلك نصوص القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، بل ان بعضها مشوش الخط تشويشا قد لا يوجد اليوم عشرة

من المؤرخين القادرين على فك رموزه »[1] . ولذا من الطبيعي إذا أن تكون بعض الطبعات حتى « المحققة » منها و « العلمية » مشوهة .

وهناك نصوص لم تصلنا بأصالتها ، وانما عبر (نسخ) منها : مطبوعة ، أو مخطوطة . وهذه النسخ مختلفة فيما بينها، ولا بد من الاختيار فيها . وهذا الاختيار يطرح مشكلات في الطريقة ، من العسير القول أنها حلت .

ولا يعني طبع نص في حياة صاحبه وبموافقته أنه نص أصيل . فكثير من المؤلفين لايراجعون نصوصهم المطبوعة . ويضرب النقاد دائما مثلا ، المؤرخ الفرنسي « ميشله » ، فكتابه « تاريخ فرنسا » ، يتضمن في الهوامش معلومات لايمكن أن يوثق بها ، ولا يمكن أن يكون المؤرخ قد وضعها . بل وجد أن بعض مؤلفاته ، الذي نشر بعد وفاته قد حوى (١٥٥٠) غلطة ماعدا الصغير منها .

ومن هنا فلا يجوز للباحث التاريخي الدقيق أن يثق بأية طبعة . وقد جرت العادة أن تشير « الفهارس » الخاصة الى قيمة كل طبعة ، ومع ذلك فقد لا تشير أحيانا ، ومن ثم فلا بد للمؤرخ اذا ما كان النص هاما ، ان يحققه هو بنفسه .

ان فن نشر النصوص او المخطوطات او « الايكدوتيك L'écdotique » هو نفسه اذا كان النص وثيقة رسمية ، أو أثرا روائيا ، إلا أنه قد يكون في الوثيقة الرسمية أسهل . وهو ذاته أيضا بالنسبة للنصوص المنقوشة ، أو المرسومة ، أو المكتوبة ... الخ . ولقد ظن في بادىء الأمر ان طرائقه قد تختلف بحسب كون النصوص مكتوبة بخط أبجدي ، أو مصور ، إلا أن التجربة أثبتت انها هي نفسها لأن القواعد الأساسية للايكدوتيك تنبثق في الواقع من علم النفس . وضمن مخازن الارشيفات ، يوجد اليوم ، **وثائق مسجلة على اسطوانات ، او على اشرطة** ، الى جانب الوثائق التقليدية المعروفة ، وسيلاحظ في المستقبل ان نقد هذه النصوص وتثبيتها لا يختلف عما يجري بالنسبة للنصوص الكتابية .

ان بعض النصوص لم تنتقل الا « **بطريقة غير مباشرة** » عبر استدلالات

---

(1) L'histoire et ses méthodes, p. 1249.

النصوص الأخرى ، أو في التعقيبات ، أو عبر الترجمة . ومثل على ذلك نصوص « سيرة ابن اسحق » اذ انتقلت عبر سيرة « ابن هشام » ، وغيرها كثير . ولكن في هذه الحالة لا يمكن للباحث التاريخي إلا أن يكون حذرا ، فالاستدلالات قد تكون محرفة ، أو أن المؤلف قد سرّد الاستدلال من ذاكرته ، أو أن الناسخ أعطوا النص المسرود ، الشكل الذي يبدو لهم أسلم — اذا كانوا يعرفونه سابقا — . وقد يكونون تعرفوا النص الأصلي ، وأصلحوه .

وحول التعقيبات أو التعليقات على النصوص ، فإنه على الرغم من تحريفها للنصوص الأصلية إذا كانت متداخلة معها ، فانها توضح كيفية فهم النص في العصر الذي تم فيه التعقيب . وهذا أمر هام بالنسبة للناقد ، إذ يعرّفه ببعض من فكر ذلك العصر ، وقد يفتح أمامه الباب لإدراك أكثر استيعابا لما ورد في النص ، أو يوضح له أخطاء وقع فيها المعلّق . ومهما تكن ، فإنها توسع ساحة الرؤية .

أما الترجمة فهي مفيدة في التعرف بالنص ، وقد تشرح بعض جوانبه . ولكن مهما كانت فوائد وصول النص الينا بطريقة غير مباشرة ، فـان **النص الاصلي** يبقى هو الأساس والمعتمد .

وفي أيامنا ، **يكتب الكاتب نصا بيده ، او على الآلة الكاتبة ، وقد يمليه على غيره ، او يسجله على شريط ، فهذه الخطوة إذا تكوّن (مسودة النص)** . وهـذه المسودة قد تطبع مباشرة وتصحح مرة ، واثنتين ، وثلاثا من قبل المؤلف ، قبل أن يأمر باخراج النسخ العديدة منها . فاحدى هـذه النسخ بالنسبة للقانونيين هي الاصل ، بينما الأصل بالنسبة للغويين هو المسودة . وقبل ظهور الطباعة لم تكن الامور تجري على ما يبدو بطريقة مختلفة كثيرا عن الوقت الحاضر . فقد كان هناك حتما **(اصـل)** للنص ، مخطوط بخط المؤلف، ونسخة منهأو مجموعةمن النسخ. وقد لا يكون هناك (أصل مكتوب) ابدا ، وهذا بالنسبة لما نقل شفويا من روايات وأشعار وغيرها . ومن الممكن الا يكون هناك نسخ ، وانما أصل فقط ، وقد يفصل بين النسخ أحيانا والأصل قرون عدة .

وعندما يقال نسخة فانه يقال مباشرة «لابد من خطأ» . والخطأ **هو كل صيغة**

لم يستطع المؤلف كتابتها صحيحة ، أو لم يكن له إرادة في كتابتها . ومن ثم يقال : إن الصيغة الفلانية مغلوطة عندما لا تكون صحيحة من ناحية القواعد، أو غير منسجمة مع لغة المؤلف ، أو غير معقولة من ناحية المعنى ، أو مناقضة له ، أو عندما تنسب للمؤلف أفكارا أو معارف ، لم يكن ليستطيع أن يحصل عليها أو تكون له. ان وضوح بعض الأخطاء قد يبرز مباشرة للقارىء ، وقد تكون هفوات قلم ، ولكن بعضها قد تكون ناجمة من تفكير المؤلف نفسه . وأحيانا لا يمكن الاهتداء اليها إلا بموازنة عدة نسخ مستقلة عن بعضها . وخلاصة القول ان وجود « الأغلاط » أمر لاشك في وجوده من الناحية الموضوعية .

فاذا كنا نملك نسخة واحدة ، فان **« علم النقد الباطني »** أن يفرض وجود « أغلاط » وان يكشفها . ولكنه يقف أمام قضية هامة ، وهي وجود حلقة مفرغة نظريا في أساس جميع هذه العمليات ، فكل ما نعرفه عن مؤلف ما ينبثق مما كتبه ، ونحن ندّعي اثبات أصل هذه الوثيقة مما نعرفه عن المؤلف . ويخرج الناقد من هذه الصعوبة إذا لاحظ أن النحويين والمؤرخين وغيرهم قد نجحوا في وضع شبه قوانين للاغلاط الواردة في النصوص . كما أن دراستنا لترابط الاحداث ، ولمنطق الافكار، تسمح لنا بأن نعطي للنصوص المحققة ثقة عامة . ومع ذلك فهناك حالات يفقد فيه النقد خط اتجاهه ، وذلك عندما يجد نفسه أمام مؤلف سيء ، أو جاهل . وفي هذه الحالة فان تقدير الاخطاء يكون حسب مجريات الأفكار ، وقد لا يمكن إصلاحها . وقد يكون الامر مماثلا بالنسبة للمؤلفين الدقيقين في تفكيرهم . ومهما يكن الامر، فانه عند تقدير أي خطأ في النص لا بد أن يبحث عن العوامل التي جعلت وقوعه ممكنا ، أو محتملا ، أو لا يمكن تفاديه . فهذا البحث ذو أهمية ويكون إلزاما مطلقا لكل نقد .

وهذا البحث يتطلب معرفة عميقة بلغة المؤلف ، وبجميع تطورات تاريخها ، منذ أن دون بها حتى وصلت الى الناسخ . كما يتطلب معرفة بالتاريخ ، وبكل التواريخ : السياسية والفكرية على السواء . وكذلك بتقنية الكتاب في جميع المراحل التي مرّ بها النص : مادته ، شكله ، خطه ، تنقيطه ، صوره ... الخ . وأخيرا لابد من تصور دقيق ما أمكن ، لطريقة عمل الناسخين .

ان تصنيف « الأخطاء » ، وبيان آليتها ، عمل مثير بتعقيده ، بالنسبة لمن يتصرف اليه ، أو الذي التقط حسه ، إلا أنه مزعج ومضايق للقارىء العادي . « فالغلط غير الارادي » ليس بسيطا أبدا ، ومعرفة عوامله تتطلب تحليلا نفسيا لصاحبه ، وما أصعب التحليل النفسي لانسان مجهول تقريبا ، مات منذ ألفي عام مثلا !

ان « النسخ » أو « النقل » عمل متعب ، وكل الذين نسخوا المخطوطات شعروا بذلك . فبعد بضع ساعات يغلب على الناسخ النعاس ، ويهجر كل فكر نقدي . وفي بعض المخطوطات يتبدى تعب الناسخ ، فيلاحظ فيه أولا أغلاط تزداد عددا من صفحة الى أخرى ، ثم تتوقف فجأة ، مع ظهور مقاطع صحيحة من جديد ، كتبت بحبر آخر أو بريشة أخرى ، ويكون الناسخ فيها قد ارتاح . وأحيانا تتوقف الأخطاء قبل تغير الحبر ، وهذا يعني أن تعب الناسخ قد زال عندما لاحظ اقتراب نهاية عمله اليومي .

ان الناسخ في المادة لاينقل حرفا حرفا ، ولا كلمة كلمة ، وانما يفعل كما نفعل نحن اليوم ، أي يقرأ قسما من النص محدودا ، وذا معنى ، وينسخه . وقد لايكون ذا معنى بالنسبة للناسخ إذا كان هذا الأخير تعبا . ومن هنا يتضح مصدران للاخطاء الأولية : إما ان قراءته للاصل مغلوطة ، أو انه نسي ، أو حرّف أثناء الكتابة قسما مما قرأ . وبالشكل الطبيعي ، يفهم الناقل ما ينقله ، وإذا لم يكن يفهم أبدا ماينقل، فانه يرتكب عادة أخطاء أقل ، لأنه ينقل في هذه الحالة حرفيا ما هو بين يديه . وقد لوحظ هذا في ضاربي الآلة الكاتبة ، عندما ينقلون نصا كتب بلغة غريبة تماما عنهم ، فانهم يرتكبون أغلاطا أقل مما لو كانت لغتهم الخاصة . وفي المادة أيضا ، إن الناسخ لا يفهم إلا جزءا من النص ، لأنه نادرا ما يقرأ جملة كاملة . وفي بعض الفترات يفقد تماما كل فهم لما يكتب ، وهذا لا يعني أبدا انه سينقل النص حرفا حرفا كما يفعل ضارب الآلة الكاتبة عندما ينقل من لغة لا يعرفها ، بل ان الذي يحدث أن فكر الناسخ يتخدر تدريجيا ، ويترك العنان له ليعيش كل النبضات اللاشعورية ، وبذلك تتكاثر تحت قلمه الاخطاء الغريبة والمديدة .

لقد احتج دائما ضد الفكرة القائلة بأن الاخطاء هي أخطاء « خطية » فحسب، أي ترجع الى التباس في الاحرف ، وألح على أسبابها النفسية دون البحث عن تحديد لها . إلا أن الجدل لامعنى له ، لأنه يفرض مفهوما للقراءة قد زال منذ مدة طويلة، وهو قراءة كل حرف على حدة ، ماعدا اللهم عندما يُبذل جهد خاص في التهجي ، أو عندما يكون النص مكتوبا بأحد تلك الخطوط ، التي لأحرفها الارتفاع نفسه ، كأحرف أوائل الكلمات في القرن الرابع الميلادي ، والتي لا فاصل فيها بين الكلمات. فليس هناك من يقرأ اليوم حرفا حرفا ، أو مقطعا مقطعا . فاستخدام أحرف بارتفاعات مختلفة في معظم الخطوط ، واستخدام فواصل ، واشارات صوتية ، واعجام ، أعطى لكل كلمة مظهراً خاصا يمكن تعرفه من أول نظرة. ومن ثم فالقارىء المدرب يمكنه أن يقرأ الكلمات مهما صعب خطها . فالناسخ إذاً لا يحلل الكلمة وانما يقرؤها كتلة واحدة ، ومن ثم فانه يخلط بين الكلمات ذات المظهر الواحد ، أو المتشابه ، مثل « عزيز و غزير » و « رقيق ورفيق » و « عليل و غليل » و « تهاجم و تجاهم » وغيرها . ففي كل خطأ هناك عنصران : عنصر خطي يوحي بكلمة ، وعنصر نفسي يحدد اختيار الكلمة التي قرئت خطأ ، إما لكثرة تداولها ، أو للتصورات اللاشعورية التي تلاحق ناسخا أخذ يملّ عمله . فالناسخ ينطق في فكره ما يقرأ ، وهذا ما يسمى « بالاملاء الداخلي » . فكثير من النساخ يكتبون الكلمة كما يلفظونها ، ويكون لفظهم لها مغلوطا .

ويجب ألا ينسى في هذا المجال ، أن عددا من النساخ يكتبون ما يُملى عليهم ، ومن ثم فقد يقعون في خطأ السمع ، أو بعدم فهم ما يسمعون ، فيكتبون كما يرسل إلى أذنهم الصوت ، وأحياناً دون تمييز بين الكلمات ، فيربطون ألفاظا بعضها بينما يجب أن تكون منفصلة ، ككتابتهم مثلا « منعليها » بدل « من عليها »، أو يجزؤون كلمة إلى كلمتين أو أكثر ، فيكتبون « إن تحال » بدل « انتحال » وهلم جرا .

ومن المستحيل في الواقع تعداد جميع الايحاءات الخطية للاغلاط . إلا أن من أبرزها وأكثرها شيوعا ما يسمى بـ « القفزة » . فلنفرض أن الأصل يحمل كلمة « محللان » ، فان الناسخ قد يكتب « محلان » ، فالفكر ذهب بسرعة أكثر من اليد ، التي بمجرد أن وصلت الى اللام الاولى ظن فكر الناسخ انه قد وصل الى

الثانية • ويحدث هذا كثيرا عندما يرفع الناسخ نظره عما يكتب ثم يعود اليه ، فيلاقي بصره في النص احدى الكلمات ، التي كان قد كتبها ، أو أحد المقاطع فيختلط عليه الامر ، ويقفز لا مقطعا أحيانا ، وانما جملة بكاملها أو سطرا • ومن الاغلاط كذلك احلال كلمة محل أخرى بالمعنى نفسه ، كاحلال كلمة « سفينة » محل « مركب » و « اشتغل » محل « عمل » وهكذا •••••

وفي الحقيقة من الممكن في معظم الاحوال تعرف العنصر الخطي أو الصوتي في الخطأ المرتكب ، لأنه لابد أن يترك آثارا مرئية في الغلطة نفسها • أما العنصر النفسي فمن الصعب كشفه في كل الأحوال •

ان جميع الأغلاط المشار اليها سابقا هي **اغلاط لا إرادية** ، ومن السهل بصفة عامة كشفها ، وتصحيحها ، بل يمكن ، ببعض الجهد ، جمعها ، وإيجاد نسبة احصائية محتملة لوجودها ، ومن ثم ترقب ظهورها في أي نص •

اما الاغلاط الارادية :

فالناسخ يقرأ النص ويفهمه ويغير بعض كلماته ، أو تركيب جمله ، وأحيانا يعيد كتابة النص بأكمله من لدنه ، اما اصلاحا له بحسب اعتقاده ، أو شرحا ، أو ارتقاءا بلغته ، وقد يكون التغيير لعدم انسجام الافكار مع أفكار الناسخ أو لتشويه مقصود ، وأحيانا قد ينقل الناسخ من نسخة قد علق عليها ، أو شرحت على حوافها ، فينقل النص مع الاضافات والتعقيبات في الهوامش • إن مفهوم « **احترام النص** » هو احد مظاهر الفكر النقدي ومن العسير أن يشاهد قبل القرن السابع عشر •

ومن الصعب هنا ، أن نعطي ولو فكرة تقريبية ، عن كل التشويهات الارادية التي يخضع لها نص ما خلال السنين • ومع ذلك فهناك نوع معين من الاخطاء يهم المؤرخين ، وهو ما يسمى « بالاضافات » أو « الحشو Interpollation »• ويقصد « بالاضافات » ادخال مقاطع في مؤلف ما هي غريبة عنه بالاصل • وقد تجري هذه الادخالات لمصلحة خاصة ، كأن يضيف أحدهم الى عقد ، أو وثيقة رسمية مايسوغ به حقه ، كما قد تجري لتزيين نص ، أو لانتحاله • أو قد يجري هذا لمسايرة الذوق

العام ، كأن يضاف الى مسرحية ما فقرات لتجاري ذوق الجمهور . ويمكن أن يضاف فقرات الى نصوص مؤلف قديم لتتآلف مع التعليم السياسي أو الخلقي . وهذا قد جرى منذ عهد هوميروس[1] . وفي الواقع هناك أسباب عديدة لمثل تلك الإضافات .

ان نقد الموارد يكفي أحيانا لكشف « الاضافات » . وقد اهتم بها نقد النصوص منذ مدة طويلة . وان أسياد هذا الموضوع هم مؤرخو القانون الروماني: فكل واحد يعرف ان القانون السابق لعهد « جستنيان »[2] قد تم تعرّفه عن طريق النصوص التي ادخلها هذا الاخير في « مجموعة القوانين المدنية » . فخلال هذه العمليات عدلت اللجنة المكلفة بهذه المهمة النصوص الاصلية . فهذه الاضافات والتعديلات هي الاولى التي نبهت الاذهان . ومنذ نهاية القرن التاسع عشر أعطيت كلمة «اضافات» معنى أوسع من مضمونها الاساسي، اذ أطلقت على جميع التغييرات التي ادخلتها لجنة قانون جستنيان الى النصوص السابقة : أكانت حذفا لكلمات رؤي انها زائدة ، أو لجمل ، أو لبنود كاملة في النصوص الرسمية ، أو للاضطراب في نسبة النصوص لاصحابها الاصليين، أو لحذف التناقضات ، وإزالة الاختصارات، التي تعطي لنص ما أحيانا ، مضمونا عاما لم يكن له ، أو تحول نصا صائرا الى قانون حاسم . ومنذ عصر النهضة أخذ المؤرخون يبحثون عن الاضافات وأنواعها ومصنفوهـا .

---

(١) من شعراء الاغريق الملحميين ، وأول من وصلت مؤلفاته الى الاجيال . لا يعرف شيء كثير عن حياته ، وقد ذكر « هيرودوت » انه عاش حوالي ٨٥٠ ق.م . وينظر اليه على انه مؤلف الملحمتين الشهيرتين « الأوديسة » و « الالياذة » ، ومجموع اشعارهما (٢٧٨٠٠) بيتا . وهناك اقاويل كثيرة حول وجوده أو عدمه . كما ان الراي السائد اليوم ان الملحمتين ليستا من صنعه وحده ، وقد اكد ذلك العالم الالماني « ولف » .

(٢) امبراطور روماني شرقي (٥٢٧ ـ ٥٦٥ م) . حارب الفاندال والفرس، وفتح شمالي افريقيا وايطاليا اشتهر بجمعه القوانين ، وبالعمران ، فقد بنيت في عهده عدة مبان فخمة أشهرها « كنيسة ايا صوفيا » في القسطنطينية ، وتزوج من ممثلة هي « تيودورا » .

وقد استخدمت وسائل التدقيق الداخلي في النص لكشفها ، كملاحظة الاختلافات النحوية ، واغلاط التجانس (حول صفات المذكر والمؤنث) والجمل المفككة ، فكل هذه الأمور دليل على تشويه إرادي جرى للنص . كما ان استخدام كلمات وتعابير خاصة لا تتلاءم مع لغة النص الاصلي قد تظهر التحريف . وهذا النوع من النقد هو نفسه الذي يستخدم لمعرفة المؤلف من لغته . كما ان انزلاق معلومات حديثة بصورة لا شعورية من متمم للنص أو محرفه ، والتناقضات التي قد يقع فيها ، شواهد هي الأخرى على التحريف والتزوير . وفي ضوء هذا النمط من النقد ، في التدقيق في المعلومات ، والاسلوب اللغوي ، ومفردات اللغة ، وفي ضوء النظر الى الروح العامة للنص ، استطاع « ولف »[1] أن يعلن أن ملحمتي هوميروس ليستا من وضع مؤلف واحد ، وانما دونتا عبر أكثر من جيل ، ومن قبل أكثر من واحد .

نقد التصحيح :

اذا كانت أغلبية النصوص تحوي أخطاء ، ولا يمكن أن يفلت أي نص من الشك ، فكيف يمكن السير للكشف عن الاخطاء وتصحيحها ؟ لقد وضع اللغويون (الفيلولوجيون) كل همهم لاستخدام الخطأ نفسه في القضاء عليه ، كما يدرس عالم الحشرات سلوك الحشرة لتحسين وسائل مكافحتها .

ان الراغب في نشر وثيقة أو مستند يجد نفسه عمليا أمام واحدة من الحالات الاربع التالية :

١ ــ يوجد تحت تصرفه (النص الأصلي) مخطوطا كان ، أو مطبوعا ، ومصححا من المؤلف .

٢ ــ يوجد بين يديه (نسخة وحيدة) .

٣ ــ لديه الأصل ، ونسخة ، أو عدة نسخ .

٤ ــ لديه عدة نسخ دون الأصل .

---

(١) اوغست ولف A. Wolf عالم لغة الماني ، نقد نصوص ملحمتي هوميروس ، (١٧٥٩ ــ ١٨٢٤) . انظر ص (٨٧) من هذا الكتاب .

في جميع الحالات السابقة، إن أول خطوة يقوم بها الناشر أو الناقد هي **فحص دقيق للمخطوط** (أو للمخطوطات أي لجميع النسخ) : عدد أوراقه ، التحقق من مكانها ، صفة الورق أو الرق ، نوع الورق ، وهذا ضروري هام في تحديد الزمن والأصالة ، كيفية الكتابة على الورق ، والتزيين ، والخط ، وعدد الأسطر ، والمساحة المكتوبة الخ ...

ولا تجوز الثقة بالفهارس في هذه الحالة ، فمع أن العاملين في المكتبات الذين دونوا تلك الفهارس مختصون بمثل هذا النوع من العمل ، فان الوصف الذي يعطونه عادة للوثيقة له صفة العموم ولا يدخل في تفصيلات ذات شأن ، وقد يكون فيه بعض الأخطاء .

والخطوة الثانية هي **نقل الناشر او الناقد لنص المخطوط** . ويوصى أثناء ذلك بأن يكون تحت يده قطعة من الورق يسجل عليها كل ماتوحيه به اليه تلك العملية من أمور وبذلك يجمع عديدا من الملاحظات ، لبعضها أهمية كبيرة ، وبعد أن ينقل عدة صفحات من الافضل أن يتوقف قليلا ليراجع ما فعل ، وقد يرى انه قد ارتكب عدة أخطاء نقل ، وان بعض ما التقط من ملاحظات لاقيمة له، فيحذفها، ويتابع عمله وهو أكثر ثقة بالنفس .

وعندما يعاد نشر نص قد طبع سابقا ، فمن المغري الا تستنسخ منه نسخة جديدة وانما يسعى لمقابلة المنشور (المطبوع) بالأصل ، ان معظم الناس يعملون بهذا الشكل لكسب الوقت ، ولكن يجب الانتباه بأنه يرتكب من الاخطاء أثناء المقابلة أكثر من أخطاء النقل ، ولذا فانه لا بد في هذه الحالة من زيادة حدة الانتباه، وتدقيق المقابلة من قبل ثالث اذا أمكن ، وهناك ملاحظة عملية لها قيمتها أثناء المقابلة ، وهي وجوب عدم قراءة النسخة المطبوعة أولاً فالمخطوطة ثانيا ، لأن المقروء أولاً يثبت في الذهن ويمنع رؤية الثاني . وليكن معروفا أن النقل ، أو المقابلة ، مخيبان للظن ، لأنه حتى في المقابلة العاشرة تكتشف أغلاط ! ولقد اخترعت مؤخراً بعض الآلات الالكترونية القادرة على قراءة بعض الأمور البسيطة ، إلا أنها قد تتحسن مع الزمن ، وتكون قادرة على قراءة الباليوغرافيا ، والقيام بالمقابلات ، وبذلك يتخلص « اللغوي » من عمل المقابلة الشاق ، ومن الخطأ . ولكن هذا

لايعني أنه قد أعفي من القيام بالسبر العميق : فليس هناك آلة يمكنها أن تلاحظ هذه المجموعة من التفصيلات التي لا يعرفها سوى الخبراء والمتبحرون في العلم .

الحالتان الاولى والثانية : نص حفظت نسخة واحدة منه (الاصل او النسخة):

ان الحالتين الأوليتين : **الناشر يملك الأصل** ـ وهذا حال النصوص الأدبية الحديثة وغير المنشورة ، وحال كثير من وثائق الارشيفات ـ والناشر **يملك نسخة ما من الاصل** ، لا يختلفان اختلافا كبيراً عن بعضهما كما يمكن أن يظن . ان مما لا شك فيه ان **الاصل** يقدم ضمانات لاتقدمها النسخة عنه ، فمن أجل هـذه الاخيرة لابد من **تقويم قيمتها** عن طريق معرفة تاريخها ، وفحص نصها ، وسير حياة ناسخها إذا أمكن ، والسعي للوصول إلى أصلها الأول ، الذي قد تتضمنه مؤلفات معاصرة للمؤلف ، أو صدرت بعده ، أو قبله . ويستحسن في حالة وجود نسخة وحيدة دون الأصل ، نشرها بعد كل التحقيقات اللازمة حولها ريثما يظهر البحث الجديد شيئاً عن أصلها .

ومن المحتمل ان النسخة قد تحتوي من الأغلاط أكثر مما يحويه الأصل ، إلا أنه من الخطأ الاعتقاد ، ان هذا الأصل ـ حتى ولو كان مذكرات شخصية ـ خال من الاغلاط . فمن النادر أن تسير يد المؤلف كما يسير فكره : فالفكرة تضغط على الأخرى في ذهنه ، وقد تبلبل رموز التسيير ، أي الكتابة ، ويقع الخطأ .

إذاً فلا فرق جوهري بين الناسخ والمؤلف من ناحية الوقوع في الخطأ ، وقد يكون الأصل حاويا اغلاطا كالنسخة . وفي هاتين الحالتين فان الصعوبة الاولى هي **كشف الاخطاء** ، والثانية **تصحيحها** . وفي حالة (النسخة) فان الناشر يضع نفسه محل المؤلف ليصحح له نصه . والتردد الممكن الوحيد قد يأتي من مدى ثقة الناشر في قيمة تصحيحه . فاذا تأكد من صحته أدخله في النص ، وأبعد الكلمة المغلوطة . أما إذا كان غير واثق من تصحيحه فانه يترك الكلمة كما هي ، ويشير الى ذلك في الهامش . ولكن إذا كان النص من المخطوطات الخاصة ، أو نصا كان قد صححه مؤلفه بدقة وامعان فماذا يكون العمل ؟ هل من حق الناشر تصحيح المؤلف ؟ هناك من يصر على القول (لا) ، إلا ان أغلبية النقاد يقولون (نعم) . ان المسألة بعد

ذاتها لا أهمية كبيرة لها نسبيا ، لأنه مهما كان الامر ، فان كل تغيير في النص ،يجب أن يشار اليه في الهامش .

وكما أن هناك دائما عنصرا ذاتيا في تقدير الخطأ ، فهناك دائما عنصر ذاتي في التصحيح . ويمكن اضعاف هذا العنصر الذاتي الى الحد الأقصى إذا ما طبقت الشروط التالية : التوافق مع الحوادث ، وأفكار المؤلف ، وأسلوبه ... الخ ، ثم شرح الغلط وكيفية حدوثه ، فإذا لم يتم هذا الشرح ، فإن « الغلط » يبقى محاطا بالشك . ولا بد من الحذر ، فأي تصحيح هو مغامرة ، وكم من الوثائق الجديدة ، والافكار الجديدة . جاءت لتكذب هذا التصحيح أو ذاك .

ومن بين أخطاء النص ، تكون « **الثغرات** » أصعبها . والناشر يبذل جهده لملئها إلا أن التجربة أثبتت ان الترميمات ، إذا لم تكن صيغا ثابتة ومعروفة ، فقد ألغتها تقريبا ، الكشوف التي أتت فيما بعد . ومن ثم فلا يجب ملء ثغرة ما الا في الهامش ، لأن هناك من لا يقرأ تعقيبات النقد ، وفي هذه الحالة ، ينتهي الأمر بأن تفرض الزيادات نفسها على النص ، حتى ولو وضعت بين قوسين .

وما عدا التصحيحات ، فان من واجب الناشر إذا كان لديه المخطوط الاصلي أو نسخة منه أن ينشرهما كما هما ، وبالضبط والدقة اللازمين . وفي الماضي كانوا ينشرون النص من العصور الوسطى بطبعه بالأحرف الصغيرة بدل نمط « الأحرف الأولى » التي كتب بها أصلا هذا مع المحافظة على كل شيء آخر فيه : كالترقيم ، وأحرف أوائل الكلمات إلى غير ذلك . أما الآن فقد أهمل هذا النوع من النشر ، لانه يجمع مساوىء اللا أمانة في النشر ــ إذ هو ليس سوى نقل مع كل الدقة المتوخاة ــ الى مساوىء الصعوبة ، إذ أنه أحل محل حروف المخطوط الأصلية ، التي اعتاد عليها الاختصاصيون رموزا أخرى : فالباليوغراف يقرأ المخطوط بسهولة أكبر من قراءته لطبعته المسماة « بالدبلوماسية » . ان « النشرة الدبلوماسية » كما يجب أن تكون هي في الواقع « الصورة الفوتوغرافية » للمخطوط .

ومع ذلك فان التصوير ليس بالامانة المطلقة المتصورة : فمن الصعوبة تمييز

الحك فيه ، ومسح الكلمات ، وتغيير الحبر ... الخ . فمن المستحسن إذا أن ترافق النسخة المصورة بنسخة محققة على النمط الحديث .

وهذا النوع من « الطبعات الدبلوماسية » خصص في الواقع لوثائق ذات أهمية خاصة . وبصورة عامة يلاحظ أنها تغدو أقل تعقيدا ، وأسهل في القراءة ، اذا ما اكتفي بعدد أقل من الاشارات الاتفاقية (الأهلة ، الجمل الاعتراضية ... الخ) التي يبين بها الناشر ، للقارىء ، كيف تدخّل في إصلاح الكلمات ، وسد الثغرات . وأفضل نظام لمثل هذه المصطلحات المستخدمة ماتبناه العاملون في دراسة أوراق البردي ، حيث وضعوا ملحقا يشرحون فيه جميع التغييرات الطارئة على المخطوط ، وجميع الملاحظات النقدية التي تجمعت لدى الناشر .

ويلزم الناشر ان يقدم المخطوط باملائه ذاته ، لا لان الاملاء وشكل الكتابة يقدمان للمؤرخ اللغة معلومات مفيدة فحسب ، ولا لان على الناشر الذي يعرف مهنته تماما ، أن يقدم نصوصا يستفاد منها في كل مجال فحسب ، وانما لان تغيير كتابة نص يعني ترجمته . والترجمة قد تؤدي الى تناقضات في المعنى . فنص غيّر املاؤه مشكوك فيه ، ويجب أن يستخدم بحذر . ولكن يمكن أن يجري هذا لتبسيط النص ونشره في الاوساط العامة ؛ ولكن لابد من الاشارة أخيرا الى أن المؤرخ والأديب نادراً ما يستخدم مثل هذه الطبعات .

الحالة الثالثة : النص الذي يوجد اصله ونسخة او عدة نسخ منه :

وهذه الحالة تتوافر في مؤلفات الكتاب المعاصرين بصفة خاصة ، وتكون أقل وفرة في « الوثائق الارشيفية » التي قد توجد مسوداتها مع عدة نسخ منها . فبالنسبة لهذه الوثائق تكون « المسودة » هي الاساس ، ويوثق بها . أما بالنسبة للمؤلفات الادبية ، فان القضية أكثر تعقيدا : فقد يكون المؤلف قد غيّر نصه أثناء الطبع ، فالنص المطبوع إذا يمكن أن يكون هو الوحيد الذي يعترف به ، فهناك مثلا كتاب « جان دارك » لميشله المؤرخ الفرنسي ، فلدى الباحثين عدة نسخ منه :

(١) ــ النص المخطوط الذي استخدم في طبعة عام ١٨٤١ .
(٢) ــ نسخة من الجزء الخامس من « تاريخ فرنسا » المطبوعة عام ١٨٤١ .

(٣) ــ النسخة التي هي فسيلة منتزعة من « تاريخ فرنسا » المطبوع عام ١٨٥٣ .

(٤) ــ طبعة « تاريخ فرنسا » عام ١٨٦١ .

وفي الواقع ليس هناك نص من الاربعة مطابق تماما للآخر : فالنص (٤) ثبته صهر المؤلف . وكان المؤلف في حياته قد أشار في رسالة من رسائله الى ان النص (٣) هو أفضل من (٢) . ومن ثم فقد طبع النص (٣) بعد أن أوضحت في الهامش الاختلافات عن (١) و (٢) و (٤) . والمهم دائما ان تكون الحواشي النقدية صحيحة، وتضع تحت أعين القارىء وسيلة لمراقبة كل ما يقرأ في المتن .

الحالة الاخيرة : وهي الحالة الاكثر وجودا :

وفيها لا يملك الناشر إلا **بضع نسخ متفرقة من الاصل** . وهذه الحالة أفضل من تلك التي لا يملك فيها الناشر سوى نسخة واحدة . فموازنة مختلف النسخ يكشف الاخطاء التي يمكن ان تمر دون كشف لو أن هذا العدد من النسخ مفقود.

ولكن المزعج في هذه الحالة ان الناشر يضيق ذرعا بعدد النسخ : فهناك مثلا (١٨٨) مخطوطا وسيطا للالياذة ، وأكثر من (٣٧٢) بردية ، وبعضها ليس فيه إلا ثلاثة أبيات من الشعر .

وهناك بعض مبادىء اتفق عليها بين الفيلولوجيين (اللغويين) في دراسة مثل هذه النسخ العديدة ومنها :

ان عمر المخطوط لا يثبت شيئا حول قيمة نصه : فمخطوط من عام ١٤٥٠ قد يكون منقولا من مخطوط في عام ٨٥٠ : فتشاهد فيه آثار الكتابة الكارولنجية ، التي اختفت أو ما قبلها ، بصورة ان الشكل الخارجي للنص قد يوحي بأنه يرجع الى عام ٧٥٠ م أو ٨٠٠ م . وفي دراسة دقيقة لنسب هذا المخطوط ، قد يشاهد ان هذا المخطوط قد برز (جـ٣) لمخطوط من عام ١١٥٠ مثلا . وأمثال هذه الحالة ليست نادرة .

شجرة نسب النسخ :

اعتاد علماء اللغة ، عندما كانوا يريدون « نشر نص » أن يختاروا من بين النسخ المتوافرة بين أيديهم « النص المحسن » أي المخطوط الذي يبدو أكثر النسخ صحة ، وينشرونه مع أقل ما يمكن من التصحيح . ولكن النقد الحديث ، أحل محل ذلك الأسلوب ، البحث المنظم عن جميع النسخ المحفوظة ، ثم تصنيفها ، أي اقامة شجرة نسب لها ، ومن ثم تحديد قيمتها ، لا بحسب قيمهم هم — أي علماء اللغة — ، وإنما بحسب مكانها من شجرة النسب ، وقربها من النص الأصلي الذي دوّنه المؤلف بخطه ، أو أملاه لأول مرة .

ولتصنيف النسخ حسب درجة قرابتها من النص الأصلي تتبع الطريقتان التاليتان معاً :

١ — الدراسة الخارجية لمختلف النسخ مثل تاريخ النسخ ، مصدرها ، تزييناتها ، خطها ، فهارسها ، ومحتواها العام . فالنسخ المتشابهة في هذه العناصر توضع ضمن مجموعة واحدة .

٢ — الدراسة الداخلية لمختلف النسخ وهي الدراسة الأدق الموصلة الى نتائج ثابتة نسبيا . ويعتمد فيها على مبدأ « الخطأ المشترك » : أي أن النسخ ذات الاخطاء الواحدة تكون عادة منقولة من نص واحد ، أو أنها منقولة من بعضها ، شريطة أن تكون تلك الأخطاء مؤكدة ، أي أنه لا يمكن لناسخين مستقلين أن يرتكباها في المكان نفسه . أو بتعبير آخر يجب أن تكون أخطاء (دقيقة) فلتت من تصحيح الناسخين .

وقد عمل الناقدون في مطلع هذا القرن لا على موازنة الاخطاء المشتركة فحسب ، وانما المتوافق أيضا من النصوص في كل نسخة ، ثم تصنيف النسخ في مجموعات على أساس هذا التوافق .

ومن الأمثلة على ذلك ما أورده الدكتور « أسد رستم » عند نشره كتاب

« تاريخ الأمير فخر الدين المعني » « لأحمد الخالدي الصفدي »[1] ، بالاشتراك مع الأستاذ « فؤاد أفرام البستاني » . فهو لم يجد النص الأصلي وانما وجد خمس نسخ : إحداهما عند الشيخ « كسروان الخازن » ، وقد رجح الدكتور رستم انها ترجع الى القرن الثامن عشر ، ورمز اليها بحرف (ك) ، وثاني النسخ « نسخة المكتبة الوطنية » في ميونيخ ، ونسخة « دار الكتب المصرية » بالقاهرة ، وهي صورة عن النسخة السابقة ورمز اليها بـ (م) ، وثالثة النسخ « نسخة جامعة برنستون » بالولايات المتحدة الامريكية (د) ، ثم « نسخة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف » (هـ) وهي النسخة الرابعة . أما الخامسة فهي « نسخة الأستاذ جورج يني » في طرابلس الشام (و) .

وعند دراسة النسخ الخمس اتضح للدكتور رستم ما يلي :

١ ـ ان نسخة الاستاذ يني (و) هي نسخة منقولة عن نسخة الشيخ كسروان (ك) لتطابقها معها ، وهي أحدث منها ، لان الخط ، والورق ، والمظاهر الخارجية الأخرى تثبت ذلك . ولذا فانه أهملها لان نسخة الشيخ كسروان تحل محلها ،لأنها هي الأقدم .

٢ ـ ان نسخة الاستاذ معلوف (هـ) مشابهة لنسخة جامعة برنستون (د) مع اضافات فيها عنها . ولذا استبعد نسخة جامعة برنستون (د) .

٣ ـ وجد بالموازنة ان هناك اشتراكا في الاخطاء بين نسخة الاستاذ معلوف (هـ) ونسخة المكتبة الوطنية في مونيخ (م) . فإما أن تكون واحدتهما منقولة عن الأخرى أو الاثنتان منقولتين عن أصل واحد مفقود . فاهمل نسخة الاستاذ معلوف (هـ) .

٤ ـ تبقى أمامه نسختان (م) و (ك) . فقابل بينهما ، واتقى في كل مرة من النصين ما ينسجم مع أسلوب العصر ولغة المؤلف ، ووضع في الهامش الاختلاف الوارد في النسخة التي لم ينتق نصها .

---

(١) احمد بن محمد بن يوسف الخالدي . المتوفى ١٠٣٤ هـ/١٦٢٥ م . فقيه مؤرخ . له عدة مصنفات ، وله رحلتان منظومتان احداهما للقدس والثانية الى الصين .

بعد هذا العرض لاساليب « النقد الخارجي » ، و « نقد التصحيح » ، لا بد من التأكيد انه من الضروري ان يقوم الباحث التاريخي بهذا النوع من العمل • وعلينا نحن العرب أن نسعى لنشر أصول تراثنا المخطوطة ، وتحقيقها ، طبقا للقواعد العلمية المشار اليها ، ولا سيما ان نشر هذه الاصول يقدم خدمة جوهرية للدراسات التاريخية العربية • ويلاحظ في العالم اليوم ، ان الجمعيات العلمية العديدة ، والحكومات العربية ، والجامعات ، وكثير من مؤسسات التراث تكرس لهذا العمل أكبر جزء من مواردها ، وأكبر قسط من نشاطها • ولكن العملية تتقدم ببطء لكثرة النصوص أولا ، وللجهد الكبير الذي تتطلبه ثانيا •

٢ ـ النقد الداخلي (الباطني)

ان الهدف من هذا النقد هو **الحصول على المعلومات التاريخية الحقيقية من الوثائق والاصول التاريخية** • فكاتب الاصل لا يوضح كيف لاحظ الوقائع ولا كيف جمع معلوماته منها ، ولا كيف دونها ، فمن الممكن انه لم يراع الدقة التامة بشأن بعضها أو فيها كلها • ومن ثم فمن الضروري تحليل الوثيقة • ويكون التحليل أولا بتفسير النص •

أ ـ تفسير النص او النقد الباطني الايجابي :

اذا ما انتهى المؤرخ من اثبات اصالة النص ، وتحديد تاريخه ، ومكانه ، والتعرف بهوية مؤلفه ، فبامكانه ان ينتقل الى شرحه •

ونكاد لا نجرؤ على القول انه لفهم نص من النصوص يجب معرفة لغته ، وان اللغة نفسها التي تعلمها « وتثبتها » المدرسة ، والطباعة ، تتغير باستمرار • واذا كانت منتشرة على بقعة واسعة فانها تتطور بحسب الامكنة • وان لكل واحد من الناطقين ، أو الكاتبين بها ، عاداته الحسنة أو السيئة ، وأسلوبه • وقد تكشف لغته عن طباعه ، وأصوله ، وعمره ، وربما لون شعره ، وشكل وجهه ، والتجاعيد فيه ، ومظهر خطه • ومن ثم ، فلا يكفي أن يمتلك الباحث التاريخي معرفة عامة باللغة ، ليكون قادرا على فهم جميع النصوص المكتوبة بهذه اللغة • ولم تكن الجامعات

في الماضي تشعر بأن دراسة التاريخ بحاجة لمعرفة اللغات الحية ، أو الميتة ، أو غير ذلك من الامور . ومن ثم فان هناك مؤرخين ، ومؤرخين حقيقيين ، عملوا وبنجاح، معتمدين على الترجمة . ولهذا جرت العادة ان ترفق طبعات النصوص بترجمات لها ، وغدا هذا شبه قاعدة بالنسبة للّغات الشرقية ، ودرجت هذه القاعدة اليوم بالنسبة للنصوص اليونانية ، واللاتينية . وأدى هذا بالطبع الى انخفاض مستوى الدراسات الكلاسيكية . بل انه لا ينشر اليوم أي نص من نصوص البرديات دون ترجمة . ومما لاشك فيه أن الترجمة تقدم تسهيلات كبيرة ، ويستفيد منها الناشر غالبا أكثر من القارىء ، لأنها تجبره على أن يفهم نصه فهما كاملا ، أو بتعبير آخر أن يحدد ما فهمه وما لم يفهمه ، وان يرى مدى صحة ترميمه للنص ، وان يتعمق في بحوثه . وقد تخترع آلات للترجمة في المستقبل تخلص المؤرخ من مهمة قراءة زملائه بلغتهم الخاصة .

ففهم نص إذا كتب منذ قرنين أو ثلاثة ، عملية دائما صعبة ، اذ أن اللغة الاجنبية التي تزود بها المدرسة الباحث عادة ، لغة محدودة ، لم يقرأ بها سوى نصوص فقيرة غالبا بالألفاظ التاريخية الاختصاصية . ولذا فقد يشعر بخيبة أمل مريرة أمام نصوص تاريخية ، عليه أن يفهم كل ألفاظها بحسب معناها الماضي ، وأن يدرك مصطلحاتها التقنية بدقة كبيرة . كما أن عليه أن يقرأ نصوصا متنوعة : مذكرات على المفكرات ، ونصوصا تقنية ، إدارية أو شعبية ؛ ولذا لا بد انه سيصطدم بكثير من الكلمات التي يجهل معانيها . وقد يقع عند شرحها بأغلاط كثيرة اذا ما اعتمد على المعاجم العادية . هذا مع العلم ، أن الكاتب قد يستعمل لغة عامية غير اللغة الفصحى الثابتة نسبيا فيزداد الامر تعقيدا . وهذا قائم في جميع اللغات ناهيك عن اللغة العربية . وفي الواقع ان هناك عددا من المؤرخين كتبوا باللهجة العامية ، وادخلوا في كتاباتهم ألفاظا لا مدلول لها في المعاجم المعروفة .

ولا بد من التأكيد أن الدارسين يختلفون في مستوى ثقافتهم ومعرفتهم للّغة، حتى لغتهم الخاصة ، ومن ثم يتفاوتون في مدى قدرتهم على شرح النصوص . والذي يرجع الى العصور الاسلامية ، وكتب تفسير القرآن يشعر بذلك التفاوت، حتى بين الصحابة أنفسهم .

ومن هنا كان من الضروري للباحث التاريخي أن يكون عارفا بفيلولوجيا اللغة التي كتب بها النص ، ومدركا دقائقها حتى لا يقع في تناقضات في المعنى . فلا يجوز للمؤرخ أن يبحث في تاريخ فكرة ، أو مؤسسة ، دون أن يقوم بدراسة منهجية لتاريخ « الكلمات » التي اطلقت عليها ، أو حددت لها ، لا في الفترة الزمنية التي يدرسها فيها فحسب ، وانما منذ الاصول الاولى نفسها لهذه الكلمات ، وعليه أن يسير بهدوء ، وبصبر ، معانيها في النصوص نفسها ، لا أن يقلب معاجم اللغة بسرعة ، ولهاث .

ولا يكفي في الواقع لفهم النص وتفسيره إدراك المعاني اللغوية لمختلف كلماته، بل لا بد من فهم كل ما ورد فيه من مصطلحات شتى ، تاريخية ، وادارية ، وسياسية، واقتصادية واجتماعية ، وفكرية ، وفنية ، وما سواه من أسماء أماكن مع تحديد مواقعها ، وما تضمنه من اسماء اعلام ، واسماء كتب ، وغيرها من أمور .

ولذا فان على الباحث التاريخي عند تحليل أي نص ، ان يستخرج منه أولا جميع الألفاظ اللغوية التي تبدو له غامضة ، أو تحمل معنى غير المعنى المألوف لديه، ويضعها على بطاقة خاصة ، وكذلك يفعل مع المصطلحات المتنوعة ، وأسماء الأماكن وأسماء الأشخاص ، وأسماء الكتب ، والأحداث التاريخية . ثم يسعى لشرح كل « لفظ » على بطاقة خاصة ، بالرجوع الى معاجم فقه اللغة بالنسبة للالفاظ اللغوية، والى كتب التاريخ والموسوعات المختلفة، ومعاجم المصطلحات الادارية ،والسياسية، لتفسير تلك المصطلحات ، والى المعاجم الجغرافية ، والاطالس ، والخرائط ، والموسوعات المتنوعة ، والجغرافية بصفة خاصة ، لشرح أسماء الاماكن وتحديد مواقعها ، والى كتب التراجم ، والاعلام ، وكتب التاريخ ، والموسوعات ، وغيرها، للتعرف بالشخصيات التي وردت اسماؤها في النص ، والى كتب التاريخ المختصة والموسوعات الموسعة لتفسير الاحداث ، والى المؤلفات عن فهارس الكتب والمؤلفين للاحاطة بما ورد في النصوص من أسماء كتب ، الى غير ذلك من مصادر متنوعة للوصول الى معنى كل صغيرة وكبيرة في النص .

وبعد أن يشرح الناقد المعنى الحرفي للنص عبر فهمه لجميع الفاظه وتراكيبه المتنوعة ، فان عليه أن **يكشف غرض الكاتب من نصه والمعنى الحقيقي لما كتبه** .

فمن الممكن أنه قد استخدم بعض التعبيرات بمعنى منحرف عن معناها الحقيقي . وهناك حالات كثيرة بهذا المعنى : كأن يكون قد استعمل الرمز ، أو الاشارة ، أو الغمز ، أو التشبيهات ، أو السخرية . ففي هذه الحالات **لابد من الوصول من المعنى الظاهري الى المعنى الحقيقي الذي أخفاه المؤلف تحت صور شتى من التعبير** . ويظهر هذا كثيرا عندما يكتب صاحب النص « بأسلوب أدبي » بحت ، أو عندما يقلد أسلوب غيره ، أو يخضع لتأثيرات اجتماعية ، أو أدبية معينة .

وفي الواقع إن هذه المشكلة مربكة جدا الناقد ، اذ ليس هناك مقياس يعرف به المعنى الرمزي ، أو يتعرف به الواقع الحقيقي من خلال ما دونه المؤلف . ولكن يمكن القول ان المؤلف لا يستخدم الرمز في مكان يود فيه أن يكون مفهوما . فهذه الصعوبة لا يصطدم بها الناقد في الوثائق الرسمية عادة ، أو في الحوليات التاريخية . فهو يستخدم المعنى الغامض ، عندما تكون لديه أغراض تدعوه لتعمية ما يريد على بعض القراء دون غيرهم ، كالسلطة الحاكمة مثلا ، مع توقعه أن يفهم من قرائه الآخرين . وهذا يجري عادة في المؤلفات الادبية المختلفة ، ويمكن استنتاجه من النقد الباطني السلبي أي من نقد المؤلف ومعرفة حياته الخاصة ، واتجاهاته ، وموقف معاصريه منه جمهورا وسلطة .

ومع صعوبة هذا الامر ، فان هناك بعض القواعد للكشف عن المعنى الرمزي . فعندما يكون المعنى الحرفي غامضا ، أو غير معقول ، أو مشوشا ، أو مضادا لآراء المؤلف أو الحقائق المعروفة عنه ، فانه لابد أن يشك بوجود معنى رمزي . وفي هذه الحالة يمكن أن يفهم هذا المعنى من سياق الوثيقة ، ومن دراسة أعمق للغة ، ومن موازنة المصادر . وكلما كان المؤرخ واسع المعرفة وعميقها فان مختلف المعاني تنساق اليه بسهولة .

ومن هنا كان على الناقد أن يقرأ بين السطور لتفهم المعاني الحقيقية للعبارات التي تبدو واضحة أحيانا ولكنها تخفي أمورا غير ظاهرة ، وللعبارات الغامضة . ولا يمكن ذلك إلا بمعرفة تفصيلية لحياة المؤلف ، ولمختلف جوانب العصر الذي عاش فيه من سياسية ، واجتماعية ، واقتصادية ، وفنية ، وفكرية . واذا ظلت هناك نقاط مستعصية على الفهم ، على الناقد أن يصنفها على بطاقته على أنها لم تحل .

ولكن لا بد للناقد من الحذر من الانسياق في هذا الطريق ، أي عليه ألا يسرف في التشكك في معاني الألفاظ الحقيقية ، وفي تصور الكنايات والمجازات في كل مايقرأ، بحيث يحمّل النصوص مالا تحمله في الواقع . كما عليه أن يكون حذرا عند تفهمه للنص ، من أن يحمّل الماضي مايحمل الحاضر من أنماط تفكير ، وتصورات ، ومشاعر ، ومؤسسات ، وأحوال .ولا بد من الاشارة هنا، إلىأن عمليةالوصول الى المعنى الحقيقي الذي أراده صاحب الوثيقة في وثيقته ، قد تكشف خلال التحليل ، كثيرا من الحقائق ، عن مختلف نواحي الحياة في المجتمع وتأثيراتها في المؤلف .

وبعد أن يبلغ الناقدّ المعنى الحقيقي للوثيقة فانه يكون قد انتهى من التحليل الايجابي ، وأصبح على معرفة بمفهومات المؤلف ، والصور القائمة في فكره ، والمفهومات العامة التي تمثل بها العالم ، أو بتعبير آخر وضع نفسه موضع صانع الوثيقة ، وركب الحالة العقلية التي مر بها وهو يصنعها .

وان النقد الباطني الايجابي للنص التالي يشرح عمليا ما ذكر سابقا بطريقة شبه مجردة : والنص هو ترجمة لشخصية حلبية من الربع الأول من القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي . وقد أوردها المؤرخ رضي الدين محمد بن ابراهيم المعروف بابن الحنبلي المتوفى عام ٩٧١ هـ/١٥٦٣ م ، في كتابه « در الحبب في تاريخ أعيان حلب » (جزءان في أربعة أقسام : دمشق ١٩٧٢ ــ ١٩٧٦ . الجزء الاول ــ القسم الاول . ص ٢٦) .

النص :

« ابراهيم بن ادريس الحلبي الشافعي الهمداني الطريقة ، القاطن بالمدرسة الرواحية بحلب . كان مريدا للسيد عبد الله التستري الآتي ذكره ، وخليفة لابن أخيه الشيخ يونس الآتية ترجمته ، فانه خلفه عند أخذه في السفر الى دمشق .

وكان صالحا ، سليم الصدر ، متجردا ، لم يتزوج قط ، وكان من دأبه أن يجمع عنده في كل سنة شيئا من الزبيب والقلوب . وكلما دخل عليه طفل وهو بالرواحية باناء لأخذ ماء من بركتها أعطاه كفا من ذلك .

ولم يزل فيها ملازما للاوراد الفتحية في طائفة كثيرة من المريدين الى ان توفي سنة خمس وعشرين وتسعمائة ودفن شرقي مزار الشيخ ثعلب » .

فلفهم هذا النص لابد من تحليل جميع كلماته التي تبدو غير مفهومة لغويا ، أو مكانيا ، أو غير معروفة للقارىء ، وتصنف كما يلي :

بطاقة بالالفاظ اللغوية والمصطلحات	بطاقة باسماء الاماكن	بطاقة باسماء الاعلام
ـ الاوراد الفتحية ـ الزبيب ـ الطريقة الهمدانية ـ القلـوب ـ كـف ـ متجـرد ـ مريـد	ـ المدرسة الرواحية ـ مزار الشيخ ثعلب	السيد عبد الله التستري الشيخ يونس التستري

ثم يسعى الباحث لشرح كل كلمة على بطاقة خاصـة ، برجوعه الى مختلف المصادر التي يمكن أن تفيده في هذا السبيل ، والمشار اليها آنفا . « فالطريقـة الهمدانية » مثلا طريقة صوفية منسوبة الى علي الهمداني . « والمريد » اصطلاح صوفي يراد به المجرد عن الارادة أو الذي يمحو إرادته في إرادة الله . و «المتجرد» اصطلاح لغوي صوفي يقصد منه المنقطع عن الخلائق والعلائق الظاهرية . «الزبيب» العنب المجفف . والقلوب لب اللوز ، والبندق ، والجوز . « كف » : ملء الكف . و « الأوراد الفتحية » هي الادعية المأثورة والاذكار التي وضعها الشيخ السيد علي ابن شهاب الدين الهمـداني ، والشرح نفسه يستخدم في التعريف « بالمدرسـة الرواحية » ، و « مزار الشيخ ثعلب » ، والشخصيتين الواردتين .

والنص بمجموعه ، بعد فهمه الظاهري ، يمثل صورة من صور التصوف في حلب ، في القرن العاشر للهجرة/السادس عشر للميلاد على الطريقة الهمدانية . أو هو احدى ملامح الحياة الفكرية والاجتماعية فيها في ذلك العصر .

ب ـ النقد الداخلي السلبي ، أو نقد أمانة المؤلف ودقة معلوماته .

ليس الهدف من نقد النص خارجيا ، وباطنيا ، بالنسبة للمؤرخ ، النص نفسه ، وإنما ما يحويه من معلومات . فعلى الناقد التاريخي أن يستخلص منه « الوقائع » ، أي ينتقل من الوثيقة إلى الواقع ، ومن الاشارة ، الى الشيء المعني ذاته . وهذا مايسمى عادة «بنقد الضبط والأمانة» وتثبيت الوقائع الخاصة» . وهنا لابد أن يعرف ، أن أية واقعة مذكورة في النص ، تبقى مشكوكا بها ، إذا لم يبرهن عليها علميا : فإثباتها في النص ، ليس دليلا أبدا على صحتها . فكيف يمكن الوصول إذا الى الحقيقة العلمية ؟ إن حل السؤال المطروح يتطلب الاجابة بدقة على السؤالين التاليين :

(١) ـ هل كان المؤلف أمينا ، ومجردا ، وموضوعيا في نقله للوقائع ، أم كان غير ذلك ؟

(٢) ـ هل الوقائع التي قدمها المؤلف ، هي صورة حقيقية عما لاحظه بنفسه ـ إذا كان شاهد عيان ـ أم أنه أخطأ في نقلها ، أو حمل جزئياتها ؟

وفي الواقع نادرا ما يحتاج الناقد لمعرفة معتقدات وأخلاق مؤلف النص المدروس لذاتها ، إلا اللهم إذا كان يقوم بدراسة خاصة لطباعه ، وشخصيته ، أو إذا شك بروايته . فهو لا يهتم بالمؤلف الا بصفته وسيطا بينه وبين الحقائق . فهدف هذا النقد إذا معرفة فيما إذا كانت الأحداث التي يذكرها صحيحة أم لا ، فاذا كانت غير صحيحة فانه لايهم كثيرا ، ان يعرف إذا قام بهذا العمل عن قصد ، أو عن غير قصد . مهما يكن ، ان السؤالين المطروحين السابقين ، يعنيان في الواقع نقد الوقائع ، التي يقدمها المؤلف من ناحية مدى موضوعيتها ، ومدى صحتها ، ومطابقتها للواقع الماضي .

وقد مارس العرب المسلمون عند نقدهم للاحاديث المروية عن الرسول الكريم هذا النوع من النقد على شكل واسع ، واستخدموا لهذا الغرض التجريح والتعديل ، كما بينا سابقا ، وبحسب الثقة التي منحوها لشخصية المحدث ، فانهم أخذوا روايته أو رفضوها ، وطبقوا ذلك أيضا على « الأخبار » . ويمكن الرجوع الى ما كتبه

« الغزالي » في كتابه « المستصفى من علم الأصول »[1] وما دوّنه (ابن الصلاح) في كتابه « مقدمة في علوم الحديث » للاطلاع على شروط عدالة الراوي[2] .

وقد حدد المؤرخ « سنيوبوس » جملة من الأسئلة توضح في واقعها « أسباب الخطأ » فيما يقدمه مؤلف النص من وقائع . وكأني به قد أخذ جزءا كبيرا منها مما طرحه ابن خلدون في مقدمته عن « أسباب الكذب في الخبر »[3] . وهي مجموعتان: **الواحدة** تحدد الظروف العامة التي تم انشـاء الوثيقة فيها ، والتي تنبثق منهـا **الأسباب العامة** للشك أو الثقة . **والثانية** تحدد الظروف الخاصة لكل إثبات أو واقعة ، قدمهما المؤلف ، ومنها تنبثق **الاسباب الخاصة** للشك أو الثقة . فالأولى تبين إذاً مدى عدالة المؤلف وأمانته ، والثانية مدى ضبطه للأحداث ودقته . وتلخص أسئلة المجموعة الأولى بستة هي كما يلي :

١ ـ هل لمؤلف الوثيقة **مصلحـة ما** في الكذب وتشويه الحقيقة ؟ أي هل يريد أن يخدع قارىء الوثيقة ، ليقنعه بأمر ما ، أو ليحوله عن آخر ، وبذلك يحقق مصلحة ، أو مكسبا لنفسه أو لغيره ، ماديا كان أو معنويا ؟ أو بتعبير آخـر ، ما الهدف العام للمؤلف من كتابة الوثيقة ؟ ويجب الانتباه في هذه الحالة ، الى أن التساؤل منصب على معرفة « مصلحة المؤلف » ، أو « مصلحـة جماعته » ، لا المصلحة التي يمكن أن تكون لطارح السؤال لو كان في مكانه . وهذا السؤال يطرح بصفة خاصة على « القرارات الرسمية » .

٢ ـ هل كان المؤلف في وضع **يجبـره** على الكذب وتشويه الحقيقة ؟ وهذا يحدث عادة في كل وثيقة منسجمة مع قواعد أو أعراف معينة : ففي ضبط جلسة لاجتماع رسمي مثلا ، أو في تقرير رسمي ، قد يكون بعض كذب في تاريخ اليوم ، والعدد ، والاسماء ، والمكان . وقد تضطر الظروف السياسية أو الحربية أو الوطنية أو الاجتماعية مؤلف الوثيقة الى عدم ذكر الحقائق كلها ، أو الكذب فيها .

---

(١) القاهرة ١٣٢٢ هـ . ج ١ . ص ١٠٠ و ١٤٠ ـ ١٤٤ .
(٢) القاهرة ١٣٢٦ هـ . ص ٤٠ ـ ٤٨ .
(٣) المقدمة ص ٣٥ و ص ٦٢ ـ ٦٣ من هذا الكتاب .

٣ ــ هل يتعاطف المؤلف مع جماعة ما من الناس (الوطن ــ الحزب ــ المدينة ــ الأسرة ــ القبيلة) أو مع مذهب معين (دين ، مذهب فلسفي ، نظرية سياسية ...)؟ وهل يكن عداء أو نفورا لمجموعة من الناس أو المذاهب بحيث يقدم فيها اصدقاءه والمذاهب التي يواليها بشكل محبب ، واعداءه والأفكار التي يكرهها بصورة قبيحة مغايرة للواقع ؟

٤ ــ هل المؤلف قد اندفع نحو تشويه الحقيقة ، والكذب ، بغرور فردي أو جماعي ؟ أي ليرفع من شأن نفسه ، أو حزبه ، أو وطنه ، كأن ينسب لنفسه أو لأصدقائه أعمالا لم يقوموا بها ؟ وهنا لابد من البحث عما كان يرضي غرور المؤلف آنذاك : « فشارل التاسع »[1] ملك فرنسا مثلا تفاخر خطأ بأنه هو الذي دبر مذبحة « سان بارتلمي » ، مع أن هذا الأمر قد لا يرضي اليوم غرور أي رئيس دولة عاقل !

٥ ــ هل أراد المؤلف أن يرضي الرأي العام ، أو على الأقل الابتعاد عن خدش شعوره ، فلم يورد من الأخبار والأحداث إلا مايلائم ذوقه ورغباته ، وبذلك كان متملقا له . وهنا لا بد للناقد من معرفة نفسية الشعب ، الذي كان يكتب مؤلف النص الوثيقة له ، أو بينه ، وأن يكون مدركا لمستوى ثقافته ، وأيديولوجيته ، ونوعية الأحداث التي تستثيره .

٦ ــ هل عمل المؤلف على التقرب من الرأي العام بالأسلوب المنمق والمذوق ؟ وبذلك غير الوقائع ، وكيفها بما يناسب الأسلوب الأدبي . فالأدب ــ كما هو معروف ــ فن ولا يتطلب من صاحبه الحقيقة كما هي ، بل كما يتخيلها مؤلفها .

أما الفئة الثانية من الأسئلة أي حول مدى صحة المعلومات الواردة في الأصل

---

(١) هو الابن الثاني للملك « هنري الثاني » و « كاترين دومديتشه » ، تميز عهده (١٥٦٠ ــ ١٥٧٤) بالحروب الدينية في فرنسا ، بين البروتستان والكاثوليك. وقد عمل بإيعاز من والدته « كاترين دومديتشه » ومن « آل غيز » الكاثوليك ، باعطاء الاشارة لمذبحة « سان بارتلمي » (٢٣ آب ١٥٧٢) ، التي هاجم فيها الكاثوليك كبار رجال البروتستان ، وقتلوهم في مذبحة رهيبة .

التاريخي ودقتها . فان « سنيوبوس » يقترح مزة أخرى ، استعراض مجموعة من الحالات ، تفيد في معرفة فيما اذا كان هناك سبب يدعو الى عدم الثقة بدقة المعلومات التي أوردها مؤلف النص . ان الممارسة العملية للعلوم ، تعرفنا بشروط المعرفة الصحيحة للظاهرات والوقائع . وليس هناك في الحقيقة سوى طريقة علمية وحيدة لمعرفة حقيقة واقعة ما أو ظاهرة معينة ، الا وهي الملاحظة ؛ فيجب أن يرتكز كل اثبات ، مباشرة أو عبر وسيط ، على الملاحظة ، وان تتم هذه الملاحظة بشكل صحيح . وقد استعرض سنيوبوس الحالات التي يمكن أن تتعرض فيها ملاحظة الأحداث عند مؤلف النص إلى أمور تشوشها ، وتبلبلها ؛ وهذه الحالات هي :

١ ــ هل كان مؤلف الوثيقة في موقع يسمح له بملاحظة الحادثة ، وتخيل انه قد لاحظها واقعيا ، ولكنه أعيق في الحقيقة ببعض الأسباب الداخلية اللاشعورية، كوهم ما ، أو فكرة سابقة ، أو تصور معين ؟ ومن الصعب في الواقع تعرف هذه الناحية ، ولكن إذا قام الناقد بدراسة مؤلفات المعاصرين ، ووازن بين ما ورد فيها عن ذلك الحادث المسرود ، فانه قد يكتشف الحقيقة . ويقول « سنيوبوس » ان هناك في الواقع عند بعض المؤلفين « مرض عدم الدقة » ويطرح مثلا على ذلك المؤرخ الانكليزي « فرود Froude »[1] ، فقد زار هذا المؤلف مدينة «اديلائيد» في اوستراليا ، وكتب : « لقد رأيت تحت أقدامنا ، وفي السهل الذي يشقه نهر كبير ، مدينة يسكنها (١٥٠٫٠٠٠) من البشر لا يساور واحد منهم أي قلق بخصوص وجبات طعامه اليومية الثلاث » . إلا أنه من المعروف أن « اديلائيد » مدينة مبنية على مرتفع ، ولا يشقها أي نهر ، وعدد سكانها لا يتجاوز الـ (٧٥٠٠٠) نسمة ، وكانت تعاني مجاعة في الوقت الذي زارها فيه « فرود » .

٢ ــ هل كان مؤلف الوثيقة في موقع أو موقف غير ملائم للملاحظة : كأن يكون المكان الذي شاهد منه الحادث بعيدا ، أو أن الظروف المحيطة أعاقت متابعته للأمر كما يجب ؟ أو أن يكون قد أصيب بحادث مرضي بلبل ذهنه ، أو نظره ، أو بقية حواسه ، أو عضويته ، فأعاقه عن المشاهدة والملاحظة الصحيحة ؟

---

(١) جيمس انطوني فرود J. A. Froude : عاش في القرن التاسع عشر (١٨١٨ ــ ١٨٩٤) ، والف كتابه « تاريخ انكلترة من ١٥٣٠ ــ ١٥٨٨ » .

٣ ــ هل المؤلف يؤكد حقائق كان باستطاعته ملاحظتها ، إلا أنه لم يكلف نفسه عناء مشاهدتها ؟ ومثل هذه ، أوصاف الاحتفالات التي تكتب قبل حدوثها ، مستندا كاتبها الى وقائع برنامجها المسبق فقط : ففي التاسع من تشرين الاول ١٩٣٤ ، صدرت صحف المساء في باريس وهي تصف استقبال الملك اسكندر ملك يوغوسلافيا[1] في مرسيليا . وحوالي الساعة السادسة عشرة وصلت الانباء الى باريس بمقتل الملك . ولفترة من الزمن شوهد في أكشاك الصحف العناوين التالية: « مرسيليا تستقبل بحماسة الملك اسكندر » وفي الوقت نفسه « الملك لقي مصرعه ». ومثل هذا الأمر ينطبق على كثير من « الرحلات » التي دونها أصحابها ، ونقلوا فيها معلوماتهم عمن سبقهم ، دون أن يدونوا هم ملاحظاتهم المباشرة عنها ، إما لأنهم لم يزوروا بعض المناطق التي وصفوها ، أو إهمالا منهم ، أو تهاونا ، أو لأسباب أخرى . وكذلك بعض تقارير القناصل والسفراء ، التي كانت تكرر مشاهدات السابقين لهم .

٤ ــ هل الحادثة التي يؤكدها المؤلف يمكن أن تكون معروفة عبر الملاحظة المباشرة ؟ كسر من الأسرار الخاصة مثلا ، أو على نقيض ذلك ، حادث مشترك واسع جدا أو طويل الأمد ، أو عمل مشترك لجيش كامل ، أو عادة مشتركة لشعب برمته . وفي هذه الحالة لابد أن يكون المؤلف قد اعتمد في تدوينها على مادة غيره، أو توصل إليها عبر الاستنتاج والمنطق ، لأنه لا يمكنه أن يلاحظها ، أو يصل إليها عبر معاينته المباشرة .

٥ ــ هل قدرة المؤلف على التعبير الدقيق ضعيفة فأتت لغته مشوهة للأحداث الملاحظة أو حارفة لها ؟ واذا كان المؤلف معاصرا فلا بد للناقد من مقابلته ومناقشته فيما كتب ، والاستفسار منه عما أراد بالضبط . أما اذا كان بعيدا عنه في الزمن فقد تبقى الوقائع المسرودة محاطة بكثير من الشكوك .

---

(١) ابن بطرس الاول نجم جورجفيتش . كان وصيا على العرش عام ١٩١٨ ، وغدا ملكا عام ١٩٢١ . لعب دورا هاما في الحرب العالمية الأولى ضد الالمان والنمسويين لم يتمكن من إحلال الوئام بين عناصر السكان في يوغوسلافيا من كروات وصرب، فقتل في مرسيليا على يد الكروات ، عام ١٩٣٤ .

إن تلك الاسئلة تنطبق على مؤلف كان شاهد عيان ، لاحظ الوقائع بنفسه . ولكن من المعروف أنه من العسير ، معرفة من الذي لاحظ الحوادث ، بل وأحيانا من الذي دونها . ومن ثم فقد وضع « سنيوبوس » أسئلة أخرى تتصل بطبيعة الوقائع التي قدمها المؤلف ، من ناحية مدى قربها من الحقيقة أو بعدها عنها ، معتمدا على صفات الواقعة ونفسية مؤلفها. ومن النماذج التي طرحها مايلي:

١ ــ ان الحادثة من طبيعة تجعل الكذب فيها غير ممكن الوقوع : إما لانها لاتهم المؤلف ، أو لأنها تعارض مصلحته ، أو غروره ، أو عواطفه ، أو مصلحة الجماعة التي ينتمي اليها . فالانسان عادة من العسير أن يذكر ما يعارضه ، أو يخالف مصلحته ، أو مصلحة الجماعة التي ينتسب اليها . أو أن الحادثة مؤكدة معروفة جدا من الجمهور ، حتى إن المؤلف ، ولو حاول الكذب ، فانه يحجم عن ذلك لتاكده من أنه سيكشف .

٢ ــ ان الحادثة من طبيعة أيضا تجعل الخطأ غير محتمل الوقوع ، لانها دامت مدة طويلة ، ورآها مجموعة كبيرة من الناس . مثلا وجود انسان ، أو مدينة ، أو شعب أو معركة ، أو حرب ... الخ ، أي تلك الحوادث الكبرى التي تشكل المادة الصلبة من المعرفة التاريخية .

٣ ــ ان الواقعة من طبيعة كان من غير الممكن اثباتها وتدوينها إلا لأنها صحيحة . ومثل على ذلك الحادث الذي يبدو لراويه غير ممكن ، أو يدعو للدهشة لأنه غير مألوف لديه . فهو لم يورده إلا لأنه قد لاحظه ؛ وحملته ملاحظته على تدوينه . فعندما ينتقل أي فرد من بلد الى بلد لايعرفه ، ولا يعرف أهله ، فانه سيدون حتما كل ما يراه . فالحوادث التي يرويها على أنها مثيرة لدهشته ، لأنها غير مألوفة لديه ، أو لأنها تتجاوز مستوى فكره ، قد تكون صحيحة ، أو أن احتمالات الخطأ فيها ضعيفة .

ان القارىء لتلك التساؤلات التي يطرحها « سنيوبوس » يلاحظ انها لاتؤدي إلا إلى أجوبة سلبيةولذا أسماها هو نفسه **بالنقد الباطني السلبي** . وقد حاول فيها أن يعطينا القواعد التي تسمح بتثبيت واقع حادثة « خارجية » ، أي الحادثة التي

تجري في « الواقع الموضوعي »، وقد أكدها قبله « برنهايم » ، وألح أن على المؤرخ **« ان يوازن بين الوقائع المثبتة »** . ومبدأ هذه الموازنات معروف، وهو انعددا من الملاحظين المستقلين لتلك الحوادث ، لا يمكن ان يخطئوا بالطريقة نفسها ،والمقصود بالمستقلين، أي انهم لايرون الاشياء من وجهة نظر واحدة ، أكان هذا بالمعنى الحرفي (أي أن الملاحظين ليسوا في مكان واحد من الحادثة) ، أو بالمعنى المجازي(أي انهم لايحملون الفكرة المسبقة نفسها ، أو الاتجاهات ذاتها) . ومن المحبذ بالاضافة الى ذلك ، أن يكون هؤلاء الملاحظون المستقلون للحادث المروي ، قد اتجهوا بدقة الى الحادث ذاته، وأن تكون مشاهدتهم لذلك الحادث قد تمت في الوقت نفسه، وخلال المراحل ذاتها منه ، وأن تكون ملاحظاتهم قد تناولت الأشخاص بعينهم. فإذا توافقت هذه الشروط مجتمعة ، وتوافق الشهود فيها ، **فالحادث « ثابت علميا »** ، وهو **حقيقة** . واذا لم يتم التوافق فلا بد من تقويمه بحسب التساؤلات السابقة ، وابعاد « المشبوه » من الوقائع . واذا كانت كلها مشبوهة فان على المؤرخ أن يمتنع عن الاستنتاج .

ان ما طرحه « سنيوبوس » من قواعد وضعية قاسية لنقد الحوادث التاريخية في النصوص ، حاول الجيل الذي تلاه أن يخفف منها .بل ان الجيل الثاني نظر اليها نظرة نقد شديدة : فهذا الجيل الذي درس الفلسفة على « برغسون »[1] ، وتابع كل التطورات العلمية الجديدة ، رأى أن « علم النفس » الذي قدمه سنيوبوس قصير النظر . كما أنه بدا لهذا الجيل الذي درس رياضياته الاولى ، عندما كان « اينشتاين »[2] يعرض نظرية النسبية ، ويتناقش مع برغسون حول الزمن ،

---

(١) H. Bergson فيلسوف فرنسي (١٨٥٩ ــ ١٩٤١) عمل استاذا في كلية فرنسا وكان رئيسا للجنة العالمية للتعاون الفكري في جنيف . منح جائزة نوبل ١٩٢٥، له مؤلفات فلسفية عديدة منها « الممكن والواقعي » ، « مصدرا الاخلاق والدين » ، و« بحث عن المعطيات المباشرة للشعور »... الخ وفلسفته تلخص بأنها ضد التجريبية، والعقلانية الرافضة للحدس والابحاء ، وضد النسبية .

(٢) A. Einstein عالم فيزيائي الماني ، (١٨٧٩ ــ ١٩٥٥) ، يعتبر من اكبر علماء الحقبة المعاصرة . نال جائزة نوبل عام ١٩٢١ . اوجد نظرية « النسبية » في الزمان ، والمكان ، وغير مفهومات ميكانيك نيوتن ، وقال بكون من اربعة ابعاد ، منحن ومحدد .

وعندما كان « بلانك » و « بور »[1] يبتدعان ميكانيك الكوانتـا ، و « لويس دوبرو عي » « الميكانيك الاهتزازي »[2] ، أن « سنيوبـوس » رجعي قديم ، وسطحي ، فأوجعه نقدا . الا أن الجيل المعاصر عاد فقرأه بامعان ، وقومه تقويما أكثر موضوعية ، ورأى فيما كتب ، ملاحظات قيّمة لم يكن ليتوقعها. وفيه يقول « مارو »[3] « ليس هناك ما يؤخذ على مبادئه ـ مبادىء سنيوبوس ـ سوى انها لم تطبق في الواقع أبدا ... إذ لا يرى في معظم الحالات المحققة ، أي شرط من الشروط التي عددت سابقا »[4] .

ان تاريخا مطابقا بدقة للشروط الوضعية التي أرادها سنيوبوس ، يتحول في الواقع إما إلى صفحات بيضاء أو الى مايشبه « الفهرست » . ان المؤرخ اليوم لايهمل في الحقيقة ما أكده سنيوبوس ، وما يمكن أن نسميه بـ « تاريخ الحوادث»، لانه يبقى أساسيا . الا أنه لوحظ ، ان الاتجاه الجديد في التاريخ اليوم لايسعى في طريق الوصف أو سرد الأحداث ، أو تحليل الحوادث والوقائع ، أو الشخصيات، وانما يركز على المواقف الفكرية والاخلاقية ومحيطها الاجتماعي . فالاتجاه الجديد هو « تاريخ الحضارة » في المقام الأول . وقد بولغ في هذا التيار ، حتى غدا من الضروري تذكير القائمين على هذا النمط التاريخي الجديد ، بأن عليهم الا يتركوه

---

(١) ماكس بلانك M. Planck فيزيائي الماني (١٨٥٨ ـ ١٩٤٧) . نيلزبور Niels Bohr فيزيائي دانيماركي (١٨٨٥ ـ) . وقد عمل العالمان على ايجاد نظريات علمية جديدة غيرت وجه علم الفيزياء . فقد اثبت (بلانك) ان الاشعاع الذي تبثه الأجسام الصلبة ليس مستمرا ، وانما يتم بكميات متقطعة (الكوانتـا) . وكذلك انتشار النور ، والطاقة بصورة عامة . وسعى (بور) لشرح حركات الالكترونات في داخل الذرة ، وتوصل الى نتائج هامة .

(٢) لويس امير دوبروغي L. Pr. de Broglie فيزيائي فرنسي (١٨٩٢ ـ) والنظرية التي أتى بها مع زملاء له تقول : ان المـادة والضوء يمثلان المظهر المزدوج للجسيمات والتموجات مجتمعة .

(٣) هنري ايرينه مارو H. I. Marrou (١٩٠٤ ـ) مؤرخ وعـالم بالموسيقى ، فرنسي .

(٤) اقتبست كلمته مـن :

R. Marichal, la Critique des textes dans L'histoire et ses méthodes, p. 1346.

سائبا دون حدود ، بل عليهم « أن يعكسوه ـ كما قال « مارو » ـ على شبكة متراصة من الاسماء والتآريخ والاحداث المعينة . وان الحوادث السياسية ـ وهي عادة أفضل توثيقا ـ تقدم اللحمة الصلبة في مثل هذه الشبكة »[1] .

وفي الواقع تبقى قواعد النقد كما وضعها « سنيوبوس » قواعد لا يمكن الاستغناء عنها في نقد النصوص الادبية ، والتاريخية ، والروائية ، ولا سيما عند نقد المرويات التي قصد صاحبها أن يرويها . وعلى الرغم من كل صعوباتها فانه لايمكن الانكار أنها وضعت بوضوح ، ومارسها آلاف الباحثين ، واستطاعوا عبرها رسم حد فاصل بين الصحيح والمزيف ، وبين الممكن وغير الممكن ، وبدرجة عالية من اليقين ، وفي قسم كبير من المادة التاريخية .

ان أهم ما على الباحث اذا أن (يفهم) أي أن « يستخلص معنى موجودا في الواقع ، فكر به الذين عاشوه أو نفذوه ، أو كان من الممكن أن يفكروا به » . ومن ثم فان شخصية المؤرخ أو الباحث التاريخي وخصب خياله ، وطبيعة تصوره ، ومدى ثقافته ، وقوة انتباهه ، وطاقته ، ومعنوياته ، وصحته ، هي الشروط الأساسية في خصوبة عمله .

ولا بد للباحث التاريخي أن ينغمس كلية في بحثه . ويطلب منه أن يوجد ذلك التعاطف أو تلك « الصداقة » بينه وبين موضوعه . فليس « من الخارج » يمكن مراقبة صحة المصادر ، وانما من الداخل ، ومن التغلغل فيها .

وانه لنصح للمبتدىء ، بالا يقترب من دراسة نص وهو خالي الذهن تماما من الأفكار عنه ، لأن النصوص لاتعطي أجوبة جاهزة . فالمبتدؤون عادة يخطئون في هذا المجال ، فهم يقرؤون بانتباه نصوصهم ، ويأخذون منها بعناية المعطيات التي تحويها ، ويتبعونها حرفيا ، ويغفلون ما هو خاص بها ، أو جديد ، إذ أن من صعوبات المهنة أن الانسان لايرى بشكل حسن إلا ما يعرفه . فعلى المؤرخ أن ينطلق ـ إذا ما أراد عملا مفيداً ـ من فرضية أو من مسألة ، كما هو الحال في العلوم الأخرى ، شريطة أن يعرف كيف يغير فرضيته أو مسألته ، وفي بعض الحالات كيف يتركها ، أثناء العمل . لانه من النادر أن تجيب النصوص مباشرة عن الاسئلة

(1) Ibid, p. 1349.

المطروحة . والباحث يجب الا يتسمّر عند المسألة المقترحة ، وانما عليه أن يمد بعيداً وحتى الحد الاقصى ، انتباهه ونظره ، وأن يسجل كل ما تقدمه له النصوص من ملحقات المسألة وذيولها . وبهذا الشكل تتولد المشكلات الجديدة ، والفرضيات الجديدة ، بينما تتطور القديمة ، وتصحح ، وتغنى ، وأحيانا تزول .

ونصيحة أخرى ذات أهمية للمبتدىء : عليه ألا يظن أبداً أنه بمجرد أن يقرأ نصاً يمكنه أن يأخذ منه ما يفيد ، بل لابد من قراءته مثنى ، وثلاث ، ورباع ، بل وأحيانا عشرات المرات . ان هناك فنا لقراءة النص لا يكتسب الا اذا عمل الباحث، وبعمق ، على نصوص صعبة . ومن ثم فمن الواجب ان يلزم المتمرنون على دراسة النصوص المعقدة .

وأخيرا يلاحظ من خلال جميع العمليات النقدية السابقة ، أن المؤرخ اعتمد في الواقع ، دائما على « **الموازنة** » : موازنة النصوص ، والوقائع . فكلما تآلف المؤرخ مع عديد من الوثائق المتنوعة ، ولا سيما المتوافقة مع بعضها بالزمن ، وفهم معناها الكلي بعمق ــ أي كل محتوياتها ، مهما كانت علاقاتها بعلوم ومعارف أخرى غير التاريخ ــ ، وأدرك مغزاها ، وقيمتها ، اتضحت له صورة الماضي بشكل أجلى. وبهذا المعنى قال « مارو » : « إن العمل مع الوثائق ، يتيح لنا أخيرا معرفة انسان الماضي ، كما يعرف اليوم الصديق صديقه ... إن المؤرخ ، هو ذلك الانسان الذي يكتسب الألفة مع الوثائق ، تلك الالفة التي توصله إلى تعرف معناها ، ومغزاها، وقيمتها ، تعرفا أكيدا ، ومن ثم رسم صورة الماضي بوضوح . (وإنه ليتساءل)، هل هذه الطريقة مختلفة عن تلك التي نعيشها في حياتنا اليومية ، أو هل تباين تجربتنا مع الحاضر ، والتي يتم اللقاء فيها مع الانسان الآخر ، ويتعرف به ، ويفهم. إننا بمشاهدتنا لهذا الانسان الآخر ، وهو يعيش ويعمل ، ويستجيب لظروف الحياة المختلفة ، وبسماعنا له وهو يتكلم ، وبملاحظتنا لمختلف الشواهد التي يقدمها لنا عن « ذاته الأخرى » ، يمكننا أن نكون لأنفسنا صورة عنه . فهل هذا يغاير ما يجري في التاريخ ؟ »[1] .

---

(1) اقتباسا من : R. Marichal, op. cit. p. 1360.

ولكن يجب ألا يغرب عن بالنا أيضا ، بأنه بقدر ما تتعرف بعض الناس معرفة أكيدة هي كمعرفتنا لأصدقائنا ، بقدر ما ترتكب تجاههم كذلك الأخطاء نفسها. ولذا فإن « مارو » يضيف قائلا : « إن المعرفة التاريخية تقوم على عمل إيماني : إننا نعرف من الماضي ما اعتقدنا أنه حقيقي مما فهمناه ، مما حفظته الوثائق »[1].

جـ ـ تثبيت الحقائق التاريخية :

لقد أشرنا سالفا إلى أن خطوات النقد الداخلي ، ولا سيما السلبي منه ، لاتوصل الباحث الى الحقيقة التاريخية بل تساعده على بلوغها . فنتائج النقد سلبية ، أي انها تجعل الباحث ينبذ فقط الأصول والوقائع التي ظهر له كذبها ، أما المتبقي من الوقائع والاصول فان عنصر « الاحتمال » فيه كبير . فلا بد اذاً من عملية نهائية تخرج فيها تلك الاحداث من دائرة الشك الى دائرة التثبيت . ولقد ذكرنا آنفا المبدأ المعتمد لتحقيق ذلك ، وهو مبدأ الموازنة بين عدة مصادر للوقائع. ونعود هنا لنطرح **طريقة العمل** بشكل أكثر تفصيلا ، مع عرض نماذج من الحالات المتوقعة . فلتثبيت نهائي للحقائق ، يسير المؤرخ عادة وفق النقاط التالية :

١ ـ تصنيف النتائج التي توصل اليها عن طريق النقد : وهنا يضع الباحث في « زمرة واحدة » جميع الروايات الواردة عن حادث ما ، أو قضية معينة ، مع بيان مدى التوافق بين المصادر في روايتها . ولا بد للباحث أثناء التصنيف من فرز **الحوادث المنبثقة من رواية واحدة ، والحوادث التي اختلفت حولها النصوص ، والحوادث التي توافقت حولها النصوص ، الا انها تتعارض مع القوانين العلمية** ، أو مع خلاصة المعرفة الانسانية .

٢ ـ اذا اتفقت المصادر حول واقعة ما فالواقعة صحيحة ـ كما اسلفنا القول ـ . ولكن على الباحث أن يتأكد قبلا أن المصادر التي روت الحادث هي مصادر مستقلة أي أنها لم تنقل عن بعضها ، والا فانها تعتبر مصدرا واحدا مهما كثر عددها .

---

(1) Ibid.

٣ ــ النظر في الحالات التي لايوجد فيها سوى رواية واحدة أي رواية الآحاد . وهذه لايجوز اعتبارها حقيقة ثابتة مهما كان راويها ثقة ، وانما تستخدم في البحث ، مع الاعتراف بأنها رواية مفردة ، ومع الاشارة الى قائلها .

٤ ــ دراسة الامور التي تعارضت حولها النصوص أو تناقضت الروايات ، ويكون ذلك باتباع الخطوات التالية :

آ ــ التأكد من أن الروايتين المتعارضتين ، أو الروايات المتعارضة ، تدور حول الحادث نفسه ، أو الشخصية المدروسة ذاتها . اذ قد يكون هناك اختلاف في الزمان ، والمكان ، والاشخاص ، إلا أن الباحث يتوهم بأنها تدور حول مايبحث عنه .

ب ــ إذا كان التعارض واضحا وثابتا ، فعلى الناقد ألا يسعى لاتخاذ موقف متوسط من هذه الروايات ، أو يعمل على التوفيق بينها . بل يجب أن يدفع هذا التناقض ، الباحث التاريخي إلى دراسة أكثر عمقا ، وبحث أكثر استقصاء ، عن مدى صحة إحدى الروايتين المتعارضتين ، أي لا بد له من معرفة أي المصدرين هو الصحيح . وإذا تعذر الوصول الى رأي محدد ، فيجب بيان ذلك ، مع ذكر ما قاله المصدران ، بانتظار معلومات أو أدلة جديدة تكشف الأمر .

ولكن قد يكون هناك أحيانا ثغرة بين الروايتين لم تشر إليها المصادر ، ومن ثم يمكن في هذه الحالة التوفيق بين الروايتين أو الروايات التي تبدو متعارضة ، وتكوين كلٍّ متسق ومتوافق منها . ومثل على ذلك الروايات الثلاث حول دخول السلطان سليم العثماني إلى دمشق . فالرواية الأولى تقول إن أمير دمشق « ناصر الدين بن جنش »[1] الذي كلّفه « جانبردي الغزالي » ــ وكان أمراء المماليك قد نادوا به نائبا على دمشق بعد تفهقرهم من حلب بعد معركة «مرج دابق » ــ بتسلم

---

(١) امير عربي ، كان يقيم في مدينة صيدا ، وكان ملتزما البقاع ، وحول البحر المالح والكرك . وكان ابوه سنيا وأمه شيعية ، وكان معروفا بشدته وبأسه ، ابن زنبل: تاريخ السلطان سليم مع قانصوه الغوري . مخطوط في دار الكتب المصرية . تحت الرقم ٤٨ تاريخ ، (مرقم ترقيما عاديا) . ص ٦٤ .

دمشق عنه ، كي يواصل هو والمماليك سيرهم إلى مصر ، قد لاقى سليما عند « القطيفة » ، وأخبره بأنه أمير تلك البلاد ، وأن لا أحد في المدينة من الجراكسة إلا علي بك نائب القلعة . وأنه إذا أراد ـ أي السلطان سليم ـ يمكنه أن يأخذ له القلعة قبل أن يدخل هو إلى المدينة[1] . ومن هذه الرواية يتبين أن السلطان سليم لم يلق مقاومة ما عند دخوله عاصمة بلاد الشام .

والرواية الثانية تذكر ، أن السلطان سليم أرسل الى القابون الفوقاني ـ وهي قرية من ضواحي شمالي دمشق ـ متسلماً اسمه « مصلح ميزان » ، وأتبعه باثنين من الخاصكية ، مع « يونس العادلي » ، ليكشفوا له هل سيسلم أهل مدينة دمشق، أم سيقاتلون . وقد كان أكابر دمشق ، ومشايخ الحارات فيها قد اتفقوا على تسليم البلد ، فلما دخل الخاصكية المدينة ، سلمها لهما أهلها ، ودخل اليها نائبها الجديد « يونس باشا » ، وحضر فيها خطبة الجمعة ، التي كانت باسم السلطان سليم . وفي اليوم التالي وصل السلطان مع حاشيته إلى القابون الفوقاني ، وأقام في مصطبته بضعة أيام قبل أن يستقر في قلب المدينة ... وجاء إليه نائب القلعة الدمشقية وسلمه مفاتيحها ، فقبض عليه وعلى جماعته[2] .

أما الرواية الثالثة : فتقول إن « ناصر الدين بن حنش » لما علم بأن سليما قد أرسل طلائع عسكره الى دمشق ، وأنها قد وصلت إلى القابون ، توجه بعسكره اليها ، وحصل بينه وبين جند العثمانيين مقتلة عظيمة ، والتجأ ابن حنش إلى الماء من أنهر دمشق ، فأطلقه عبر السدود ، حتى صار من دخل في تلك المياه يفرسه يوحل ، فلا يقدر على الخلاص ، وهلك بذلك جماعة من جيش ابن عثمان[3] .

---

(١) المصدر نفسه . ص ١٠٨ .

(٢) ابن طولون : مفاكهة الخلان في حوادث الزمان . قسمان . تحقيق محمد مصطفى . القاهرة ١٣٨١/١٩٦٢ . القسم الثاني . ص ٢٧ ـ ٣١ .

(٣) ابن إياس . بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ٣ أجزاء ، القاهرة ١٣١٢ هـ ج٣ . ص ٧١ . وأورد هذه الرواية أيضا محمد كرد علي (وهو معاصر لنا) في كتابه خطط الشام . ٦ أجزاء . بيروت ١٣٨٩/١٩٦٩ ج٢ . ص ٢١٣ .

إن معظم المؤرخين يقرون أن سليماً دخل دمشق دون مقاومة ، أي أنهم أخذوا بروايتي « ابن زنبل » ، و « ابن طولون » ، وأن الشيخ العربي ابن حنش لم يظهر عداء للعثمانيين بل على العكس رحب بهم . ولو حللت أحداث الروايات الثلاث ، في ضوء الأحداث التي جرت في بلاد الشام بعد دخول العثمانيين إليها بسنتين ، وثورة « ناصر الدين بن حنش » ضد السلطنة العثمانية بصفة خاصة ، لأمكن التوفيق بين الروايات الثلاث ، لأنه لا تناقض ، في الواقع ، في الرواية ، وإنما هناك نقص في تفصيلاتها .

حاول ابن حنش ، وهو العربي القوي المتسلط على جزء كبير من سورية ، بما فيه عربان حماة ، والموكل اليه رسميا حماية دمشق ، أن يقاوم التقدم العثماني، ويمنع فتح دمشق ، ولا سيما أنه قد وعد من طومان باي سلطان المماليك بعد « قانصوه الغوري » ، أن يكون والياً على بلاد الشام ، إذا نجح في ايقاف الزحف العثماني ، وعينه فعلا واليا على مدينة حمص[1] . ولكن الأهالي الذين كانوا يتطلعون للخلاص من الحكم المملوكي ، والذين رأوا مدن الشمال تتساقط الواحدة بعد الأخرى ، في يد الأتراك العثمانيين ، شق عليهم أن يتحدوا السلطة الاسلامية الجديدة ، فيتعرضوا لغضب السلطان سليم ، وهو المعروف بقسوته وصلابته ، فاتفقوا فيما بينهم على التسليم . وعندما شعر ابن حنش ، بأن الموقف خرج من يده ، ولم تصله إمدادات من الدولة المملوكية في مصر ، رضخ للأمر الواقع ، وقدم للسلطان فروض الطاعة والولاء . ولا أدل على ذلك من أن باشوات السلطان خلعوا عليه ، وأعطوه سنجقاً ، وزادوا على تقدمته ، « إقطاع الامرية الكبرى بالشام ، واقطاع نوى ، واقطاع ذخيرة ابن السلطان ، والزموه باحضار العرب ، فالتزم بذلك »[2] . وقد تكون هذه المنح ، من شروط اتفاق تم بين حاشية السلطان سليم وناصر الدين بن حنش ، إذا ماتم التسليم . ولكن روح المقاومة التي أبداها ناصر الدين بن حنش عند دخول العثمانيين دمشق ، لم تمت ، إذ عاد للثورة ـ كما

---

(١) المصدر نفسه . الصفحة ذاتها .

(٢) ابن طولون . المصدر السابق قسم ٢ . ص ٣٢ .

أشير سابقا ـ[1] .

جـ ـ على الباحث ألا يعتبر إجماع أكثر من مصدر على رواية ما ، وانفراد مصدر واحد برأي مخالف ، دليلاً على صحة الرواية المجمع عليها . فمن الجائز أن يكون الرأي الواحد هو الصحيح . فالمهم ، هو نوعية الكثرة ، ونوعية الواحد، من حيث صفات الرواة أو الراوي ، أو الوثائق والوثيقة .

٥ ـ دراسة الحالات التي تناقضت فيها الروايات مع الحقائق العلمية . وهنا لابد من أن يسلّم التاريخ لنتائج العلوم وقوانينها . لأن التاريخ ، مهما بلغ من التدقيق والتحقيق ، فإنه يظل في كثير من الأمور ملامسا للحقيقة ، لا مستوعبا لها استيعابا كاملا . ولكن لا بد من الاعتراف أيضا ، أن هناك عددا من الحوادث، التي تبدو غير متوافقة مع نتائج العلم الحاضرة ، إلا أنها قد تكون صحيحة ، ولكن العلم لم يدرسها بعد الدراسة التحليلية الكافية ، أو لم يتوصل بعد الى نتائج قاطعة فيها . كما أن كثيرا من الأمور كانت تبدو في الماضي مستحيلة ، أو غير ممكنة، إلا أن العلم الحديث ، والواقع الحاضر أظهرا صحتها . فناقد تاريخي من القرن الثامن عشر قد يحكم على رواية شخص بأنه رأى رجلاً يطير في الهواء داخل جسم معدني بأنها كاذبة ، لأنها غير ممكنة الحدوث ، بل إن كثيرين في الماضي قد حكموا على ابن « فرناس »[2] و « الجوهري »[3] عندما حاولا الطيران ، بأن تصرفاتهما غير منطقية ، بينما ينظر إليهما الآن بأنهما سبقا عصرهما في التفكير المبدع .

---

(١) انظر حول تلك الثورة ، ليلى الصباغ : الفتح العثماني لبلاد الشام ومطلع العهد العثماني فيها . رسالة ماجستير من جامعة القاهرة (١٩٦١) لما يطبع القسم السياسي منها . ص ١١٨ ـ ١١٩ انظر كذلك :

Francis Hours, (S.J.) et Kamal Salibi, « Muhammad ibn al - Hanash, Muqaddam de la Biqa' 1499 - 1518 », in Mélanges de l'université Saint-Joseph, T. XLIII (1968) pp. 1 - 23.

(٢) عباس بن فرناس ، عاش في عصر « عبد الرحمن الثاني » من امراء بني امية في الأندلس وكان فيلسوفا ، وعالما بالفلك ، وهو اول من استنبط صنع الزجاج من الحجارة ، وصنع « الميقاتة » لمعرفة الأوقات . واراد تطيير جسمه ، فكسا نفسه الريش ، ومدّ له جناحين ، طار بهما مسافة ثم سقط ، فتأذى في ظهره ، لأنه لم يعمل له ذنبا . توفي ٢٧٤ هـ / ٨٨٧ م .

انظر الأعلام . ج ٤ ، ص ٣٧ والمصادر التي اعتمدها .

(٣) اسماعيل بن حماد ، لغوي كبير ، أشهر كتبه « الصحاح » . هو من ←

ولذا ، فعلى المؤرخ أن يكون حذرا قبل إثباته للحقائق أو نفيها ، ولا بأس من الاشارة إليها ، مع بيان عدم توافقها مع **الحقائق العلمية الراهنة** .

ويدخل في نطاق هذه الحالات المتناقضة مع الحقائق العلمية ، **الأساطير** ؛ وتكثر في البيئات القديمة ، ولدى سكان الريف ، والفئات غير المثقفة بصفة خاصة . وهناك « عصر أساطير » في تاريخ كل أمة ، كأساطير قدماء المصريين ، والفنيقيين ، واليونان ، وغيرهم . وفي كل عهد هناك أساطير يتداولها الناس شفهيا ، وقد يسجلها الأدب والتاريخ . ومع أن معظم ما ورد في تلك الأساطير يبدو مغايراً للحقائق العلمية ، الا أن على الباحث التاريخي أن يدرسها ، اذ من خلالها يعرف عقلية الشعوب ، والفئات ، وتقاليدها ، وعقائدها ، وقد توصله الى بعض الحقائق الهامة عن الحقبة أو الحقب التي سادت فيها .

وأخيرا ، من الضروري ، للتثبت من النتائج المستخلصة من اتفاق الروايات والوثائق ، واستكمالها ، أن يتم التأكد من **توافق تلك الوقائع فيما بينها ، وعدم تناقضها** . ومثل على ذلك : إن أيام رحلة من رحلات أحد الملوك ، أو احدى الشخصيات ، والأمكنة التي مر بها ، تثبت ، إذا ألفت فيما بينها كلا مترابطا ومتسقا . وهكذا ، فإن التوافق المنطقي بين عدة وقائع ، لم يثبت من كل واحدة منها على حدة تثبتا كاملا ، يعطي نوعا من الثقة بها . وهنا يمكن القول ، ودون تحفظ ، بمبدأ « **التحام الفرضيات** » ، وهو مبدأ يعتمده المؤرخون ، ويرون فيه الدعامة الكبرى لتثبيت الوقائع .

ومثلما بحث المؤرخون الغربيون في مزالق « إثبات الحقائق » ، فإن علماء الحديث ، والفقهاء ، المسلمين تطرقوا إليها . ويلاحظ في بعض الأفكار المطروحة

← خراسان . صنع جناحين من خشب وسعى الى الطيران ، ولكنه سقط قتيلا . توفي ٣٩٣ هـ/١٠٠٣ م . المصدر نفسه ج١ ، ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

من قبلهم ، توافق مع ما طرح سابقاً . فقد قسم الإمام « الغزالي » الخبر الى مايجب تصديقه ، وإلى ما يجب تكذيبه ، وإلى ما يجب التوقف فيه . فما يجب تصديقه هو ما أخبر به الله تعالى ، وما أخبر عنه عدد التواتر ، وأقوال الرسول ، وما أخبر عنه الأئمة ، وكل خبر يوافق ما أخبر الله تعالى عنه أو رسوله ، وكل خبر صحّ أنه ذكره المخبر بين يدي رسول الله ، وبجمع منه ، ولم يكن غافلا عنه فسكت عنه ، وكل خبر ذكر بين يدي جماعة أمسكوا عن تكذيبه . وما يجب تكذيبه : هو مايُعلم خلافه بضرورة العقل ، والحس ، والمشاهدة ، أو أخبار التواتر ، وما يخالف النص القاطع من الكتاب ، والسنة ، وإجماع الأمة ، وما صرّح بتكذيبه جمع كثير يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب ، وما سكت الجمع الكثير عن نقله والتحدث به . وما يجب التوقف فيه هو كل خبر لم يُعْرف صدقه ولا كذبه»[1].

وخلاصة القول ان « اثبات الحقائق التاريخية » في الواقع ، مرتبط ارتباطا كبيرا بتقويمها ، أي بمدى فهمها ، وشرحها . فكل واقعة تاريخية هي واقع انساني، وهي في جوهرها نفسه — مهما كان نوعها ، عمل ، أو حادث ، أو فكرة — غير منفصلة عن مجموعة من القيم تدور حولها ، وتعطيها معناها . فاعادة بناء «الصورة» لمجموعة هذه القيم ، يسبق الحكم ويرافقه ، على وجود الواقعة فعلا ، أو عدم وجودها ، وعلى صحتها أو زيفها . فاثبات حقيقة « يوم ميسلون عام ١٩٢٠ » مثلا يتطلب كل الجهد الفكري الذي يتمكن المؤرخ عبره من اعادة تركيب هذه المعركة، وتمثلها كحادث ذي معنى في التاريخ العربي ؛ والشيء نفسه يقال عن أي حدث تاريخي آخر .

ونعود لتكرار ما ذُكِر سابقا ، بأن شخصية الباحث التاريخي ، وخياله المبدع والخصيب ، وعلمية تفكيره ودقته ، وثقافته الواسعة ، وقوة ملاحظته ، وانتباهه ،

---

(١) المستصفى من علم الاصول . ج ١ . ص ١٤٠ — ١٤٤ .

وقدراته المتنوعة ، هي الشروط الأولى لنجاح عمله ، واقترابه من الحقيقة الثابتة . فالحقيقة التاريخية تبقى حقيقة غير مباشرة ، أو هي بتعبير آخر « صورة عقلية » ، يكونها الباحث في خياله عبر الصورة التي رسمتها لها الوثائق ، وعبر ربط فكري بين الحاضر والماضي . وحتى تقترب تلك الصورة من واقعها الماضي ، على الباحث الا يراها عنصرا مستقلا عن الحقائق الاخرى ، بل عليه أن يربطها بها ، وأن يضعها في اطار تاريخ الموكب الانساني العام .

الفصل السادس

التركيب التاريخي

لقد أعطانا « النقد التاريخي » ما نسميه بـ « حقائق التاريخ » . الا أن هذه الثمار أو المعطيات أتتنا متفرقة ومبعثرة ، ومجردة وعاريـة . فلا بد ليكون لها معناها من أن تنتظم في كلّ انساني متكامل . وهذا ما يطلق عليه اسم « التركيب التاريخي » . فالتركيب التاريخي اذاً هو عملية تكوين قطعة متكاملة من المعرفة التاريخية ، منظمة من الحقائق الجزئية ، التي تم جمعها من الوثائق المختلفة . فبعد ان درس الباحث التاريخي مثلاً كل وثيقة وصلت اليه حول « النظم المالية » في بلاد الشام في العصر العثماني ، فإن عليه أن ينظم هـذا « الغبار » من الحقائق الجزئية المتفرقة ، التي أعطته اياها القرارات والفرمانات السلطانية ، وفتـاوى الفقهاء ، وغيرها من وثائق ، ليرتفع منها الى « مركب » « التشريع المالي » في بلاد الشام في العصر العثماني ، وموقعه من التشريع المالي في الدولـة العثمانية ، ثم موقعه من التشريعات المالية السابقة في بلاد الشام واللاحقة . فالتركيب التاريخي في واقعه ، هو ربط الحقائق التاريخية المتوافرة لدى الباحث بحيث تكوّن صورة متكاملة وحية من الماضي الانساني . ومن الصعب في الحقيقة تحليل عملية التركيب الى شتى عناصرها ، لأنها عملية فكرية معقدة ، تكون فيها طاقات المؤرخ الفكرية والثقافية هي المحرك الأول ، والدائم ، والأخير . ومـع ذلك فإنه سيسعى إلى تبسيط بعض عناصرها الكبرى للباحث المبتدىء ، كي يتمكن من ممارستها ببعض هدي ورشـاد .

ويمكن القول أن « **مرحلة التركيب التاريخي** » تتضمن العمليات التالية ، مع

التأكيد ثانية أن هذه العمليات مترابطة ، ومتداخلة مع بعضها بعضاً ، ومن العسير فصل واحدتها عن الأخرى فصلا كاملا :

١ ـ قيام الباحث التاريخي بتكوين **صورة فكرية** واضحة لكل حقيقة من الحقائق المتجمعة لديه ، وللهيكل العام لمجموع بحثه .

٢ ـ السعي لتجميع تلك الحقائق في (زمر) . أي السعي لتقسيم مجموعة الحقائق التاريخية الى **« اقسام متجانسة »** ، وتجميعها بحسب ذلك التجانس ، أو بتعبير آخر **تصنيفها** .

٣ ـ العمل على **ملء الثغرات** التي تتبدى له بعد التصنيف . والتي لم تتوافر له معلومات عنها في الوثائق ، ويتم ذلك بالمحاكمة المعتمدة على موازنة احداث الماضي بالحاضر .

٤ ـ البحث عن **علاقة تلك الحقائق** المصنفة ضمن هيكل معين ببعضها ، وعلاقتها مع الحقائق الانسانية الاوسع ، للوصول الى « تعميمات » أو « نتائج » ذات معنى تتوج عملية التركيب التاريخي .

١ ـ العملية التركيبية الأولى :

لقد أشرنا سابقا الى أن الحقيقة التاريخية فيواقعها صورة فكريةتنشئها مخيلة الباحث التاريخي . ويتم في الواقع تكوينها من منطلق أولي وهو **مشابهة الماضي الانساني للحاضر** . وعلى أن ظروف الماضي مغايرة لهذا الحاضر ، فان عملية التصور هذه ، لايمكن أن تنبثق الا من هذه القاعدة . وتكون **الصورة الأولية** التي يكونها الباحث عن الحقيقة التاريخية نتيجة هذه المشابهة ، قريبة من الحاضر الا أن المعطيات الوثائقية المتنوعة ، تزيل تدريجيا منها ، عناصر الحاضر المغايرة للماضي ، فتغدو أكثر وضوحا ، ومطابقة لذلك الماضي . فكلما أغنيت الحقيقة بتفصيلات أكبر ، وأدق ، من الوثائق ، فان الصورة المرسومة في مخيلة الباحث تصبح أكثر انسجاما مع الماضي ، وأشد اشراقا . فاذا كان باحث ما يبحث مثلا في

معركة « مرج دابق »[1] ، فان صورة هذه المعركة تنبثق أولا من مكانها الذي لابد أن يكون قد زاره فعليا وواقعيا ، وبذلك يتخيل ساح المعركة كما رآه . ثم يضع في ذاك المكان ـ بخياله ـ الجيشين المملوكي ، والعثماني ، بحسب ماوصفتهما له الوثائق . وقد يمزج في مخيلته بين أسلحة الماضي والحاضر اذا لم تتوافر لديه معلومات عن الامر ، ولكن بمجرد أن يحصل على وصف حقيقي ، ودقيق ، لأسلحة الطرفين ، فانه يشذب تلك الصورة ، وهكذا الأمر في كل دقائق المعركة ، ومجرياتها، حتى تأخذ الصورة واقع الماضي ، كما بينته الحقائق المجموعة .

وتفود هذه العملية التخيلية الباحث نحو أساس واضح ، يجمّع الحقائق المتوافرة لديه وفقه ، أي أنه « يصنف » الحقائق وفق كل جزئية من جزئيات « الصورة المتخيلة » كتجميعه مثلا الحقائق التي تدور حول كل سلطان وأعماله خلال المعركة مع بعضها ، وكذلك الأمر فيما يخص الجنود ، ولباسهم ، وأسلحتهم، وتنظيمهم ، وطرق قتالهم ، إلى غير ذلك من جزئيات .

٢ ـ العملية التركيبية الثانية ـ تصنيف الحقائق :

ان أبسط طريقة وأسهلها لتجميع الحقائق هي في تصنيفها أولا استنادا الى الظروف الخارجية لها . فكل حقيقة تاريخية تعود الى مكان معين ، وزمان معين، أو تدور حول شخص ما ، أو مجموعة من الناس ، أو مؤسسة مادية عمرانية كمسجد مثلا ، أو مؤسسة تنظيمية كنظام الحكم ، أو الأسرة ، وغير ذلك من أمور. ومن ثم فانه يكون لدى الباحث إما تاريخ مرحلة زمنية ما ، أو تاريخ بلد معين ، أو تاريخ شعب ، أو سيرة رجل ، أو تاريخ مؤسسة ما . ان المؤرخين السالفين لم يستخدموا في الواقع طريقة أخرى ، واذا ما أجروا تصنيفات صغيرة ضمن هذا التصنيف الكبير ، فانها تبقى قائمة على الاسس السابقة . وقد لايجرون تصنيفا للحوادث ، فيخلطون الوقائع ببعضها ، كالحروب والثورات ، وانتشار الاوبئة ،

---

(١) هي المعركة التي جرت عام ٩٢٢ هـ/ ١٥١٦ م شمال سورية وقرب حلب، بين الممالك وعلى رأسهم السلطان « قانصوه الغوري » ، وبين العثمانيين بقيادة سلطانهم « سليم الاول » ، وانتهت بانتصار العثمانيين ، و خولهم بلاد الشام ، وسيطرتهم عليها .

وولادة المجائب ، والفيضانات الى غير ذلك • وهذا ما كان يفعله بصفة عامة كتاب « الحوليات » •

ان تصنيف الحقائق بحسب **طبيعتها الداخلية** لم يظهر الا مؤخرا ، ولم يتم إلا ببطء • وقد نشأ أولا خارج حدود التاريخ ، وفي بعض فروع الدراسة التي تعالج حوادث انسانية خاصة كاللغة ، والأدب ، والقانون ، والدين ، والاقتصاد السياسي • ويعتمد هذا التصنيف على جمع الحقائق التي تعود الى النوع نفسه من الاعمال في زمرة واحدة • كجمع الحقائق الاقتصادية مع بعضها ، وكذلك الفكرية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والفنية ، وغيرها • وقد وضع « لانغلوا » و « سنيوبوس » نموذجا أو هيكلا من هذا النوع لتصنيف الحقائق ، جمعا فيه طبيعة الظروف الخارجية ، وخصائص الحقائق ، ومظاهر النشاط والفعالية الانسانية . وضمناه النقاط التالية :

اولا ـ الظروف المادية :

وفرّعاها الى الفقرات التالية :

١ ـ دراسة الكائن الانساني ، وتكون في منحيين :

آ ـ الانتروبولوجيا (التشريح ـ الفيزيولوجيا ـ المميزات الخاصة) •

ب ـ الديموغرافيا (العدد ـ الجنس ـ السن ـ المواليد ـ الوفيات ـ الامراض) •

٢ ـ دراسة المحيط •

آ ـ البيئة الجغرافية الطبيعية (المناخ ـ الماء ـ التضاريس ـ التربة ـ النبات ـ الحيوان) •

ب ـ البيئة الصناعية (الاحراج ـ الزراعة ـ العمران ـ الطرق ••• الخ)•

ثانيا ـ العادات الفكرية :

آ ـ اللغة ، والخط •

ب ـ الفنون بقسميها : ـ **التشكيلية** كالرسم ، التصوير ، النحت ، وفنون العمارة . ـ **التعبيرية** كالموسيقا ، الرقص ، الادب .

جـ ـ العلوم . طرائقها ونتائجها .

د ـ الفلسفة والأخلاق . (المفهومات ، المبادىء ، التطبيق) .

هـ ـ الدين (العقائد والطقوس) .

ثالثا ـ العلاقات المادية :

آ ـ الحياة المادية ـ الطعام (مواده ـ طرق تحضيره)

ـ الملابس وأدوات الزينة .

ـ المسكن والأثاث

ب ـ الحياة الخاصة للانسان :

ـ العناية بالجسد (نظافة ، وزينة ، وطعام) .

ـ الاحتفالات الاجتماعية (الأعراس ، المآتم ، التقاليد) .

ـ التسلية واللهو (الصيد ـ الالعاب ـ السياحة ـ الاجتماعات ـ التمثيل) .

رابعا ـ العلاقات الاقتصادية :

آ ـ الانتاج ـ الزراعة ، الرعي ، تربية الحيوان .

ـ استثمار المعادن

ب ـ الصناعة والنقل ـ الطرق التقنية ـ تقسيم العمل ـ طرق المواصلات .

د ـ التجارة والتبادل ـ البيع والشراء ـ الميزان التجاري .

جـ ـ التوزيع : نظام الملكية وانتقالها ـ العقود حولها ـ الفوائد .

خامسا ـ المؤسسات الاجتماعية :

آ ـ الاسرة وتركيبها ـ السلطة فيها ـ وضع النساء والاولاد ـ تنظيمها الاقتصادي ـ ملكية الاسرة ـ الميراث .

ب ـ التربية والتعليم ـ الاهداف والطرائق والعلوم ، والفنون ، والآداب ، والثقافة .

جـ ـ الطبقات الاجتماعية ، أسس التقسيم الاجتماعي ، والقواعد التي تنظمه، والعلاقات بين الطبقات .

سادسا ـ المؤسسات العامة :

آ ـ المؤسسات السياسية : رئيس الدولة ـ الحكومة وخدماتها ـ الادارة وخدماتها (الحرب ـ القضاء ـ المال) ـ السلطات المنتخبة ، وطريقة انتخابها .

ب ـ المؤسسات الدينية وما يتصل بها .

جـ ـ المؤسسات الدولية ـ الدبلوماسية ـ الحرب والسلام ـ القوانين الدولية والتجارية .

ولا بد من التأكيد أن أنواع التصنيف (الزمني ، الجغرافي ، والمنطقي أي بحسب الخصائص ونوعها) لايستخدم أحدها مستقلا عن الآخر تماما ، وانما هي متداخلة فيما بينها ، فقد تتداخل الحقائق الجغرافية مع الاجتماعية والاقتصادية ، والفكرية ، والسياسية . وعند بحث كل (فقرة) في التصنيف السابق لا بد عند التوضيح لحقائقها من ترتيبها زمنا ومكانا ، لبيان مسرحها ، ولابراز عنصر التطور فيها . فعند البحث عن (الاسرة) مثلا في نطاق الموضوع المطروح ـ اذا كان يتضمن بحثا فيها ـ على الباحث التاريخي ، أن يرتب الحقائق الواردة حولها متسلسلة زمنا ، مع تجميعها بحسب نوعها أو مكانها . كما أن عليه الا يكتفي « بوصف » أحوالها في الفترة التي يتحدث عنها ، وانما عليه أن يرجع الى ماضيها،

وأن يتعرف التطورات التي مرت عليها ، ومن ثم أن يسعى للبحث عن أسباب تلك التطورات ونتائجها ، وذلك في الاحداث المختلفة التي جرت .

وعندما يصنف المؤرخ حقائقه تبدو أمامه مسألة جديرة بالعناية : فكل عمل انساني ظاهرة فردية محددة بالزمان والمكان ، أو أن كل حادث تاريخي هو حادث قائم بذاته له صفاته الخاصة وظروفه . ولكن يلاحظ أيضا ان كل عمل انساني يشبه أعمالا أخرى للشخص ذاته ، أو أعمال رجال آخرين ينتمون للبيئة نفسها ، أو لبيئة أخرى . ويبدو التشابه أحيانا وكأنه كلي ، مما يجعل هذه الاعمال تتسم بسمات واحدة ، فيسقط تمايزها عن بعضها ، وتفقد شخصيتها الفردية . ويمكن أن يطلق على هذه الافعال المتشابهة ، لفظ « عادات » أو « نظم » . فالنظم والعادات هي « حقائق جماعية » تمتد في الزمان والمكان .

ولا يكتفي المؤرخ بالمقارنة بين حوادث زمن وآخر في بيئة واحدة ، وإنما عليه أن يدرس أوجه الشبه والاختلاف بين الظاهرات المختلفة ، في بيئات متنوعة ، وفي أزمنة واحدة ، أو مختلفة . ومن دراسة أوجه الشبه والاختلاف بين تلك الظاهرات ، قد يظهر للمؤرخ أن هناك تشابها في بعض الظاهرات ، على مستوى العالم كله ، والمجتمعات جميعها . وقد يدفع هذا الأمر المؤرخ إلى وضع « تعميمات » ، تجعل الصياغة التاريخية أقرب إلى الصياغة العلمية المحددة بالقانون .

٣ ـ العملية التركيبية الثالثة : المحاكمة التركيبية :

إن الحقائق التي تقدمها الوثائق قد لاتكفي لملء الثغرات في هيكل أو هياكل التصنيف . وهناك أسئلة عديدة لا تجيب عنها الوثائق ، فما العمل ؟ على الباحث التاريخي أن يعمل على ملء تلك الفجوات . ولكن كيف ؟ إن الباحث في أي علم يعتمد على الملاحظة المباشرة ، كعلم الفيزياء ، أو علم الفلك مثلا أي أنه يلجأ عادة إلى ملاحظة جديدة . أما في التاريخ فان المؤرخ لا يملك إلا « محاكمته » أو ما يمكن أن يسمى بـ « الإجتهاد » . ومن المعروف أن فقهاء المسلمين قد استخدموا « الاجتهاد » أو تحكيم العقل في استنباط الأحكام الشرعية لمختلف الأمور التي واجهت المسلمين بعد وفاة الرسول (ص) ، والتي لم يرد حولها نص صريح في

القرآن الكريم ، أو السنة الشريفة . وأخضعوا ذلك الاجتهاد في معظم الأحوال « للقياس » و « الاجماع » . وقد عرف الامام الغزالي « الاجتهاد » ، بأنه « بذل المجهود ، واستفراغ الوسع في فعل من الأفعال »[1] . وهناك طريقتان أساسيتان لاستخدام المحاكمة في هذا الباب : الطريقة الأولى سلبية ، والثانية إيجابية .

أ ـ الطريقة السلبية في المحاكمة :

وهي الاعتقاد بأن الحادث الناقص لم يقع . وقد عبر عنها المناطقة بقولهم « السكوت حجة » . أو بتعبير آخر ، تستند المحاكمة في هذه الحالة إلى فقدان أية إشارة في جميع الوثائق الى ذلك الحادث ، ومن ثم يحكم المؤرخ بأن ذلك الحادث لم يجر . وفي الواقع لا بد كي تكون المحاكمة صحيحة وحقيقية ، من أن تكون كل حقيقة قد لوحظت سابقا ، وكتبت ، وحفظت جميع التقارير التي وردت حولها . ونحن نعرف أن معظم الوثائق المكتوبة الغابرة قد ضاع ، وأغلب الحوادث التي مرت لم تكتب لأسباب شتى . ومن ثم كان من الضروري تأكيد الشروط التالية ، حتى تصبح المحاكمة سليمة إلى حد ما :

١ ـ ليس ضروريا فقط الا يكون بين أيدينا وثائق لاتشير إلى الحادث الناقص ، بل يجب ألا يكون هناك أية وثيقة تشير الى ذلك . فاستخدام هذا النوع من المحاكمة يبطل إذا ، إذا كان هناك عدد كبير من الوثائق قد ضاع ، أو لايزال مفقودا . ومن ثم فانه يلاحظ أنها لا تستعمل في التاريخ القديم .

٢ ـ يجب أن تكون الواقعة التاريخية الناقصة من نوع لا يمكن إلا ملاحظتها وتدوينها لأهميتها في عصرها . ولكن من المعروف ان السلطات الحاكمة قد تمنع أحيانا من تسجيل بعض الوقائع، والكتابة حولها، كأعمال الدول السرية ، وشكاوى الطبقة الدنيا أحيانا ، أو كل ما قد يسيء اليها في نطاق السياسة الداخلية أو الخارجية . كما إن كثيراً من الأمور الحياتية اليومية لا تلفت عادة انتباه مدوني الحوادث ، أو المؤرخين المعاصرين لها ، فلا يشيرون إليها في كتاباتهم . وقد عرف

---

(١) المصدر السابق . ج ١ . ص ٣٥٠ .

أن المؤرخين السابقين كانوا لا يهتمون إلا بالأمور السياسية الكبرى ، أو بحياة رؤساء الدول ، والقادة العسكريين ، ويهملون كل ما يحيط بحياة مجموع المجتمع، والأفراد العاديين ، والمرأة بخاصة . ولهذا فانه لا يجوز نفي أثر المرأة مثلا ، أو الطبقات الدنيا في مجرى التاريخ ، لمجرد أن الوثائق لاتتكلم عنها . إلا أن سكوت المؤرخين ، والوثائق بالمقابل ، في القرن السادس عشر العاشر الهجري ، عن الإشارة إلى تنازل الخليفة العباسي المتوكل عن « الخلافة » للسلطان « سليم الأول العثماني » يمكن أن يعتبر دليلا على أنه لم يتم . لأن هذه الواقعة التاريخية ، « الهامة جدا » بالنسبة لفكرية المجتمع الإسلامي آنذاك لو حدثت ، كان لايمكن أن تمر دون ذكر لها في السجلات الرسمية ، أو في كتابات المؤرخين المعاصرين العرب والأتراك على السواء .

وفي الواقع لا يمكن استخدام « الاجتهاد السلبي » إلا في حالتين وبحذر وتحفظ :

١ ــ إذا كان هم مؤلف الوثيقة ــ التي لم تذكر فيها الحقيقة ــ ان يذكر بدقة وانتظام جميع الوقائع التي هي من نوعها ، والتي كان على صلة وثيقة معها . فعدم ذكر المؤرخ « تاسيتوس »[1] الروماني مثلا اسم شعب من شعوب المانيا ، أو مقاطعة من مقاطعاتها قد يكون دليلا على عدم وجود ذلك الشعب أو تلك المقاطعة. لأنه عرف عن تاسيتوس بأنه كان يبحث بدقة في شعوب المانيا وتعدادها، وفي المقاطعات الامبراطورية . كما أن عدم إشارة « الشهرستاني »[2] مثلا في كتابه « الملل والنحل » الى فرقة دينية ما ظهرت في فترة سابقة لوجوده ، قد يكون حجة على عدم وجودها ، لأنه عرف بتقصي جميع الملل والنحل في كتابه .

٢ ــ يجب أن تكون الحقيقة أو نوعيتها قد أثرت تأثيرا كبيرا في فكر مؤلف الوثيقة ، حتى إنها غدت جزءا من مفهوماته الفكرية الرئيسية . كأن تفتقد واقعة

---

(١) انظر ص ٢٨ ، الهامش (٣) .

(٢) محمد بن عبد الكريم أبو الفتح الشهرستاني من فلاسفة الإسلام (٤٧٩ــ ٥٤٨ هـ / ١٠٨٦ ــ ١١٥٣) له عدة مؤلفات ، وكتابه « الملل والنحل » مطبوع في ثلاثة اجزاء .

اقتصادية محددة عند مؤرخ ماركسي ، أو ظاهرة فكرية بارزة لدى مؤرخ عرف بدقته في تقصي الحقائق الفكرية ، أو عدم ذكر مؤرخ كان مؤمنا بشخصية تاريخية، وملازما لها ، لبعض الصفات الممدوحة فيها .

ب ـ الطريقة الايجابية في المحاكمة :

وتعتمد على استنتاج حقيقة لم تشر إليها الوثائق من حقيقة أثبتتها الوثائق . ويستند في عملية الاستنتاج الى المبدأ الأساسي التالي وهو « المماثلة بين ماضي الانسانية وحاضرها » ، و « التشابه كذلك بين أحداث الماضي في بقاع مختلفة من العالم » . ففي الحاضر يرى أن وقائع الإنسانية مرتبط بعضها ببعض ، فكل واقعة ترافقها أخرى ، إما لأن الأولى سبب للثانية ، أو لأن الثانية نتيجة للأولى ، أو لأن الاثنتين نتيجة لسبب مشترك . ونحن نفرض أن الوقائع الانسانية الماضية المشابهة كانت متصلة ببعضها بالطريقة نفسها . ومن ثم فاذا توافرت لدينا واقعة ، أو حقيقة ما ، فانه يمكن القول بوجود الحقائق أو الوقائع الأخرى المرتبطة بها على غرار ما عليه الأمر في الحاضر .

فالاجتهاد الايجابي إذاً يعتمد على فرضيتين: **الاولى عامة، ومنبثقة من كليات عامة،** مستمدة من تجارب الإنسان، والثانية **خاصة ومنبثقة من الوثائق** . ويبدأ المؤرخ عادة بالفرضية الخاصة ، أي بالحقيقة التاريخية المستفادة من الوثائق . ومثل على ذلك : إن « سلاميس » مدينة تحمل اسما فينيقيا . ولكن الوثائق لا تذكر من بناها ، فعلى المؤرخ أن يعرف مؤسسها . فاذا ما وقع الباحث التاريخي على الفرضية العامة القائلة بأن لغة اسم مدينة ما هي غالبا لغة الشعب الذي أنشأها ، فانه يستنتج إن سلاميس أسسها الفينيقيون ، لأنها تحمل اسما فينيقياً .

ولتكون النتيجة صحيحة وثابتة ، من اللازم ضمان شرطين :

١ ـ يجب أن تكون الفرضية العامة صحيحة كل الصحة ، أي أن يكون الارتباط بين الواقعتين التاريخيتين وثيقا جدا ، بحيث لا يمكن أن توجد أحداهما دون الأخرى . وإذا ما استوفي هذا الشرط ، فانه يكون لدينا في الواقع (قانون) بالمعنى العلمي للكلمة .

ولكن من الواضح ، أننا بمعالجتنا الوقائع الانسانية لايمكننا أن نعمل إلا « بقوانين فرضية » منبثقة من تعميمات ناقصة . فهذه « القوانين الفرضية » قريبة من الحقيقة بالنسبة إلى مجموعة محددة من الوقائع ، إلا أنها ليست صحيحة دائما. ففرضية ارتباط لغة اسم المدينة بالشعب المنشىء لهـا ، المذكورة آنفا ، ليست صحيحة دائما ، ولا أدل على ذلك من أن « بطرسبورغ » (لينينغراد اليوم) في روسيا اسم المائي ، و « سيراكوز » في أمريكا في الشمال الغربي من نيويورك ، تحمل اسما اغريقيا . ومن ثم فلا بد من توافر شروط أخرى قبل اصدار حكم بأن اسم مدينة متعلق بلغة وجنسية مؤسسيها .

٢ ــ يجب أن يكون لدى الباحث معرفة تفصيلية عن الحقيقة الخاصة ، أي قبل اصدار الحكم حول الشعب الذي أسس مدينة سلاميس مثلا ، لا بد للباحث من دراسة الظروف المختلفة المحيطة بالمدينة : كموقعها، وعادات اليونان والفينيقيين، وتطورات تاريخها . أي لابـد من الاعتماد على « مجموعة » من الظـاهرات والتفصيلات لا على ظاهرة واحدة . ولا سيما إن الكليات العامة مستمدة في أغلب الأحيان من معلومات الإنسان عن الحياة الاجتماعية ، وتحتوي معظم هذه المعلومات على عنصر كبير من الشك ، لأن علم الاجتماع لايزال علما لم يستوف تكامله ، ولذا فلا بد من الحذر .

ومن الضروري التأكيد في ختام الحديث عن عملية « الاجتهاد التاريخي » بشقيها الايجابي والسلبي، **ان الباحث يجب ان يكون متروبا ، وحذرا في اجتهاداته واستنتاجاته ، وألا يذهب بعيدا فيها ، وألا يعتمد على تعميمات ضعيفة لا ادلة او براهين كافية عليها . هذا علما بان الاجتهاد لا يؤدي دائما إلى نتائج قاطعة وثابتة ، وإنما الى نتائج تقريبية .** كما أن بعض القضايا التي لم تشر إليها الوثائق قد تبقى حائرة لا رأي حاسم فيها . حتى يكتشف من المصادر ما ينير غموضها . هذا وعلى الباحث أيضا ألا يسرف في تحليل الأصول بحيث يحملها من الاجتهادات أكثر من محتواها الحقيقي . كما لا يجوز له أن يخلط بين الحقائق المؤكدة التي توصل إليها من وثائقه ، وبين الوقائع التي حصل عليها بالاجتهاد ، وفي الحالة الأخيرة عليه أن يبين بصراحة أنها استنتاج ، وأن يظهر مدى ثقته أو شكه بها .

٤ ـ العملية التركيبية الرابعة : ربط الحقائق التاريخية ببعضها ، أو البحث عن علاقات قائمة بينها ـ التعليل :

إن معظم المؤرخين متفقون على أن البحث في العلاقات القائمة بين الحقائق هو ذروة العملية التركيبية في التاريخ ، وهو النتائج النهائية لها .

ويقودنا بحث العلاقة بين الحقائق ، الى موضوع هام في منهج البحث التاريخي، وهو موضوع « **التعليل** » **أو البحث عن الأسباب** . فقد أكد التيار الحديث في الكتابة التاريخية إن دراسة التاريخ هي دراسة أسباب ، « وإذا كان جمع المادة التاريخية يشكل الخطوة الأولى، فان التعليل يشكل الخطوة الأخيرة الحاسمة »[١]، وهو الذي يقود الى الصيغ العامة التي تشبه إلى حد ما القوانين ، و « التي تحاول أن تكشف النسيج الذي يكوّن ماضي الانسان في دوافعه وروابطه »[٢] . فسرد الأحداث متسلسلة زمنا ، أو مصنفة نوعا ، مهما بلغ من الدقة والموضوعية ، لم يعد يمثل في نظر المؤرخين المعاصرين سوى تقويم كرونولوجي ، لايفسر الانسان وفعالياته المختلفة . فلا بد من إدخال الروابط المنطقية ، والمعقولية ضمن تلك الأحداث ، والتساؤل عن أسباب ازدهار الحضارات وانحطاطها ، وتفوق الأمم وتدهورها ، وتفجر الثورات وخمودها إلى غير ذلك من الأمور . فالسببية هي الركن الأساسي الذي يقيم التاريخ عليها **علميته** ، ويحاول أن يتساوى بها مع العلوم الاخرى .

مبدأ « العلّية » ، أو « السببية » : في تفسير أحداث البشرية ، عرفته البشرية منذ القديم : فهيرودوت أشار إليه في مطلع كتابه عندما أوضح هدفه من كتابة بحثه في حفظ أعمال اليونان والبرابرة (غير اليونان) وأسباب حروبهم . كما أكده « ابن خلدون » عندما الح على أن التاريخ « في ظاهره لايزيد على أخبار عن الايام والدول . . . . وفي باطنه نظر وتحقيق، **وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عميق** »[٣] .

---

(١) E. H. Carr. what is History, p. 86.

(٢) شاكر مصطفى : التاريخ هل هو علم . بحث في مجلة « عالم الفكر » المجلد الخامس العدد الاول ، ١٩٧٤ ، ص ٢٠١ .

(٣) المقدمة ، ص ٣ ـ ٤ .

واهتمام المؤرخين بسببية الأحداث يعني إيمانهم بأن « التاريخ ليس مجرد أحداث طافية على سطح الزمن كما تطفو قطع الأخشاب المنفصل بعضها عن بعض على وجه النهر ، ولكنه يستند كالعلوم الأخرى إلى فرضية مسبقة ، وهي أن ثمة قوانين تسيّر هذا النظام من الأحداث على الشكل الذي يجري فيه » . وبتعبير آخر إن مسيرة الحياة ــ والبشرية جزء منها ــ تخضع لنظام شامل يربط بين مختلف الأجزاء ، وإن كل حادث تاريخي هو في الوقت نفسه حادث عقلي يقع طبقا لخطة منطقية عامة ، وان بامكان العقل البشري أن ينجح في محاولته للكشف عن علل تلك الحوادث وترابطها . وهذه الفرضية السابقة أكدها « هيغل » بنظريته القائلة: « إن الزمان ، والمكان ، والفردية ، ليست وحدات مستقلة مشتتة عن بعضها ، كما أن الواقعة التاريخية ليست فردية ، بل هي واقعة عامة تتحرك لصالح قوة أعظم ، وأعمق ، وأشمل . وتلك القوة هي الروح التي تسري في هذا الوجود المطلق وتجعل مسار التاريخ معقولا وإن بدت أحداثه مبعثرة وغير هادفة . إن كل شيء في الوجود يتم وفق مخطط منطقي عام تجري الحوادث بموجبه . فلا صدفة إذاً في التاريخ ، بل لا علل جزئية للحوادث في التاريخ ، فهذه الأخيرة ليست إلا اسبابا ظاهرية »[1] . وتبنى هذا المفهوم بأطره العامة عديد من المؤرخين في القرن التاسع عشر من أمثال « مومسن » و « ميشله » ، اللذين رأيا في مجرى الحوادث، دورها الخاص في تقدم المجتمع الإنساني . وكان هذا المفهوم مدار دراسات وتأملات فلاسفة التاريخ .

إن مفهوم « السببية » في الواقع ، كما بيّن « أرسطو » قديما ، هو مفهوم معقد . فهناك اثباتات مختلفة يمكن أن تجمع تحت عبارة « إثبات سببي »[2] . وفي الواقع عندما يقال « لماذا » في التاريخ ، عند دراسة حادث تاريخي معين ، فانه يرجع عادة إلى حادث سابق ، أو مجموعة من الحوادث ، كان الحادث المدروس نتيجة له أو لها . وقد لا يكتفي بذلك بل يسعى إلى تحديد هدف الشخص أو الاشخاص

---

(١) انظر في احمد محمود صبحي ، في فلسفة التاريخ ، ص ٢٠٣ ــ ٢١٦ .

(٢) لقد قسم ارسطو الأسباب الى أربعة انواع : سبب فعال ، وسبب مادي، وسبب صوري ، وسبب غائي .

الذين قاموا بالحادث ، أو ينبش عما كان يجول بخواطرهم عندما قاموا به . وفي الحقيقة إن الأسباب في التاريخ **متنوعة ، ومتفاوتة في حجمها ، وعددها ، وأثرها** ، وليست كلها محركة أو فعالة ، وبعضها يستمد قوته من الظروف التي أحاطت به ، ولو جاءت ظروف أخرى لخمدت فعاليته . فاذا ما كان هنالك سبب مفرد في العلوم الطبيعية ، فانه يبدو الا سبب مفرد لأية واقعة تاريخية مهما صغرت ، بل هنالك دائما أسباب ، وعلل ، وعوامل ، ودوافع . وليس ضروريا أن تكون العوامل المحركة في التاريخ دوما عوامل ضخمة وعقلانية ، فقد تكون حوادث فردية وصغيرة كوفاة سياسي ، أو تأخر ضابط في النوم ، أو لدغة حشرة . ومع كل محاولات المؤرخين للغوص في أعمق أعماق الحوادث لتلمس أسبابها ، فان مشكلة « السبب التاريخي » ما زالت في جوهرها دون حل : فهناك الغموض في التعليل ، وهناك تركيز المؤرخين على أسباب دون أخرى ، وهناك تحديد فترة فاعلية السبب ، ومعرفة العوامل الثابتة والمتغيرة في كل حدث كما ، وكيفا ، وأثرا[1] .

ويضاف أخيرا مشكلة كبرى وهي مشكلة « **الاحتمال والصدفة** » : فهناك أمور وحوادث في التاريخ تتأبى على المعقولية ، أو بالأحرى تبدو خارجة عن حدود إرادة الانسان : كتغير الظروف المناخية فجأة مثلا ، أثناء معركة من المعارك ، مما ترتب عليه هزيمة أو نصر ، أو إصابة زعيم سياسي بمرض ، أو وفاته ، مما أعاق أمرا سياسيا هاما ، إلى غير ذلك من الأمور الكثيرة جدا في التاريخ . وقد تكون الصدف ليست فوضى عشوائية ، أو قوى غيبية عابثة كما نتصور ، وإنما هي بنى تكوينية وعوامل خفية لانزال نجهلها ، وقد تصل إلى معرفتها يوما بقاييسنا ومرائقنا . ولكن ريثما ينجلي أمرها فانها تبقى موجودة ، وتكون عقبة كبيرة في سبيل « العقلنة » الكاملة للأسباب التاريخية[2] . ومن هنا كانت السببية في التاريخ هي محاولة للكشف ، لا عن « السبب ، ولكن عن تلك المجموعة المركبة من الأسباب ، والعوامل الكامنة ، في كل حدث »[3] إن المشكلات الكثيرة التي

---

(١) غوتشلك كيف نفهم التاريخ ، ص ٢٥٦ .
(٢) انظر شاكر مصطفى . المصدر السابق . ص ٢٠٢ فما بعد .
(٣) غوتشلك . المصدر السابق . ص ٢٥٦ .

لاتزال تحيط بمفهوم السببية في التاريخ دعت عددا من الفلاسفة إلى اخراج كلمة « سبب » من قاموس المؤرخين[1] . بل إن بعض المؤرخين الامريكيين نادى منذ وقت قريب بأن مصطلح « سبب » حسبما يستعمله المؤرخون يجب أن يعتبر « مجازا لغويا لوصف الدوافع والتأثيرات ، والتداخلات التي لاتزال غير مفهومة تماما ، وإن أي سبب لا يعمل مطلقا إلا كجزء من مركب أو سلسلة » .

ولكن كل الاختلافات ، والتناقضات ، والشكوك المثارة حول الطبيعة الدقيقة للروابط التي يبحث المؤرخون عن إقامتها بين الحوادث التي يدرسونها، لايمكنهاأن تقضي على التساؤل عن « معنى الحوادث التاريخية » . أو بتعبير آخر على ضرورة سعي الباحث التاريخي في مضمار التعليل . **فالتاريخ لا يمكن ابدا ان يكون مجرد سرد زمني للاحداث ، او تنظيما وفهرسة لها فحسب ، وإنما هو تقرير يربط بينها ، ويخرج منها كلا متكاملا ، ومتلاحما** . فالمقصود من السببية في التاريخ ، « تفسير أحداثه » ، أي جعلها أكثر فهما ، وإيجاد معناها ، وبيان أمور فيها تبدو غير ذات معنى . ويقسم « ولش Walsh » مفهوم تفسير التاريخ أو البحث عن التعليل فيه إلى ناحيتين ، الأولى وهي « البحث عن المعنى في التاريخ » والثانية هي ، « البحث في معنى التاريخ » .

اما الأولى ، فتكون عندما يبحث المؤرخ في معنى « حادث » أو « مجموعة من الحوادث » في بيئة محدودة ، ويكون ذلك بتساؤله مثلا ، عن أسباب الموجة الأولى من الفتوحات العربية الإسلامية (أيام الخلفاء الراشدين)، وهل كانت تحت تأثير عوامل دينية لاعلاء كلمة الإسلام ، أ م اقتصادية ، أم قومية ، أم فردية ... الخ . فالسؤالات التي يطرحها الباحث التاريخي على نفسه ويعمل للاجابة عنها من الحقائق المتوافرة بين يديه ، تهدف في الواقع للحصول على نظرة داخلية عميقة في علاقات الأحداث . ويجري هذا التساؤل عادة ويتابع في (محيط محدود) ، وهو التاريخ العربي الإسلامي مثلا ، أو أوسع قليلا في تاريخ المنطقة العربية ، وفي القرن السابع

---

(1) Walsh, Meaning in History in « Theories of History ». Free Press New-York, 1965, p. 298.

الميلادي دون اهتمام كبير بما حدث في القرن الرابع الميلادي مثلا ، ولا بما كان يحدث في العالم آنذاك . فالبحث إذاً يجرى في مجموعة من الأحداث المحددة في الزمن ، والى حد ما في المكان . وهذا العمل بحسب « ولش » هو عمل «المؤرخ».

وفي هذا المضمار يمكن للباحث التاريخي أن يصل إلى بغيته عبر طرق شتى أهمهـا :

١ ـ أخذ ما ذكر في الاصول التاريخية نفسها عن مثل تلك الأسباب ، ممـا سجله القادة ، أو المؤرخون أو الوثائق الأخرى عن أسباب عدة من الحوادث ، ولا سيما أسباب النصر والهزيمة في المعارك العسكرية ، ولو أن هـذه الحقائق المذكورة لابد لها من نقد دقيق وتمحيص .

٢ ـ قيام المؤرخ بدراسة العناصر الداخلة في كل حادث تاريخي على حدة وتحليلها . فاذا كان يبحث في أسباب « الفتح العثماني لبلادالشام » مثلا ، عليه بعد أن يجمع ما كتبته الوثائق صراحة عن أسباب الفتح ، ان يحلل العناصر المعنية في هذا الأمر وهي ، العنصر الفاعل وهم العثمانيون ، والعنصر المنفعل وهو مجتمع بلاد الشام ، والحاكمون فيه . أما حول العنصر الفاعل فتدرس ظروف المجتمـع العثماني آنذاك ، وهل كان فيها من العوامل الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو الفكرية ما يدفع إلى هذا التحرك . وتدخل في ظروف المجتمع كذلك العوامل الجغرافية ، وما طرأ عليها من تبدل ـ إذا حدثت مثل تلك الطوارىء ـ . ثم تدرس شخصية الفاتح نفسه ، وهو السلطان العثماني (سليم الأول) ، والعوامل المحفزة له للقيام بهذا الأمر ، أكانت في البنية الأصلية لشخصيته وتفكيره ، أم في عوامل آنية استثارته . ثم يبحث في الطرف الثاني وهو بلاد الشام وبنية المجتمع فيها ، وعلاقته بالعثمانيين ، وهل كان راغبا بهم حكاما أم لا ، وهل كان له دور إيجابي أو سلبي في اندفاعهم نحوه ، ولماذا ؟ ثم ينتقل الى العلاقة بين حكام بلاد الشام وهم المماليك بالعثمانيين ، والدوافع التي حفزتهم للمجابهة ، وشخصية « قانصوه الغوري » وأثرها في الأحداث . وفي كل هذا التحليل للعناصر يستند المؤرخ الى الحقائق المختلفة المتوافرة بين يديه عن مثل هذه الأمور .

ولا يكتفي بتحليل العناصر المعنية فحسب ، بل يحلل الأحداث المختلفة في المنطقة الأبعد ، بل في العالم ، إذ قد يكون لها آثارها هي الأخرى ودوافعها ، ككشف رأس الرجاء الصالح ، ومحاولة البرتغاليين غزو العالم العربي الإسلامي ، وغزو الاسبان لسواحل المغرب العربي ونشاطهم في البحر المتوسط ، وأخيراً موقف الصفويين في إيران والعراق .

٣ ــ إلا أن الباحث قد يضطر أن **يضع بعض الفروض التي يتخيلها** ، من ظواهر الحقائق التي تعرض له ، ويحاول أن يجد الإثبات أو النفي لهذه الفروض حسبما يملك من حقائق . ولكن ينبغي هنا الا يخضع لفكرة واحدة ، أو نظرية محددة ، والا يسعى بشتى الأساليب ــ ولو على حساب تشويه الحقائق ــ الى إثباتها . كأن يحاول مثلا الاثبات أن « الأسباب الاقتصادية » هي السبب الوحيد في الفتح العثماني أو أن « الأسباب الدينية » أو « السياسية » منفردة هي الحافز الوحيد . إذ يكون في هذه الحالة معبرا عن هواه ونزعته الشخصية لا عن الحقيقة التاريخية ذاتهـــا .

ويلجأ الباحث التاريخي عند تحليله عناصر العــلاقات في الحادث المدروس لاستخلاص أسبابه ، إلى طريقة (المقارنة) ، متبعا بذلك طريقة العلماء الطبيعيين ونحوهم . أي يقوم بمقارنة مجموعات من الحقائق جرت في الوقت نفسه ، أو في أزمنة متباينة ليرى التشابه بينها ، ومدى ارتباط بعضها ببعض . ويتبع هذا عادة في دراسة تطور النظم، والديانات، لاكتشاف السبب المشترك المحرك لها في تطورها. وقد تتم المقارنة بين أوجه التطور في عدة مجتمعات كموازنة تطور « الأسرة العربية» مثلا بتطور « الأسرة التركية » في الفترة المعاصرة ، أو الأسرة في أي مجتمع غربي.

وفي الواقع إن الباحث التاريخي ينطلق في معظم الاحوال في دراسته للأسباب من الحاضر ، ويحاول أن يعكسه بالموازنة ، على الماضي . فما يراه ويتحسسه من مسببات في الواقع القائم ، يطرحه تساؤلات في الماضي ، ويحاول أن يجيب عنه . وهو بذلك ينطلق من مبدأ **تشابه الماضي والحاضر** من حيث ارتباط الأسبـــاب بالمســببـــات .

ولكن المؤرخ عندما يحاول التشبه بعلماء الطبيعة أو غيرهم في البحث عن أسباب الحوادث المحدودة ، **عليه الا ينسى ابدا الأمور الأساسية التالية :**

١ ــ إن دراسة التاريخ تدور حول « تاريخ الإنسان » ، والانسان كائن معقد، وهو على الرغم من أساسياته الواحدة في كل بقعة ، أو من بنيته الأولى الواحدة، مختلف من فرد إلى آخر اختلافا كبيرا في الأحاسيس ، والمدركات . ولا بد في دراسة تاريخ أي حادث وعند الموازنة ، من دراسة « الانسان الفرد » فيه ، ولا بد من النفاذ إلى أعماقه ، ومحاولة فهم العوامل المختلفة التي تحركه ، ومدى استجابته للمؤثرات ، وتكيفه مع الأحداث . فدراسة « الإنسان الفرد » النفسية ، تختلف عن دراسة « الانسان العام » التشريحية ، وهنا تلاحظ الحاجة الماسة إلى الاستعانة بعلم النفس .

٢ ــ إن الحوادث التاريخية لا تخضع لسبب واحد ، وإنما لمجموعة من الأسباب (كما ذكرنا سابقا)، ومن الصعب في الحقيقة معرفة كل الأسباب لقلة المدون من الحقائق ، ولعدم التمكن من معرفة جميع الظروف المحيطة بالحادث . فهل يمكن القول إن المؤرخين استطاعوا مثلا أن يحللوا كافة الأسباب التي أدت إلى « ظهور النهضة الفكرية » في الدور العباسي الأول ، على الرغم من أن ذلك قد درس من قبل كثير من المؤرخين ، الذين تتبعوا ما بوسعهم ، كافة العوامل والمؤثرات المباشرة وغير المباشرة في المجتمع في ذلك الوقت ؟ وفي الحقيقة ، من العسير جدا القول إن الانسان سيدرك أسرار الوجود ، وتطور الانسانية ، إذ تبقى هناك أمور كثيرة غير قابلة للتفسير العقلاني .

٣ ــ إن أحداث التاريخ محدودة بالزمان والمكان ، فهي جزئية وفردية ، أي لا تجري الا مرة واحدة ، ولا تتكرر بذاتيتها مطلقا ، ولذا فان حادثا ما قد يشابه حادثا آخر إلا أنه لا يمكن أن يكون ذاته ، ولا يمكن أن يطبق تعليله عليه ، ولكن قد يضيء هذا التعليل جوانب تبدو خفية على الباحث .

وهذا القول يقودنا الى الناحية الثانية في دراسة « التعليل التاريخي » التي أشار اليها « ولش » وهي « دراسة معنى التاريخ ككل » ، أو بتعبير آخر ،

ما سعى إلى بيانه فلاسفة التاريخ في نظرياتهم • وهنا يؤكد « ولش » ، ويلح ، على أن هذا لاعلاقة خاصة له بعمل المؤرخين ، لأن التساؤل عن معنى التاريخ ككل هو « سؤال فوق التاريخ » ، كما أن سؤال « هل الطبيعة قابلة للفهم » ، بالمعنى الهيغلي ، هو « سؤال فوق العلم » • فالجواب على الأول لا يكون بالرجوع الى فعاليات المؤرخين ، إذ ليس هذا من عملهم ، كما أن الجواب على الثاني لا يكون بالرجوع إلى العلماء[1] لأنه ليس من اختصاصهم • ويتابع « ولش » قوله إن عدم تأكيد هذه النقطة ــ أي عدم الفصل بين المفهومين والتمييز بينهما ــ هو المسؤول الأول عن النفور الذي تلقى به المؤرخون المحترفون عمل « توينبي » : فقد تخيلوا ــ كما تخيل توينبي نفسه ــ إن كتابه « دراسة التاريخ » هو عمل تاريخي، بينما هو ليس كذلك • فليس هناك « نموذج واحد » في الدفق التاريخي • وهذا ما أشار إليه المؤرخ « فيشر » في مقدمة كتابه « تاريخ أوربا » ، حيث قال : « إن رجالا أحكم مني وأعقل ، وأكثر ثقافة ، رأوا في التاريخ نظاما أو نموذجا محددا مسبقا • ان تلك التوافقات والانسجامات خفية عن عيني : فأنا لا أرى في السير التاريخي سوى ارتفاع كبير يتلو آخر ، كما تتلو الموجة الأخرى • إن حقيقة واحدة احترمها لأنها وحيدة ، وهي ، أنه ليس هناك تعميمات »[2] •

وفي الحقيقة إن عمل المفكرين الذين طرقوا « معنى التاريخ ككل » أصعب من عمل أي مؤرخ لأن ايجاد وحدة ، أو روابط في مجموعة معينة ومحدودة من الأحداث ، هو في حد ذاته عمل معقد ــ كما شاهدنا ــ فكيف بالبحث عنها في كل التاريخ الإنساني ؟ هذا بالاضافة الى أن هذه الدراسة تطرح مشكلة فلسفية علمية مثيرة ، وهي أن المفكرين الذين طرحوا التساؤل عن معنى التاريخ ككل ، كان أمامهم في الواقع سؤالان هامان : **اولهما** هل يمكن الكشف عن بعض العوامل الثابتة المحركة للتغير التاريخي • أو بتعبير آخر ، هل يمكن الوصول إلى «القانون» في التاريخ ؟ إن نهاية المطاف في المنهج العلمي هو الوصول إلى « الصيغة » ، التي تحكم علاقات الظواهر المختلفة ، وتسمح بالتحكم فيها ، وتكرارها • فهل يمكن

---

(1) Op. Cit. p. 303.

(٢) H. A. L. Fisher A History of Europe. London 1946. P.V (Preface)

الوصول في التاريخ إلى تلك « الصيغة » ، أو الصيغ التي تفسر الوجوه الكثيرة للواقع الانساني ؟ لقد أكد عدد من المؤرخين في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ضرورة أن يكون هناك « قوانين للتاريخ » وسعوا في هـذا الطريق ، وكانوا بذلك متأثرين بالمنهج العلمي . وقد وجد بعضهم المفتاح لمعنى التاريخ ككل، مثلا ، في العنصر « العرق البشري » ، والمناخ ، ولسو قوى الانتاج ، وغيرها .

ذلك من ناحية التساؤل الأول ، أما **القضية الثانية** التي بحث فيها المفكرون في نطاق معنى التاريخ ككل ، فهي امكان إيجاد **قانون واحـد** يتحكم في كل السير التاريخي ، وهذا ما فعله ماركس ، وتوينبي . وقد تأثر هؤلاء وغيرهم من فلاسفة التاريخ الى جانب تأثرهم بالمنهج العلمي ، بالفكر الذي ابتدأه « فولتير » في«عصر التنوير » ، وبانشائه ما أسماه بـ « فلسفة التاريخ » ، بل بالفلسفة بصفة عامة . فعديد من الفلاسفة يرى « أن هدف الفلسفة هو تفسير كل شيء بمبدأ واحد ، ومفهوم واحد ، واسم واحد »[1] .

وفي الحقيقة ، لقد حاول بعض المفكرين الدينيين في العصور الوسطى الاوربية أن يعطوا جوابا عن التساؤلين المشار إليهما بربطهم أحداث الأرض بارادة السماء كـ « سان أوغستين » مثلا : فقد نظروا إلى الله كحاكم يتحكم في الإنسانية ، قادر على إيقاف قوانين الكون لمعاقبة كفر ، أو لاستجابة دعاء . ومن ثم يلاحـظ أن التفسير التاريخي حتى الجزئي منه ، سار في هذا المسار الديني الميتافيزيقي . وقد اطلق على هذه النظرة « لمعنى التاريخ ككل » نظرية « العناية الإلهية » ، وكانت أول محاولة تعبر عن نظرة كلية إلى التاريخ لتفسير معناه ومسار وقائعه ، ولتعطي للمسيحية أملا وتفاؤلا بالمستقبل .

وأتى الدين الإسلامي ليطرح كذلك مسألة « السنن » و « النواميس » التي تسيّر حركة التاريخ ، وليؤكد وجودها في صميم التركيب الكوني ، وفي قلب العلاقات المتبادلة بين الانسان والعالم . كحرية الانسان المسؤولة ، ضمن المشيئة الإلهية العليا ، في إيجاد الواقعة التاريخية ، أو في حركة التاريخ بصفة عامة . وذلك

---

(1) L'histoire et ses méthodes, p. 1350.

عبر صراع هذا الانسان مع العالم المادي ، ومع عالم نفسه . فهذا الانسان وجد ليكون خليفة الله في أرضه ، ومنح القدرة العقلية والجسدية ، والارادة الحرة ، وحوافز العمل والسعي ؛ لينشىء المجتمع الحضاري القائم على التفاعل والتوازن بين القيم المادية ، المنبثقة من مختلف فعالياته الفكرية والعملية على سطح الأرض لتأمين وجوده المادي ، وبين المثل الروحية التي بثها الله في نفسه ، كسيادة الحق ، والعدل ، والخير ، والنضال من أجل تثبيتها والدفاع عنها ، لأنها هي كنه الوجود البشري . وهذا الانسان مسؤول عن مدى جهاده في سبيلها ، في دنياه ، وفي آخرته على السواء . فالحدث التاريخي إذاً ، هو نتاج لقاء خلاق بين الله والإنسان والطبيعة ، وحركة التاريخ وحدة واحدة بدأت بخلق الله للكون وتمتد حتى يوم الحساب[1] .

ويمكن أن يرى في عقيدة الشيعة الاثنتي عشرية[2] ، والاسماعيلية[3] ، وفي مقولات « جمعية أخوان الصفا وخلان الوفا »[4] ، ذلك الاتجاه المتفائل بمصير

---

(١) انظر لتفصيلات أوسع ، عماد الدين خليل : التفسير الاسلامي للتاريخ . بيروت ١٩٧٥ .

(٢) فرقة شيعية تقول باثني عشر إماما ، اولهم علي بن أبي طالب ، وآخرهم محمد المهدي الذي اختفى عام ٢٦٠ هـ/٨٧٣ م وهو صغير السن ، وتعتقد انه سيعود في آخر الزمن ليملأ الارض عدلا بعد ان ملئت جورا . وهي اكبر الفرق الشيعية ، وتنتشر اليوم في ايران والعراق بصفة خاصة .

(٣) فرقة شيعية اختلفت مع السابقة ، الاثنتي عشرية ، في تتابع الأئمة . فقد توقفت عند إمامة اسماعيل بن جعفر الصادق ، وسميت بالسبعية ، لأنها جعلت الامامة الى اسماعيل سابع الأئمة الظاهرين . ويطلق عليها اسم « الباطنية » . ومنها الفاطميون والخلافة الفاطمية .

(٤) ظهرت هذه الجماعة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي (حوالي ٣٧٣ هـ/٩٨٣ م) . وهي جماعة سرية ، يعتقد ارتباطها بالمذهب الاسماعيلي ، وأنها كانت تدعو له . وقد خلفت مجموعة رسائل تمثل زبدة معارف العصر الذي عاشت فيه . ويبلغ عدد تلك الرسائل (٥١) ، احدى وخمسين . وقد قسموها الى «رسائل تعليمية رياضية » ، وتبحث في العدد ، والهندسة ، والنجوم ، والموسيقى ، والجغرافية ، والمنطق ، ومددها (١٤) رسالة ، « ورسائل جسمانية طبيعية » ، وتتحدث في الهيولى ،

الانسانية : فالله هو مدّبر الكون والمتحكم بأموره ، وهو الذي يرسم أحداثه ، ويبعث بين آونة وأخرى من « الخلفاء » له من يصلح سوءاته . وبذلك يفسرون ظهور الانبياء ، و « المهدي المنتظر » الذي سيظهر ليحل العدل محل الجور ، وليحقق مملكة الله .

وجاء « ابن خلدون » في القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد ، ليعطي « لفلسفة التاريخ » مضمونا عقلانيا واقعيا : فقد ميز بين الظاهر والباطن في التاريخ . ونظر إلى المجتمع البشري نظرته إلى مجموع الانسان الفرد ، أي كعضوية حية تحيا وتنمو ثم تضمحل . وقد رسم في « مقدمته » العلاقة والترابط بين المحيط الجغرافي والتطور الفكري للبشرية ، وأكد على وحدة الحياة الانسانية ، وتطورها، واستمراريتها . وبذلك سبق ماركس في الحديث عن جدلية التاريخ وديناميكيته، وفي مفهومه الاقتصادي عنه . فحياة المجتمع ـ كما قال ـ تتعلق بالطريقة التي يصنع فيها سكانه حياتهم ، وحياة المجموع ترتبط بحياة التعاون بين أفراده . وإن الاجتماع الانساني يتطور من البداوة الى الحضر في سنة طبيعية دائمة ، وإن الحضارات تتعاقب عليها ثلاثة أطوار ، بداوة ، ثم حضر ، ثم انحلال اقتصادي وخلقي .

أما في أوربا فقد شرع التعليل الميتافيزيقي لكلية التاريخ يضعف تدريجياً مع عصر النهضة ، ونمو الحركة الانسانية ، أو العقلانية . وازدياد التطور العلمي ولا سيما في القرن السابع عشر . ومن ثم قام المفكرون والمؤرخون في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، على الرغم من إيمانهم بوجود الله وقدرته ، يطرحون جانباً الفكرة القائلة بـ « نزواته » ويقبلونه خالقاً مسيّراً لأحداث التاريخ في سيره الدائم ، وموجهاً لموكب « التقدم الاجتماعي في الحياة الانسانية » . وبذلك نظروا

← والكون ، والفساد وتكون المعادن ، وأصناف النبات والحيوان . والحاس والمحسوس. وعددها (١٧) رسالة . و « رسائل نفسانية ـ عقلية » تبحث في ما وراء الطبيعة . اي في العقل والمعقول ، والعلل والمعلولات وغيرها وعددها (١٠) رسائل . وأخيرا « رسائل ناموسية إلهية » وتحيط بالموضوعات الدينية والسحر وعددها ٩١) رسائل. والرسالة الاخيرة ، الواحدة والخمسون ، تجمع بين السابقة كلها بشكل موجز .

إلى التاريخ كـ « قانون للانسانية بصفتها وحدة مترابطة » . وكان هذا مفهوم الفيلسوف « ديكارت »[1] عنها ، هـذا المفهوم الذي افتتح « عصر العقل » في أوربا ، علما بأن ابن خلدون كان أسبق من ديكارت في عرضه لمثل هذا المفهوم .

وسادت لدى بعض المؤرخين والمفكرين الفكرة القائلة ، إن هناك نموا مطردا ومنظما في الحركة الطبيعية للكون ، وفي الكفاح الاخلاقي للانسان ، وهذا النمو هو نحو الامام والاعلى . فالإنسان لم يسقط من الكمال ، بل إنه يرتفع نحوه ، فهو حيوان عاقل وإنساني وأخلاقي . وقد تبنى هذه الفكرة من الفلاسفة والمؤرخين والمفكرين « هيـوم »[2] و « تورغـو »[3] و « كوندورسـه » و « فيكو » و « مونتسكيو » و « كانت »[4] . ومع أنهم اختلفوا في عديد من النواحي ، إلا أنهم اتفقوا في نقطة واحدة ، وهي إنه يجب ألا ينظروا الى التاريخ بعد اليوم على أنه مجموعة أعمال خارقة منعزلة عن بعضها ، أو قصة حركات فردية ، أو سـير رجال ، وإنما يجب أن يعترف به رحلة متكاملة للانسانية نحو الأرض الموعودة . فكل جزء على الرغم من انفصاله عن الجزء الآخر في الزمان والمكان ، وعلى الرغم من تنافره مع الآخر في ضوء أفكارنا المسبقة ، وعصبياتنا الخاصـة ، هو مرتبط ومتصل بكل جزء آخر . فالحديث عن « تيار التاريخ » لم يعد تعبيرا لفظيا وإنما واقعا ، لأن التاريخ في معناه الحقيقي هو انصباب جداول عديدة من الأجنـاس والأمم ، والعادات ، والحكومات ، والصناعات ، والأفكار ، والارادات ، في تيار حياتي واحد من الأمل التقدمي . أي « ان العقل الانساني هو نفسه في العـالم كله » . « إن المسرحية الانسانية لها هدف أخلاقي واحد : هو الاعتراف بأنني أنا وأنت يجب ألا نحيا متضادين وإنما مع بعضنا وكل واحد منا للآخر » .

---

(١) فيلسوف وعالم في الرياضيات . فرنسي (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠) . له عـدة كشوف علمية ، وقد ادت تأملاته إلى نشوء « الفلسفة الحديثة » .

(٢) دافيد هيوم D. Hume (١٧١١ ـ ١٧٧٦) فيلسوف ومؤرخ انكليزي . من مؤلفاته الشهيرة « مقال عن التفاهم الانساني » .

(٣) تورغو Turgot مفكر واقتصادي فرنسي ، تبنى مبادىء الفيزيوقراطيين قبل الثورة الفرنسية (١٧٢٧ ـ ١٧٨١) .

(٤) كانت Kant فيلسوف الماني (١٧٢٤ ـ ١٨٠٤) . من مؤلفاته « العقل المحض » و « نقد العقل العملي » .

وجاء فولتير ليعلن أن « الفيلسوف وحده يجب أن يكتب التاريخ » لأن التاريخ هو « فلسفة تعلّم بالتجربة » . وقد طبق فولتير نظريته عملياً ، فهيأ نفسه للتأريخ عن طريق دراسته للفلسفة أي « لفحص الحياة بكليتها » . وكتب التاريخ عبر رسم بضع مراحل فردية وضعها على الأرضية العالمية . وابتدأ هذه التواريخ المرحلية بكتابته عن « عصر لويس الرابع عشر » . وكان كتابه هذا احتجاجا على مفهوم التاريخ السائد ، بأنه « تكديس زمني للأسماء والتواريخ ». فقد قال : « ماذا تعني معرفتي أن « ايجيل Egil »قد خلف « هاكين Haquin » في السويد ، أو أن عثمان هو ابن أرطغرل ؟... لم أكن أبدا قادرا على انهاء قراءة أي تاريخ طويل لأممنا الحديثة . إنه لا يمكنني أن أرى فيه شيئا سوى الاضطراب ، ومجموعة من الأحداث الصغيرة دون رابطة أو نتيجة ، وآلاف المعارك التي لاتثبت شيئاً . فانفككت عن هذه الدراسة التي تغرق الفكر دون أن تضيئه » . وانتقل بعد ذلك إلى إنارة الفكر دون إغراقه ، في المجموعة التي كتبها عن روسيا و « شارل الثاني عشر » ، و « لويس الثالث عشر » ، باحثا عن المبدأ الموحد الذي يجمع ألوان نشاطات الانسانية العديدة وطموحاتها .

وعندها غدا مهيئا لمركبه التاريخي الكبير « مقالة عن أخلاق الأمم وروحها»، حيث أوضح فيه أن « المبدأ العميق والخفي في التاريخ هو تقدم الفكر الانساني »:

إن الفرد لم يعد اقليميا أو آسيويا أو امريكيا ، مسيحيا أو مسلما ، بوذيا أو يهوديا . إنه لم يعد ملكيا أو ارستقراطيا أو عاملا أو عبدا ، إنه عضو في الاخوة الانسانية ، وإن سير التاريخ كله يعني حمل هذه العلاقة الى كل واحد منا .

وليثبت هذا فإنه لم يستعرض الحضارات القديمة فحسب ـ في آسيا وأوربا ـ وانما الحضارات المكتشفة حديثا في امريكا أيضا . وقال « إن هدفي ليس تاريخ الحروب وانما تاريخ المجتمع ... إنني أريد أن أوضح كيف عاش الناس وسط عائلاتهم وأبين الفنون التي رعوها ... أنا لا أهتم بتاريخ الرؤساء الكبار ، وإنما أنا قلق لأعرف ما هي الخطوات التي حاول الناس بها الارتفاع من مستوى التوحش إلى سلامة العقل وصحته » وكان جزاء كتابته تلك النفي . ويبدو أن العالم لم يكن

آنذاك مستعدا لتبني أفكاره ، فكتب قائلا : « يمكنك أن تسقط ملكك ولكن يمكن للملك أن يحطم حريتك » .

وتابع المؤرخون استمداد وحيهم من « فولتير » مظهرين ذلك التقدم الذي لا يقاوم في الفكر والعقل الانسانيين ، وجاء « ڤيكو » و « ميشله » ليتابعا الخط ، وليلحّا على أن « التاريخ هو السير التقدمي نحو الحرية » : فالانسانية لاتتقدم في « خط مستقيم » ولا على « شكل دائرة » ، وانما نحو الأعلى وحول جبل . وفي هذه الدائرة الحلزونية من التطور ، ليس هناك أبدا عودة إلى نقطة الانطلاق الأصلية ، وإنما كل خطوة وكل دورة هي أعلى من سابقتها . وهكذا فالتاريخ لا يعيد نفسه أبدا . فما يبدو لنا تكرارا ، هو مجرد إعادة نظر في مشهد قديم ، من موقع أعلى يسمح لنا بأن ننظر الى آفاق أوسع . إن المراحل التي تميز تقدم الإنسانية هي ثلاث : الأولى وتمثلها العصور القديمة ، وتتميز بسيادة الأهواء في مجال الفكر ، وسيادة الحكم الديني (التيوقراطي) في حقل السياسة . والثانية تمثل مرحلة الشعراء الملحميين ، وتتميز بسيادة الخيال في العقلية الجماعية ، والارستقراطية في السيادة السياسية . والثالثة تبدأ بالعصر العلمي وتتميز « بالمعرفة الوضعية » في العقلية الجماعية ، وبالنظام الديموقراطي في الحكم السياسي .

واننا لنسير أعلى فأعلى ، ومع كل دورة فإن أفقنا يصبح أوسع ، وقلوبنا أكثر صداقة وتماساتنا أكثر حرية .

فلسفة هردر التاريخية :

وقد شذبت هذه الأفكار في كتاب « هردر » ، « فلسفة تاريخ الانسانية » ، وبدت الرؤية أكثر وضوحاً ، حيث قال : إن « الطبيعة الانسانية في سيرها نحو الأعلى تهدف بالفطرة إلى توحيد الجنس البشري . وللاسراع في تحقيق هذا الهدف ، وضع (الله) مصيرنا في أيدينا ، وتدريجيا نحن نتعلم كيف نبني ونهدم ، ونهدم ونبني . ولكن قدرتنا على البناء هي أكبر من قدرتنا على الانحطاط والهدم. فمن خلال تخبط الأجزاء ، وأخطائها ، نحن نتحرك نحو الكمال المطلق للكلّي .

ويرافق سيرنا التقدمي هذا نحو الكمال ، نمو مستمر في فكرنا ، وفي فهمنا

لكيفية تطبيق مفهوم العدالة ، لأن الفكر الانساني مزود بالرغبة في تربية أخلاقية ، ولديه الاستعداد والقدرة عليها . وإن الهدف الثابت ، والغريزي لهذه التربية ، هو الوصول الى فهم عالم واحد ، ومصير واحد ، وقرابة واحدة تحت السماء ، وقدرة الهية نافعة واحدة فوق الكل . إن قدرنا هـذا كما أعلن هردر ، هو بين أيدي مهندس ، هو الحكمة كلها ، والرحمة كلها . ومن ثم فليس هناك كفاية أكبر ، ولا سعادة أصفى ، من التعاون والعمل بحسب مخططاته .

فالتاريخ إذاً ـ بحسب هردر ـ قائم على قوانين طبيعية تتحرك وفق مخطط سماوي إلهي .

فلسفة هيغـل[1] :

لقد قال هيغل عن فكرة « هردر » بأنها صحيحة جزئيا : فالتاريخ قائم في الواقع على القوانين الطبيعية ، ولكن هذه القوانين لاتثبت مساواة جميع الأفراد والشعوب وإنما تفوق البروسيين . إن « الواقع » بالنسبة لهيغل هو « العقلانية » : فأي شيء هو عقلاني ، وأي شيء مهما كان ، هو حقيقي . وسمّى هيغل كلية الوجود العقلانية والحقيقية بـ « المطلق » . وهذا المطلق موجود عبر « مبدأ التناقض » . وهو ناتج عن قوتين متضادتين : فكل شيء في الوجود يحمل في نفسه ، نفسه وضدها . فأنت لايمكنك أن تفكر في المحدود دون التفكير في الوقت ذاته باللا محدود ، أو بالحياة دون التفكير بالموت ، فكل مظـاهر الوجود تناقض ، وهذا التناقض هو مصدر كل حياة وكل حركة . والحياة هي صراع القوى المتعارضة ، وهي تحاول أن تتمازج مع بعضها نحو وحدة أعلى . ونفس القوى التي تحدد وجود ظاهرة ما هي التي تحيلها إلى نقيضها ، ولا يكشف عن ذلك إلا « منطـق الديالكتيك » أو الجدل .

---

(١) من كبـار الفلاسفة الالمان في القرن التاسع عشر (١٧٧٠ ـ ١٨٣١) ومن المتعصبين لجرمانيتهم .

أما التاريخ فله ظاهر وباطن ، ظاهره أحداث ووقائع تبدو مشعثة ومتفرقة ودون هدف ، وباطنه تلك « الروح » (روح العالم) التي تجعل مساره معقولا ومحكما . ولا يمكن إدراك هذه الروح ، **وجوهرها الحرية** ، إلا بنقيضها وهو « المادة » . وإن صراع الاضداد ، أو الديالكتيك ، هو سر حركة التاريخ ، ومنطق الكشف عن تعاقب وقائعه .

إن نور « الروح » في التاريخ ــ كما يقول هيغل ــ « ينتقل كشعاع الشمس من الشرق نحو الغرب . فآسيا هي « الشرق المحدد » أو « البدء المطلق » للتاريخ، والمانيا هي « الغرب المحدد » أو « الهدف المطلق للتاريخ » . إن المراحل الكبرى في التاريخ هي ثلاث : ــ وهنا يتبع هيغل ڤيكو ، وانما في جزء قصير من الطريق ــ المرحلة الشرقية ، واليونانية ــ الرومانية ، والالمانية . ففي المرحلة الأولى كان الفكر نائما ، وغير شاعر بحاجته الملحة للحرية ، ولذا فانه خضع بصبر للاستبداد الفكري، والمدني ، وكان الملك وحده في تلك الفترة حرا . وفي المرحلة الثانية كان الفكر نصف واع بجوعه الداخلي للحرية . ومن ثم فان **بعض الأفراد لا كلهم** ، كانوا أحرارا . وفي المرحلة الثالثة استيقظ الفكر تماما ووعى هواه للحرية العقلية وقوته للوصول إليها . ولم تصل الحرية لمرحلة الوعي الكامل إلا لدى الأمة الجرمنية المتمثلة بالبروسية .

ويرى هيغل أن الدولة هي « المطلق » ، وهي « الحرية في صورتها الواقعية»، وهي تجسيد لروح العالم . وتتمثل الدولة في سلطة الملك أو الحاكم ، وهو الذي يحمل رسالة العالم التاريخية ويعبر عن ارادة الروح . ومن الدولة واليها يتحقق كل نشاط بشري ، وكل عمل فكري ، فهي الصورة النهائية التي يتشكل فيها موضوع التاريخ . وفيها يتم الوفاق بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة .

ان الدولة التي تمثل « المطلق » بالنسبة لهيغل والتي ينتهي عندها مسار التاريخ ، هي الدولة البروسية بالذات . فالحرية الكاملة هي في الطاعة للدولة البروسية وللملك البروسي ، لان الالمان وحدهم هم أحياء روحيا وعقليا ، بينما الباقون ميتون فقدوا روح الابداع .

فالتاريخ لدى هيغل هو تطور « الروح » في الزمان ، كما ان الطبيعة هي تطور الفكرة في المكان . أو هو الصراع بين القوى المتعارضة ، ووعي الروح بذاتها، وتحقيقها لذاتها من خلال هذا الصراع . ان مصالح الافراد ورغباتهم وأفعالهم وبطولاتهم ليست الا خيوط غزل في نسيج عام . لقد كان يوليوس قيصر مثلا في صراع مع خصومه ، وذلك لحرصه على مركزه ، وحرص خصومه على ولاياتهم ، وإذا كان انتصاره قد حقق وحدة الامبراطورية متمثلة في حكم الفرد الواحد ، فان هذا كان أمرا ضروريا لا لتاريخ روما فحسب ، بل لتاريخ العالم في تلك الحقبة من الزمن ، فهو قد حقق عن غير وعي منه ارادة روح العالم[1] . فالأبطال — ويعترف هيغل بوجودهم — يجهلون في الواقع مواقع أعمالهم من تطور الروح ، إلا أنهم يتميزون عن غيرهم بصفاء النظر ، وبالاستجابة للنداء الخفي لروح العالم الممثلة بروح العصر .

لقد بنى هيغل نظريته على مقولات فكرية بحتة بعيدة عن التجربة الواقعية والحقائق التاريخية ، ولذلك اتخذت هذا المظهر التجريدي . وقد احاطها بهالة من « الصوفية » والغموض ، وحاول بها أن يحول التاريخ الى عمل « القومية الالمانية» متجاهلا حضارات بأكملها ، أو مبخسا دورها دون أية دراسة واقعية دقيقة ، وفي الوقت ذاته منهيا التاريخ عند حاضره الالماني . ولقد تبنت آراءه هذه الدولة الالمانية البسماركية أولا ثم النازية ، وكانت دعما للعنصرية الجرمانية ، وللحكم الاستبدادي بصورة عامة . كما رأى فيها تلاميذ « هيغل » من امراء تسويغا لكل الثورات : ألم تقل تلك الفلسفة بحق أية قوة على الأرض في النضال ضد قوتها المعارضة ؟ ألم تؤكد عقيدة التغيير عن طريق الصراع العنيف ؟ ومن ثم فان ماركس هو الآخر اتخذها منطلقا لفلسفته في « صراع الطبقات » .

وفي الواقع لم تكن الامم الاخرى الغربية في هذا الوقت خالية من روح التعصب القومي الذي طرحه هيغل في نظريته . فهناك خلال القرن التاسع عشر عدد من المؤرخين في فرنسا ، وبلاد البلقان ، واسبانيا ، وروسيا ، وبولونيا ، وايطاليا،

---

(١) الدكتور احمد محمود صبحي : في فلسفة التاريخ . ص ٢٠٨ .

والكلترا ، وحتى في الولايات المتحدة قد غرقوا هم الآخرون في مدح أممهم ، وابرزوا معائب الامم الاخرى ومساوئها .

فلسفة تيئودور جوفروا[1] :

ولكن على الرغم من هذه النزعة القومية المتعصبة في تفهم معنى التاريخ ، فان فكرة العلاقات الانسانيـة بين الامم لم يقض عليهـا : فـ « تيئو دور جوفـروا Th. Joufroy » في كتابه « فلسفة التاريخ » اعترف بالفروق بين مختلف الأمم ، ولكنه لم يعرّف هذه الفروق بعبارات (الأعلى) أو (الأدنى) . ان الامم الثلاث الرئيسة في نظره في أوربا هي « الالمان ، والفرنسيون ، والانكليز » . فالالمان هم شعب العلم ، وميزتهم البارزة هي في تقديم الحقائق . بينما الفرنسيون هم شعب محب للفلسفة وعملهم تفسير الحقائق التي قدمها الالمان . أما الانكليز فهم منظمون عمليون وبناة ، ووظيفتهم تطبيق الحقائق الالمانية ، والنظريات الفرنسية ، لحل مشكلات العالم الصناعية والاجتماعية والسياسية . ان هدف التاريخ ــ كما أكد جوفروا ــ أن « تعرف هذه الامم الثلاث وكل الامم الاخرى صفاتها الخاصة وان تتعاون لخير الانسانية »[2] .

اوغست كونت[3] :

وجاء أوغست كونت ليؤكد أن « خير الانسانية هو الغرض الهام الوحيـد الذي نكتشفه في فحصنا الفلسفي للتاريخ » ، وأن الانسان كان يتابعه منذ القديم، وان الفكر الانساني في تقدمه نحو هذا الغرض مرّ بثلاث مراحل : المرحلة الالهية، والميتافيزيقية ، والعلمية . ففي المرحلة الاولى فسرت جميع المشكلات الانسانية

---

(١) Th. Jouffroy : فيلسوف فرنسي ، عرّف الفرنسيين بالفلسفـة السكوتلاندية (١٧٩٦ ــ ١٨٣٢) .

(٢) Thomas (Henry), The Living World of philosophy Philadelphia 1946, p. 127.

(٣) A. Comte عالم رياضي وفيلسوف فرنسي ، مؤسس « الفلسفـة الوضعية » ومن اكبر الدعاة لدين الانسانية (١٧٩٨ ــ ١٨٥٧) .

بارجاعها الى الارادة الالهية ، ومن ثم عرّف الطغيان أو الحرب على أنهما عقاب الآلهة على خطايا الانسان . وفي المرحلة الميتافيزيقية فسرت المشكلات الانسانية ذاتها بمجردات غامضة كقوى السحر الخارقة ، وافسحت التيئولوجيا مكانها للتنجيم ، ونظر الى المرض والصراع على أنهما من تأثير النجوم على مقدرات الانسان . وأخيراً في المرحلة العلمية درست المشكلات على أساس المبادىء الطبيعية في السبب والنتيجة . فالفكر الانساني تطور من الخرافة الى الفرضية ، ومن الفرضية الى الحقيقة . ان التاريخ والفلسفة والعلم انبثقت كلها للبحث عن الحقيقة ، وان الهدف من هذا البحث ليس تحسين أحوال جنس أو أمة ، أو طبقة ، وانما الحياة الانسانية كلها .

والتر بادجيت[1] :

ومن مؤيدي « النظرية الدورية » للتطور الانساني كذلك « والتر بادجيت » W. Bagehot . فهو مثل « فيكو » و « هيغل » و « كونت » يجعل مراحله ثلاثا : وهي مرحلة اقامة العادات ، وعصر الصراع ، وعصر المناقشة . ففي المرحلة الاولى كان البشر ملزمين باطاعة ملوكهم وأوامر رجال دينهم ، وكانت عقوبة العصيان الموت . وفي عصر الصراع ، فان كتل البشر انقسمت عبر الهجرة والحرب الى جماعات ، وأمم ، ودول ، وترجم الولاء للعرف والعادة على أنه وطنية . وبقيت الطاعة للسلطة الزامية حتما : فلا سؤال لماذا أبدا ، وانما العمل أو [illegible] . الا أن مرحلة المناقشة ادخلت الحكم الديمقراطي ، والفكر الحر ، وحرية الكلام ، والعبادة ، والولاء ، التي تجاوزت حدود العصر والدولة الى الانسانية . وهكذا فان الاتجاه التاريخي التالي سيكون من القومية الى العالمية ، وستتحول « مدينة الله » الملكية الى « جمهورية الانسان » .

التفسير المادي للتاريخ : كارل ماركس (١٨١٧ – ١٨٨٣) :

ان كارل ماركس أيضا من أنصار الدورة الثلاثية : فالتاريخ هو التطور الثلاثي

---

(١) مفكر واقتصادي انكليزي (١٨٢٦ – ١٨٦٦) مؤلف كتاب « الدستور الانكليزي » .

من « الاقطاعية » الى « الرأسمالية » ؛ ومن الرأسمالية الى « الاشتراكية ». فبعد « هيغل » يعتبر ماركس أكثر المؤرخين تأثيرا في العصور الحديثة . ولكن بينما يمثل هيغل داعية القومية ، فان كارل ماركس يمثل متنبىء العالمية .

لقد اتخذت اشتراكيته العالمية في بعض المناطق شكل سلطة دين جديد ، وغدا مفهومه المادي عن التاريخ انجيلا مقدسا بالنسبة لعمال العالم . فقد بدأ بالنسبة اليهم مرحلة جديدة من التقدم الانساني ، بل إن أولئك الذين اعتنقوا فلسفته قسموا الزمن كله الى ما قبل الماركسية وما بعدها .

ولقد اعطانا « فردريك انجلز » صديق ماركس ومساعده (١٨٢٠ ــ ١٨٩٥) التعريف « للمفهوم المادي للتاريخ » أو « التفسير الاقتصادي للتاريخ » كما يفضل الماركسيون أن يسموه ، قائلا : « في كل مرحلة تاريخية يشكل أسلوب الانتاج الاقتصادي ، والتبادل ، والتنظيم الاجتماعي الناجم عنه بالضرورة ، الاساس الذي بني عليه التاريخ السياسي والفكري لتلك المرحلة . وبه وحده يمكن أن يفسرا .

وقد قال ماركس ان « الاقطاعية » و « الرأسمالية » هما مرحلتان ضروريتان في تطور الانسانية الا أنهما تجاوزتا أيامهما ، وانهما اليوم في طريق الزوال. فالتاريخ هو قصة الانسان كنتاج لمحيطه ، وكمنتج له : فالتاريخ يصنع الانسان ، والانسان يصنع التاريخ . وبكلمات أخرى ، اننا خالقون للتطور ومخلوقون منه ، فنحن نتاج الماضي ، وسبب المستقبل . ان الفكرة القائلة ان الانسان هو في الوقت ذاته الآلية ، والمحرك في حركة التطور ، هي حجر الزاوية في فلسفة ماركس . فبحسب هذا المفهوم يتميز تقدم الجنس البشري بسير تطوري تدريجي ، ويتبدى هنا ، وهناك ، بنبض الثورة المتسارع .

إن آخر ثورة في أيامنا ، وأهم الثورات ــ كما أعلن ماركس ــ هي « الثورة الاجتماعية » . إن هذه « الثورة الاجتماعية » ، تتمثل في الانتقال من مرحلة « الرأسمالية » الى « الاشتراكية » ، أي بيقظة العمال للمطالبة بنصيبهم في نتاج عملهم . وكما استطاعت البورجوازية ــ الرأسمالية أن تهزم الاقطاعية الارستقراطية، وتحتل مكانها ، فإن الطبقة العمالية سوف تجلي البورجوازية الرأسمالية عن

مواقعها ، وتثبت هي أقدامها في حكم العالم ، وعندئذ يصفّى النظام البورجوازي السائد ، بكل مضموناته ، من حكومات ، وقيم أخلاقية ، ومعتقدات دينيـة ، وعادات اجتماعية وقوانين .

وتنبأ ماركس « بأن تلك الثورة ستكون عنيفة في عصره ، وهي قادمة لاريب فيها » ، وذلك لسببين يعتبرهما حقيقتين حتميتين :

اولاهما : تراكـم رؤوس الأموال ، وتمركزهـا في أيدي نفر قليـل من البورجوازية الرأسمالية ، يقل عددا مع الزمن ، ومع تطور الانتاج . وذلك نتيجة تراكم « القيم الفائضة » للعمـل ، المسروقة من العمـال ، في أيدي الرأسماليين السارقين ، واستخدام تلك « القيم » في الحصول على « قيم فائضة » جديدة ، وهكذا دواليك . و « القيمة الفائضة » مرتبطة بتفسير ماركس الاقتصادي للعمل: فبينمـا يرى « الفيزيوقراطيون » مثلا أن الأرض هي أسـاس الثروة ومنبعها ، وبينما يرى الرأسماليون أن الرأسمال (وسائل الانتاج بشتى صورها) هو أساس النشاط الاقتصادي ، فإن « ماركس » يؤمن أن « **العمـل** » هو المصدر الحقيقي الوحيد لكل ثروة : فهو وحده الذي يجب أن يقوّم به انتاج الفعالية البشرية . وإذا كان العمل هو المصدر لكل دَخْل اقتصادي ، فإن ثمرات العمل ، يجب أن تعود إلى « العامل الفعلي » ، وكل ما يصب منها في اتجاهات أخرى ينحرف عن وجهته الشرعية . فالرأسمالي لا يعطي للعامل في المصنع مثلاً ، أجرا يعادل ثمن ثمرة عمله ، وإنما أقل من ذلك بكثير . فالربح الذي يحصل عليه من بيع ثمـرة العمل هذه ، هو « قيمة فائضة » سرقها الرأسمالي من الحق الشرعي للعامل .

وثانيتهمـا : ازدياد عدد العمال أو « البروليتاريا » ؛ واشتـداد امالهم وشقائهم : ويرجع ذلك إلى أن كبار الرأسماليين سوف يبتلعون صغارهم ،وسيضطر هؤلاء الصغار مع صغار الزراع ، والحرفيين ، وصغار التجار الى الانزلاق إلى صفوف « الطبقة العمالية المأجورة » (البروليتاريا) ، لعدم قدرتهم على المنافسة أمام كبار الرأسماليين ، الذين سيكونون « اتحادات محليـة » أولا فيما بينهم (تروسـت) ثم « اتحادات عالمية » (كارتـل) ، يسيطرون بها على كل نواحـي

الاقتصاد . وينتج عن ذلك ، زوال « الطبقة الوسطى » من المجتمع ، وتمايز طبقتين رئيسيتين : احداهما ضئيلة العدد جداً ، وتملك كل الثروة ، والرفاه ، والثانية تضم غالبية المجتمع ، وتملك العمل والشقاء . وعندئذ يكون اندلاع الثورة أمرا محتما لأن سواد الناس لن يرضوا أن يكونوا أدوات مسيّرة ، تتحكم بها أقلية أنانية ، تسيطر على وسائل الانتاج ، وتقبض على مصائرهم ، بل سيسمون ، بكل النقمة العارمة في صدورهم ، إلى انتزاع وسائل الانتاج من مالكيها ، والقضاء على الملكية الفردية ، واستلامهم جماعياً لها . فهذا هو الحل الوحيد ، الذي سيحرر الانسان ، ويساعده على الرجوع إلى ذاته المبدعة . فالرأسمالية إذاً تسير نحو حتفها المحتوم ، لتحل محلها « الاشتراكية » .

إن هذه اليقظة العمالية ـ كما لاحظ ماركس ـ هي حقيقة تاريخية ، يثبتها التاريخ : فالتاريخ كله « صراع طبقي » ، بين (من يملك) و (من لايملك) ، بين العبيد والأسياد ، بين البورجوازية والاقطاعية ، ثم بين الرأسمالية والبروليتاريا . والآن ـ أي في منتصف القرن التاسع عشر ـ يرى انبثاق فجر « مرحلة العمال العالمية » . فعبر المصالح المشتركة (أو الشيوعية) للعمال في العالم ، أخذت الخطوط القومية تتصدع ، ويدخل تاريخ الانسانية في المرحلة العالمية . إن هذا التحرك بطيء ، وشاق ، ومؤلم ، لأن الرأسمالية تحارب اليوم ، كما حاربت الاقطاعية في السابق ، بقوة للحفاظ على وجودها . إلا أن مؤسساتها التي هي في طريقها للموت والزوال ، لا يمكنها أن توقف سير الزمن الذي لا يقاوم ، وتطور التاريخ الحتمي ، شأنها في ذلك شأن الأفراد المحتضرين .

لقد أرخى التاريخ ستارته على المسرحية القديمة ، وتهيأ المسرح لمسرحية جديدة ، مع ممثلين جدد ، ومسرح أوسع . إنها مسرحية « البروليتاريا » الواسعة سعة العالم . وختمت أفكار « ماركس » بالنداء العالمي المشهور الموجه الى الطبقة العمالية : « ليس لديكم ما تفقدونه سوى أغلالكم ، بينما أمامكم عالم عليكم أن تربحوه . فيا عمال العالم اتحدوا » .

لقد تعرضت نظرية ماركس ، ولا تزال تتعرض ، لنقد شديد ، على الرغم من أن « الثورة الاشتراكية » التي تنبأ بها ، قد قامت في عدد من مجتمعات العالم ،

وأهمها الثورة البلشفية عام ١٩١٧ م ، والثورة الصينية . ولسنا هنا بصدد النقد التفصيلي لآراء « ماركس » ، ولكن يمكن القول بإيجاز ، مع « ولش » وغيره من المؤرخين ، بل والاقتصاديين ، أن **احادية التفسير التاريخي** ، لا تصلح لتعليل جميع أعمال الانسان ، وتحركاته : لأن الانسان ظاهرة في غاية التعقيد ، ترفض التفسير بعامل واحد . وقد قال الأستاذ « كول Cole » ، الذي درس الماركسية بدقة وتعاطف كبيرين : « من السهل أن نتبع التشابه الكبير بين الهياكل الاقتصادية التي تبنى عليها أنواع المجتمعات المختلفة ، وتنظيمها السياسي ؛ وأجهزتها الاجتماعية ، وأن نرى كيف كيفت الهياكل السياسية والاجتماعية في الماضي وفقا لتغير الظروف الاقتصادية الأساسية . إلا أن من الخطر أن نؤكد هذا إلى حد مفرط في البعد . وليست الحال قط أن المجتمعات التي في مستوى واحد من ناحية أسلوب الانتاج ، يجب أن يكون لها حتما نفس الأنظمة أو نفس الأشكال الاجتماعية للعائلة ، والعلاقات الجماعية ، والمنظمات السياسية والدينية ، أو الأفكار الخاصة بالقيم والأخلاق . فلقد أظهرت بحوث علم الانسان (الانثروبولوجيا) ، اشكالا حضارية مختلفة جداً ، لايمكن قط أن تفسر تفسيراً اقتصاديا محضا . إن أقصى ما يثبته هذا التشابه ، الذي تبين لنا وجوده ، إنما هو مجرد الاقتناع بأن الانظمة الاجتماعية تتأثر بالظروف الاقتصادية ، لا أنها تتعين بها وحدها . إن الاساس الاقتصادي للمجتمع ، **عامل واحد** فقط من عوامل تصوير الشكل العام للحضارة، حتى ولو كان أهم عامل »[1] .

هذا بالاضافة إلى أن منطق « الحتمية » الباترة التي أكدها « ماركس » تعدم حرية الإرادة الانسانية ، على الرغم من إلحاحه على دور الانسان الكبير في صنع التاريخ . « فنحن نتأثر بالبيئة المادية التي نعيش فيها ، إلا أن **فكرنا** هو الذي يعلمنا كيف نغير هذه البيئة المادية ، لكي تنسجم مع أغراضنا المختلفة . إن العالم المادي لا يقرر وعينا ، وإنما وعينا هو الذي يقرر الوجه الذي سنستخدم فيه مواردنا المادية . فكل شيء يجب أن يكون موجوداً في الفكر قبل أن يمكن

---

(1) P. G. D. H. Cole, The Meaning of Marxism, p. 57.
تصدير : عماد الدين خليل : التفسير الاسلامي للتاريخ . ص ٥٥ .

وجوده في العمل . لذا فقوى الانتاج لا تصنع نفسها وإنما يصنعها عقل الانسان. فبالرغم من أن الانسان يتأثر بالحياة المادية المحيطة به ، لايمكن اعتباره مجرد عجينة لا شكل لها ، تصب في قوالب البيئات المادية ، إذ أنه يستطيع أن يغيّر بيئته »[1].

ومع كل ما ذكر ، وغيره مما وجهه النقاد إلى النظرية ، فإنه لا ينكر أبدا أنه كان لها ، ولا يزال ، أثر فعال وضخم في ميدان الدراسات التاريخية : فقد وسعت الباب للدخول في ميدان التاريخ الاقتصادي ، والاجتماعي ، وركزت الاهتمام على « **تاريخ الشعوب** » و « **المجتمعات** » بدل « تاريخ الأفراد » ، وجعلت المؤرخين يستعمقون في البحث عن **البنى الاقتصادية والاجتماعية** ، ودورها في حياة المجتمعات ، وتطورها ، بل أثرها في نطاق كل حادثة تاريخية ، أو عمل انساني ، أو فكرة .

نظرية « شبنغلر » :

ان النظريات السابقة في التعليل الكلي للتاريخي أثارت اعتراض المؤرخين ، ولا سيما احادية التفسير منها ، وذلك لانها بالقوانين التي ارتأتها قد جعلت التاريخ فرعا من علم الاجتماع من جهة ، والحقت التاريخ بالعلوم الطبيعية من جهة أخرى. ووقف الى جانب المؤرخين الذين انبروا لتوكيد « كيان التاريخ » ازاء طغيان منهج العلوم الطبيعية ، الفيلسوف الالماني « شبنغلر » المعاصر (١٨٨٠ ـ ١٩٣٦) ، الذي كان لكتابه « انحلال الغرب » الذي تم اصداره بجزئين عام ١٩٢٢ ، أثر بعيد المدى في المؤرخين ، وفي آراء مفكري ما بعد الحرب العالمية الثانية .

ان الظاهرة الاولية والاساسية في التاريخ العالمي في اعتقاد شبنغلر هي « الحضارة » . والتاريخ مسرح لعدد كبير من الحضارات التي يسري عليها مايسري على الكائنات العضوية : أي أنها تنشأ ، وتنضج وتذبل ، وتفنى . فالتاريخ إذاً لا يسير في خط يتقدم الى مالا نهاية ، وانما هو مجموعة دورات حياة للحضارات

---

(١) A. Gray, The development of Economic Doctrine, p. 307.
تصدير المصدر السابق . ص ٥٤ .

فيه . ولكل حضارة دورة حياة مقفلة ولها سماتها الخاصة ، ويسميها بأهم صفة فيها . فهو يطلق مثلا على الحضارة العربية ـ الايرانية صفة السحرية ، لان المسلم فيها يشعر بوجوده الروحي ، ويتجاوز فيها ، ما هو محسوس الى ما هو مجرد . ولكن على الرغم من الخصائص الذاتية لكل حضارة ، فان المظاهر التي تكشف عنها الحضارة الواحدة تناظر تلك التي تكشف عنها سائر الحضارات . وهذا التناظر أو (التعاصر) يستند الى التماثل في الدور والوظيفة : كتناظر الاسكندرية وبغداد مثلا ، لان دور الأولى في الحضارة الهلنستية كدور الثانية في الحضارة الاسلامية. وبمنهج التعاصر هذا يمكن معرفة ايقاع التاريخ ، ومساره ، ومغزاه والتنبؤ بالمستقبل تنبؤا علميا دقيقا ، واستشفاف ما ستكون عليه الادوار القادمة للحضارة الاوربية بعد أن توسع تطورها . ويصل شبنغلر أخيرا ـ وهذه أهم نقاط فلسفته ـ الى أن الاوربيين يعيشون في وهم ، أوقعتهم فيه النظريات الفلسفية القائلة بالتقدم الانساني . فقد أكدت لهم ان حضارتهم هي المحور ، وان التاريخ كله يدور حولها . ومن ثم فقد قسموه بالنسبة اليها الى قديم ، ووسيط ، وحديث . وهذا الوهم هو الذي جعلهم يضغطون تاريخا كتاريخ مصر الذي امتد أكثر من (٣٠٠٠) سنة في عدة صفحات ، وينفخون تاريخا كتاريخ بابليون لا يتجاوز السنوات العشر، ويكتبون عنه مجلدات . فالمطلوب في التاريخ ثورة تشبه « **الثورة الكوبرنكية** » تصحح وهم المؤرخ الاوربي ، حين تصور حضارته مركزا ثابتا للحضارة ، كما توهم الانسان قبل « كوبرنيك » ان كوكبه الارض ثابت ، وهو مركز الكون ، وحوله تدور جميع الكواكب . « فالثورة الكوبرنكية » في التاريخ هي التي تستبدل بهذا الوهم دراسة كل حضارة على حدة ، وقد يكون هناك من الحضارات مايفوق الحضارة الاوربية . ويتنبأ شبنغلر بأن الحضارة الغربية في طريق الانحلال : لانه عندما يخضع كل شيء لمنطق العلة والمعلول ، ويستحيل الكيف الى كم ، وتسود الآلية البحتة وينعدم الابتكار الفني والفلسفي، فان ذلك يؤذن بتدهور، واضمحلال، وبزوغ نجم حضارات أخرى كالحضارة الصينية مثلا . فقد شرعت الشعوب الملونة ، الكبيرة العدد ، تسيطر على المخترعات الاوربية التي هم أهم أسباب تفوق أوربا ، وتتعرف سرها ، علما أن أجور العمل لديها أقل ، وحضاراتها لاتزال تحتفظ

بنفحتها الروحية • فهي لاتريد الآلة الا الانتصار على الاوربي ، ودحره ؛ فلا مفر اذا من سقوط الحضارة الغربية ، ولا مفر لها من هذا المصير •

موجز نظريـة توينبي :

وجاء توينبي (١٨٨٩ ــ ١٩٧٥) المؤرخ ــ الفيلسـوف الانكليزي ليتأثر تأثرا كبيرا بنظرية شبنغلر السالفة الذكر • وتعد نظريته من أهم النظريات المعاصرة في فلسفة التاريخ • ومما جعل لها هذه القيمة ، تقويمه الموضوعي لجميع الحضارات، دون تفضيل للحضارة الغربية؛ ودراسته بامعان كل حضارات العالم قديمها وحديثها، ومن ثم فمادته التاريخية مادة غنية جدا ودسمة • وقد سميت نظريته بـ « نظرية التحدي والاستجابة » •

وقد اتخذ وحدة للدراسة التاريخية (المجتمع) وليست (الامة) ، لان هذه الاخيرة جزء من كل • وقد حدد حضارات مجتمع العالم باحدى وعشرين حضارة المصرية ــ السومرية ــ البابلية ــ الاشورية ــ الحيثية ــ السرياكية ــ المينية ــ الهيلينية ــ الايرانية ــ العربية ــ الهندوكية ــ البوذية الهندية ــ الصينيـة ــ (الكورية ــ اليابانية)ــ الاندية ــ المايانية ــ اليوكاتية ــ المكسيكيةــ الارثوذكسية البيزنطية ــ الارثوذكسية الروسية ــ الغربية) • ولقد أوضح « توينبي » كيفية نشأة الحضارات : وأكد على أن « الظروف الصعبة » بتحديها الانسان على التحضر تستثير همته وقوى الابداع فيه • وهذا التحدي قد يأتي من البيئة الطبيعية ، أو من الظروف البشرية ، كعدوان خارجي ، أو تهديد مستمر • ويوضح توينبي نوعية ذلك التحدي المثير الاستجابة : فهو يجب الا يكون قاصرا بحيث يجعل الطرف الآخر عاجزا عن استجابة ناجحة ، ولا يكون بالغ الشدة بحيث يحطم روحه ، بل يجب أن يكون في مستوى يستثير فيه الطاقات المبدعة • ان الاستجابة الناجحة عملية نفسية تهدف الى ارتقاء روحي ، وفكري للمجتمع ، وليست ردا خارجيا متمثلا في غزو خارجي أو ارتقاء تكنولوجي •

ان تاريخ البشرية هو سلسلة إذا من التحديات والاستجابات : فالتاريـخ لا يخضع للصدفة ــ كما أكد فيشر ــ وليس مجرد ملحونة يديرها مسجونون دون

هدف سوى تعذيبهم . ان عجلة التاريخ ليست آلة شيطانية تبتلي الناس بعذاب سرمدي ، ولكن هناك ايقاعا أساسيا يتمثل في التحدي والاستجابة ، في الانسحاب والعودة ، في النكسة والنهضة ، في التمزق والوحدة .

ولا يكتفي توينبي بدراسة أسباب نشأة الحضارات ، وانما يستعمق في دراسة أسباب انهيارها ، ويضع لذلك بعض التعميمات . ومنها وجود أقلية مسيطرة فقدت قدرتها على الابداع وأخذت تحكم بالقهر ، وفقدان التماسك الاجتماعي بسبب انشقاق بعض الخارجين أو سخط المحكومين .

لقد كان عمل توينبي هاما بالنسبة لشعوب العالم المختلفة لان موضوعيته أخرجتها من نطاق الفكر الاوربي الضيق الى المستوى العالمي ، وجعلت الشعوب التي ركدت على حضاراتها السابقة تنتعش لانصافه لها . فقد اهتم مثلا بالحضارة الصينية ، والهندية ، والاسلامية ، اهتمامه بالحضارة الغربية .

وبالنسبة للعربي بالذات فانه وقف الى جانبه موقفا علميا مدروسا ، وبين أن ما يسمونه بالحضارة اليهودية حضارة متحجرة ، وان تجمع اليهود في دولة اليوم يعني زوال عامل تحدي التشتت الذي عاشوه سابقا ، والذي جعلهم منتجين ، وسيكون عامل تحد للعرب يستثيرهم عليهم ، ويوحد جهودهم ضدهم .

بعد هذا العرض الموجز والسريع لأهم نظريات التعليل الواحد في التاريخ ، أو بتعبير أدق النظريات المصاغة حول « معنى التاريخ ككل » يمكن أن نقول ، إن مدارس عدة تقتسم اليوم ميدان « فلسفة التاريخ » ويمكن تلخيص تياراتها بمايلي: علما بأن هذه التيارات لايطرد واحدها الآخر ، وانما يكمله . فكل واحد يتداخل في التيارات الاخرى ، وكلها تحاول أن تنظر الى تاريخ الانسانية وحدة متكاملة.

واذا كان هناك مؤرخون يعاكسون فلسفة التاريخ ، ولاسيما احادية التفسير، على اعتبار أن ليس هناك سبب واحد يسير الحوادث التاريخية ، وان هذه النظريات لاترى في أفكارها فرضيات اختيارية وانما حقائق قسرية ، فانه لا يمكن أن ينكر أبدا انها محاولات قيمة يمكن للتاريخ أن يستفيد منها ، لانها تفتح عينيه على مظاهر لم يكن في الواقع يلاحظها الملاحظة الكافية ، كما انها تجلو النظرة التاريخية وتعمقها،

وتسمح للباحث التاريخي بملاحقة مجموع تعليلاتها في اطار دراسته ، وتعطي أبعادا جديدة لكل دراسة تاريخية . وهذه المذاهب التاريخية ـ الفلسفية المعاصرة هي :

١ ـ المدرسة البيوغرافية (مدرسة سير الاشخاص ، او مدرسة التراجم) :

وهذه ترى أن التاريخ هو السيرة المشتركة لعظماء الانسانية . ومن زعماء هذه المدرسة في القرن التاسع عشر « توماس كارليل Carlyle » . الفيلسوف الاسكتلندي ـ الانكليزي (١٧٩٥ ـ ١٨٨١ م) صاحب كتاب « الابطال وعبادة البطل » . فقد أكد هذا الفيلسوف أن التاريخ العالمي في أعماقه ، هو تاريخ « عظماء الرجال » الذين عملوا على الأرض . فهم القادة ، والخالقون لكل ما تقوم به الكتل الجماهيرية أو تحاول أن تبلغه . إن جميع الأشياء التي نرى منجزاتها في العالم ، هي النتيجة الخارجية المادية ، والتحقيق العملي ، والتجسيد المشخص للأفكار التي انبثقت من الرجال العظام ، الذين أرسلوا إلى هذا العالم . فالجماهير إذاً لا أهمية لها في التاريخ ، لأن العمود الفقري له هو « العظماء » . إلا أن «كارليل» لم ينظر الى عظماء العسكريين ، والملوك فحسب دون غيرهم ، بل أدخل في دائرة « العظماء » ، الأنبياء ، وجميع « المعلمين » الذين أناروا للبشرية طريقها . إذ أنه قاس العظمة لا بمولد الانسان وطبقته ، وإنما بموهبته ، وعطائه للمجموع . ولذا فإن درس التاريخ الهام والوحيد ـ بالنسبة إليه ـ هو « تفوق البطل ، وضرورة عبادة البطل » .

وقد تبنى الفيلسوف الأمريكي « امرسون »[1] ، في القرن التاسع عشر أيضا ، والمعاصر « لكارليل » ، هذه النظرة الارستقراطية للتاريخ ، على الرغم من اتجاهه الفكري العميق نحو الديموقراطية . فقد قال : « يبدو أن الطبيعة قد وجدت الممتاز » ، وأبرز أن التميز هو التميز الروحي لا المادي ، وفرق بين العظمة التقدمية ، والعظمة المهاجمة أو المعتدية . « فنابليون بونابرت » مثلا ، الذي رأى

---

(١) « رالف والدو امرسون Ralph Waldo Emerson (١٨٠٣ ـ ١٨٨٢). مؤسس « فلسفة التسامي » Transcendantalisme ، وهي فلسفة تؤمن بنوع من وحدة الوجود التصوفية . وله كتاب « ممثلو الانسانية » Les Représentants de l'humanité

فيه « كارليل » « أعظم الرجال في عصره ، والذي لم ير العالم نظيرا له منذ عصور »، رأى فيه « امرسون » ــ على الرغم من أنه أظهر كفاياته المختلفة ــ « شهرة كبيرة ترافقها ضجة ضخمة ... » فهو ليس إخلاصا وإيمانا ــ كما أبرزه كارليل ــ وإنما انسانا كان مستعدا أن يسرق ، ويقتل ، ليحقق مصلحته الخاصة .

فالتاريخ بالنسبة لإمرسون إذا ، ليس وسيلة « لعبادة البطل » ، وإنما هو أداة للتمييز بين الابطال الحقيقيين والمزيفين . مع ذلك ، فان مفهومه عن التاريخ، يبقى كمفهوم « كارليل » ، هو « صورة لأفراد » ، أكثر منه « منظر عام متحرك للكتل البشرية » .

إلا أن المؤرخين المعاصرين من « مدرسة التراجم » ، تجاوزوا كثيرا مفهوم « عبادة البطل » الذي قدمه « كارليل » ، ودفعوا نظرة « إمرسون » نحو الامام. فهم لا يعتقدون باختيار بعض أفراد لدراستهم ، وإهمال بقية الانسانية ، بل على العكس ، يعترفون بمركز « **الانسان العادي** » وقيمته في التيار العام للتاريخ ، ولكنهم يرسمون الاتجاه العام لهذا التيار ، عبر أعمال الشخصيات التي برزت إلى السطح ، لتركب هذا التيار ، ومن خلال أفكارها . فحتى « كارليل » نفسه ، اعترف (عام ١٨٣٤) بأن « الديموقراطية العالمية ... أعلنت عن نفسها حقيقة لا يمكن تجاوزها » . وأن « كل من ستتاح له فرصة التعليم ، أو القيادة في هذه الأيام ، عليه أن يبدأ بتقبل هذه الحقيقة » . فمؤرخو التراجم (سير الأشخاص) ، لم يتنازلوا اليوم عن الديموقراطية لصالح حفنة من الأرستقراطيين ، وإنما أكدوا عن طريق إيضاحهم لحياة شخصياتهم ، أن التاريخ ليس سردا لتاريخ سنوات ، وإنما هو « قصة حياة » .

ولا بد من الاشارة هنا ، أن « مدرسة التراجم » في التأريخ العربي ، تمثل النظرة الأخيرة ، ولا سيما أن مؤرخيها لم يتخذوا أساسا في انتقاء شخصياتهم ، المنبت ، أو الفضيلة فحسب ، وإنما أثرها في تحريك مجتمعهم : فترجموا لرجال الفكر والفن بالدرجة الأولى ، من علماء ، وأدباء ، ولرجال السياسة ، بل ترجموا لكل البارزين من الفئات الاجتماعية الأخرى ــ كما أسلفنا القول ــ . كما أنهم

لم يسعوا أبدا إلى دهم مفهـوم « تقديس الفرد » أو « البطـل » ، بل طرحوا الشخصية بحسناتها ، وسيئاتها ، وما خلفته من آثار ، وإن كان هذا لايمنع ، من إبرازهم الفضائل ، وتركيزهم عليها ، ولا سيما بالنسبة للعلماء .

٢ ـ المدرسة العلمية :

إن هذه المدرسة تؤكد أن تقدم الانسان يمكن تفسيره على أنه نمو تدريجي في فهمه لمحيطه : فكلما كان إدراكه لمحيطه أفضل ، فإن قدرته على التكيف معه تكون أكبر . فالتاريخ إذا هو دراسة التطور العلمي ، والتقني للانسان . فهو يلاحظ أولا الحقائق ثم يكتشف كيف يربطها ببعضها ، وأخيرا يتعلم كيف يركبها بهدف استخدامها . فالملاحظة ، والترابط ، والاختراع ، هـي الخطوات الثلاث الهامة في تطور الجنس البشري .

ويعلق مؤرخو هذه المدرسة اننا الآن فقط ندخل عصر الاختراع . ولقد علمنا مما سبق ، بأن الاختراعات ليست ناتجا طارئا من العبقريـة الفردية ، وانما هي « عطاء وأخذ » فكري ، ومادي ، لعديد من العقول ، ولوفير من الاموال ، عملت وتعمل لهدف مشترك عام . ان الاختراع يؤدي لتعاون عالمي ، لان مصادر الثروة الطبيعية والعقول في العالم ، ليست ممركزة في مكان مختار بعينه ، أو متوضعة لدى جنس بشري دون آخر . ولسوء الحظ فان الحكمة الانسانية لم تتوافق بعد مع قدرتهـا على الاختراع فالانسان اليوم ليس بطيئا فقط في الاعتراف بمعنى التعاون ، وانما يركز أفضل جهوده ، على اختراع الادوات التي تؤدي الى «الانتحار الانساني الجماعي » بدل الادوات التي توفر الراحة الانسانية العامة .

ولكن هذه البشرية في طريق التعلم : ان **الفكر الانساني الجماعي** يملك ـ كما برهن التاريخ دائما ـ القدرة والارادة على تحدي محيطه ، والنفاذ من مآزقه .

٣ ـ المدرسة الاقتصاديـة :

ان هذه المدرسة تتبع خطوات « كارل ماركس » ، وتنظر الى كل التاريخ على أنه صراع الكتل البشرية ، أو الجماهير ضد استغلال الطبقات . ان مطلب الانسان

الابدي هو التأمين الاقتصادي . فالاساس في عقل سليم هو معدة راضية . وهذا ليس صحيحاً بالنسبة للافراد فحسب ، وانما لجميع العالم . « فالتعطش لتكوين امبراطورية ، والتحريض على الثورة ، والاضراب لرفع الاجور ، والحرب من أجل موارد أكبر ، إنها كلها ليست سوى مظاهر لبحث الذات الانسانية عن الغذاء . فالفحم للافران ، والحديد للفولاذ ، والبترول للآلة ، والخشب للمطاحن ... ان كل موارد الارض هذه هي غذاء لمصانع تبني الادوات لتنمية الخبز وتوزيعه »[1].

ويقوّم مدى تقدم الحضارة بقدرة الانسانية على تنمية أفضل لحاجاتها الغذائية وتوزيع أعدل لها . ان التقدم « **الفكري** » للانسان يبدأ فقط عندما يضع تقدمه « الطبيعي » ـ أي مشكلة غذائه ـ على أساس سليم، وغيري (أي لاأناني) في إطار من التعاون العالمي .

٤ ـ المدرسة الجغرافيـة :

وهذه ترتبط بالمدرسة الاقتصادية في التفسير التاريخي . فأعمال البشر ـ كما يعلن أنصار هذه المدرسة ـ مسيرة لا بالجوع المـادي فحسب ، وانما بالموقـع الجغرافي كذلك . ان النزعة نحو ربط التطور الانساني بالعوامل الجغرافيه قديمة قدم التاريخ . فـ « هيبوقراط » أبو الطب ، والمعاصر لهيرودوت ، كتب مقالة عن هذا الموضوع : وقد شرح فيها أن اليونان هم أكثر تفوقاً من الشعوب في الجنوب أو الشمال ، لانهم يسكنون « اقليما ذا مناخ متوسط » . وقد أبرز المؤرخون العرب هذه الناحية أيضا ، وبصفة خاصة منهم المؤرخون ـ الجغرافيون . والقارىء لمقدمة « ابن خلدون » يلاحظ تأكيده على هذا المنحى عندما أفرد بحثا « للمعتدل من الأقاليم والمنحرف ، وتأثير الهواء في الوان البشر ، والكثير من أحوالهم » ودراسة أخرى في « أثر الهواء في أخلاق البشر » ، و « في اختلاف العمران في الخصب والجوع ، وما ينشأ عن ذلك من الآثار في أبدان البشر وأخلاقهم »[2] .

---

(١) H. Thomas, op. cit., p. 136.

(٢) ص ٨٢ ـ ٩١ .

وقد بقيت هذه النظرة حتى اليوم الحاضر ، فشعلة التقدم الانساني حملها دائما سكان المنطقة المعتدلة . ولا تزال فئة من المؤرخين الى اليوم تبحث عن أثر الجغرافيا (ليس المناخ وحده ، وانما الجبال والانهار ، والموانىء ، والطرق ، والموارد الطبيعية) في التقدم الانساني . ويظهر هذا الاتجاه بخاصة بكلمات « راتزل » « ان كل مشكلة جغرافية يجب أن تدرس تاريخيا وكل مشكلة تاريخية يجب أن تدرس جغرافيا » . ولقد شرح هذا الامر سابقا عند البحث في الجغرافيا علما مساعدا للتاريخ .

ولقد ظهر حفز كبير لمفهوم التفسير الجغرافي للتاريخ خلال الحرب العالمية الثانية، وقد أتى من النازيين . فالعالم ـ كما قالوا ـ هو وحدة جغرافية ـ سياسية، أي وحدة يجب أن تنظم فيها السياسة ، وترابط ، بالتوافق مع المواقع الجغرافية لمختلف البلدان ، ومع طرقها البرية ، والبحرية ، والجوية العاملة على التواصل العالمي . وان المؤرخين ـ الجغرافيين الاوسع أفقا اليوم ، لايرون العالم وحدة سياسية جغرافية فحسب، وانما وحدة جغرافية ـ اقتصادية، وجغرافية ـ اجتماعية، وجغرافية ـ بشرية .

٥ ـ المدرسة الاجتماعية :

ان هذه المدرسة كما عرفها الاستاذ « فرانكلين غيدينغز F. Giddings » تحاول « أن تبحث في أصل المجتمع ، وبنيته ، ونشاطاته ، معتمدة على الاسباب الطبيعية ، والحيوية ، والنفسية ، العاملة كلها معاً في موكب تطوري » . ان التاريخ بتعبير آخر هو « القصة الصميمية للانسانية » ، وان روايتها الفضلى ، ليست في ذكر الاسماء ، والسنين ، والنكبات ، والمعارك ، وانما بالقصص والملح واحداث الحياة الواقعية المترابطة ، وبالنظرات السريعة في عملي الجسم ، والبصيرة الروحية معاً . ان المهم في هذه النظرة المتقدم التاريخي ، هو التطلع الاجتماعي للانسانية نحو جعل العالم مكانا أكثر سعادة للانسان . وكلما تقدم الزمن ، فان هذا الطموح الاجتماعي يصبح أكثر وضوحا ، وأفضل تنظيما ، وأقل قبلية ، وأكثر عالمية .

فنحن اليوم ـ في ظن هؤلاء المؤرخين الغربيين ـ ندخل مرحلة يمكن أن تصبح ، إذا ماتركناها تسير تطورها ، « يوتوبيا » أكثر مما كان يحلم بها أكثر الفلاسفة تفاؤلا . إذ يمكننا أن ننتج كل ما نحتاجه ، ونتعلم بسرعة كيف نقاوم المرض ، ونعترف باللاجدوى المأساوية للحرب . لقد اكتشفنا واستخدمنا عديدا من أسرار الطبيعة . إننا ورثة كل ما هو عظيم في الماضي ـ فلسفة افلاطون ، وشعر شكسبير ، وموسيقا بيتهوفن[1] ، ورسوم ليوناردو[2] ، ونتاج الحضارات المختلفة في ميادين الدين والفكر والعلم والفن والفلسفة . فقد حان الوقت لطرح السلاسل التي تقيدنا بالحرمان ، وشكوك الماضي وخرافاته . فالزمن يبشر بالأمل وبالتعاون، وبالسير إلى الامام .

٦ ـ المدرسة الفكرية (المثالية) :

إن تاريخ الجنس البشري ـ كما أعلن مؤرخو هذه المدرسة ـ هو قصة تقدم الأفكار الانسانية . فالتفسير الفكري للتاريخ « يجب أن يعثر عليه... في النشاطات الفكرية للرجال الاكفياء العاملين عبر وسيط من العلاقات الاجتماعية ، على اخضاع المظاهر الطبيعية لصالح الانسان إخضاعاً أتم وأكمل » . فالعامل السائد في التاريخ اذاً هو الفكر الإنساني . ومعرفة كل الاتجاهات السابقة للفكر الانساني ، ليست سوى وسيلة لاعلامنا كيف يستطاع اتخاذ الخطوة التالية بشكل أفضل .

إن قصة الانسانية ، كما يؤكد مؤرخو المدرسة الفكرية ، هي في واقعها **قصة الفكر الانساني**. فالتاريخ إذاً ـ بحسب كروتشه ـ هو قصة العقل البشري أو روحه ، ومثله ، كما تعبر عن نفسها في نظريات ، وأعمال فنية ، أو في أعمال علمية أو خلقية . إن هذه هي فلسفة التاريخ الحقة . فالكتاب الذين يسخرون من التاريخ على أنه فرع من الفلسفة ـ كما يؤكد كروتشه ـ هم أنفسهم الذين ينغمسون في الأفكار الفلسفية : فهم لا يفعلون سوى أنهم يرمون **فلسفة صحية** من الباب **الامامي** ، ويستدعون **فلسفة مريضة** تتسلل من الباب **الخلفي** .

---

(١) من كبار الموسيقيين الالمان (١٧٧٠ ـ ١٨٢٧) ؛ اشتهر بسيمفونياته .

(٢) ليوناردو دافنشي (١٤٥٢ ـ ١٥١٩) فنان ايطالي فذ ، وعالم كبير ، اشهر لوحاته (الجوكوندا) .

وهكذا فانه لا يمكن التهرب من الفلسفة ـ (التـي هي إخضاع النشاط الانساني لتوجيه الافكار الانسانية) ـ لا في الحياة اليومية ، ولا في تاريخ حياة الانسانية . إن التاريخ هو أكثر فروع المعرفة حيوية وديناميكية لأنه يمثل الفكر الانساني في تحركه .

٧ ـ المدرسة التركيبية او الشاملة :

يعترف فلاسفة هذه المدرسة بأهمية الاسهامات التي قدمتها المدارس الفلسفية الأخرى . ولكن قيمة هذه الاسهامات لا تبين إلا عندما تركبها في نظرة (عالمية) للتاريخ . وهكذا ، فان تقدم الجنس البشري بكليته ، يصبح مفهوما ، عندما ننظر إليه على أنه نتاج عوامل وجود فردية، وعلمية ، واقتصادية ، وجغرافية، واجتماعية، وفكرية . فالتاريخ هو القصة الكاملة للعالم بكل سعته . فلا يمكن تقويم أي انسان ، أو أي عنصر ، أو أية أمة ، بشكل صحيح إلا في ضوء **(كلية العلاقات)** بين جميع البشر ، وجميع العناصر ، وجميع الأمم . فالتاريخ هو **النظرة الجماعية والشاملة** للاسرة الانسانية .

وخلاصة القول يمكن ختام بحث التعليل في التاريخ بالقول بأن على الباحث التاريخي أن يستفيد من مدارس فلسفة التاريخ كلها ، وان يسعى دون « فكرة ثابتة مسبقة » إلى البحث عن جميع الأسباب ، والعوامل ، والدوافع ، المشار إليها آنفا ، في اطار بحثه ، وفي نطاق موضوعه . وعليه ألا يأخذ بنظرية واحدة من تلك النظريات ، ويحاول أن يختار من الحقائق ما يؤيدها ، لأنه بذلك يجعل التاريخ وسيلة لخدمة أغراض خارجة عنه ، ويبتعد عن الموضوعية .

ومن كل ما ذكر سابقا يتضح ، أن **مرحلة التركيب التاريخي هي أشق المراحل** في البحث التاريخي وأكثرها صعوبة ، وفيها تظهر عبقرية بعض المؤرخين . وتنجم صعوبة هذه المرحلة ، من أن على المؤرخ ـ ليصور الحوادث التاريخية تصويرا صادقا ـ أن يتوغل خلالها في أجواء الخيال الواسع دون أن يخرج عن حدود الحقيقة . وعليه كذلك أن يسد الفجوات القائمة بين الحقائق ، وأن يربط بين

الحوادث التي تبدو مبعثرة ومفككة أو بمعنى آخر عليـه من المواد القليلة ، أو الكثيرة ، المختلطة ببعضها ، التي تجمعت لديه ، أن يتخيل الماضي ، ويعيد تشكيله الواقعي الصحيح • ولا يمكن للمؤرخ أن يقوم بهذه العمليات إلا إذا كان متمتعا بخيال مبدع ، ومحاكمة قوية وسليمة ، وثقافة واسعة وعميقة •

* * *

Damascus University

الفصل السابع

انشاء البحث التاريخي

إن كل الاجراءات السابقة التي قام بها الباحث التاريخي عبر طريقه الطويلة الشاقة قد أوصلته إلى مجموعة كبيرة من الحقائق ، مرصوفة بعضها إلى جانب بعض في هيكل تصنيفي معين ، وفي سياق تعليلي محدد . فهل يقف الباحث عند هذا الحد ؟ إن جميع العمليات السالفة لاتكتمل في الحقيقة إلا باخراجه (مؤلفا مدونا) منها . فالمؤرخ ليس (باحثا) و (محققا) و (مفسرا) فحسب ، وإنما هو (كاتب) كذلك . ويميز النقادة التاريخيون في هذه الخطوة بين عمليتين عملية الصياغة ، وعملية العرض .

ا ــ الصياغة التاريخية :

وهي في الواقع آخر العمليات التركيبية ، ويسعى فيها المؤرخ للتعبير عن نتائج بحثه ، وهذه العملية تتبدى عادة في العلوم الأخرى بالدساتير أو القوانين التي تأخذ في بعض العلوم صورة « **صياغة رياضية** » . ولكن الحقائق الانسانية التاريخية بتعقدها، وتبدلها، وبفرديتها الزمنية والمكانية، لايمكن تكثيفها في دساتير كالحقائق الكيمياوية مثلا . فالتـاريخ كغيره من العلوم التي تعالج الانسان والحيـاة ، يحتاج الى « **صيغ وصفية** » للتعبير عن طبيعة الحوادث المختلفة .

وإذا ما أراد التاريخ التشبه « بالعلوم الوضعية » فان صياغة حقائقه يجب أن تكون قصيرة وموجزة حتى تكون سهلة المتناول . إلا أنها بالمقابل يجب أن تكون

دقيقة . ولمعرفة الأعمال البشرية بدقة ، فانه لابد من معرفة التفاصيل المميزة، لأنها وحدها تجعلنا ندرك كيف تختلف حقيقة عن أخرى ، وميزاتها . ويبدو أن هناك تناقضا بين الحاجة الى الايجاز الذي يقودنا الى الصيغ المجردة ، والحاجة للدقة التي تتطلب صيغا مفصلة . ولا يمكن حل هـذا التناقض إلا بضغط الحقـائق وطرح كل ما ليس ضروريا لتمثلها في الفكر . وهنا يصطدم المؤرخ بمشكلة ليس لها وجود بالمعنى نفسه في بحوث تلك العلوم الوضعية وهي : هل الحقائق المجموعة كلها تتمتع بالقيمة ذاتها بالنسبة للمؤرخ ؟ أو بتعبير أكثر إيجازا . يصطدم بمشكلة « ما هو المهم » من الحقائق التاريخية المتكدسة ؟ لقد توقفت هذه القضية كثيرا ، وقد اعتاد النقادة التاريخيون أن يجمعوا كل الحقائق العائدة لموضوعهم دون أي تفضيل . فكل الحقائق التاريخية لها حق متساو بأن يكون لها مكان في التاريخ . فاذا عمل الباحث على أخذ بعض الحقائق على أنها أكثر أهمية ، وطرح الباقي على أنه أقل أهمية ، فانه يكون قد أدخل العنصر الشخصي في الانتقاء ، وبذلك تختلف الحقائق المختارة من باحث إلى آخر بحسب التصور الفردي لكل واحد . إلا أن التاريخ لايمكنه أن يضحي بحقيقة واحدة . والباحث نفسه غيور بدوره على جميع الحقائق التي جمعها ، فهو لا يريد أن يفرط بأية واحدة منها . ومع أن هذه الفكرة مبدئيا « صحيحة » ، إلا أن أمام الباحث صعوبة واقعية مادية . وهي ، أنه إذا لم يهمل أية حقيقة ما في التاريخ فان معنى هذا أن يتحدث عن كل الأعمال ، والافكار، والحوادث التي عاناها البشر في كل الأزمنة ، وتصبح المادة بذلك غزيرة جـدا لا يتسع لها الزمن . والعلم هو توفير للوقت والعمل ، ووسيلة سريعة للتعلم وفهم الحقائق . ومن ثم كان أمام التاريخ المملوء بالتفصيلات ، طريقان . عليه أن يختار واحدة منهما : فإما أن يكون زاخرا بالحقائق المكدسة وغير معروف ، أو أن يكون معروفا وغير كامل الحقائق . وقد اختارت العلوم كلها الطريق الثانية ، فالعلوم تكثف حقائقها وتختصر . وليكون التاريخ علما ، عليه أن يكثف حقائقه ويكيفها هو الآخر حتى تأخذ شكلا أشبه بالقوانين ، وعلى الباحث أن « ينتقي » من الحقائق المتوافرة لديه . ولكن ما المهم من الحقائق في التاريخ ؟ أو ما الذي يجعل حقيقة من الحقائق مهمة في التاريخ ؟ والجواب بالطبع هو علاقة الحقيقة بالحقائق الأخرى .

« ولكن في أغلب الأحيان تستمد الحقيقة أهميتها من علاقتها ببيئة المؤلف وعصره، وبهدفه أو أهدافه من كتابة التاريخ . ويمكن أن يختلف المؤرخون الذين يعالجون موضوعا واحدا . وإن تساووا في الكفاية ، اختلافا كبيرا في اختيارهم للحقائق ، ومن ثم في القواعد العامة التي يقررونها ، لاختلافهم في الغرض من التاريخ ، أو اختلافهم في عقائدهم القومية ، والدينية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية. ويمكن أن يأخذ كل منهم حقائق أهملها الآخرون على أنها حقائق على درجة عالية من الأهمية ، ويمكن أن تنقلب الحقائق الهامة عند مؤرخي عصر الى حقائق عديمة القيمة عند مؤرخي العصر التالي . وقد يرجع هذا الى كشف حقائق جديدة ، ولكنه قد يرجع أيضا إلى أن كل عصر يتطلب اختيارا للحقائق على أساس ذوقه هو ، وميوله هو ، ومشكلاته هو ، ويستجيب المؤرخون عادة ـ شاعرين أو غير شاعرين ـ لما يعتبره الشعور السائد حولهم مهما . ومن النظريات المسلم بها الآن أن كل عصر يجب أن يعيد كتابة التاريخ الذي كان قد كتب في العصور السابقة. وقد حدث هذا في جميع العصور حتى قيل عن التاريخ إنه مؤقت ... »[1] .

إلا أنه لا بد من التأكيد ، أن هناك حقائق في كل موضوع ، هي بمثابة العمود الفقري منه ، ولا معدى لجميع المؤرخين الذين يبحثونه من الاستناد إليها ، مهما كانت الظروف ، والعصر ، اللذان يعيشون فيهما . ومع ذلك فانه يمكن القول إن هذا لا يضمن اتفاقهم في القواعد العامة التي يصلون اليها، إذ قد يجد كل واحد منهم في الحقائق ذاتها معاني مختلفة .

وفي الواقع يمكن لقضية « **ما هو مهم** » في التاريخ أن يكون لها تفسيران : « **المهم في الماضي وفي نظر الماضي** » و « **المهم الآن** » . والتاريخ العلمي الدقيق بحسب المؤرخ « رانكه » هو القائم على المعنى الأول . فلكي تكون دراسة الباحث « للدور العباسي الرابع » مثلا علمية ، عليه أن يتتبع جميع الأمور التي كانت مهمة لمجتمع ذلك الدور آنذاك . ومن ثم كان على الباحث أن يتمتع بأكبر قدر ممكن مما يسمى بـ « الحاسة التاريخية » حتى يمكنه أن يرى الماضي من خلال أعين الماضي لا من خلال أعين الحاضر . وهذا الاتجاه في الدراسة التاريخية هو مايعبر عنه بلفظ

(١) جونسون : تدريس التاريخ (تعريب الدكتور أبو الفتوح رضوان) ص ٢٩ .

« الموضوعية » ، وهو الذي ساد في القرن التاسع عشر وسعى المؤرخون خلاله أن يحققوا هذا المثل الأعلى بكل ما في وسعهم من جهد .

إلا أنه منذ مطلع القرن العشرين شاع التيار الثاني الذي تحدى فكرة « الموضوعية » على أساس انها غير ممكنة التحقيق . ومن ممثلي هذا التيار « غوغليلموفيريرو »[1] الذي كتب تاريخا جديدا لروما القديمة مع الاتجاهات الخلقية ، والاجتماعية ، السائدة في مطلع القرن العشرين . بل إن « بندينتو كروتشه » عبر صراحة عن هذا الاتجاه قائلا : « إن التاريخ معاصر دائما » ، أي انه هو دائما أفكار الحاضر عن الماضي . ويرى أن المؤرخ يجب أن يكون رجل العصر الذي يعيش فيه ، وان يكون ايجابيا في مشكلات عصره[2] . وكتب « شارلز اوستن بيرد »[3] عام ١٩٣٣ : « لقد استبعدت نظرية رانكه في التاريخ ، ووضعت في متحف العاديات . لقد أصبح المؤرخون الآن يعترفون رسميا بما كان متعارفا عليه بشكل ضمني في الماضي ، وهو أن تاريخا مكتوبا لا معدى له من أن يعكس فكر مؤلفه في اطار زمانه ومحيطه الثقافي » .

ومع أنه من المتفق مبدئيا أن الباحث الموضوعي ينتقي عادة من الحقائق ما كان لها أكبر النتائج على تطورات أتت بعدها ، أو ما يمكن أن يستشف منها ما سيأتي ،

---

(١) مؤرخ ايطالي معاصر (١٨٧١ ـ ١٩٤٢) كتب « عظمة روما وتدهورها » في خمسة اجزاء .

(٢) انظر Croce, History its theory and practice tr. A. Douglas 1921, pp. 13, 33, 108, 133, 276.

(٣) Charles Austin Beard : مؤرخ امريكي معاصر (١٨٧٤ ـ ١٩٤٨) . اشتهر اسمه في كتابه : « تفسير اقتصادي لدستور الولايات المتحدة » . حيث درس اسباب الصراعات الاقتصادية . وعمل استاذا للعلوم السياسية في جامعة كولومبيا عام ١٩١٧ ، ونظم مدرسة في البحث الاجتماعي مع المربي « ديوي » و « هارفي روبنسون » . له عدة مؤلفات ، منها « نشأة الحضارة الأمريكية » « السياسة الخارجية الامريكية كما تصنع (١٩٣٢ ـ ١٩٤٠) » .

أو تلك التي انبثقت بشكل طبيعي مما سبقها[1] ، فان النقادة التاريخيين قد وضعوا بعض نقاط هادية في هذا الطريق . وقد ميزوا بين ثلاثة أنواع رئيسية من الحقائق: الحقائق العامة ، وحقائق الفردية الانسانية (الشخصية) ، وحقائق الحوادث .

اما الحقائق العامة فهي الحقائق المشتركة بين مجموع كبير من الناس ، أو الحقائق التي لها صفة أكثر ديمومة من غيرها . وتدخل في هذا الميدان العادات ، والنظم ، والأديان، والمؤسسات . فعلى الباحث عند صياغة حقائقها أن ينتقي منها ما يعين صفاتها . ويوضح نشأتها ، وامتدادها الزمني والمكاني ، ورابطتها بما قبلها وما بعدها . فاذا كان (ينشىء) حول اللغة فان عليه أن يبين صفاتها ومميزاتها عن غيرها من اللغات ، وكيفية نشأتها مع تحديد زمن النشأة ومكانها ، والعناصر التي تكلمتها ولا تزال تتكلمها ، وتطورها ومرحلة ازدهارها ، ومظاهر هذا الازدهار وعوامله . وفي كل هذه الأمور تكون الصيغة وصفية على الأغلب . وقد ترفق بصيغة كمية إذا توافرت لدى الباحث حقائق عنها . كأن يطرح مثلا نسبة المتكلمين بهذه اللغة في مرحلة زمنية معينة الى مجموع سكان المجتمع أو العالم المعروف آنذاك . وقد يرافق الصيغة الكمية خرائط تبين توزعها الجغرافي أو بتعبير آخر صيغة خطية بيانية . وفي كل هذا ، كان استخلاص الباحث لهذه الحقائق بتجميعه تحت صيغة واحدة ، كل الاحوال الفردية المتشابهة ، واهماله الفروق الفردية . فهو لا يهتم مثلا بكيفية نطق هذه اللغة من قبل جماعات صغيرة أو أفراد ، بل يسعى دائما نتيجة الموازنة لتصفية الفرديات الجزئية ، والارتقاء الى التعميم المعتمد على وفرة عناصر التشابه .

الحقائق الفردية او الشخصية :

هي التي تخص شخصية تاريخية معينة . فعند الترجمة لهذه الشخصية فانهذا يعني انشاء صيغة وصفية لها ، وعلى الباحث أن يضمن تلك الصيغة من الحقائق كل ما أثر في تكوين عقليتها ، ومهنتها ، وعاداتها ، منذ ميلادها حتى وفاتها ، مع تحديد

---

(1) Walsh, op. cit., p. 257.

الزمان والمكان ، وكذلك كل ما يوضح أعمالها التي كان لها أثرها في المجتمع .وفي دراسة الشخصيات تبرز الصيغة « الوصفية » و « جزئيات » الأحداث أكثر مما تظهر في مجالات تاريخية أخرى . إذ أن « فرديات » الشخصية هي التي يجب أن تلقى عليها الأضواء أكثر من « عمومياتهـا » ؛ وذلك لايضاح أثرها في التطور التاريخي وأثر التطور فيها .

حقائق الحوادث وهذه تعتبر من الحقائق الخاصة أيضاً ، شأنها شأن الحقائق الفردية السالفة . لأنها لم تحدث إلا مرة واحدة ومحددة بزمنها ومكانها . فـإن صياغتها التاريخية تكون بتقديم وصف لها . مع تحديد دقيق لزمن كل منها ومكانه، ومدى انتشاره والطريقة التي حدث فيها ، والعناصر التي عملت فيـه ، وأسبابه المباشرة وغير المباشرة ونتائجه . فاذا كان الباحث مثلا يدرس موضوع الفتح العربي الاسلامي للعراق ، فان عليه أن يضمّن صياغته الوصفية ، تحديد زمانه ، وأماكن وقائعه المختلفة ، والاشخاص الذين اشتركوا فيه من الطرفين ؛ واسبابه المباشرة وغير المباشرة ونتائجه.ويدخل في تلك الصياغةصياغة كمية توضح عدد الجيوش المتحاربة مثلا ، وعدد المعارك ، وساحة المنطقة التي تم فتحها ، وكمية الغنائم التي حصل عليها . ولا بد من الاشارة إلى أمر هام في الحقائق الكمية وهو ضرورة تأكد الباحث من صحة الارقام ودقتها ، والحذر من الارقام التي توردها بعض الوثائق حتى الرسمية ، وعلى المؤرخ كذلك أن يضمن صياغته مخططات المعارك ومواقعها .

وفي كل هذا يبدو من الصعب إن لم يكن من المستحيل ، تقديم «صيغ عامة» موجزة أشبه بالقوانين ، قادرة على شرح تلك الحوادث .

ويتضح من هذا الموجز في (الصياغة الوصفية) المكثفة للحقائق التاريخية ان (الصيغة الكمية) تأتي فتدعمها ، ومن ثم تغدو جزءا منها دون أن تكون بديلا عنها. وإذا كانت الصياغة الكمية للحقائق التاريخية لاتبدو كثيرة في تواريخ الماضي أو وثائقه ، فانها الآن عنصر حيوي في الكتابة التاريخية المعاصرة . وقد كان لتطور علم الاحصاء مؤخرا أثر كبير في هذه النتيجة . وقد يكون له أثر أكبر بعد استخدام

« الرتابة » ، وظهور « التاريخ الكمي » في الصياغة التاريخيـة • ويمكن حصر **الصيغة الكمية** في التاريخ بالأمور التالية :

١ ـ **القياس** : لبيان الأبعاد والسطوح ، والأوزان ، ومبالغ المـال . وقيم الانتاج ، وهذه تدخل بخاصة في الدراسات الاقتصادية والمالية والعسكرية •

٢ ـ **التعداد** : وهو أمر احصائي يستخدم في كل الأمور التي تشترك في صفة محددة • ويلاحظ أن الحقائق التي تدخل في تعداد واحد قد لا تكون حتما من نوع واحد إلا أنها تشترك في صفة واحدة • ومثل على ذلك احصاء للقضايا المطروحة مثلا على القضاء في عام ، فهذه القضايا قد تتضمن قضايا جنائية ، وقضايا مدنية وغيرها• كما أنه يلاحظ في تعداد عناصر الجيش ، إذ قد يحوي المشاة ، والفرسان ، والعاملين في المدفعية ، والطيران الى غير ذلك من أمور • وكذلك في تعداد السكان ، إذ يدخل فيهم عناصر مختلفة : وطبقات متنوعة ، ومذاهب عدة •••• الخ ولكن تجمعهم (الصفة البشرية) •

٣ ـ **التقدير** : وهو تعداد ناقص أو تقريبي يقوم به الباحث في مجال محدود ، ويلجأ إليه المؤرخ حين يفتقد الوثائق في ميدانه أو عند اختلافها فيما بينها •ويفترض المؤرخ عادة في حالة التقدير إن ما يسري على الجزء يسري على كافة الأجزاء • وبالضرورة يكون هذا التقدير مشكوكا فيه إذا لم يتأكد الباحث من أن القطاع المحدود مشابه تماما لسائر القطاعات • كأن يقول مثلا بأن « هذا الأمر جرى في مجال ما مثلما جرى في المجال الآخر » •

٤ ـ **اخذ العينات او النماذج** : وهو تعداد نسبي مقصور على بعض وحدات مأخوذة من ميدان البحث ، وتحسب فيها نسبة الاحوال التي توجد فيهـا صفة مشتركة بالنسـبة للمجموع الكلي • ويتبدى هذا في تحديد التناسب في جماعة ينتمي أعضاؤها إلى طبقات اجتماعية مختلفة • كأن يقال أن « الطبقة العامة » في فرنسا قبل الثورة الفرنسية كانت تكون (٩٦٪) من الامة ، أو أن (٤٠٪) من سكان فرنسا كان يتراوح عمره بين (٢٠ ـ ٤٠) عاما •

وقد تترجم هذه الصيغة الكمية في التاريخ الى (صيغة خطية بيانية) معتمدا فيها الباحث على الوسائل الاحصائية المختلفة . فالخطوط البيانية المحسوسة توضح العلاقات بشكل أفضل من الأرقام المجردة ، كأن يرسم خطا بيانيا يوضح مثلا تطور عدد السكان خلال مرحلة زمنية معينة ، أو تطور الانتاج في حقل من الحقول ، أو تطور الأسعار .

وقد تستخدم الرسوم التوضيحية أيضا في الصياغة التاريخية ، كأن تبين علاقات السلطات المختلفة في دولة ما ، أو في دستور معين عن طريق رسوم معينة . تبرز هذه الأمور بشكل محسوس .

ولا بد أن يضاف أخيرا في أطر (الصياغة التاريخية) أن (الصيغة الوصفية) تعتمد أيضا على « صيغة مكانية بيانية » توضحها خريطة ما . وهذا أمر هام ولا بد منه في الانشاء التاريخي : فبدلا من التعبير بالكلمة فقط عن مدى انتشار ظاهرة تاريخية معينة ، فانه من اللازم اللجوء الى (خريطة) لتوضح هذا الانتشار ، وقد أشرنا إلى ذلك عند الكلام عن « علم الخرائط » . ويمكن القول أن « الأطالس التاريخية » صياغة بيانية مكانية للتاريخ .

فالصياغة التاريخية إذا هي تركيز وتكثيف مدوّن للحقائق التاريخية الجزئية والعديدة ، التي تبدو مشتتة ، ومحاولة لتركيزها في صيغة عامة واحدة . وكلما كوّن الباحث صيغا عامة واحدة من الحقائق الجزئية المنمنمة ، عن طريق اسقاط الحقائق الصغيرة المتغيرة ، وإبقاء الثابتة والمشتركة منها التي يمكن أن يشترك بها أكبر قطاع من الانسانية ، فانه يكون قد ارتقى بالتاريخ الى مستوى أرفع ، لأنه يكون قد توصل الى ادراك شمولي وعميق للحقائق الكلية والمعقدة . فالتاريخ العسكري مثلا يقدم صياغة وصفية لمجموعة من المعارك درست كل واحدة على حدة . إلا أنه بالمقابل من دراسته للمعارك التي خاضها قائد بعينه ، ومن دراسة الجيوش وتركيبها في المرحلة ذاتها يمكن للباحث في هذا التاريخ أن يصل الى المبادىء التكتيكية ، والى الأسلوب العام للحرب . فمن دراسة سير المعارك في الفتوح الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين والعصر الاموي ، يمكن الوصول الى صيغة واحدة عن التكتيك الحربي عند المسلمين في تلك المرحلة .

وفي الحقيقة إن عملية الصياغة التاريخية هي جزء من عملية التركيب التاريخي. إذ قد تقود عملية الصياغة للتعليل ، أو التعليل إلى الصياغة الصحيحة ، ولكن لابد من التأكيد ان الصياغة التاريخية كقالب عام تبقى صياغة وصفية مطعمة بصياغة كمية وبيانيـــة .

ب ــ العـــرض :

لقد تكوّن لدى الباحث عبر عملية التعليل والصياغة (مركبات مكثفة) من الحقائق مترابطة مع بعضها . ومن هذه المركبات على (المؤرخ ــ الكاتب) أن يخرج موضوعه وحدة متكاملة ، ومتماسكة الأطراف . وطريقة اخراج الموضوع وحدة متكاملة،وبث الحياة في جنباتها بحيث يكون الموضوع إحياء للماضي، **لايتحسسه هو فقط وإنما كل قارىء ،** هو ما يطلق عليه اسم « العرض » . وهذه الخطوة هامة جدا بل وعسيرة . وقد لايوفق الباحث من المرة الاولى في تحقيق ذلك الاخراج الحي ، وقد يعيد الكتابة عدة مرات حتى يصل إلى الانشاء الامثل . ويمكن أن يتبين في (العرض) أمران أساسيان :

اولهما اتباع الباحث مخططا واضحا منبثقا من « الصورة التخيلية الواقعية» التي رسمها لمجموع موضوعه ، ولأجزائه الأساسية ، يوضّح فيه « المركبات المكثفة من الحقائق » في أماكنها الملائمة ، مترابطة فيما بينها ، بحيث يخرج منها الهيكل المتين للبناء التاريخي سليما وصحيحا ، وغير منقوص .

ثانيهما استخدام الباحث اسلوبا كتابيا ملائما يبرز حقـــائق الماضي المدروس **بصحة ، وعلمية ، ودقة ، ودون اي تشويه او تحريف** ،أو بتعبير آخر كسوة الهيكل العظمي بمادة تبث فيه الحياة وتجعله يبدو نابضاً بها وكأنه واقع مجسد .

والعمليتان متكاملتان ولا تجري واحدة منهما منفصلة عن الأخرى .

اما حول اتباع مخطط واضح فان الصورة التقليدية المتعارف عليها لكل بحث تاريخي أن يشمل النواحي التالية: ١ــ المقدمة ٢ ــ المتن ٣ ــ الخاتمة ٤ــ الهوامش ٥ ــ الملاحق ٦ ــ ثبت بالمصادر والمراجع ٧ ــ فهرسة ابجدية ٨ ــ فهرسة عامة .

١ ـ **المقدمة** : وفيها يقدم الباحث موضوعه للقارىء ، محددا موقع هذا الموضوع من التاريخ العالمي أو القومي ، مكانا وزمانا ، وموقف المؤرخين السابقين منه ، ويبين فيها كذلك الأسباب التي دعته لاختياره ، وموجزا عما قام به أثناء بحثه للوصول الى النتائج التي توصل إليها ، والصعوبات التي اصطدم بها ، والمساعدات التي قدمتها له المكتبات ، والارشيفات ، والمتاحف ، والافراد ، إذا كانت هناك مساعدات . وأخيرا لمحة سريعة عن المستجدات في موضوعه مع اشارة للنهج الذي اتبعه في بحثه وأحيانا يمكنه أن يعرض المصادر الأساسية التي اعتمدها ، ولا سيما الجديدة منها ، مع نقد لها .

٢ ـ **المتن** : وهو جسم الموضوع ولبه . ويقوم الباحث بتفريعه الى(فصول) ـ كما أشرنا سابقا ـ تتلاءم مع النتائج التي توصل اليها بحيث يكون كل فصل وحدة صغيرة ضمن الوحدة الكبيرة التي هي مجموع البحث . وعليه أن يسلسل الفصول ما أمكن بحسب توضعها الزمني ، أو النوعي ، أو الكمي ، أو بتعبير أسلم بحيث تكون مترابطة فيما بينها ، أي أن الفصل السابق يمسك بيد اللاحق .

ويستحسن أن يفتتح الباحث (الفصل) بـ « تمهيد » يبين النهج الذي اتبعه فيه ، وينهيه بتركيز مكثف على النتائج المستجدة والمستخلصة منه ، أو على الاصح **بصيغ عامة** توضح بايجاز الحقائق الكبرى الجامعة فيه ، وتكشف الجزيئات التفصيلية المطروحة .

وبين التمهيد والنتائج يعرض الباحث حقائقه بموجب الصيغ التي توصل اليها مترابطةومتماسكة. وشارحةوموضحةالواقع التاريخي الماضي،مع **تأكيد التعليل** ، ومناقشة رصينة للوقائع والروايات . ودعم بالادلة والشواهد : فكل حقيقة ، أو فكرة ، ولا سيما المستجدة ، لابد من إثباتها ، والبرهان عليها بالأدلة .

وقد يكون هذا الدليل وثيقة خطية ، أو صورة ، أو إحصاء بيانيا ، أو أثرا إلى غير ذلك من الوثائق . وفي هذه الحالة يوضح الباحث ،في الهامش نوعية الوثيقة ومكانها ، وزمانها . وقد لا يستدل الباحث بمعنى مضمون الوثيقة فحسب وإنما يقتبس من النص فقرة أو فقرات ، وفي هذه الحالة يضع ما اقتبس ضمن شولتين

« » مع الاشارة في المتن برقم خاص ، إلى ضرورة الرجوع الى الهامش الذي يبين نوعية الوثيقة التي اقتبس منها .

وقد يتضح للباحث ، أثناء عرضه التاريخي ، أن هناك نواقص وثغرات في بحثه لابد أن تستوفى ، فيلجأ الى بحث تلك النواقص ثانية في الوثائق والمصادر المتنوعة . وقد يضطر الى تعديل نتائجه ، بل وتغيير توضيح الفصول نفسها .

وفي الحقيقة قد يضطر الباحث التاريخي إلى إعادة صياغة متنه عدة مرات ، حتى يأخذ التركيب الصحيح والمتكامل الذي يرضى عنه ، ويمثل فكره وجهده المبذول .

٣ ـ **الخاتمة** : وفيها يختم الباحث موضوعه ، ويكشف فيها النتائج الكبرى التي توصل إليها عبر الفصول المختلفة بسبك جديد ، ومن خلال موازنات مع نتائج أخرى لموضوعات مماثلة ، ومع ربط الفترة اللاحقة بالسابقة ، متوخيا دائما النقد والتحقيق ، والموضوعية والتجرد ، وعدم التسرع في التعميم .

٤ ـ **الهوامش او الحواشي** : وهي المدونات الخارجة عن المتن ، والمترابطة معه في الوقت نفسه . وتكون عادة في أسفل الصفحات ، ويفصل بينها وبين المتن (خط فاصل) . وقد يضعها الباحث ـ إذا ما كان بحثه قصيرا ـ في نهاية البحث . أما الأمور التي تذكر في الحواشي أو الهوامش فهي :

أولا ـ المصدر الذي استقى الباحث منه مادته ، سواء أكان مصدرا أصيلا أو ثانيا ، مطبوعا أم مخطوطا ، رواية شفوية أو صورة ، أو أي أثر آخر . ويكون الباحث قد أشار في (المتن) (برقم خاص) وضعه فوق الحقيقة الواردة التي يود أن يثبتها بدليله ، ولهذا الرقم ما يقابله في الهامش . وفي هذه الحالة يذكر اسم مؤلف المصدر ، وعنوان المصدر ، وعدد الاجزاء ، ومكان الطباعة ، وتاريخها ، والجزء ، ورقم الصفحة ، ويذكر بعد ذلك بأنه سيشار إليه في الهوامش التالية بموجز له . ويختار الاسم الموجز للمصدر من عنوان الكتاب ، أو اسم مؤلفه فيما إذا لم يكن لمؤلفه مؤلف آخر غيره . وإذا ما اشترك في تأليف المصدر أكثر من

واحد فإن الاسماء كلها تذكر ، أما إذا تعددت فيختار أبرزها صلة بالكتاب مع اضافة كلمة « وآخرون » . ومثل على ما ذكر :

ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، تحقيق احسان عباس ، ٨ أجزاء ، بيروت ، دار صادر ، د.ت. ج٢ . ص ١٢٧ . (يرد في الهوامش التالية : ابن خلكان فقط).

ـ القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الانشا . ١٤ جزءا . القاهرة ١٣٤٠ هـ/١٩٢٢م ج ١ . ص ٣٦٣ . (سيرد في الهوامش التالية : صبح الأعشى) .

ـ إذا كان اسم المؤلف غير معروف كتب في الهامش (اسم المصدر) أولا ووضع الى جانبه (مجهول المؤلف) عدد المجلدات ـ مكان الطباعة ـ تاريخها ـ المجلد ـ الصفحة .

ـ واذا ذكر اسم المؤلف في المتن فلا يكرر اسمه في الهامش وإنما يكتفى بذكر (عنوان الكتاب) فحسب ، مع المعلومات الآنفة الذكر .

ـ واذا ما ذكر اسم المؤلف ، وكتابه في المتن ، فلا يسجل في الهامش سوى مكان الطباعة وزمانها ، ورقم الصفحة .

ـ أما إذا كان المصدر مترجما فيجب ذكر اسم المؤلف الأصلي واسم كتابه، والجزء والصفحة بالعربية ، ويضاف إلى ذلك عبارة (ترجمة فلان) ومثل على ذلك آدم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري . ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة جزءان . القاهرة ١٣٦٦ هـ/١٩٤٧ م . ج ١. ص ١٥٠ .

ـ واذا لم يكن الاقتباس من الأصل لتعذر الحصول عليه . وانما كان من كتاب اقتبس هذا النص من الأصل ، فان التهميش يكون على الشكل التالي :

البنداري : تاريخ دولة سلجوق (تلخيص كتاب : نصرة الفترة للعماد الاصفهاني) القاهرة ١٣١٨هـ/١٩٠٠ م . ص ٤٥ .

مقتبس (أو تصدير) من فرانز روزنثال : علم التاريخ عند المسلمين . تعريب صالح العلي . بغداد ١٩٦٣ . ص ١٦٩ . هامش ٧٣ .

ـ وإذا تم الأخذ من وثيقة أرشيف ، فإنه تذكر صفة ذلك الأرشيف ومكانه، ورقم الوثيقة فيه . وتاريخها ، ومكان كتابتها إذا وجد . ومثل على ذلك : وثائق المحاكم الشرعية بحلب ـ في مديرية الوثائق بدمشق ـ مجموعة ١٨ ص ١٣٦ . وثيقة ١٣ محرم ١٠٤٣ هـ .

ـ واذا كان المصدر مخطوطا . فإنه يشار الى ذلك ، مع ذكر الدار الذي تضمه ، ورقمه فيها . وإذا كان مصوراً عن مخطوطة ، فيوضح ذلك أيضا .

مثل : محمد بن أبي السرور البكري الصديقي : نصرة أهل الإيمان في دولة آل عثمان . مخطوطة مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة . تحت الرقم ٢١٣٢ . من أصل في مكتبة الرباط رقم ٥٢٧ د . لوحة ٤٢ آ .

ولا بد من الإيضاح هنا : أن معظم المخطوطات ترقم صفحاتها على أساس « اللوحات » أو « الورقات » ، أي أن كل ورقة تكون وحدة واحدة ، ويكون لها رقم واحد ، بوجهين (آ) و (ب) . إلا أن هناك أيضاً مخطوطات تحمل ترقيماً مسلسلاً عادياً .

ـ وإذا كان المصدر رواية شفوية ، فإنه يوضع في الهامش اسم « الشخص المصدر » ، مع بيان الزمان والمكان ، اللذين تمت فيهما مقابلة « الشخص المصدر»، واستقيت منه الرواية المطلوبة .

ـ وإذا تكرر الأخذ من مصدر ما . خلال البحث ، فإن الأمور التي تصفه كلّيا لاتكرر ، كما حدث في المرة الأولى . وإنما يكتفى بذكر ما اصطلح على موجزه ، مع بيان الجزء والصفحة . فإذا تكرر الأخذ من « ابن خلكان » مثلاً فإنه يشار إليه كما يلي : ابن خلكان . ج ٦ ص ٤٥ فقط .

وإذا لم يكن للمؤلف غير هذا الكتاب ، أو لم يعتمد الباحث كتاباً آخر له، فإنه يمكن أن يذكر عندها اسم المؤلف فقط ، وإلى جانبه عبارة (المصدر السابق)، مع بيان الجزء والصفحة . كأن يقال مثلاً :

ابن خلكان : المصدر السابق . ج ٤ . ص ٣٥ .

وبالنسبة للمصدر الأجنبي ، يذكر اسم المؤلف بالكتابة الأجنبية ويذكر إلى جانبه الاصطلاح (Op. Cit.) ، مع الجزء ، ورقم الصفحة ومثل على ذلك : Miquel, op. cit., p. 140 • واصطلاح (op. cit.) هو مختصر لكلمتي (Oper Citato) اللاتينيتين وتعنيان (ما استشهد به سابقا) •

ـ وإذا تكرر الاستدلال بمصدر ما ، في الصفحة نفسها من البحث ، ودون فاصل ، فإنه يذكر إلى جانب رقمه تعبير (المصدر نفسه) • وإذا كان المصدر أجنبياً فيكتب (Ibid) ، وهي من كلمة (Ibidem) اللاتينية . وتعني (المكان نفسه) • وإذا تغيرت الصفحة ، والجزء ، المأخوذ منهما فلا بد من بيان ذلك لى جانب التعبير المبيّن سالفاً •

ـ وإذا تتالى اقتباسان من المصدر نفسه ، وفي الصفحة ذاتها من البحث ، مع وجود فاصل بينهما . فيذكر اسم المؤلف ، وإلى جانبه عبارة (المصدر المذكور في هذه الصفحة) ، وفي المصدر الأجنبي ، يبين اسم المؤلف ، مع عبارة (Loc. Cit.) أي (المكان المستشهد به سابقا) من عبارة (Loco Citato) اللاتينية •

وضع أرقام الهوامش : ولا بد من الاشارة في هذا المجال الى طرق « ترقيم الهوامش » • إن هناك ثلاث طرق :

١ ـ وضع ارقام مستقلة لكل صفحة على حدة ، تتسلسل من رقم (١) ، وتتبع في أسفل الصفحة هوامشها •

٢ ـ وضع أرقام مستقلة لكل فصل على حدة ، تتسلسل كذلك من رقم (١) ، وتكون هوامشها في نهاية الفصل •

٣ ـ وضع أرقام متسلسلة للرسالة كلها. تتسلسل كذلك من رقم (١) ، وتكون الهوامش في آخر الرسالة •

وأسهل الطرق وأكثرها عوناً للقارىء ، الاولى • كما أنها أيسر على الباحث ، لأن الخطأ في (رقم واحد) في الطريقتين الثانية ، والثالثة يلزمه تغيير الأرقام اللاحقة كلها •


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

وبعد ان ترتب ابجديا بحسب (كنية المؤلف) ، ويمكن للمصادر العربية أن ترتب أبجديتها بحسب الاسم الأول للمؤلف ـ إذ هذا ما اعتمده المؤرخون العرب السابقون ـ تذكر المعلومات عن الكتاب ، أو المخطوط ، أو الوثيقة ، بالشكل الذي اشير اليه في الهوامش، أي بذكر اسم المؤلف والمؤلف وعدد مجلداته ومكان طباعته ، وزمنها (إذا كان مطبوعا) ، وبذكر الدار الذي تتضمنه مع رقمه وتصنيفه فيها إذا كان مخطوطا ، وكذلك بالنسبة للوثيقة ، أو الاثر .

ومن المستحسن ان يقدم الباحث **مذكرة تحليلية** ينقد فيها مصادره ، دليلا على عمق عمله وعونا للباحثين في المستقبل .

٧ ـ **فهرسة ابجدية للبحث** . وذلك باستخراج الكلمات الهامة من متن البحث من اعلام ، واسماء أماكن ، ومصطلحات ، واسماء كتب ، وترتيبها ابجديا مع **بيان الصفحات** التي وردت فيها خلال البحث كله . ويمكن أن يفرد لكل نوع منها فهرس أبجدي خاص .

٨ ـ **الفهرسة العامة** : وتتضمن عناوين الفصول ، كلا مع رقم الصفحة التي ابتدأ بها . وتحت كل فصل توضع العناوين الفرعية ، وامام كل عنوان رقم الصفحة التي ابتدأ بها .

الاسلوب اللغوي في العرض :

من البدهي ان يحسن الباحث التاريخي اللغة التي يكتب بها . ولكن هذا لا يكفي ، بل يجب أن تكون لديه المقدرة على حسن التعبير كتابيا بها ، وأن يكون قابضا على ناصيتها ، حتى يعرف كيف يختار الالفاظ ، والاساليب ، التي تعبر بصدق وأمانة عن الحقائق التاريخية التي توصل اليها . وبالتالي توحي للقارىء ايحاء صحيحا ودقيقا ، وعلميا ، عن فكر الباحث ، دون تشويه ، أو حرف لتلك الحقائق عن مضمونها الاصيل .

ومن هنا كان الاسلوب الادبي الصرف غير مستساغ في الكتابة التاريخية ، وبخاصة منه ذاك الذي يستخدم الصناعة اللفظية والتنميق لانه قد يحرف الحقائق

عن مسارها الدقيق ، بما يطرحه من ألفاظ عامة ، أو حاملة لصفة المبالغة ، أو منجرفة وراء الخيال . فليس المهم في الكتابة التاريخية العلمية التأثير في القراء ، وجذبهم ، وتشويقهم ، كما كان عليه الامر قديما ، عندما حاول المؤرخون في العصر الروماني مثلا ، اضفاء صفة البلاغة المصطنعة على كتاباتهم التاريخية ، أو عندما اتبع بعض المؤرخين العرب ، خلال بعض الحقب ، الأسلوب المسجع ، كما أشير إلى ذلك سابقا . وانما المهم ابراز النتائج الحقة التي توصل اليها الباحث كما هي دون زيادة أو نقصان . الا أن هذا لايعني أبدا ان يقدم المؤرخ مادته بأسلوب جاف وسقيم ، وخال من الطلاوة والتشويق ، وبصيغ مجردة وصعبة ، كما يفعل بعض المحدثين ، لايهام القارىء بعمق التفكير وتجريده . فهذا أمر مسيء للكتابة التاريخية ، لان هذه الاخيرة تعني بعث الماضي حيا ومفهوما ، والاسلوب هو الكفيل ببث هذه الحياة ، لانه بمثابة الروح التي تسري في جنبات تلك الصيغ التاريخية المجردة فتحركها ، وتصل بين ما يبدو مفككا فيها . ومن هنا كانت الكتابة التاريخية فنا لا يمتلك ناصيته جميع المؤرخين .

فعلى الباحث إذاً أن يكتب ببساطة متجنبا الابهام ، والاستطراد ، والا يطيل من جمله حتى تبقى الفكر متواصلة ، وان يبتعد عن صيغ الجزم ، والحتمية ، والمبالغة . وان يشرح الحقائق والفكر وهو واضع نصب عينيه أن ما يعرفه هو من خلفيات للامور ، لا يعرفه قارئه ، فلا بد من تنويره . فهو لا يكتب لنفسه وانما لينتشر ما يكتب ويدركه القراء . وبالطبع يمكن التمييز هنا بين قراء الباحث : فاذا كان يكتب للاختصاصيين من أمثاله ، فان اسلوبه يكون مغايرا بالطبع لاسلوبه فيما اذا كان يكتب لجمهور المثقفين . ومهما يكن فان رصانة العبارة ، والبعد عن الاسفاف ، واختيار الالفاظ الدقيقة المحددة ، والاصطلاحات التاريخية بمضموناتها السليمة ، واتباع العبارة المركزة دون تكرار في المرادفات والمعاني ، والسعي لربط متين بين الجمل والفقرات ، هذه كلها المرتكزات الاساسية في أسلوب التعبير التاريخي ايا كان القارىء . وان استخدام التساؤلات ، والوصف الحسي الدقيق، وضرب الامثلة، قد يضفي على هذا الاسلوب الوانا مشوقة تجذب القارىء لمتابعته .

* * *

الخـــاتمة

يتضح من خط السير الطويل الذي على كل مؤرخ ، وباحث تاريخي ، أن يقطعه ، كي يبلغ الحقيقة ، أنه طريق علمي ، شاق ، وشائك . وقد يتخيل القارىء لـ « منهج البحث التاريخي » ، أنه ليس سوى آلة راقية ، يكفي أن تدخل فيها المادة الأولية ، وهي الوثائق ، لتخرج منها بالتحليل النقدي والتفسير « وقـائع تاريخية » ، تحمل كل واحدة منها قدراً معيناً من الاحتمال . إلا أن هذا التخيل، تخيل ساذج ، وبعيد عن الحقيقة ، لأن « الصناعة التاريخية » ، تفرض عملا أكثر تعقيداً ، وتتطلب في كل مرحلة من مراحلها ، تدخلا فعالا وذكيا من الصانع ، الذي هو المؤرخ ، وهذا التدخل يمثل نوعا من الإبداع الأصيل . ولن ندخل هنا في نقاش حول المشكلة الفلسفية للبنية المنطقية للمعرفة التاريخية ، ولكن يجب تذكر مبدأ أساسي تستند اليه كل تلك الفلسفة النقدية ، وهو **ان التاريخ لا ينفصل عن المؤرخ** . فهو مدفوع ، وبعمق ، بجهد هذا الأخير ، وعاكس لذاته ، ولصفاتـه الفكرية والخلقية ، ولثقافته . فعلى عاتق المؤرخ إذاً ، تقع مسؤولية صفات المعرفة التاريخية المصنوعة وقيمتها .

ومن ثم ، كان من اللازم أن يتصف المؤرخ بصفات تؤهله لهذه المهمة الصعبة. وقد تبدو هذه الميزات الشخصية من العسير توافرها كلها في انسان واحد ، ومع ذلك ، فلا بد من وجودها ، أو السعي الدائم لإيجادهـا : فهناك بالاضافة إلى الثقافة المتنوعة ، والشاملة ، والعميقة ، وبالإضافة إلى المعارف التقنية الضرورية لبحث هذا القطاع ، أو ذاك من الماضي ، بل وقبل اكتسابه لها ، هناك الذكاء ، والفطنة ، ونفاذ البصيرة ، والحس المرهف ، والقدرة على التخيل المبدع ، وسلامة المحاكمة، وقوة الذاكرة . وقد يكون من أولى فضائل المؤرخ الفكرية ، **تمتعه بفكر نقدي**

سليم . « فالتاريخ العلمي » ، و « التاريخ النقدي » مترادفان . فمن أساسيات عمله ـ كما اتضح سابقا ـ أن يعرف كيف يكشف الخطأ ، والكذب ، والزيف من كل نوع ، وكيف يملأ الثغرات ملء محكما . وهذا الفكر النقدي ، لايوجه إلى المصادر والوقائع فحسب ، وإنما الى الذات أيضاً: أي عليه أن يعرف بموضوعية بحتة ، ودون تحيز أناني ، ما هي قدراته ، وحدود ثقافته ، وأن يتساءل باستمرار : هل طرح المشكلة الحقيقية ؟ هل حصل على أفضل الوثائق ؟ هل فهم ما فيها تماما؟ وهل كان منصفا ، وعادلا ، وصادقا في نقدها ؟

وتتضافر مع تلك الصفات الفكرية . وتتفاعل ، في نفسية المؤرخ ، صفات خلقية هامة ، لاتقل قيمة عن السابقة ، وأهمها : حماسة لحب الحقيقة لا تنطفىء جذوتها ، ودأب ، وصبر ، وجلد على العمل ، لبلوغها . بحيث لاتثنيه الصعاب ، ووعورة الطريق عن مواصلة السير اليها . وفوق كل هـذا ، الشجاعة في القول والعمل ، لأن الأمانة والصدق ـ وهمـا الركنان الرئيسان في البنية الأخلاقيـة للمؤرخ ـ يتطلبان مثل هذه الشجاعة : فهو لا يكذب لأي سبب مهما كان قاهراً، ولا ينافق لأصحاب الحكم والسلطة مهما عتوا ، ولا يخفي الوقائع والحقائق مهما كانت ، بل عليه أن يكون دائماً وأبداً إلى جانب الحقيقة ، حتى ولو كان هذا مؤذيا لذاته . إذ يجب أن ينطبق عليه قول « شيشرون » : « إن أول قاعدة في التاريخ هي عدم التجرؤ على قول الخطأ ، والثانية الجرأة في قول كل ما هو حق »[1] ؛ وقول « اللورد أكتن » : « هناك قانون للفضيلة ، ومبادىء تفرض نفسها على المؤرخ : يجب أن يكون دون خوف ، وصادقاً وأمينا ، ونزيها لا مصلحة خاصة له ، ويعرف متى وكيف ، يسجل نقطة لصالح اولئك الذين لا يحبهم . ويجب أن يكون صبورا ، ضابطا بدقة وقائعه ، وعادلا ، وأن يفهم كل شيء »[2] .

ومن الضروري ألا ينسى في خضم هذا السلم الموسيقي من الصفات الفكرية والأخلاقية المتناغمة في ذات المؤرخ ، أن عليه أن يهتم بتنمية قيمتين السانيتين

---

(١) ، (٢) H. I. Marrou, Le métier d'historien, dans l'histoire et ses méthodes, p. 1523.

كبيرتين أيضاً ليوجد تلك العلاقة الأخوية مع « واقع الماضي » . أي ليس عليه فقط أن ينمي ثقافة عامة ، متينة ، ومتنوعة ، وشاملة ، وإنما تجربة حياتية مباشرة أيضاً . فليس المهم أن يكون المؤرخ ، مع صفاته تلك ، قعيد الكتاب والمكتبة فحسب ، وإنما أن يكون انسانا منفتحا على كل المواطف ، والتجارب الانسانية ، انسانا عاش ويعيش بانسانيته الحقة ، ومواطنته الحقة . فالمؤرخ ، قبل كل شيء ، كائن اجتماعي ، وشخصية : كشخصية أي انسان في مجتمع ، هي مصغّر يعكس مضخم الوسط الحضاري الذي نشأ فيه ، بل هو في الواقع ، ذلك المضخم نفسه ، حيث أن كل ذريرة من ذريرات وجوده الداخلي ، تمد جذورها فيه . فحتى الانسان المجدد ، الذي يبدو مناهضاً لوسطه ، يظهر بعد التحليل أنه ممثل لذلك الوسط ، وتتجسد فيه صفاته : كطريقة التفكير ، والشعور ، والآمال ، والمُثُل . وكذلك هو المؤرخ : ففي ظاهره ، يبدو انسانا يعيش في برجه العاجي ، منعزلا عن معاصريه ، ومسخرا ذاته كلها لتقنيات البحث المرهقة . ولكنه هو ، في الواقع ، وسيبقى دائماً ، رجل عصره ، له جذوره في وسط اجتماعي محدد ، ويحمل معه منه ، وخلال توغله في استكشاف الماضي ، مشاغل ذلك الوسط ، وقلقه ، ومشاكله . فيجب ألا ينظر إلى المؤرخ ، على أنه انسان يهرب خارج زمنه الى الماضي ، تاركا معاصريه لأعمالهم ومشاغلهم ، بينما هو يستمتع بارضاء فضوله العلمي الصافي ، والمجرد ، بل يجب أن نرى فيه عاملا مختصا مكلفا من مجتمعه ، بصنع قطاع خاص من العلم ، كالفيزيائي والكيمياوي . فاذا كان يتمتع دون غيره من أفراد مجتمعه ، بالصفة الابداعية ، فانه يبقى مثل أي فرد آخر ، في خدمة الجماعة التي أنتجته ، والتي لا ينفك عن الانتماء إليها . ومن ثم فكل مؤرخ يُرى في تاريخه ، كما يُرى مجتمعه فيه .

أما القيمة الانسانية الأخرى ، أو الفضيلة التي لابد أن يتحلى بها المؤرخ ، والتي تساعده في عمله الخاص مع الماضي ، فهي « الانفتاح على الغير » . أي عليه ألا تستغرقه بحوثه وأفكاره بحيث تأسره فلا يرى سواها ، بل لابد له عند استجوابه للماضي ، أن ينسى للحظات قصيرة ، تلك المشاغل الفكرية الخاصة ، ليكون حراً في حواره مع انسان الماضي . وليسمع بذهن صاف عليه أن يصمت

مؤقتا وينصت بإمعان ، ويصغي ، وأن يتمثل مبدئيا كل ما يقوله الماضي ، عبر مؤلف الوثيقة والراوي .

وأخيرا ، يجب ألا يفوت المؤرخ أبدا ، أن طرائق البحث التي ستقوده الى الحقيقة ، ليست جامدة ، وإنما تتطور يوما بعد يوم ، بما يبدعه هو وأخوانه في ميدانها ، وبما تبثه تجاربه الغنية في حناياها من حياة . ويضاف إلى هذا جهود جميع رواد المعرفة ، ومن كل باب ، فهي التي ترفد تلك الطرائق بكثير من معينها ، وتعين حاملها على الوصول الى الحق . فالتعاون بين المؤرخ والعاملين في مختلف حقول المعرفة واجب ، إذا ما ابتغى جميعهم الحقيقة الخالصة .

وختاماً ، على المؤرخ ، ألا ينتظر من جهده المضني ، والشاق ، منفعة مادية، بل عليه أن يتابع السير ، مهما كانت الظروف ، يحدوه حب الحقيقة وحده ، ليجلو غوامض قصة الانسانية ، ويعيد بناءها ، نابضة بالحياة ، كما عاشها انسان الماضي.

* * *

المصادر

المصادر العربية الاسلامية

ابن بسام (علي) : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة • أقسام منه في ثلاثة أجزاء • مصر ١٣٥٨ــ١٣٦٤ هـ•

أبن تيمية (أحمد بن عبد الحليم ابو العباس) : مقدمة في أصول التفسير • تحقيق جميل افندي الشطي • دمشق ١٩٣٦ •

ابن خلدون (عبد الرحمن) : ــ العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٧ أجزاء بيروت ، د•ت • الجزء الاول (المقدمة) بصفة خاصة •

ــ التعريف بابن خلدون ، ورحلته غربا وشرقا • مصر ١٣٧٠/١٩٥١ م

ابن خلكان (محمد) : وفيات الأعيان • مجلدان • مصر ١٣١٠ هـ•

ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات • مجلدان • مصر ١٢٩٩ هـ•

ابن الصلاح (عثمان بن عبدالرحمن): مقدمة في علوم الحديث • القاهرة ١٣٢٦هـ•

ابن عماد الحنبلي (عبد الحي العكري) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب • ٨ أجزاء • القاهرة ١٣٥٠ هـ •

ابن النديم : الفهرست • بيروت د•ت •

حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي) : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٣ مجلدات • ليبزغ ١٨٤٢ •

الذهبي (محمد بن أحمد) : ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، ٣ أجزاء ، القاهرة ١٣٢٥ هـ .

السخاوي (محمد بن عبد الرحمن: شمس الدين) : ـ الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .
ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ١٢ جزءا . مصر ١٣٥٣ ـ ١٣٥٥ هـ .

طاشكبري زاده : الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية بيروت ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥ .

الطبري (محمد بن جرير) : تاريخ الامم والملوك ، ٨ أجزاء ، القاهرة ١٣٥٧ هـ/١٩٣٩ م .

الغزي (محمد نجم الدين) : الكواكب السائرة في مناقب أعيان المائة العاشرة ، تحقيق جبرائيل جبور ، ٣ أجزاء . لبنان ١٩٥٤ ـ ١٩٥٨ .

الغزالي (محمد أبو حامد) : المستصفى من علوم الاصول . جزءان القاهرة ١٣٢٢ هـ . ٨ مجلدات .

الكافيجي (محي الدين محمد بن سليمان) : المختصر في علم التاريخ . ورد في كتاب روزنثال ، (علم التأريخ عند المسلمين) تعريب الدكتور صالح أحمد علي . بغداد ١٩٦٣ . (ص ٣١٧ ـ ٣٧٠) .

المحبي (محمد الأمين) : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر . القاهرة ١٢٨٤ هـ .

الهمداني (الحسين بن أحمد) : الاكليل ج ١٠ ابسالا ١٩٥٤ ـ وكذلك نشر محب الدين الخطيب القاهرة ١٣٦٨ هـ .

المراجع الحديثة باللغة العربية :

أبو زيد (حكمت) : التاريخ بتعليمه وتعلمه حتى نهاية القرن التاسع عشر • القاهرة ١٩٦١ •

إتكن (هـ • ج) : دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية• تعريب محمود زايد • بيروت ١٩٦٣ •

انكلز (فردريك) : التفسير الاشتراكي للتاريخ • تعريب راشد البراوي • القاهرة ١٩٤٧ •

أنيس (محمد أحمد) : مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني• القاهرة ١٩٦٢ •

بدوي (عبد الرحمن) : شبنغلر • القاهرة ١٩٤١ •

جروهمان (ادولف) : أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية تعريب حسن عثمان وحسن ابراهيم حسن ، وعبد الحميد حسن • القاهرة ١٩٣٤ •

جونسون (هنري) : تدريس التاريخ • تعريب وتقديم واضافة أبو الفتوح رضوان القاهرة ١٩٦٥ •

حاطوم (نور الدين)، عاقل (نبيه) : المدخل الى التاريخ ، مطبعة جامعة دمشق طربين (أحمد)، مدني (صلاح) ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ •

خداد (جورج) وحسامي(راتب) : تاريخ الحضارة العربية • دمشق • د•ت•

حسن (علي ابراهيم) : استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ المصري الوسيط • القاهرة ١٩٤٩ •

حسن (محمد عبد الغني) : علم التاريخ عند العرب • القاهرة ١٩٦١ •

حسين (محمد أحمد) : الوثائق التاريخية • القاهرة ١٩٥٤ •

حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة ، القاهرة ١٩٤١ .

الخالدي (طريف) : دراسات في تاريخ الفكر العربي والاسلامي. بيروت ١٩٧٧ .

خليل (عماد الدين) : التفسير الاسلامي للتاريخ . بيروت ١٩٧٥.

الدوري (عبد العزيز) : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب . بيروت ١٩٦٠ .

رستم (اسد) : مصطلح التاريخ . بيروت ١٩٣٩ ، وأعيد طبعه ١٩٥٥ .

روزنثال (فرانز) : علم التاريخ عند المسلمين . ترجمة صالح أحمد العلي . بغداد ١٩٦٣ .

الزركلي (خير الدين) : الاعلام/١٣ مجلداً . بيروت الطبعة الثالثة.. (د . ت) .

زريق (قسطنطين) : نحن والتاريخ . بيروت ١٩٧٤ .

زيادة (محمد مصطفى) : المؤرخون في مصر في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي . القاهرة ١٩٤٩ .

زيدان (جرجي) : تاريخ التمدن الاسلامي ، ٣ أجزاء . دار الهلال . القاهرة . د.ت . (ج٣ .ص ٦٩ ـ ١١١) .

الساحلي (خليل) : سنو الازدلاف أو أزمات الامبراطورية العثمانية المالية . تعريب عبد الجليل التميمي في المجلة التاريخية المغربية . تونس جويلية / يوليو ١٩٧٨ .

سنيوبوس (ش) ولانجلوا (ش) : المدخل إلى الدراسات التاريخية • ترجمة عبد الرحمن بدوي • ضمن كتاب « النقد التاريخي » • القاهرة ١٩٦٣ •

سيمون (بيير ـ هنري) : الفكر والتاريخ • تعريب الدكتور عادل العوا ومراجعة الدكتور نور الدين حاطوم • دمشق • د•ت •

شلبي (أحمد) : كيف تكتب بحثا أو رسالة •القاهرة ١٩٥٤•

الشيال (جمال الدين) : التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر • القاهرة ١٩٥٨ •

الصباغ (ليلى) : الفتح العثماني لبلاد الشام ومطلع العهد العثماني فيها • رسالة ماجستير من جامعة القاهرة ١٩٦١ • لما ينشر القسم السياسي منها •

صبحي (أحمد محمود) : في فلسفة التاريخ •

صفوت (محمد مصطفى) : التاريخ ، أهميته وطرق تدريسه• (بحث مستخرج من مجلة العلوم) القاهرة ١٩٤٢•

الطالبي (محمد) : منهجية ابن خلدون التاريخية وتأثيرها في المقدمة وكتاب العبر ، في مجلة « دراسات تاريخية » • دمشق • العدد الثالث • صفر ١٤٠١ هـ/ ديسمبر ١٩٨٠ (ص ٥ـ٣٨)•

العبادي (عبد الحميد) : فصل في علم التاريخ عند المسلمين • ضمن كتاب علم التاريخ ، تأليف هرنشو •القاهرة ١٩٣٨ و ١٩٤٤ •

عباس (احسان) : فن السيرة • بيروت ١٩٥٦ •

عثمان (حسن) : منهج البحث التاريخي • القاهرة ١٩٤٣ ؛ ١٩٦٥ ، ١٩٧٠ •

علي (جواد) : ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ، ٨ أجزاء . بغداد ١٩٥١ فما بعد •

ـ موارد تاريخ الطبري • مجلة المجمع العلمي العراقي • العدد ١ عام ١٩٥٠ (ص ١٤٣ ـ ٢٣٢) ـ العدد (٢) عام ١٩٥٢ (ص ١٣٥ـ١٩٠) ـ العدد ٣ عام ١٩٥٤ (ص ١٦ ـ ٥٦) •

غوتشلك (لويس) : كيف نفهم التاريخ • تعريب عائدة سليمان عارف وأحمد مصطفى أبو حاكمة • بيروت ١٩٦٦ •

فخر الدين (محمد) : تاريخ الخط العربي • القاهرة ١٣٦١ هـ •

كار (آ) : ما هو التاريخ • تعريب أحمد حمدي محمود القاهرة ١٩٦٢ •

الكاشف (سيدة اسماعيل) : مصادر التاريخ الاسلامي ومناهج البحث فيه • القاهرة ١٩٦٠ •

كحالة (عمر رضا) : التاريخ والجغرافية في العصور الاسلامية ، دمشق ١٩٧٢ •

كرد علي (محمد) : خطط الشام ، ٦ أجزاء • بيروت ١٣٨٩/ ١٩٦٩ •

كولنجوود (س • ج) : فكرة التاريخ • تعريب محمد بكير خليل • القاهرة ١٩٦١ •

لوبون (غوستاف) : فلسفة التاريخ • تعريب عادل زعيتر• القاهرة ١٩٥٤ •

ماجد (عبد المنعم) : مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامي • القاهرة ١٩٥٣ •

مارغوليوث (د•س) : دراسات عن المؤرخين العرب • ترجمة حسين نصار • بيروت • د•ت •

مارو (هـ • آ) : من المعرفة التاريخية • تعريب جمال بدران ومراجعة د•زكريا ابراهيم• القاهرة ١٩٧١ •

ما ساهم به المؤرخون العرب في المائة الاخيرة في دراسة التاريخ العربي وغيره• بقلم مجموعة من المؤرخين أصدرته الجامعة الامريكية • بيروت ١٩٥٩ •

محمد حسن (زكي) : دراسات في مناهج البحث في التاريخ الاسلامي • مجلة كلية الآداب ـ جامعة القاهرة • مايو ١٩٥٠ (١٥٢ ـ ١٧٧) •

مصطفى (شاكر) : ـ التاريخ هل هو علم ؟ بحث في مجلة «عالم الفكر » المجلد الخامس، العدد الاول١٩٧٤• ـ التاريخ العربي والمؤرخون• ج١ بيروت ١٩٧٩ (وله طبعة أولى ١٩٧٨) •

نصار (حسين) : نشأة التدوين التاريخي عند العرب • القاهرة ١٩٥٦ •

هرنشو (ف • ج) : علم التاريخ • تعريب ، وتعليق ، واضافة بقلم عبد الحميد العبادي • القاهرة ١٩٣٨• و ١٩٤٤ •

هوك (سيدني) : البطل في التاريخ • تعريب مروان الجابري• بيروت ١٩٥٩ •

وولش (و • هـ) : مدخل لفلسفة التاريخ • تعريب أحمد حمدي محمود القاهرة ١٩٦٢ •

ويد جرى (البان •ج) : التاريخ وكيف يفسرونه •(من كونفوشيوس الى توينبي) تعريب عبد العزيز توفيق جاويد •

* * *

المراجع الاجنبية

— Aron (R), Dimensions de la conscience historique, Paris 1961.

— Bain (A), Education as a science, New-york, 1879.

— Barraclough (G), History in a changing world, London 1957.

— Berr (H), La Synthèse en histoire, Paris 1953.

— Bloch (M), Apologie pour l'histoire, ou métier d'historien, Paris 1949.

— Bloch (M) et Renouvin (P), Guide de l'étudiant en histoire moderne et Contemporaine (P.U.F 1949 - 1950).

— Braudel (F), Ecrits sur l'histoire, Paris 1969.

— Butterfield (H), « The History of the writing of History » in Rapports XIe Congr. int. Sci. Hist., T.I. Stockholm 1960.

— Carr (E. H.), What is History, London 1961.

— Charrière (E), Négociations de la France dans Le Levant, 4 vols. Paris 1849 - 1860.

— Châtelet (F), La naissance de l'histoire, Paris 1960.

— Chaume (P), Dynamique Conjoncturelle et histoire Scérielle in Rev. Fédération des industries Belges. Janvier 1960.

— Clark (G.K.), Guide for Research Working on Historical Subjects. Cambridge 1958.

— Collingwood (R.G.), The Idea of History. Oxford 1946.

— Condorcet (M.J.), Esquisse d'un tableau Historique du Progrès de l'Esprit Humain, Paris S.D.

— Croce (B), Théorie et histoire de l'historiographie-trad. A. Dufour et tr. Ainsilo, New-York 1921.

— Grump (G.G.), History and Historical Research, London 1928.

— Donagan (Alan & Barbara), Philosophy of History. U.S.A. 1965.

— Dormay (P.A.), Précis de la science de l'histoire, Paris 1889.

— Dutt (R.P.), Problems of Contemporary History, London 1963.

— Encyclopaedia Americana.

— Encyclopaedia Britannica.

— Encyclopédie de l'Islam. 1ère éd. et 2e éd.

— Encyclopedia Universalis, 9ème Publication, France 1968.

— Febvre (L). - Combats pour l'histoire, Paris 1954.

- Pour une histoire à part entière, Paris 1962.
- La Terre et l'évolution humaine. Introduction Géopraphique à l'histoire. coll. « L'Evolution de L'Humanité vol. IV. Paris 1922.

— Février (J), Histoire de l'écriture, Paris 1959 (2me éd.).

— Fisher (H.A.L.), A History of Europe. London 1946.

— Fling (E.M.), The writing of History. An Introduction to Historical Method. New Haven, Yale University Press. 1962.

— Flint (R), History of Philosophy of History. J.F. N.Y. 1894.

— Freeman (E.A.), The Methods of Historical Study.

— Foucault (M), L'Archéologie du savoir, Paris 1968.

— Garrghan (G.J.), A Guide to Historical Method. Fordham University Press. 1951.

— Gardiner (P), Theories of History. Free Press. New York 1965.

— Grand Larousse Encyclopédique, 12 Tomes. Paris 1966 - 1976.

— La Grande Encyclopédie, Larousse, Paris 1974.

— Grousset (R), L'Homme et son histoire, Paris 1954.

— Geyl (R), Debates with historians, La Haye 1965.

— Gibb (H), Tarikh in Encyclopédie de :'Islam 1e éd. Supp I. pp. 233-245.

— Halkin (L.E.), Initiation à la critique historique, Paris 1953.

— Halphen (L), Introduction à l'histoire, Paris 1946.

— L'histoire aujourd'hui, N° spéc., in Rev. enseignement sup. Paris 1969.

— L'histoire sociale, Sources et méthodes. Colloque de l'Ecole Normale supérieure de Saint Cloud, 15 - 16 mai 1965. (Paris 1967).

— Hammer- Purgstall (J), Histoire de l'Empire Ottoman (tr. Hellert). 18 vol. Paris 1835 - 1846.

— Houra (F) et Salibi (Kamal) : Muhammad Ibn Al-Hanash, Muqaddam de la Biqa' 1499 - 1518. in Mélanges de l'Université Saint-Joseph. I. XLIII 1968.

— Htzinga (J) in « Philosophy and History », Essays Presented to Ernst Cassirer, Oxford 1936.

— Jhonson (Allin), The Historians and Historical Evidence. N.Y. 1926.

— A. Journal of the First Voyage of Vasco de Gama. 1497 - 1499. Trans. by E.G. Ravenstein Hakluyt Society, London, S.D.

— Langlois (Ch.) et Seignobos (Ch.) Introduction aux études historiques Paris 1897 - 1905.

— Marrou (H.I.), De la connaissance Historique, Paris 1950.

— Marczeweski (J.), Introduction à l'histoire quantitative, Paris 1965.

— Oman (Sir. Ch), On the writing of History. London 1939.

— Lewis (I , and Holt (P.M) : Historians of the Middle East. Oxford. U.P. 1962.

— Plamade (G.P.); L'histoire, Paris 1964. réed 1965.

— Periplus of the Erythrean Sea. trans by W.H. Schofl, London 1912.

— Renier (G.J.), History, its purpose and method. London 1950.

— Rowse (A.L), The use of History, London 1946.

— Saade (G), Ras Shamra, Beyrouth 1954.

— Samaran (Ch.), L'histoire et ses méthodes, Encyclopédie de la Pléiade, Paris 1961.

— Sartre (J.P.), Critique de la raison dialectique, Paris 1962.

— Shotwell (J.Th.), The History of History. N.Y. 1939.

— Tessier (G), La Diplomatique. Coll « Que sais-je ? » Paris 1952.

— Testa (I. De), Récueil des Traités de la Porte Ottomane avec les Puissances étrangères. 10 vols. Paris 1864 - 1901.

— Thomas (Henry), The Living World Philosophy. Philadelphia, 1946.

— Thompson (J.W.), History of Historical Writing. N.Y. 1942.

— Toynbee (A.), A study of History. 12 Vol. London 1934 - 1961.

— Valery (Paul), Regards sur le monde actuel. Paris 25 éd. Gallimard, S.D.

— Veyne (P.), Comment on écrit l'histoire, Paris 1971.

— Walsh, Meaning in History. in « Theories of History ». Free Press. New-York. 1965.

— Wilkenson (S. Gardener), a popular Account of the Ancient Egyptians, London 1854.

* * *

فهرس ابجدي عام

- ا -

- آرامي ـ ية : ١٥٥
- آسية : ٢١ ، ٢٤ ، ٣٣ ، ٨١ ، ١٦٢ ، ٢٣١ ، ٢٦٠ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢
- آسية الصغرى : ١٥٩ ، ١٧٠ ، ٢٠٧ ، ٢٣٤
- آشور ـ ي : ١٥٥ ، ١٦١ ، ٢١٤ ، ٢٣٠ ، ٣٤٢
- آشور بانيبال : ٢١٤
- الآفار : ٢٦٤
- آل غيز : ٢٩٠
- آل فيسكونتي : ٢١٨
- آل مدينشه : ٨٠
- آمل (مدينة في طبرستان) : ٤١
- ابان الاحمر (بن عثمان بن يحيى) : ٤٣
- ابان بن عثمان بن عفان : ٤٢
- ابان اللاحقي : ٤٧
- ابجدية ـ ابجدي : ٥١ ، ٥٢ ، ١٦٥ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٦٧ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧
- الابداعية (الرومنطيقية) : ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠
- ابراهيم (النبي) : ٢٩
- ابراهيم باشا (وزير عثماني) : ٢٥٥
- ابراهيم بن ادريس الحلبي : ٢٨٦
- ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري : ١٣٣ ، ١٣٧
- ابرشية : ٢١٨ ، ٢٣٦
- ابسالا (مدينة) : ٣٧
- ابناء الفرس : ٤٠
- ابن ابي اصيبعة : ٥١
- ابن ابي الرجال : ١١٤
- ابن ابي السرور البكري الصديقي : ١١٣ ، ٣٦٤
- ابن الاثير : ٥٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٢٧ ، ٢٥٦
- ابن اسحاق : ٤١ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٢٦٨
- ابن إياس : ١١٣ ، ٣٠٠ ، ٣٠١

ـ ابن بسام : ٧٤
ـ ابن تيمية : ١٣
ـ ابن الجوزي : ٥٦
ـ ابن الحائك (الهمداني) : ٣٧
ـ ابن حجر العسقلاني : ٥١
ـ ابن الحنبلي (رضي الدين) : ٢٨٦
ـ ابن حنش (ناصر الدين) : ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢
ـ ابن خرداذبة : ١٣٣
ـ ابن خلدون : ١١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٦٤ـ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٣ ، ١٧٤ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٧ ، ٢٨٩ ، ٣١٧ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٤٧
ـ ابن خلكان : ١٣ ، ٣٣ ، ٤١ ، ٥١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤
ـ ابن الديبع الزبيدي : ١١٤
ـ ابن ذي الدمينة (الهمداني) : ٣٧
ـ ابن رسته : ١٣٢
ـ ابن زنبل الرمال : ١١٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١
ـ ابن سعد : ٤٣ ، ٥٠
ـ ابن سينا : ٢١٦
ـ ابن شاكر الكتبي : ١٤٠
ـ ابن الشحنة : ٥٧
ـ ابن شرية (عبيد) : ٤٠ ، ٤١
ـ ابن الصلاح : ١٣ ، ٦٠ ، ٢٨٩
ـ ابن طولون (محمد) : ١١٢ ، ٣٠٠ ، ٣٠١
ـ ابن العديم : ٥٥
ـ ابن عساكر : ٥٢ ، ٢٥٧
ـ ابن العماد الحنبلي : ١١ ، ١٢ ، ١١٣
ـ ابن غلبون : ١١٦
ـ ابن القاضي : ١١٥
ـ ابن قتيبة : ١٩٠
ـ ابن الكلبي : ٥٧
ـ ابن المسلمة (ابو القاسم علي) : ٦١ ، ٢٥٨
ـ ابن المعتز : ٧٦
ـ ابن المقفع : ٤٦
ـ ابن منظور : ٢٠٤
ـ ابن النديم : ٤٥ ، ٤٧ ، ٢٢٣
ـ ابن هشام : ٤٤ ، ٤٩ ، ٢٦٨
ـ الأبواب (منطقة) : ٦٧
ـ أبو بكر الصديق : ٤٠ ، ٢٥٧
ـ أبو بكر الخطيب (الخطيب البغدادي): ٢٥٨
ـ أبو جعفر المنصور : ٤٤ ، ٥٦
ـ أبو الخير السويدي : ١١٤
ـ أبو الريحان البروني : ٤٧ ، ٧١ ، ٧٣
ـ أبو ريدة (محمد عبد الهادي) : ٣٦٣

ـ ابو السندي : ٦١
ـ ابو طالب عبد الجبار : ٧٤
ـ ابو العباس السفاح : ٤٦
ـ ابو عبيدة (انظر معمر بن المثنى) :
ـ ابو العلاء المعري : ٢١٦
ـ ابو الفتوح رضوان (فتحي رضوان): ١٨ ، ٧٠ ، ٢٠٥
ـ ابو الفداء : ٥٣ ، ١٣٣ ، ١٣٧
ـ ابو القاسم الزياني : ١١٥
ـ ابو القاسم علي (وزير) : انظر (ابن المسلمة)
ـ ابو مخنف : ٤٥
ـ ابو لودور الآثيني : ٢٧
ـ ابيغرافيا (انظر علم النقوش الكتابية)
ـ ابيكتيت : ٢٧
ـ الاتحاد السوفيتي : (انظر روسيا)
ـ الاتحاد العالمي الجغرافي : ١٣٤
ـ اثنوغرافيا (علم الأقوام) : ٣٣ ، ١٨٤
ـ اثنولوجيا : ١١٠
ـ آثيكا : ١٣٩
ـ اثر ، آثار : ١٦ ، ١١٠ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٨ ، ١٨٤ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٠٤ ، ٢١٣ ، ٢٢٩ ـ ٢٣٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢ ، ٢٥٩ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٧
ـ الاثنا عشرية (فرقة) : ٣٢٦
ـ اثينا : ٢٠ ، ٢٣ ، ١٣٩ ، ١٦٢ ، ١٧١ ، ١٩١ ، ١٩٥ ، ٢٦٠
ـ اجاكسيو : ٢١٠
ـ اجتماع ـ ي : ٣١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٦ ـ ١٠٣ ، ١٠٦ ـ ١١٢ ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٦٩ ، ١٧٥ ـ ١٧٧ ، ١٨٠ ـ ١٨٥ ، ١٨٨ ـ ١٩٠ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢٢٢ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٥ ، ٣٠٩ ـ ٣١١ ، ٣١٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٧ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ ـ ٣٤٥ ، ٣٤٨ ـ ٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٣٧١
ـ الاجتهاد : ٣١٢ ـ ٣١٤ ، ٣٢٦
ـ احسان عباس : ٣٦٣
ـ الاحصاء : ١٠٥ ، ١٠٦ ـ ١٠٩ ، ١٤٧ ، ١٥٦ ، ١٧٥ ، ١٨٢ ـ ١٨٤ ، ١٨٦ ، ٢٢٢ ، ٢٧٢ ، ٣٥٧ ـ ٣٥٩ ، ٣٦١
ـ أحمد آغا دزدار : ٢٥٠
ـ احمد امين : ٨
ـ احمد بابا التمبكتي : ١١٦
ـ احمد باشا القرمانلي : ١١٦
ـ احمد بن اسحق اليعقوبي : ٢٥٦
ـ أحمد بن أبي الرجال : ١١٤
ـ أحمد بن بدير الشهير بالمطلاق : ٢١٠

ـ أحمد بن تيمية (انظر ابن تيمية)
ـ احمد بن سهل البلخي : ٧٤
ـ احمد بن طلحة المعتمد بالله : ٧٦ ، ١٣٣
ـ أحمد بن عبد الدائم الانصاري : ١١٦
ـ احمد بن عبد الله البغدادي (غراب) : ١١٤
ـ أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري : ٢١٦
ـ احمد بن علي الخطيب البغـدادي : ٤٤ ، ٥٢ ، ٢٥٦
ـ أحمد بن علي تقي الدين المقريزي : ٥٢
ـ أحمد بن عمر بن رستة : ١٣٣
ـ احمد بن القاسم (بن أبي اصيبعة) : ٥١
ـ احمد بن محمد بن ابراهيم بن خلكان : ٣٣ ، ٤١ ، ٥١
ـ احمد بن محمد المقـري التلمساني : ١١٥ ، ٢١٧
ـ احمد بن يحيى البلاذري : ٤٧ ، ٥١
ـ احمد بن محمد الخالدي الصفدي : ٢٨١
ـ احمد الدمرداش كتخدا عزبان : ١١٣
ـ احمد شلبي : ٩
ـ احمد طربين : ٢٠
ـ احمد محمود صبحي : ٣١٨ ، ٣١٩
ـ أحمد المنصور السعدي : ١١٥
ـ احمس (مؤرخ مصري قديم) : ١٨
ـ الأخمينيون (الفرس) : ١٦٩ ، ٢٣٤
ـ اخوان الصفا وخلان الوفا (جمعية) ٣٢٦
ـ الأدارسة (سلالة) : ١٤٣
ـ أدب آداب ، أدبي : ٤ ، ٥ ، ٨ ، ١٢ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٧١ ، ٧٤ ـ ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٤ ـ ٨٦ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٩ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ـ ١٩٥ ، ٢٠٥ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٨ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٦ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٣٠٣ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣٤٦ ، ٣٦٧
ـ الإدريسي (محمد بن محمد الحسين الطالبي) : ١٣٣ ، ١٤٣
ـ ادنبره (جامعة) : ٣٤
ـ أديلائيد : ٢٩١
ـ إذاعة : ٢٠٩ ، ٢٣٩
ـ أذربيجان : ٢٥٥
ـ الأراضي المنخفضة : ٨٢ ، ٨٥
ـ أراغون : ٧٩
ـ اربل : ٥١
ـ الأرثوذكسية : ٢٩ ، ٢٤٢

ـ ارجوزة : ٧٤ ، ١١٢

ـ ارخيون : ٢٣٥

ـ اردشير : ٤٧ ، ٢٣٤

ـ الاردن : ٦٧ ، ٢٤٠

ـ ارساس الأول : ٢٣٤

ـ الارستقراطية : ٢٥ ، ١٣٩ ، ٣٢٩ ، ٣٣٦ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦

ـ الأرشيف (المحفوظات) ودورها : ١٨ ، ٢٥ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٤ ـ ١٧٧ ، ١٩١ ، ١٩٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ـ ٢٤٤ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٧٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٤ ـ ٣٦٦

ـ ارشيف الجنيزة : ٢٣٤

ـ ارطفرل : ٣٢٩

ـ ارغوس (معبد) : ٢٢

ـ اركاديا : ٢٣

ـ أركيولوجيا (علم الآثار) : ١١٠ ، ١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ـ ١٦٢ ، ١٧٥ ، ٢٠٤ ، ٢٢٩ ـ ٢٣٢ ، ٢٤٤

ـ ارندنك (فان) : ١٣٣

ـ ارتيريا : ٢٦٣

ـ اريسطو : ١٩ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٧٨ ، ١٣٢ ، ١٩٢ ، ٢٦٠ ، ٣١٨

ـ الاريوسية : ٢٩

ـ الازتيك : ١٨

ـ ازمة : ٩٥ ـ ٩٧ ، ١١٢ ، ١٣٩ ، ٢٣٧

ـ الأزهر (جامع) : ٥٤

ـ الأسباط : ٦٧

ـ اسبانيا : ٤٧ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ٩٧ ، ١٣١ ، ١٧١ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٣٢٢ ، ٣٣٣

ـ اسبرطة : ١٣٩

ـ استامبول (انظر قسطنطينية ايضا): ٢٥١

ـ الاستجابة : ٣٤٢

ـ الاسحاقي : ١١٣

ـ اسد رستم (انظر رستم) .

ـ الاسرائيليات : ٤١ ، ٦٨

ـ اسرة : ٨٢ ، ٩٨ ، ١١٠ ، ١٢٤ ، ١٥٦ ، ١٧٩ ـ ١٨١ ، ١٨٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ـ ٢٣٣ ، ٢٩٠ ، ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣٢٢ ، ٣٥٠

ـ الاسطورة : ١٦ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٨٤ ، ٣٠٣

ـ اسكندر بن بطرس الأول قره جورجفيتش (ملك يوغوسلافيا) : ٢٩٢

ـ الاسكندر المقدوني : ١٩ ، ٢٦ ، ٥٧ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١٣٢

ـ الاسكندرية : ٢٧ ، ٢٨ ، ٥٧ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١٢٨ ، ١٤٣ ، ٢١٤ ، ٢٤٢ ، ٣٤١

ـ اسلام ـ مسلمون : ٧ ، ١٣ ، ١٤ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ـ ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٣ ـ ٥٥ ، ٥٩ ـ ٦١ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٥ ـ ١١٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٥٥ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ٢١١ ، ٢١٤ ـ ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩ ـ ٢٤١ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٨ ، ٣٠١ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٣

ـ اسلوب : ٨ ، ٢٦ ، ٥٣ ـ ٥٥ ، ٥٩ ، ٧١ ، ٧٥ ـ ٧٧ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١٣٨ ، ١٦٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ـ ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ٣٢٢ ، ٣٣٦ ، ٣٣٩ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨

ـ اسماعيل بن جعفر الصادق : ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٣٢٦

ـ اسماعيل بن حماد (الجوهري) : ٣٠٢

ـ اسماعيل بن عباد (الصاحب بن عباد) : ٢١٧

ـ اسماعيل بن علي (أبو الفداء) : ٥٣ ، ١٣٢ ، ١٣٧

ـ الإسماعيلية : ٢٥٦ ، ٣٢٦

ـ الإسناد : ٧٢ ، ٧٧

ـ إشبيلية ـ ي : ١١ ، ٩٧

ـ الإشتراكية : ٣٣٦ ، ٣٣٨

ـ الأشرف برسباي : ٧٧

ـ اشيلس (البرتغالية) : ١٢٦

ـ الاصطخري (ابراهيم بن محمد) : ١٣٣ ، ١٣٧

ـ الأصفهاني (عماد الدين) : ٥٦ ، ٧٦

ـ اصل ـ اصيل ـ اصالة : ٥ ، ١٣ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥٨ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٣٢ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ـ ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٧٢ ، ١٨٠ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ـ ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ ـ ٢١٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ـ ٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٠٤ ، ٣١٦ ، ٣٢١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨

ـ اصلاح التقويم (الغريغوري) : ١٢٨ ، ٢٥٥

ـ الاصلاح الديني : ٨٦ ، ٨٨ ، ١٩٦

ـ اطلس (تاريخي ـ جغرافي) : ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٤٣ (اطلس الحضارة الغربية : ١٤٦) ، ١٤٧ ، ٢٢٨ ، ٢٨٤ ، ٣٥٩

ـ الاطلنطي (المحيط) : ٩٧ ، ١٣١

ـ اعجمي : ٥٥ ، ٢٥١

ـ إعلام : ٢٠٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٥ ـ ٢٣٩ ، ٢٤٩ ، ٣٤٩

ـ إغريق : ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٥٠ ، ٨٧ ، ١٦٩ ، ٢٦٣ ، ٢٧٣ ، ٣١٦

انظر ايضا (يونان) .
ـ الافراني (مؤرخ) : ١١٥
ـ افريقيا : ٢٤ ، ٣٣ ، ٤٢ ، ٦٦ ، ٨١ ، ١٣٣ ، ١٦٢ ، ١٧١ ، ١٨٥ ، ٢٦٣ ، ٢٧٣
ـ افلاطون : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ١٩٢ ، ٣٤٩
ـ افلوطين (الافلاطونية الجديدة) : ٢٨
ـ اقتصاد (ي) : ٣ ، ٢٢ ، ٣١ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ـ ١٠٣ ، ١٠٦ ـ ١١١ ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ، ١٨١ ـ ١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥٧ ، ٢٨٤ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٥ ، ٣٢٠ ـ ٣٢٢ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٥ ـ ٣٤١ ، ٣٤٦ ـ ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨
ـ اقطاع ـ اقطاعي : ٣٠ ، ٣١ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٩٩ ، ١٤٦ ، ١٦٤ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ٢٣٥ ، ٣٠١ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨
ـ الاقليم ـ الاقليمية : ٢٣ ، ٥٢ ، ١١٢ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٦٠ ، ٣٢٩ ، ٣٤٧
ـ اكاديمية العلوم : ٢٩
ـ اكاد ـ ي : ٣٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣
ـ اكتون (اللورد) : ١٩٥
ـ اكسفورد (جامعة) : ٦ ، ١٥
ـ الاكليروس : ٧٩
ـ اكهل (عالم) : ١٧١
ـ الاكيتين : ١٥٠
ـ الفونس الخامس (الكبير) : ٧٩
ـ المانيا ـ ني : ٥ ـ ٧ ، ٢٩ ، ٨٤ ، ٨٦ ـ ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١٢٥ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٦ ، ١٥٥ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٨٢ ، ٢١٠ ، ٢٢٦ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٤٠ ، ٣٤٩
ـ إله ـ إلهي ـ الهيات : ٢١ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٧٣ ، ٨٤ ، ١٦١ ، ١٧٦ ، ٢١٦ ، ٣٢٥ ، ٣٣١ ، ٣٣٤
ـ الاليانة : ٨٧ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩
ـ اليزابيت (الملكة) : ٨٢
ـ إليس : ٢٣
ـ إمام ـ إمامة : ٢٥٦ ، ٣٠٤ ، ٣٢٦
ـ امبراطور ـ امبراطورية : ٢٧ ، ٢٩ ، ٤٧ ، ٧٩ ، ١٣١ ، ١٩١ ، ٢٠٧ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٩ ، ٢٧٣ ، ٣١٤ ، ٣٣٣ ، ٣٤٧
ـ امة ـ امم : ١٠ ، ٣٥ ، ٦٤ ، ٧٧ ، ١٢٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٣٠٤ ، ٣١٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ ـ ٣٣٥ ، ٣٤٢ ، ٣٥٠ ، ٣٥٨
ـ إمرسون : ٣٤٤ ، ٣٤٦

ـ الامتيازات : ٢١٩ ، ٢٥٤

ـ امريكا : ٦ ، ١٠ ، ١٨ ، ٨١ ، ٨٨ ، ٩٧ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، (الجنوبية) : ١٦٢ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ، ٢٢٦ ، ٢٦٠ ، ٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٢٩ ، ٣٤٤/ ، ٣٥٥

ـ امية ـ اموي : ٣٩ ، ٤٠ ـ ٤٤ ، ٧٤ ، ١٥١ ، ١٨٠ ، ١٩٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٧/ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٣٠٢ ، ٣٥٩

ـ اميزادوكا : ١٢٤

ـ اميانوس مارسيلينوس : ٢٨

ـ اناكسيمندر : ١٣٢

ـ الانثروبولوجيا: (انظر علم الانسان).

ـ الانثروبولوجيا التاريخية : ١٠٦

ـ انثروبونيمي (علم اسماء الاشخاص): ١٧٨

ـ الانجيل : ٢٨ ، ٤٠ ، ٣٣٦

(انظر الكتاب المقدس)

ـ الأندلس : ٣٣ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٧٤ ، ١١٥ ، ١٣٣ ، ١٩٦ ، ٢١٧ ، ٢٥٦ ، ٣٠٢

ـ الاندية (الحضارة) : ٣٤٢

ـ اندروماك : ٢٠

ـ انسان ـ ني : ٩ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٠ـ٣٢ ، ٤٩ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٨ـ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ـ ٨٦ ، ٨٩ ـ ٩٣ ، ٩٩ ، ١٠٠ ـ ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ ـ ٢٤٨ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ـ ٣١٨ ، ٣٢٣ ـ ٣٣١ ، ٣٣١ ، ٣٣٤ ـ ٣٣٦ ، ٣٣٩ ـ ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ ، ٣٧٠ ـ ٣٧٢

ـ إنسبروك : ١٦٨

ـ انستاس الكرملي : ١٧٢

ـ انطاكية : ٢٧ ، ٢١٦

ـ انفاز (فردريك) : ١٨١ ، ٢٣٦

ـ انقرة : ٢٣٤

ـ انكلترة (انكليزي) : ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٥ ، ١٠٥ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٦١ ، ١٧٢ ، ١٩٥ ، ٢٠٤ ، ٢١٠ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٩١ ، ٣٢٨ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤

ـ اوديب : ٢٠

ـ الأوديسة : ٨٧ ، ٢٧٣

ـ اور (تل المقير) : ٢٩ ، ١٢٤ ، ٢٣٣

ـ اوراد فتحية : ٢٨٧

ـ اوربا ـ اوربية : ٥ ، ٧ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٣٠ ـ ٣٢ ، ٥٤ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٦ ـ ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ١٠٢ ، ١٠٩ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ،

١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٦ ،
١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ،
١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ،
١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٦ ، ٢٠٩ ـ ٢١١ ،
٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ،
٢٣١ ، ٢٣٥ ـ ٢٣٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٨ ،
٢٥٢ ، ٢٦٠ ـ ٢٦٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ ـ
٣٢٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٢

ـ اوروزيوس (بول) (هيروشيوس): ٤٧

ـ اوزيبيوس (اوزيب القيصري) : ٢٧ ، ٢٩ ، ٨٠

ـ اوستراليا : ٢٩١

ـ اوغاريت (رأس شمرة) : ١٨ ، ١٣٧ ، ٢١٤ ، ٢٣١

ـ اوغست كونت انظر (كونت) .

ـ اوغستين (انظر سان اوغستين) .

ـ اولمبياد ـ اولمبية : ٢٠ ، ٢٣ ، ١٢٣

ـ اومان (مؤرخ) : ١٧

ـ ايا صوفيا (كنيسة) : ٢٧٣

ـ ايام العرب : ٣٩ ، ٤١ ، ٤٤

ـ اونوماستيك (علم الاسماء) : ١٧٨ ، ١٧٩

ـ ايبلا (تل مرديخ) : ١٨ ، ١٣٧ ، ٢٣٢

ـ ايجنهارد (مؤرخ) : ٢٦٤

ـ ايجيل : ٣٢٩

ـ ايديولوجية : ٩٠

ـ ايراتوستين دوسيرين : ٢٧ ، ١٣٢

ـ ايران ـ ي : ٢١ ، ١٧٨ ، ٢٣٤ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٤١ ، ٣٤٢

ـ إيرلاندة ـ ي : ١٦١

ـ ايزوقراط : ٢٣

ـ ايطاليا ـ لي : ٦ ، ٢٤ ، ٣٣ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ١٠٨ ، ١٣٣ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٩٠ ، ٢١٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٢٧٣ ، ٣٣٣ ، ٣٤٩ ، ٣٥٥

ـ ايكدوتيك (فن نشر النصوص) : ٢٦٧

ـ اينشتاين : ٢٩٤

ـ الأيوبية (الدولة) : ٢١٥

ـ ايوليا : ٢٣

ـ ايونيا : ٢٠٧

ـ ب ـ

ـ البابا : ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٧٤ ، ٢١٨ ، ٢٣٥

ـ الباب العالي : ٢٥٤

ـ بابل ـ ي : ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٧٣ ، ٢٣٠ ـ ٢٣٣ ، ٣٤٢

ـ بادجيت (والتر) : ٣٣٥

ـ البارتنون : ٢٠

ـ البارتية (المملكة) : ٢٣٤

ـ باردو (متحف) : ١٦٢

ـ باردیسو (عالم) : ١٦٨
ـ بارس (بيرس) بن يهوذا : ٦٨
ـ البارلمان : ١٢٨
ـ بارو (اندره) : ٢٣٠
ـ بارونيوس (قيصر) : ٨١
ـ باريس : ٣ ، ٥ ، ٧ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١٧١ ، ١٧٨ ، ٢١٨ ـ ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٣٢ ، ٢٥٤ ، ٢٩٢
ـ الباز العريني (السيد) : ٨
ـ الباطنية : ٣٢٦
ـ باعز بن سلمون : ٦٨
ـ باعوراء : ٣٢
ـ الباعوني (محمد بن احمد) : ٧٨
ـ باقيا : ٧٨ ، ٢١٨
ـ بالماد (مؤرخ) : ١٧
ـ بالرمو : ٢٤١
ـ باليوغرافيا (علم الخطوط القديمة) : ٨٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ٢٥٠ ، ٢٦٠ ، ٢٧٧
ـ الباليوغرافيا العربية : ١٦٤
ـ باليونتولوجيا (العلم الذي يدرس الكائنات الحية التي عاشت خلال الحقب الجيولوجية) : ٨٦
ـ البحر الاحمر : ٢٦٣
ـ بحر إيجة : ٢١
ـ بحر الشمال : ١٣١
ـ بحر قزوين : ٢٣٤
ـ البحر المالح : ٢٩٩
ـ البحر المتوسط : ٨٢ ، ١٠١ ، ١٤١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٣٢٢
ـ بخارى : ٢٩٩
ـ البخاري : ٢٥٧
ـ بختنصر : ٦٧
ـ بدر (غزوة) : ٥٠
ـ البديري الحلاق : ٢١٠
ـ براغماتي (ذرائعي) : ٢٤
ـ البراق (حائط) : ٢٥٠ ، ٢٥١
ـ البرامكة : ٦٦
ـ البربر ـ البربرية : ٢٩ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٩١ ، ٣١٧
ـ بربروس (خير الدين) : ١١٥
ـ البرتغال : ٣٢٢
ـ برتن (جاك) : ١٤٩
ـ البردي (البابيروس) : ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٦ ، ٢٠٦ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٥٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٣
ـ برسباي (الاشرف) : ١٧
ـ برسيئوس المقدوني : ٢٥
ـ برغام : ٢٧ ، ٢١٤
ـ برغامين (شارل) : ١٤٢
ـ برغسون (هنري) : ٢٩٤

ـ بركان فيزوف : ١٥٩
ـ بركليس : ٢٠
ـ برلين : ١٧١ ، ٢٢٠
ـ برنستون (جامعة) : ٢٨١
ـ برنهايم (ارنست) : ٦ ، ٢٩٤
ـ بروتستانتية : ٨٠ ، ٨١ ، ٢٩٠
ـ برودبل (فرنان) : ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٤٠
ـ بروسيا : ٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٢
ـ بروغمان (فردريك كارل) : ١١٣ ، ١٥٥
ـ بروكسل : ١٧١
ـ بروليتاريا : ٣٣٧ ، ٣٣٨
ـ البريد : ٤٦ ، ١٣٣ ، ١٧٥
ـ بريطانيا : انظر (انكلترة)
ـ البساسيري : ٢٥٨
ـ بست (في سجستان) : ٧٤
ـ البستاني (فؤاد افرام) : ٢٨١
ـ بسترمان (تيودور) : ٢٢٥
ـ بسمارك : ٣٣٣
ـ البشارة (يوم) : ١٢٤
ـ البصرة : ٥٠ ، ٥١ ، ١٩٠
ـ البطالمة (دولة) : ٢١٤
ـ بطرسبورغ (لينينغراد) : ٣١٦
ـ بطليموس الثاني (فيلادلفيا) : ٢٦
ـ بعلبك : ٥٢
ـ بغداد : ١٢ ، ١٣ ، ٣٤ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ١١٤ ، ١٣٣ ، ١٥٥ ، ١٩٠ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٣٤١ ، ٣٦٣
ـ البغدادي (أحمد بن عبد الله المشهور بغراب) : ١١٤
ـ البغدادي (الخطيب) : ٤٤ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٧
ـ البقاع : ٢٩٩
ـ البكري الصديقي : انظر (ابن ابي السرور)
ـ بكل (مؤرخ انكليزي) : ٧٠
ـ بكلرباي (وال) : ٢٥٥
ـ بكين : ٢٢٠
ـ بل (الفرد) : ١١
ـ بلسنر : ٣٥ ، ٣٦
ـ البلقان : ٣٣٣
ـ بلاد الرافدين انظر : (مابين النهرين)
ـ بلاد الشام : (انظر الشام)
ـ بلاد الغول (فرنسا) : انظر (الغول)
ـ بلاد ما بين النهرين : انظر (ما بين النهرين)
ـ بلاد النوبة : انظر (النوبة)
ـ البلاذري : ٤٧ ، ٥١ ، ٥٦
ـ بلانك (ماكس) : ٢٩٥

- بلجيكا : ٩٤
- البلطيق (قي) : ١٥٤
- بلعام : ٣٣
- البلقاء : ٣٣
- بلوك (مارك) : ٩٩
- بلينوس : ٢١٤
- البنداري (الفتح بن علي) : ٧٦ ، ٣٦٣
- البندقية : ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣
- البندكيتون : ٨٣ ، ١٢٥ ، ١٦٣ ، ١٦٨
- بنما (قناة) : ١٤٠
- بنو اسرائيل : ٢٨ ، ٣٣ ، ٦٦
- بنو أمية : انظر (امية ـ اموي)
- بنو بويه (بويهي) : ٧١
- بنو قريظة : ٦١ ، ٢٥٨
- بنوهمدان : ٣٧
- بهاء الدولة البويهي : ٢١٥
- بوانيه : ١٣١
- بوب (فرانز) : ١٥٥
- بوتيه (روبير هنري) : ١٧٤ ، ٢٢٩
- بوجوان (غي) : ١٠١ ، ١٠٢
- بودان (جان) : ١٣٩
- بودليان (مكتبة) : ٥٦
- بوده (وليام) : ١٧١
- البوذيه : ٣٢٩ ، ٣٤٢
- بور (نيلز) : ٢٩٥
- البورجوازية : ٣٣٦ ـ ٣٣٨
- بورغونيا : ٨٢
- بورفيروس : ٢٨
- بوركهاردت (يعقوب) : ٩٢
- البورقراطية : ٩٤
- البوريني (الحسن) : ١١٣
- بوزايدون : ١٢٢
- بوسوه (مؤرخ) : ٣٢
- بوغازكوي (هاتوشا) : ٢٢٤
- البوكمال : ٢٣٠
- بوكور (هيرالد و ورث) : ١٤٦
- بوفور (لويس دو) : ٨٤ ، ٨٥
- بولونيا : ٢٣٨ ، ٣٣٣
- بوليبيوس : ٦ ، ٢٣ ، ٢٤ ـ ٢٦ ، ١٩١
- بومبي (مدينة) : ١٥٩ ، ٢٣٥
- بونابرت (نابليون) : ١٤٠ ، ١٥٩ ، ٢١٠ ، ٢٦١ ، ٣٤١ ، ٣٤٤
- بونة (عنابة) : ٣١
- البونت : ٢٤٩
- بوهيميا : ١٣١

- بيان ـ ية (تمثيل) : ١٤٩ ، ٣٥٩ ـ ٣٦١
- بيارن (منطقة) : ١٥١
- بيبان القصير : ٧٩
- بيبليوغرافيا (فهارس) : ١٧١ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ـ ٢٢٣ ، ٢٢٤ ـ ٢٢٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٣ ، ٢٦٧ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٣٢٠
- بيت الحكمة : ٤٨ ، ٢١٥
- بيت المقدس (القدس) : ١٣ ، ٦٧ ، ٢٤٩
- بيتهوفن : ٣٤٩
- بيد (عالم) : ١٢٦
- بير (هنري) : ٩٣ ، ١٠٠
- بيرد (تشارلز اوستن) : ٣٥٥
- البيرنة (جبال) : ١٣١
- بيروت : ٩ ، ١١ ، ٤٩ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ١١٧ ، ١٢٩ ، ٢٠٤ ، ٢٣١ ، ٢٤٢ ، ٣٠٠ ، ٣٢٦ ، ٣٦٣
- بيروز الكلداني (بيروزيوس) : ٢٦ ، ١٢٤
- البيروني (أبو الريحان) : ٤٧ ، ٧١ ، ٧٢
- بيرين (هنري) : ٩٤ ، ٩٩
- بيزة : ٢٤٠
- البيلوبنيز : ٢٠ ـ ٢٢
- بين (اسكندر) : ٤
- البيزنطي ـ ون : ١٥١ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٤
- البيوغرافية (المدرسة) : ٣٤٤
- البيولوجيا : ١٠٢ ، ١٣٥

ـ ت ـ

- التابعون : ٤٣ ، ٥٠
- تابولاريوم : ١٧٧ ، ٢٣٥
- تاريخ : وردت في كل صفحة تقريبا
- التاريخ الاجتماعي : ٣١ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٣٨ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٦
- التاريخ الاسلامي : ٧٤ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١٢٩ ، ١٩٧ ، ٢١١
- التاريخ الاقتصادي : ٣١ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ـ ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٨١ ـ ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٩٦ ، ٢٢٦
- تاريخ البلدان : ٤٨ ، ٥٢
- التاريخ الجغرافي : ١٤١ ، ١٤٢
- التاريخ الحديث : ٥ ، ٦ ، ٧٩ ، ٩٩ ، ١٠٩ ، ١٩٦ ، ٢١٠
- تاريخ الحضارة : ٧ ، ٨٩ ، ٢٢٦
- تاريخ الحيوانات : ١٩
- تاريخ الخاصة : ٤٩
- التاريخ الدبلوماسي : ٩٤ ، ٩٩ ، ٢٠٨

ـ التاريخ الدستوري : ٦ ، ٢٢٦
ـ تاريخ الديانات (التاريخ الديني) : ١٤١ ، ١٦٩ ، ٢٢٤
ـ تاريخ الدول : ٥٤ ، ١١٢
ـ التاريخ الرسمي : ١٧ ، ٢٩ ، ٤٦ ، ٧٦ ، ٢١١
ـ تاريخ الرياضيات : ٢٦
ـ تاريخ السلالات الحاكمة : ٥٤
ـ التاريخ السياسي : ٧ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ٢٠٨
ـ التاريخ الشعري : ٧٦ ، ١٦٥ ، ١٦٦
ـ تاريخ الشعوب : ٢٧ ، ٥٤ ، ٢٨٨ ، ٣٤٠
ـ تاريخ الطب : ٢٦
ـ تاريخ الطبقات : ٤٨
ـ التاريخ الطبيعي : ١٦ ، ١٩
ـ تاريخ العادات : ١٦٩
ـ التاريخ العالمي : ٢٧ ، ٢٩ ، ٤٩ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٩٩ ، ١٨١ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤
ـ التاريخ العام : ٥٣ ، ٥٤
ـ تاريخ العامة : ٤٩
ـ التاريخ العربي : ٥٤ ، ٥٤ ، ٧٣ ـ ٧٥ ، ١١٨ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٦٤ ، ١٩٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ، ٢٤ ، ٢٤٢ ، ٣٤٥
(انظر كذلك : العرب)
ـ التاريخ العسكري : ٣٨
ـ تاريخ العصور القديمة : ٢١٣
ـ تاريخ العصور الوسطى : ٦ ، ٣٢
(انظر ايضا : العصور الوسطى)
ـ تاريخ عصور ما قبل التاريخ : ١٨٤
ـ تاريخ العلوم : ٢٢٤
ـ تاريخ الفرس : ٤٦
ـ التاريخ الفكري : ٨٩ ، ٩٣
ـ تاريخ الفلسفة : ٢٦
ـ تاريخ الفن : ٢٦ ، ١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٧٦
ـ التاريخ الكلي : ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٨
ـ التاريخ الكنسي : ٢٩ ، ٨١
ـ التاريخ الكمي : ١٨٦ ، ٣٥٨
ـ تاريخ المدن : ٢٣ ، ٥٣ ، ١١٢
ـ التاريخ المعاصر : ٥٤ ، ٧٧ ـ ٧٩ ، ٩٢ ـ ٩٣ ، ٩٧ ، ١٠٧ ، ١٩٦ ، ٢٤٤
ـ تاريخ النبات : ١٩
ـ تاريخ نفسيات الشعوب : ٨٩ ، ١٠٣ ، ١٨٩
ـ تاسيتوس : ٢٨ ، ١٩٢ ، ٣١٤
ـ التبابعة : ٦٦
ـ التتر : ٢١٥ ، ٢١٦

ـ التجريح : ٢٥٩ ؛ ٦١ ـ ٦٣ ؛ ٧٨ ؛ ٢٨٨
ـ التحدي : ٣٤٢
ـ التحليل الطيفي : ١٦٢
ـ التحليل : ١٠ ؛ ١٠٣ ؛ ١٠٤ ؛ ١٠٧ ؛ ١٠٨ ؛ ١١١ ؛ ١٥١ ؛ ١٦١ ؛ ١٦٨ ؛ ١٧٩ ؛ ١٨٢ ؛ ١٩٧ ؛ ٢٠٠ ؛ ٢٢٢ ؛ ٢٤٧ ؛ ٢٤٨ ؛ ٢٥٠ ؛ ٢٧٠ ؛ ٢٨٢ ؛ ٢٨٤ ؛ ٢٨٦ ؛ ٢٩٥ ؛ ٣٠٢ ؛ ٣٠٦ ؛ ٣١٦ ؛ ٣٢١ ؛ ٣٦٧ ؛ ٣٦٩ ؛ ٣٧٠
ـ تحوتمس الثالث : ٢٤٩
ـ تحوتمس الاول والثاني : ٢٤٩
ـ تدمر : ١٣٨ ؛ ١٥٠
ـ تراجم (الاشخاص) : ٨ ؛ ٢٧ ؛ ٣٥ ؛ ٤٨ ؛ ٥٠ ؛ ٥٨ ؛ ٧١ ؛ ٧٦ ؛ ٧٩ ؛ ٨٠ ؛ ١١١ ؛ ١١٤ ؛ ١١٦ ؛ ١١٧ ؛ ١٣٣ ؛ ١٨٧ ؛ ١٨٩ ؛ ٢٦٨ ؛ ٢٨٤ ؛ ٣٤٤ ؛ ٣٤٥
ـ الترجمة السبعينية التوراة : ٢٦
ـ ترك (آتراك) : ٧٦ ؛ ١١٣ ؛ ١٣٠ ؛ ٢٢٣ ؛ ٢٥٨ ؛ ٣١٤ ؛ ٣٢٢
ـ تركيا : ١٧٨ ؛ ٢٣٤ ؛ ٢٤١ ؛ ٢٥١
ـ تركيب تاريخي : ٢٢ ؛ ٧٠ ؛ ٧٢ ؛ ١٠٣ ؛ ١٠٧ ؛ ١١٢ ؛ ١١٨ ؛ ١٤٣ ؛ ١٥٤ ؛ ١٥٦ ؛ ١٦٢ ؛ ١٦٩ ؛ ١٨٣ ؛ ١٨٩ ؛ ١٩٤ ؛ ١٩٨ ؛ ٢٠٣ ؛ ٢٢٩ ؛ ٢٧٢ ؛ ٣٠٦ ؛ ٣٠٧ ؛ ٣١٢ ؛ ٣١٧ ؛ ٣٢٠ ؛ ٣٢٥ ؛ ٣٤٥ ؛ ٣٤٦ ؛ ٣٥٠ ؛ ٣٥٢ ؛ ٣٥٨ ـ ٣٦٠ ؛ ٣٦٢
ـ التركمان : ٨ ؛ ١٣
ـ تروست (اتحاد صناعي محلي) : ٣٣٧
ـ تريغفلي : ١٢٦
ـ التسجيل الصوتي : ٢٠٦ ؛ ٢٠٧ ؛ ٢١٢ ؛ ٢١٣ ؛ ٢٣٩ ؛ ٢٤٤
ـ تشرشل (ونستون) : ٢١٠
ـ التشريع : ٣١ ؛ ٦٣
ـ تشيجفسكي : ١٠٢
ـ التصحيح (نقد) : ٢٧٤
ـ تصنيف : ١٥٦ ؛ ٢٠٤ ـ ٢٠٦ ؛ ٢١٩ ؛ ٢٢١ ؛ ٢٢٢ ؛ ٢٢٧ ؛ ٢٣٦ ؛ ٢٤٢ ؛ ٢٨٠ ؛ ٢٩٨ ؛ ٣٠٧ ؛ ٣٠٨ ؛ ٣٠٩ ؛ ٣١١ ؛ ٣١٢ ؛ ٣١٧
ـ تصوير : ١٠٥ ؛ ١٦٢ ؛ ٢١٢ ؛ ٢١٣ ؛ ٢٢٠ ؛ ٢٢١ ؛ ٢٧٧
ـ التصوير الجوي : ١٥٠ ؛ ١٦٢
ـ تصوير فوتوغرافي : ٢١٢ ؛ ٢١٣ ؛ ٢٢٠ ؛ ٢٢٨ ؛ ٢٤٣
ـ تصوير سينمائي : ٢١٢
ـ التصوير الشعاعي : ١٦٢
ـ التطور : ٣ ؛ ٥ ؛ ٨ ؛ ١٤ ـ ١٦ ؛ ٣٠ ؛ ٣١ ؛ ٣٨ ؛ ٦٥ ؛ ٨١ ـ ٨٣ ؛ ٨٦ ؛ ٨٩ ؛ ٩٢ ؛ ٩٣ ؛ ٩٤ ؛ ٩٦ ؛ ٩٧ ؛ ١٠١ ؛ ١٠٦ ؛ ١٠٧ ؛ ١٠٨ ؛ ١١٠ ؛ ١١٧ ؛ ١١٨ ؛ ١٢٥ ؛ ١٣٢ ؛

١٤٢ ، ١٥٢ ـ ١٥٤ ، ١٥٦ ـ ١٥٨ ،
١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ،
١٧٨ ـ ١٨١ ، ١٨٤ ـ ١٨٦ ، ١٨٩ ،
١٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٣ ، ٢٢٧ ، ٢٣٧ ،
٢٥٢ ، ٢٨٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٣١١ ،
٣١٢ ، ٣١٦ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٧ ،
٣٣٠ ، ٣٣٥ ـ ٣٣٧ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ـ
٣٤٩ ، ٣٥٦ ـ ٣٥٩ ، ٣٧٢

ـ التعديل : ٥٩ ، ٦١ ـ ٦٤ ، ٧٨ ،
٢٨٨

ـ التعليل (التفسير) : ٢١ ، ٢٢ ،
٣٢ ، ٤٥ ، ٦٤ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٧ ،
٧٩ ، ٩٣ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١٤١ ،
١٤٧ ـ ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ،
١٨٤ ، ١٨٦ ـ ١٨٩ ، ١٩٦ ، ٢٤٨ ،
٢٦٦ ، ٢٨٤ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ،
٣٢٣ ، ٣٢٧ ، ٣٣٦ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ،
٣٤٦ ـ ٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ،
٣٦٩

(انظر ايضا سبب)

ـ تعميم : ٣١٢ ، ٣١٦ ، ٣٢٤ ،
٣٤٣ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢

ـ التفسير (علم) : ١٢ ، ١٣ ، ٤١ ،
٦٥ ، ٢٨٣ ، ٣٣٩

ـ التقنية : ٣ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٢ ،
٢٦ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٨١ ، ٨٧ ، ٨٩ ،
١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،
١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ،
١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ،
١٧٤ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ، ١٩٤ ، ٢١٣ ،
٢٣٧ ، ٢٦٩ ، ٢٨٣ ، ٣١٠ ، ٣٤٢ ،
٣٤٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠

ـ التقويم : ١٨ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٩ ،
٧١ ، ١٢١ ـ ١٣١

ـ التقويم الشمسي : ١٨ ، ١٢٣

ـ التقويم الغريغوري : ١٢١ ، ١٢٦ ،
١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩

ـ التقويم القمري : ٣٦

ـ التقويم الكنسي : ١٢

ـ التقويم الهجري : ٣٤ ، ٣٦ ، ١٢٣ ،
١٢٦ ، ١٢٩

ـ التقويم الميلادي : ١٢١ ، ١٢٢ ،
١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٩

ـ التقويم اليولياني : ١٢٨

ـ تل حريري (ماري) ٢٣٠

(انظر ماري ايضا)

ـ التلفزيون : ٢٣٩

ـ تللو (لاغاش) : ٢٣٣

ـ تل مرديخ (إيبلا) : ١٨ ، ١٣٧ ،
٢٣٢

ـ تل المقير (أور) : ٢٢٣

ـ تلمسان : ١١٥ ، ٢١٧

ـ التلمساني (محمد بن عبد الله الشهير بابن مريم) : ١١٥

ـ التلمساني (محمد بن محمد بن عبد الرحمن) : ١١٥

ـ التمثيل البياني (الغرافي) : ١٤٧ ـ ١٥٠

ـ التميمي (عبد الجليل) : ١٣٠

ـ ثور (التوري) : ٣٠

ـ التوراة : ٣٣ ، ٤٠ ، ٤٤ : ٦٧ ، ٨٢ ، ١٣٣ ، ١٥٨

ـ تورغو : ٣٢٨

ـ التوقيت : ٢٩ ، ٣٥ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٧ ، ١٢١ ـ ١٢٧ ، ١٣١ ، ٣٠٢ ، ٣١٧

(انظر علم التوقيت)

ـ توكيديديس : ٢٠ ـ ٢٣ ، ١٩١ .

ـ توماس (هنري) : ٣٢٤

تونس ـ سي : ١١ ، ٣٤ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٦٢ ، ١٩٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠

ـ توينبي : ١٠٥ ، ١٩٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣

ـ تيت ليف : ٢٨ ، ١٩١

ـ تيستا (دو) : ٢٥٤ ، ٢٥٥

ـ تيسيان (فنان) : ٢٤٧

ـ تيمه (تيماوس) : ٢٣

ـ تيمورلنك : ١١

ـ تين (مؤرخ) : ٩٢

ـ التيه : ٦٦ ، ٦٧

ـ تيودورا (الامبراطورة) : ٢٧٢

ـ تيوفراستوس : ١٩ ، ١٣٢

ـ تيولوجيا (علم الإلهيات) ٣١ ، ٣٢ ، ٤٧ ، ٣٧٥

(انظر ايضا إلـه)

ـ ث ـ

ـ ثريا عبد الفتاح ملحس : ١٠

ـ الثقافة ـ في : ٦ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٤٦ : ١٠٥ ، ١١٠ ، ١٤٦ ، ١٥٦ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٨ ، ٢٢٣ ، ٢٤٣ ، ٢٩٦ ، ٣٠٦ ، ٣١١ ، ٣٢٤ ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٣٦٨ ـ ٣٧١

ـ الثلث (خط) : ١٦٤

ـ ثعلب (الشيخ) : ٢٨٧

ـ الثمودي ـ ة : ٣٧ ، ١٦٤

ـ الثورة : ٤ ، ٣٢ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٥ : ٩١ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٩ ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٣٩ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ١٩١ ، ١٩٦ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٣٠٨ ، ٣١٧ ، ٣٣٦ ـ ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٧

ـ الثورة البلشفية : ٣٣٩

ـ الثورة الصناعية : ٩٤

ـ الثورة الصينية : ٣٣٩

ـ الثورة الفرنسية : ٢٩ ، ٨٥ ، ٩١ ، ٩٧ ، ١٠٩ ، ١٢٦ ، ١٣٩ ، ١٨٦ ، ١٩١ ، ٢١١ ، ٢٥٣ ، ٣٢٨ ، ٣٥٨

ـ ثورات الفروند : ١٠٢

ـ الثورة الكوبرنيكية : ٢٤١

ـ ج ـ

ـ جائزة نوبل : ١٢٥ ، ٢١٠ ، ٢٩٤

ـ الجاحظ : ١٤٠ ، ١٩٠ ، ٢١١

ـ جامع الزيتونة : ٢١٧

ـ جامع القرويين : ٢١٧

ـ جامعة : ٣ ، ٦ ، ٩ ، ١٠ ، ١٨ ، ٣٤ ، ٥٤ ، ٨٠ ، ٨٩ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٨ ، ١٣٤ ، ١٤٦ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٨٦ ، ١٩٢ ، ٢٠٢ ، ٢١٨ ، ٢٨٢

ـ جامعة ادنبره : ٣٤

ـ جامعة اكسفورد : ٦

ـ جامعة انسبروك : ١٦٨

ـ جامعة باريس (الصوربون) : ٦ ، ٢٢٥

ـ جامعة برنستون : ٢٨١

ـ جامعة بيروت الامريكية : ٩ ، ١٠ ، ١١٧

ـ جامعة جنيف : ١٧٨

ـ جامعة دمشق : ١٠

ـ جامعة ستراسبورغ : ٩٩

ـ الجامعة العربية : ٢٢١

ـ جامعة غرايفرفالد : ٦

ـ جامعة القاهرة : ١٧٨ ، ٣٠٢

ـ جامعة القديس يوسف : ٣٠٢

ـ جامعة كمبريدج : ١٩٥

ـ جامعة كولومبيا : ٣٥٥

ـ جامعة لايدن : ٨٠

ـ جامعة لندن : ٣ ، ٨ ، ٣٢ ، ١٠٥

ـ جامعة موسكو : ١٠٢

ـ جامعة مونبليه : ١٠٢

ـ جامعة هارفارد : ٩٦

ـ جامعة هـال : ١٦٨

ـ جامعة يـال : ٢٥٣

ـ جانبردي الغزالي : ٢٩٩

ـ جان دارك (كتاب) : ٢١٥

ـ الجاهلية (العصر الجاهلي) : ٣٤ ، ٣٩ ـ ٤١ ، ١٢٣ ، ١٥٦ ، ١٨٠ ، ١٩٠

ـ جبرائيل جبور : ١٢

ـ الجبرتي : ١١٤

ـ جبيل ـ ي : ٢٧

ـ الجدل ـ الجدلية : ٣ ، ٢٩ ، ٨٢ ، ١٣٩ ، ٢٥٤ ، ٣٢٧ ، ٣٣١

ـ الجراكسة (المماليك) : ٣٠٠

ـ جرجي زيدان : ٨

ـ جرمانيا ـ مني : ٢٨ ، ٧٩ ، ٨٨ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٩٦ ، ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣

ـ الجزائر : ١١٥ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠

ـ الجزري (علي بن محمـد الشيباني المعروف بابن الاثير) : (انظر : ابـن الاثير)

ـ جزيرة ابن عمر : ٥٣

ـ جزيرة الفديسة هيلانة : ٢١٠

ـ جستنيان (الامبراطور) : ٢٧٣

ـ جعفر البرمكي : ٦٦

ـ جعفر الصادق : ٢٥٦

ـ الجغرافيا : ٢٢ ، ٣٣ ، ٤٧ ، ٥١ ـ ٥٦ ، ٦٦ ، ٧١ ـ ٧٤ ، ٨١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١٠٠ ـ ١٠٢ ، ١٣١ ـ ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ـ ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٥١ ـ ١٥٤ ، ١٦٩ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢١١ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٨٤ ، ٣١١ ، ٣٢١ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٦

ـ الجغرافيا الاجتماعية : ١٣٥

ـ الجغرافيا الاقتصادية : ١٣٥

ـ الجغرافيا البشرية : ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥

ـ الجغرافيا التاريخية : ١٣٢ ، ١٤١ ـ ١٤٢ ، ١٤٦

ـ الجغرافيا الحيوانية : ١٣٥

ـ الجغرافيا الديموغرافية : ١٣٥

ـ الجغرافيا الرياضية : ١٣٢

ـ الجغرافيا السياسية : ٩٧ ، ١٤٢

ـ الجغرافيا الطبيعية : ١٣٥ ، ٣٠٩

ـ جغرافية علم الخطوط : ٢٥٩

ـ جلال الدين السيوطي : ١٢

ـ الجمل (حساب) : ١٦٥

ـ الجمهورية : ٢٥ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ، ٢٣٥

ـ جنكيز خان : ٢١٦

ـ جنسوة : ٢٤٠

ـ الجنيزة (وثائق) : ٢٤٠

ـ جنيف : ١٧٨ ، ٢٩٤

ـ جواد علي : ٨ ، ٣٧ ، ١٥٥

ـ جوانفيل (جان دو) : ١٨٧

ـ جورج حداد : ٢١٥ ـ ٢١٧

ـ جورج الثالث : ٩٥

ـ جورج يني : ٢٨١

ـ الجوزي (ابن) : ٥٦

ـ جوغلار (كليمان) : ٩٥

ـ جوفروا (تيئودور) : ٣٣٤

ـ الجوكوندا : ٣٤٩

ـ جونز : ١٢٥

ـ جونسون (هنسري) : ١٨ ، ٧٠ ، ٢٠٥ ، ٣٥٤

ـ الجوهري : ٣٠٢

ـ جيفونز (ستانلي) : ٣

ـ جيلبروي : ٢٦٦

ـ جيولوجيا : ٤ ، ٨٦ ، ٢٠٤ ، ٢٢٩ ، ٢٤٩

ـ ح ـ

ـ حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله) : ٢٢٣

ـ الحافظ بن سيد الناس : ٢٩

ـ الحاكم بامر الله الفاطمي : ٢١٥

ـ حاوي (رسول الكركوكلي) : ١١٤

ـ الحبشة ـ بة : ٥٠ ، ١٥٥

ـ حتشبسوت : ٢٤٩
ـ الحتمية : ٤ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٥٢ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٦٨
ـ حتي (فيليب) : ٨
ـ الحجاج الثقفي : ٦٢ ، ٢٥٧
ـ الحجاز : ١٣ ، ٤٥ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ١١٤ ، ١٢٢
ـ حجر رشيد : ١٦١
ـ حداد (جورج) : ٢١٥ ـ ٢١٧
ـ الحديث (علم) ـ المحدثون : ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٤٢ ـ ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٠ ـ ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٧١ ، ٢٤٨ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ ، ٢٨٩
ـ حرّان : ١٣
ـ الحرب العالمية الاولى : ٩٤ ، ٩٥ ، ١٢٦ ، ١٤٢ ، ٢٩٢
ـ الحرب العالمية الثانية : ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١٢٦ ، ١٤٢ ، ٢١٠ ، ٢٣٧ ، ٣٤٠ ، ٣٤٨
ـ الحروب الايطالية : ٢١٨
ـ حروب البيلوبنيز : ٢٠ ـ ٢٢ ، ١٩١
ـ الحروب البونية : ٢٥
ـ حروب الردة : ٤٢ ، ١٤٣
ـ الحروب الصليبية : ٨ ، ٣٣ ، ١٣٣ ، ١٨٧ ، ٢١٥ ، ٢١٨
ـ الحروب الميدية : ٢١
ـ حساب الجمّل : ١٦٥
ـ حسان بن زيد : ٢٥٧
ـ حسامي (راتب) : ٢١٥ ـ ٢١٧
ـ حسن عثمان : ٩
ـ حسين بن احمد (الهمداني) : ٣٧
ـ حسين بن عبد الله بن سينا : ٢١٦
ـ حسين خوجه : ١١٦
ـ حصرون بن بارس : ٦٨
ـ الحصري (ساطع) : ٢١٠
ـ الحضارة : ٧ ، ١٠ ، ١٧ ـ ١٩ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٤٦ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٧ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ٢٢٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٩٥ ، ٣١٧ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٩ ـ ٣٤٣ ، ٣٤٧ ، ٣٦٣ ، ٣٧١
ـ حضرموت : ١١
ـ الحفريات (الاثرية) : ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٧٢ ، ١٩٧ ، ٢١٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٥٢
ـ الحفصية (الدولة) : ١١٦
ـ الحكم بن عبد الرحمن الناصر (المستنصر) : ٢١٧
ـ حكمدار : ٢٥٠
ـ الحلاق (البديري) : ٢١٠

ـ حلب : ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ١٩٧ ، ٢٣٢ ، ٢٤٠ ـ ٢٤٢ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩٩ ، ٣٦٤

ـ الحلفاوي (نور الدين) : ٢١٠

ـ حماة (الحموي) : ٤١ ، ٥١ ، ٥٣ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٩٧ ، ٢٤٠ ، ٣٠١

ـ حماد بن زيد : ٢٥٧

ـ حماد الراوية : ٤١

ـ حمزة الأصفهاني : ٤٧ ، ٧١

ـ حمص : ٤٠ ، ٣٠١

ـ حمودة بن عبد العزيز : ١١٦

ـ حمورابي : ١٢٤ ، ٢٣١ ، ٢٣٢

ـ حميد الله : ٣٨

ـ حمير : ٣٧ ، ٤٠ ، ٧٦

ـ حواريون : ٨١

ـ حوران : ٥١

ـ حوليات : ١٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٥ ، ٥٣ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٨١ ، ١٠٠ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ٢٦٤ ، ٢٨٥ ، ٣٠٩

ـ الحيثية : ٢٣٣ ، ٣٤٢

ـ حيدر آباد : ٥٦

ـ الحير (قصر) : ١٥١

ـ الحيرة : ٣٧ ، ٤٢

ـ خ ـ

ـ الخاصكية : ٣٠٠

ـ خبر (أخبار ، أخباري) : ٩ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٤٠ ـ ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٥ ـ ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٩١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٣٣ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٨٨ ـ ٢٩٠ ، ٣٠٤

ـ ختم ، خاتم ، اختام : ٥٧ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٨٠ ، ١٩٣ ، ٢٦١

(انظر علم الاختام)

ـ خداينامه (سير الملوك) : ٤٦

ـ خديوي : ١٤٠

ـ خراسان : ١٣ ، ٤٥ ، ٦٧ ، ٢٣٤ ، ٣٠٣

ـ خريطة ـ طي ، علم الخرائط : ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ـ ١٥٢ ، ٢٠٥ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٨٤ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ ، ٣٦٦

ـ الخزائن النورية : ٢١٦

ـ الخط : ١٦٢ ـ ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٦ ـ ١٧٨ ، ١٩٣ ، ٢٠٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ـ ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٣٠٩

(انظر ايضا الباليوغرافيا)

ـ الخط الثمودي : ٣٧

ـ خط الجناح : ١٦٤

ـ الخط الحيري : ١٦٤

ـ الخط الديواني : ١٦٤

ـ الخط الرقعي : ١٦٤

ـ الخط الصفوي : ١٦٤
ـ خط الطومار : ١٦٤
ـ الخط العثماني : ١٦٤
ـ الخط العربي : ١٦٤
ـ خط الغبار : ١٦٤
ـ الخط الفارسي : ١٦٤
ـ خط القيرمه : ١٦٤
ـ الخط الكوفي : ١٦٤
ـ الخط اللحياني : ٣٧ ، ١٦٤
ـ الخط المسند : ٣٧ ، ١٦٤ ، ١٧٧
ـ الخط المغربي : ١٦٤
ـ الخط النبطي : ٣٧ ، ١٦٤
ـ الخط النسخي : ١٦٤
ـ الخطوط القديمة(علم) (الباليوغرافيا): ١٦٢ ـ ١٦٤
ـ الخطيب البغدادي : ٢٥٦
ـ الخليج العربي : ٢٦٣
ـ خليل ساحلي : ١٣٠
ـ الخليفة ـ الخلافة : ١٢ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٢ ـ ٤٤ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٧٤ ـ ٧٧ ، ١١٥ ، ١٣٣ ، ١٤٣ ، ١٥١ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٨٧ ، ١٩٦ ، ٢١٥ ـ ٢١٧ ، ٢٤٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٣١٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٥٩
ـ الخوارج : ١٣
ـ خوجه (حسين) : ١١٦
ـ خوزستان : ٢١٥
ـ خيبر : ٣٨ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨
ـ خير الدين بربروس : ١١٥
ـ خيرونيا : ٨٠
ـ خيوس (جزيرة) : ٦

ـ د ـ

ـ دار الحديث (دمشق) : ١٢
ـ دار الحكمة : ٢١٥
ـ دار العلم : ٢١٥
ـ دار القراطيس : ٤٣ ، ٢٣٩
ـ دارة القصور (في الشام) : ١٥١
ـ دار الكتب المصرية : ٢٨١ ، ٢٩٩
ـ داريوس : ٢٠٧
ـ داڤنشي (ليوناردو) : ٣٤٩
ـ الدانمارك ـ كي : ١٥٥ ، ٢٩٥
ـ دربي (الكونت) : ٢٦٢
ـ درمبر (فردريك فان) : ١٤٦
ـ داود بن يشا (النبي) : ٦٨
ـ الدبلوماسية: ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٨ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٦٧ ، ١٩٢ ، ٢٠٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٣١١
ـ دجلة (نهر) : ٢٣٣
ـ درويزن : ٥
ـ دكتوراه (رسالة) : ٢٠٢ ، ٢٢٥

ـ دلهي : ٢٢٠

ـ دمشق : ١١ ـ ١٤ ، ٢٠ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٧٢ ، ١١٣ ، ١٧٨ ، ١٩٧ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٣٣ ، ٢٤٠ ، ٢٨٦ ، ٢٩٩ ـ ٣٠١ ، ٣٦٤

ـ دنيز الصغير : ١٢٣

ـ دوبروغلي : ٢٩٥

ـ دوتيستا : ٢٥٥

ـ دوتش ـ شتات (مكتبة) : ٢٢٠

ـ دوروي (فكتور) : ١٤١

ـ الدوري (عبد العزيز) : ٨

ـ الدورية ـ الدوريات : ٦ ، ١٠ ، ٨٩ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢٢٤ ـ ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٣٦٦

ـ دور المحفوظات : ٢١١ ـ ٢١٣ ، ٢٢٦ ، ٢٤٤

ـ دوغول (الجنرال) : ٢١٠

ـ دوم مابيون : انظر (مابيون)

ـ دونو (بيير كلود) : ١٩١

ـ الدويهي : ١١٣

ـ الديبلوماتيك (علم) : انظر (علم الوثائق)

ـ ديدرو : ٩١

ـ الدير البحري (معبد) : ٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠

ـ ديلتي (ويلهلم) : ٩٣ ، ١٠٥

ـ ديكارت : ٣٢٨

ـ الديموغرافيا (علم السكان) : ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٩٧ ، ٣٠٩ ـ ٣١١

ـ الديموقراطية : ٢٥ ، ٨٥ ، ٣٣٠ ، ٣٣٥ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥

ـ الدين ـ ني : ٢ ، ١٤ ، ٢٨ ، ٤٣ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٣ ـ ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٩ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ـ ١٨٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ـ ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٩٠ ، ٣٠٩ ، ٣١٤ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣٤ ـ ٣٣٩ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦

ـ الديوان ـ ني : ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٦٨ ، ٧٩ ، ١٦٤ ، ١٩٠ ، ٢١٧ ، ٢٥١

ـ ديوان التحقيق (محكمة التفتيش) : ٧٩ ، ٢٤٠

ـ ديوان الخانم : ١٧٤

ـ ديوان الرسائل : ١٧٤

ـ ديوك (الربي) : ٣٥٥

ـ ذ ـ

ـ الذرائعي (التاريخ) : ٢٤

ـ الذهبي (محمد بن احمد بن عثمان) : ١٣ ، ٤٩

ـ ذوقار : ٣٦

ـ ر ـ

ـ راس الرجاء الصالح : ٣٢٢

ـ راس شمرة (اوغاريت) : ١٨ ، ١٣٧ ، ٢٣١

ـ رابله : ٩٩

ـ راتب الحسامي : ٢١٥

ـ رانزل : ١٣٦ ، ١٤٢ ، ٣٤٨

ـ راسك (رسموس كريستيان) : ١٥٤

ـ راسمالي ـ راسمالية : ٩٤ ، ٣٣٦ ـ ٣٣٨

ـ الراشدي (الخليفة ، العصر) : ٣٩ ، ٤٢ ـ ٤٤ ، ٧٤ ، ١٤٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٤٠ ، ٣٥٩

ـ رافنشتاين : ٢٦٣

ـ رانكة (فون) : ٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ١٩٦ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥

ـ الرباط (مدينة) : ٢٢١ ، ٣٦٤

ـ الرتابة (الكومبيوتر) : ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٨٦ ، ٢١٩ ، ٣٥٨

ـ رحلة ـ رحلات : ٧٢ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١٣٢ ـ ١٣٤ ، ٢١٨ ، ٢٦٣ ، ٢٨١ ، ٢٩٢

ـ رستم (القائد الفارسي) ٦٧

ـ رستم (اسد) المؤرخ : ٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٨٠ ، ٢٨١

ـ الرسول (محمد ، ص) : ٣٨ ـ ٤٤ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٨ ـ ٦١ ، ٧٤ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٧٤ ، ٢٣٩ ، ٢٥٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠٤ ، ٣١٢

ـ الرشيد (الخليفة العباسي) : ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ١٣١ ، ٢١٥

ـ رشيد (حجر) : ١٦١

ـ رفاعة رافع الطهطاوي : ٥٤

ـ رم بن حصرون : ٦٨

ـ رنك (علم الرنوك) : ١٧٥ ، ١٨٠ ، ١٨١

ـ الرواحية (المدرسة) : ٢٨٦ ، ٢٨٧

ـ الرواقية (الفلسفة) : ٢٧

ـ الرواية : ٣١ ، ٣٩ ، ٤١ ـ ٤٥ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ـ ٦٢ ، ٧١ ـ ٧٣ ، ٧٧ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ١٢٢ ، ١٥٨ ، ١٩٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١١ ، ٢٢٩ ، ٢٤٤ ، ٢٥٥ ـ ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٨٨ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ـ ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٧٢

ـ الرواية الشفوية : ٣١ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٣ ، ١٥٨ ، ٢٠٤ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤

ـ روبرتسون (ويليام) : ١٩٢

ـ روبنسن (جيمس هارفي) : ٣٥٥

ـ روجر الثاني (ملك صقلية) : ١٤٣

ـ روزنثال (فرانز) : ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ـ ٥٧ ، ٦١ ، ٧١ ـ ٧٤ ، ٢٥٨ ، ٣٦٢

ـ روسو (جان جاك) : ٨٥
ـ رولنصون : ١٦١
ـ روسيا (الاتحاد السوفيتي) : ١٢٩ ، ١٤٠ ، ٢٣٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣
ـ الروم (البيزنطيون) ـ الرومي : ٤٧ ، ٥١ ، ٦٦ ، ٣٤٢
ـ روما : ٢١ ، ٢٣ ـ ٢٥ ، ٢٧ ، ٦٩ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٧٠ ، ١٩٢ ، ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٣٥ ، ٢٤١ ، ٣٣٣
ـ الرومان ـ ني : ٦ ، ٢٣ ـ ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٨ ، ٩١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣١ ـ ١٣٣ ، ١٤٦ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٩١ ، ٢١٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٦٠ ، ٢٧٣ ، ٣١٤ ، ٣٣٢ ، ٣٦٨
ـ رومانوس (الامبراطور) : ٤٧
ـ رومانيا : ٢٣٨
ـ رومي : ٢٥٥
ـ الرومنطيقية (الابداعية) : ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠
ـ روموس : ١٨
ـ رنوڤن (بيير) : ٩٩ ، ١٠٠
ـ الرياضيات : ٢٦ ، ٧١ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٤٣ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢١٦ ، ٢٥٣ ، ٢٩٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣٤ ، ٣٥٢
ـ ريتر : ١٣٤
ـ ريشليو : ٢٢٣
ـ رينان (ارنست) : ٥

ـ ز ـ

ـ زاوية (صوفية) : ٢٥٩ ، ٢٦٠
ـ زانزيبار (زنجبار) : ٢٣٤
ـ زبيدي (ي) : ١١٤
ـ الزبير بن العوام : ٤٣
ـ الزركشي : ١١٦
ـ الزركلي (خير الدين) : ١١ ، ٤٠ (انظر الاعلام في فهرس الكتب)
ـ زكي محمد حسن : ٨
ـ الزمن : ٣ ، ٤ ، ٩ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٥٠ ، ٦١ ، ٧٠ ـ ٧٢ ، ٧٩ ـ ٨١ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٨ ـ ١٠١ ، ١١٤ ، ١٢٠ ـ ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ـ ١٣٧ ، ١٤٢ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ـ ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٧ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٧ ، ٢٢٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ ـ ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧٥ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٢ ـ ٣٥٤ ، ٣٥٦ ـ ٣٦١ ، ٣٦٤

ـ الزندقة : ٤٦
ـ الزنكيون : ٢١٥
ـ الزهرة (كوكب) : ١٢٤
ـ الزهري (الشهاب) : ٤٣ ، ٤٤ ، ٦٧
ـ الزوراء (بغداد) : ١١٤
ـ زيادة (محمد مصطفى) : ٨
ـ زياس (رب الآلهة اليونان) : ٢٢
ـ الزياني (ابو القاسم) : ١١٥
ـ الزيتونة (جامع) : ٢١٧
ـ زيدان : (انظر جرجي زيدان)
ـ الزيدية : ١١٤
ـ زينون : ٢٧

ـ س ـ

ـ سابور بن اردشير : ٢١٥
ـ ساحلي (خليل) : ١٣٠
ـ الساسانية (الدولة) : ١٧٢ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤
ـ ساطع الحصري : ٢١٠
ـ سالوست : ٢٨
ـ السامانية (الدولة) : ٢١٦
ـ سامي ـ ساميون : ١٥٤ ، ١٥٥ ، ٢٣٢
ـ سان اوغوستين : ٣٠ ، ٣١ ، ٤٧ ، ٢١٨ ، ٣٢٥
ـ سان بارتلمي (مذبحة) : ٢٩٠
ـ سان جيروم : ٢٩
ـ سان غال (دير) : ٢٦٤
ـ سان ماركو : ٢١٨
ـ سبب (السببية) : ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٨ ، ٦٠ ، ٦٢ ـ ٦٤ ، ٧٢ ـ ٧٥ ، ٩١ ـ ٩٧ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٨٦ ، ٢٥٧ ، ٢٧٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ـ ٣٢٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٤٣ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦١ ، ٣٦٦
(انظر ايضا التعليل)
ـ سبط بن الجوزي :(انظر ابن الجوزي)
ـ السبعية (الاسماعيلية) : ٣٢٦
ـ السبعينية (الترجمة) : ٢٦
ـ ستانلي لين بول (مؤرخ) : ١٧١
ـ ستانلي (وليام) : ٢٦٢
ـ ستيس : ٦
ـ ستراسبورغ : ٩٩ ، ١٠٩
ـ ستراوس (كلود ليفي) : ١١٠
ـ ستوك (دار نشر) : ١٤٦
ـ ستيوارت (آل) : ٨٢
ـ السخاوي : ١١ ، ١٢ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٦١ ، ٧١ ـ ٧٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨
ـ السراج : ١١٦
ـ سردينيا : ١٢٥
ـ السريانية (الحضارة) : ٣٤٢

ـ السريانية : ٣٥ ، ٤٦ ، ١٣٠ ، ٢١٨
ـ سعادة (غبرييل) : ٢٣١
ـ سعد بن معاذ : ٦١ ، ٢٥٨
ـ سعد بن ابي وقاص : ٦٧
ـ السعدية (دولة الاشراف) : ١١٥
ـ سعيد (الخديوي) : ١٤٠
ـ السفاح (ابو العباس) : ٤٦
ـ سفراجيستيك (علم الاختام) : (انظر ختم)
ـ السفسطائية : ٢٠ ، ٢٢
ـ سفيان الثوري : ٢٥٧
ـ سقراط : ١٩ ، ٢٠ ، ١٩١
ـ السك الفضي والذهبي : ١٧٤
ـ سكاليجر (يوسف) : ٨٠ ، ١٢٥
ـ سكتلندة (سكوتلانـدة) : ٣٤ ، ١٩٢ ، ٣٤٤
ـ السلاجقة : ١٨١ ، ٢١٥ ، ٢٥٨ ، ٣٦٣
ـ سلاف ـ ية : ١٥٤
ـ سلاميس : ٣١٥
ـ سلمون بن نحشون : ٦٨
ـ سليم الأول : ١١٣ ، ٢٥٤ ، ٢٩٩ ـ ٣٠١ ، ٣١٤ ، ٣٢٣
ـ سليمان بن داود (النبي) : ٦٧ ، ٦٨ ، ٢٥١
ـ سليمان القانوني : ٢١٩ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥
ـ السمعاني : ٢٥٦
ـ السناتو (مجلس الشيوخ) : ٢٥٣
ـ السنة الخراجية : ١٣٠
ـ السنة الشمسية : ٣٦ ، ١٣٠
ـ السنة القمرية : ٣٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠
ـ السنة الكبيسة : ١٢٧ ، ١٢٨
ـ السنة المدارية (الاعتدالية) : ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٢٩
ـ السنة اليولية : ١٣٠
ـ سنجق : ٢٠١
ـ سنكر (لارسا) : ٢٣٣
ـ السنسكريتية : ١٥٤ ، ١٥٥
ـ سنيوبوس (مؤرخ) : ٧ ، ٧٨ ، ٨٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٤٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ـ ٢٩٦ ، ٣٠٩
ـ سهيل بن ذكوان ابو السندي : ٦١ ، ٢٥٧
ـ السودان : ١١٦
ـ سورية : ١٣٧ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٧١ ، ١٧٨ ، ٢١٠ ، ٢٢٤ ، ٢٣٠ ـ ٢٣٢ ، ٢٦٠ (انظر الشام)
ـ سوزا : ١٧٢
ـ سوزيجين : ١٢٨
ـ سوفاجه (مؤرخ) : ١٧٨

ـ سوفوكليس : ٢٠
ـ سومبارت (فيرنر) : ١٨٢
ـ سومر : ١٨ ، ٢٣٣ ، ٣٤٢
ـ السويد : ٨٤
ـ السويدي (ابو الخير) : ١١٤
ـ السويس (قناة) : ١٤٠
ـ سويش (الفاء) : ١٣٠
ـ سويسرة : ٨٥ ، ٩٢ ، ١٧٨ ، ٢٣٩ ، ٢٦٤
ـ السياسة ـ سي : ١١ ، ١٩ ، ٢٨ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ـ ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧ ـ ٩٩ ، ١٠١ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١٢٦ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٨ ـ ٢١١ ، ٢٣٧ ـ ٢٣٩ ، ٢٤٤ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ـ ٣١٤ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٣٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٩ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٦٦
ـ السياسة الجغرافية : ١٤٢
ـ سيبريا : ١٤٠
ـ سيبيون : ٢٥
ـ سيف (الاخباري) : ٦٧
ـ سيجيلوغرافيا (علم الأختام) : انظر (سفراجيستيك) و (ختم)
ـ السيد الباز العريني : ٨
ـ سيراكوز : ٣١٦
ـ السيرة : ٨ ، ١٢ ، ١٣ ، ٣٩ ـ ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ١٠٠ ، ٢٦٨ ، ٣٠٨ ، ٣٢٨ ، ٣٤٤
ـ السيرة الحلبية : ٤٩
ـ سيرين (برقة) : ٢٧
ـ سيكل (عالم) : ١٦٨
ـ سيلس (مؤرخ) : ٢٨
ـ سيلفستر (البابا) : ٧٨
ـ سيمانكاس (ارشيف) : ٢٣٦ ، ٢٤٠
ـ سيميان (فرانسوا) : ٩٦ ، ٩٧
ـ السينما : ٢١٣
ـ السينما سكوب : ٢١٣
ـ السيوطي : ١١ ، ١٢

ـ ش ـ

ـ شارل التاسع : ١٢٤ ، ٢٩٠
ـ شارل الثامن : ١٨٧
ـ شارل الثاني عشر : ٣٢٩
ـ شارل الخامس : ٢١٨
ـ شارل الخامس (شارلكان) : ١٩٢ ، ٢١٩

ـ شارل مارتل : ١٣١

ـ شارلمان : ١٣١ ، ٢٦٤

ـ شاربير : ٢٥٤ ، ٢٥٥

ـ الشافعي : ٢٨٦

ـ شاكر مصطفى : ٨ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٣١٧

ـ الشام : ٩ ، ١٣ ، ١٨ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٤٥ ، ٦٠ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ١١٣ ، ١٥١ ، ١٧٨ ، ١٩٨ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٩ ـ ٢٥١ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٦ ، ٣٢١

ـ الشاهنامة : ٧٦

ـ شبانهايم : (عالم) : ١٧١

ـ شبنظر : ١٠٥ ، ١٩٢ ، ٣٤٠ ـ ٣٤٢

ـ شبه الجزيرة العربية : ٣٧ ، ٧٤ ، ١٤٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩

ـ شراحيل (نقش) : ٣٨

ـ الشرق : ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٢ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ٢٣٥ ، ٢٨٣ ، ٣٣٢

ـ الشرق الادنى : ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ٢٣٠

ـ شرقي الاردن : ١٥١

ـ شركة الليفانت : انظر (الليفانت)

ـ شربة : انظر (ابن شربة)

ـ شعب ـ شعوب : ١٠ ، ١٨ ، ٤٥ ، ٥٤ ، ٧١ ، ٨٠ ، ٨٨ ، ١٠٣ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٥٥ ـ ١٥٨ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٨ ، ١٩٦ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٨٣ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٨ ، ٣١٤ ـ ٣١٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٤٠ ـ ٣٤٣ ، ٣٤٧

ـ الشعر ـ شعراء : ٢٨ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٧٤ ـ ٧٧ ، ١١٢ ، ١٢١ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٦ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٣ ، ٣٣٠ ، ٣٤٩

ـ الشعوبية ـ بي : ٤١ ، ٤٢ ، ٤٦

ـ الشفرة (علم) : ١٦٦

ـ شقر (جزيرة) : ٧٤

ـ شكسبير : ٢٦٢ ، ٣٤٩

ـ الشلبي (محمد) : ١١٤

ـ شليفل : ٨٦

ـ شمش حدد الاول : ٢٣٠

ـ شميدت : ٦

ـ الشهرستاني : ٣١٤

ـ شهريزور : ١٣

ـ شوف (عالم) : ١٠٢

ـ شوف (مؤرخ) : ٢٦٣

ـ شونو (مؤرخ) : ٩٧

ـ شيشرون : ٢١ ، ١٩٢ ، ٣٧٠

ـ الشيعة : ٤٤ ، ٦٢ ، ٢٥٦ : ٢٦٩ ، ٣٠١ ، ٣٢٦

ـ شيفر (العالم الاثري) : ٢٣١

ـ الشيوعية : ٣٣٨

ـ ص ـ

ـ الصاحب بن عباد : ٢١٧

ـ صارغون الأكادي : ٢٣٢

ـ صالح أحمد العلي : ١٢ ، ٣٤ ، ٢٥٨ ، ٣٦٣

ـ الصحابة : ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٤٠ ـ ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٢٥٧ ، ٢٨٣

ـ الصحافة ـ الصحف : ١٧ ، ١١٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩

ـ الصخرة (مسجد الصخرة) : ٢٤٩

ـ الصدر الاعظم : ٢٥٥

ـ الصدفة : ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٩٧ ، ٢٢٩ ، ٢٤٠ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٤٢

ـ الصرب : ٨٨ ، ٢٩٢

ـ صرخد : ٥١

ـ الصفد : ٦٦

ـ الصفوي ـ ية (الخط) : انظر الخط

ـ الصفويون : ٣٣٢

ـ صقلية : ٣٢ ، ٧٩ ، ١٣٣ ، ١٤٣

ـ الصليبية ـ الصليبيون : انظر الحروب الصليبية

ـ صلاح الدين الايوبي : ٥٦

ـ صلاح مدني : ٣٣

ـ صنعاء : ٤٠

ـ صور : ٢٢٨ ، ٢٣٩

ـ الصوربون : ٦ ، ٧ ، ٩٩ ، ١٠٩ ، ٢١٨ ، ٢٢٥

ـ الصياغة ـ الصيغة : ٧٥ ، ٧٧ ، ١٠٣ ـ ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١٣٨ ، ٣١٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٦ ـ ٣٦٢ ، ٣٦٨

ـ صيدا : ٢٤٢ ، ٢٩٩

ـ الصين ـ نية : ١٧ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٧٣ ، ٢٢٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣

ـ ض ـ

ـ ط ـ

ـ الطائف : ٢٥٧

ـ طاشكبري زادة : ١١

ـ الطب ـ طبيب : ١٥ ، ٢٦ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٩٥ ، ١٣٢ ، ١٩٢ ، ٢١٦ ، ٢٢٣ ، ٣٤٧

ـ طبرستان : ٤١

ـ الطبري : ٣٥ ، ٣٦ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٧١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٢٧

ـ الطبقات : ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١

ـ طبوغرافيا : ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ٢٠٧

ـ الطيبيني (علم اسماء الاماكن) : ١٥٢ ، ١٧٨ ـ ١٧٩
ـ طرابلس الشام : ٢١٥ ، ٢٨١
ـ طرابلس الغرب : ١١٦
ـ طراخون : ٤٧
ـ طريف الخالدي : ٧٤
ـ طريقة ـ طرائقية : ٣ ـ ٨ ، ١٠ ، ٣٢ ، ٥٠ ، ٧١ ، ٨١ ، ٨٦ ـ ٨٩ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٤ ـ ١٠٨ ، ١١٠ ، ١٢٣ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، (طريقة الفحم ١٤ ، ١٦٥) ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، (الطريقة الاحصائية ١٨٦) ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٢٦ ، ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، (طريقة صوفية ٢٨٦ ـ الطريقة الهمدانية ٢٨٧) ، ٢٩٤ ، ٢٩٨ ، ٣٠٢ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٧١
ـ الطريقة الخريطية : ١٤٧ ـ ١٥٢
ـ طغرل بك : ٢١٥
ـ طوب قابي سراي (ارشيف) : ٢٤١
ـ طوس ـ سي : ١٣ ، ٢١٦
ـ الطوسي (نصير الدين) : ٢١٦
ـ الطوطمية : ١١٠
ـ طوكيو : ٢٢٠
ـ طولوز : ١٥١
ـ طومان باي : ٣٠١
ـ طيبة (في مصر) : ١٨ ، ٢٤٩

ـ ظ ـ

ـ الظرف ـ الظروف (كونجنكتور) : ٩٦ ـ ٩٨

ـ ع ـ

ـ عائشة (زوج الرسول ص) : ٦١ ، ٦٧ ، ٢٥٧
ـ عام الفيل : ٣٦
ـ عام الهجرة : ٣٦
ـ عالم ـ عالمي : ٧ ، ١٣ ، ١٦ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٠ ، ١٨١ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ـ ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٧٤ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ـ ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٥٠ ، ٣٥٦ ، ٣٦١
ـ عباس (احسان) : ٣٦٣
ـ عباس بن عبد المطلب (عم الرسول): ٤٢
ـ عباس بن فرناس : ٣٠٢

ـ عباس العزاوي : ٨

ـ ابو العباس السفاح : ٤٦

ـ العباس ـ العباسيون : ٤١ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٩٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٩ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٣١٤ ، ٣٢٣ ، ٣٥٤

ـ عبد الحميد العبادي : ٤ ، ٨ ، ٤٧ ، ٥٨ ، ٧٨

ـ عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي : (انظر جلال الدين ، والسيوطي)

ـ عبد الرحمن بن علي الجوزي : (انظر ابن الجوزي)

ـ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : (انظر ابن خلدون)

ـ عبد الرحمن الثالث (الناصر) : ٤٧ ، ١٩٦ ، ٢١٧

ـ عبد الرحمن الثاني : ٣٠٢

ـ عبد الرحمن السعدي : ١١٦

ـ عبد الرحمن الملاح : ١٦٦

ـ عبد العزيز الدوري : ٨

ـ عبد العزيز الفشتالي : ١١٥

ـ عبد القادر محي الدين بن شيخ العيدروس : ١١٤

ـ عبد الكريم بن محمد السمعاني : انظر : السمعاني

ـ عبد الله بن احمد (ابن خرداذبة) : ١٣٣

ـ عبد الله بن احمد القادر بالله الخليفة : ٢٥٨

ـ عبد الله بن الزبير : ٢٥٧

ـ عبد الله بن العباس : ٤٢ ، ٤٣

ـ عبد الله بن عمر : ٤٢

ـ عبد الله بن قتيبة الدينوري : ١٩٠

ـ عبد الله بن مسعود : ٣٣

ـ عبد الله بن المعتز : ٧٦

ـ عبد الله بن ميمون القداح : ٢٥٦

ـ عبد الله التستري : ٢٨٦ ، ٢٨٧

ـ عبد الملك بن حبيب : ٦١ ، ٢٥٦

ـ عبد الملك العصامي : ١٥١

ـ عبد الملك بن مروان : ٤٠ ، ١٧٠ ، ٢٤٩

ـ عبد الملك بن هشام (انظر ابن هشام)

ـ عبري ـ عبرانيون : ٢٧ ، ٣٥ ، ٧٨ ، ١٥٥ ، ١٦٥ ، ٢١٨

ـ عبيد بن شرية : انظر (ابن شرية)

ـ عثمان بن عفان : ٤٣ ، ٥٦ ، ٢٥٧

ـ عثمان (جد العثمانيين) : ٣٢٩

ـ عثمان الثاني (السلطان العثماني) : ١٦٦

ـ عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري :
انظر (ابن الصلاح)
ـ العثماني ـ العثمانيون : ١١ ، ٧٦ ،
١١١ ، ١١٣ ـ ١١٧ ، ١٣٠ ، ١٦٥ ،
١٦٦ ، ١٨١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٤ ، ٣٠٠ ،
٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٤ ،
٣٢١ ، ٣٢٢
ـ العجم : ٣٤
ـ العراق : ٤٢ ، ٤٥ ، ٦٠ ، ٦٧ ،
١١٤ ، ٢١٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٤٠ ،
٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦ ، ٣٥٧
ـ العرب ـ بي : ٧ ، ٩ ـ ١١ ، ١٧ ،
٣٢ ، ٣٣ ـ ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٤٢ ،
٤٥ ـ ٥٨ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٧٠ ـ ٧٨ ،
١١١ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢١ ،
١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٧ ،
١٤٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،
١٦١ ـ ١٦٥ ، ١٧٠ ـ ١٧٤ ، ١٧٨ ،
١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ،
٢١٠ ، ٢١٤ ـ ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ،
٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٠ ـ ٢٤١ ،
٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ،
٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ،
٣١٤ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٤١ ـ ٣٤٣ ،
٣٥٧ ، ٣٦٣ ـ ٣٦٨
ـ عروة بن الزبير : ٤٣ ، ٥٢
ـ العزيز بالله (الخليفة الفاطمي) :
٢١٥
ـ عسقلاني (ابن حجر) : ٥١
ـ عسكر ـ عسكري : ٦٨ ، ٧٦ ، ٨٠ ،
١٣٨ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٨٠ ، ١٩١ ،
١٩٩ ، ٢٠٨ ـ ٢١٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٧ ،
٢٥٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠٠ ، ٣١٤ ، ٣٢١ ،
٣٤٤ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩
ـ عصبة الأمم : ١٢٦
ـ العصر الأموي : انظر (أموي)
ـ عصر التنوير : ٩٠ ، ١٣٩ ، ٣٢٥
ـ العصر الحديث (العصور الحديثة):
٧٨ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ١٤٠ ، ١٥٣ ، ١٧٤ ،
١٨١ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤٨ ،
٣٣٦
ـ عصر صدر الاسلام : ٣٩ ، ٤٤
ـ العصر العباسي : (انظر عباسي)
ـ عصر النهضة : ٣٢ ، ٧٨ ، ٧٩ ،
٨١ ، ١٩٠ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٧٣ ،
٣٢٧
ـ العصور القديمة : ٩٠ ، ١٢٤ ، ١٥٠ ،
١٧٢ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ،
٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٣٣٠
ـ عصور ما قبل التاريخ : ١٧ ، ١٥٨ ،
١٦١ ، ١٨٤ (العصر الحجري الحديث:
٢٣١)
ـ العصور الوسطى : ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٧ ،
٣٠ ـ ٣٢ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٥ ،
٨٦ ، ١٢٤ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٥٣ ،
١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ـ ١٧٤ ، ١٧٧ ،
١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ، ٢٢٣ ،
٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٥٢ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ،
٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٣٢٥

ـ عضد الدولة البويهي : ٢١٥
ـ العلة (انظر التعليل وسبب)
ـ العلم (عالم ، علمي) : ٣ ـ ١٠ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ـ ٥٢ ، ٥٦ ـ ٥٩ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٧ ـ ٧٩ ، ٨١ ـ ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٦ ـ ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ـ ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٥ ـ ١١٨ ، ١٢٠ ـ ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ـ ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤١ ـ ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ـ ١٥٨ ، ١٦١ ـ ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ـ ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٤ ـ ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٥٢ ، ٢٦٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٢ ـ ٣٠٤ ، ٣١٠ ـ ٣١٢ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ (المدرسة العلمية في التفسير التاريخي : ٣٤٦) ، ٣٤٩ ـ ٣٥٤ ، ٣٦٠ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠ ، ٣٧١
ـ علم الآثار : انظر (الأركيولوجيا) ١٥٨ ـ ١٦٢
ـ علم الأصول : ١٣
ـ علم الاجتماع : ٣٤ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٦٩ ، ١٨٠ ـ ١٨٣ ، ١٨٥ ، ٣١٦ ، ٣٤٠
ـ علم الاجتماع العام : ١٨٥
ـ علم الاجتماع الاقتصادي : ١٨٥
(انظر : اجتماع أيضا)
ـ علم الاحصاء : ١٨٦ . انظر (احصاء)
ـ علم الأختام : ١٧٢ ـ ١٧٦ . انظر : (ختم)
ـ علم الاسماء (الاونوماستيك) : ١٧٨ ـ ١٧٩
ـ علم الاقتصاد : ٩٥ ، ١٨١ ـ ١٨٣ ، ١٨٤
ـ علم الأقوام (انتولوجيا) : ١٤٩ ، ١٨٤
ـ علم الالهيات : انظر (التيولوجيا) .
ـ علم الانساب نسب: ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ١٧٥ ، ١٧٩ ـ ١٨٠ ، ١٨٦ ، ١٩٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠
ـ علم الانسان (الانتربولوجيا) : ٩٣ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٨٤ ، ١٩٢ ، ٣٠٩
ـ علم البرديات : ١٦٤
ـ علم البيبليوغرافيا : ٢٢١ ـ ٢٦٦ . انظر (بيبليوغرافيا)
ـ علم التعدين : ١٧٥
ـ علم التوقيت (الكرونولوجيا) : ٢٩ ، ٨٠ ، ١٢٠ ـ ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٥٧
ـ علم الجمال : ٨٤ ، ١٦٩
ـ علم الخرائط : ١٣٤ ، ١٤٣ ـ ١٥٢ ، ٣٥٩
ـ علم الخطوط : انظر (الباليوغرافيا) : ١٦٢ ـ ١٦٤

ـ علم الربوك : انظر (رنك)
١٨٠ ـ ١٨١
ـ علم السكان (الديموغرافيا) : ١٨٤
ـ علم السياسة : ٨٠
(انظر سياسة أيضا)
ـ علم السياسة الجغرافية : ١٤٢
ـ علم الشفرة (الكريبتوغرافيا) :
١٦٥ ـ ١٦٦
ـ علم الشؤون المقدسة : ١٧
ـ علم الصور (الايقونوغرافيا) : ١٦٩
ـ علم الطبيعة (الفيزياء) : ٤ ، ١١ ،
٥٧ ، ٩٣ ، ١٠١ ، ١٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣١٢ ،
٣٧١
ـ علم الطرانسق : انظر (طريقة)
و (منهجية)
ـ علم العمران : انظر (العمران)
ـ علم فقه اللغة (فيلولوجيا) :
١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٧٥ ،
٢٥٠ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤
ـ علم قواعد اللغة المقارنة : ١٥٤
ـ علم الكيمياء : ١٩٢
(انظر ايضا كيمياء)
ـ علم اللغات (الالسن) : ١٢٧ ،
١٤٩ ، ١٥٣ ـ ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٨٤ ،
٢٦٠ ، ٢٧٤
ـ علم اللغات التاريخي : ١٥٤ ، ١٥٧ ،
١٧٩
ـ علم اللغات العام : ١٥٤
ـ علم اللغات الوصفي : ١٥٤
ـ علم المخطوطات (الكوديكولوجيا) :
١٦٤
ـ علم النبات : ١٤٣
ـ علم النفس : ٨٩ ، ٩٢ ، ١٧٥ ، ١٨٦ ـ
١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٦٧ ، ٢٩٤ ،
٣٢٣
ـ علم النفس الاجتماعي : ١٠٣ ، ١١٠ ،
١٨٨ ، ١٨٩
ـ علم النقوش الكتابية (ابيغرافيا) :
١٧٦ ـ ١٧٨ ، ٢٠٦ ، ٢٥٣
ـ علم النميات (النقود) : ١٦٩ ـ
١٧٢
ـ علم الوثائق (الديبلومات) : ١٣ ،
١٦٧ ـ ١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ٢٥٠ ،
٢٥٢ ، ٢٦٠
ـ العلوم الانسانية : ٩٣ ، ١٠٨ ،
١١٠ ، ١٥٤ ، ١٨٤ ، ١٨٨
انظر : (انسان) ايضا
ـ العلوم الطبيعية : ٤ ، ٥ ، ١٠٤ ،
٢٣٩ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٤٠
ـ علي بك (نائب قلعة دمشق) : ٣٠٠
ـ علي بك بن حسين بك : ١١٦
ـ علي بن الحسن ابو القاسم (وزير
عباسي) : ٢٥٨ انظر ابن المسلمة .
ـ علي بن ابراهيم بن احمد الحلبي :
٤٩

ـ علي بن ابي طالب : ٦١ ، ٢٥٨ ، ٣٢٦

ـ علي بن الحسن الدمشقي (ابن عساكر) ٥٢

ـ علي بن الحسين المسعودي : ٣٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٦ ـ ٧١

ـ علي بن الشيباني الجزري : انظر (ابن الأثير)

ـ علي بن محمد المدائني : انظر (المدائني)

ـ علي الهمداني : انظر (الهمداني)

ـ العماد الأصفهاني : ٥٦ ، ٧٦ ، ٣٦٣

ـ عماد الدين خليل : ٣٢٦ ، ٣٣٩

ـ العمران وعلمه : ٣٤ ، ٦٢ ـ ٦٥ ، ٧٥ ، ٨٣

ـ عمر بن احمد العقيلي : انظر (ابن العديم)

ـ عمر بن الخطاب : ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٥٠

ـ عمر بن عبد العزيز : ٤٣
انظر (الجاحظ)

ـ العموريون : ٢٣٢ ، ٢٣٣

ـ عنابة (بونة) : ٣١

ـ العهد القديم : ٢٦

ـ عوفيد بن باعز : ٦٨

ـ عيسى اسكندر المعلوف : ٢٨١

ـ عين جالوت (معركة) : ٢١٦

ـ عين شمس : ١٨

ـ غ ـ

ـ غاليمار (دار نشر فرنسية) : ٥

ـ غب (مؤرخ) : ٥٠

ـ الغبار (خط) : ١٦٤

ـ غراب (احمد بن عبد الله البغدادي): ١١٤

ـ غراتيان (مرسوم) : ٧٨

ـ الغرافي (التمثيل) : ١٤٩ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ ـ ٣٦١ (انظر بيانية)

ـ الغرب : ٦ ، ٩ ، ١٧ ، ١٨ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٩٠ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٧ ـ ١١٩ ، ١٣١ ، ١٤٦ ، ١٨٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٦٣ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٤١ ـ ٣٤٣ ، ٣٤٩

ـ غرناطة : ٢١١ ، ٢١٧

ـ غره (مفكر) : ٣٤٠

ـ غروسيوس : ١٩٢

ـ غروهمان : ١٦٤

ـ غريغوري النوري : ٣٠

ـ الغريغوري (التقويم): ١٢١ ، ١٢٧ ـ ١٢٩

ـ غريغوري الثالث عشر (بابا) : ١٢٨

ـ الغزالي : ٦٠ ، ٢٨٩ ، ٣٠٤ ، ٣١٣

ـ الغزي (محمد النجم) : ١١٣

ـ الغساسنة : ٣٧

ـ الغنوستية : ١٢٥

ـ غوتش : ٨٨

ـ غوتشاك : ٣١٩

ـ الفول (بلاد) ، (غاليا) : ١٩١

ـ غيبون (مؤرخ) : ٩١ ، ١٩٢

ـ غيدينفز : (فرانكان) : ٣٤٨

ـ غيرار (بنجامان) : ١٦٨

ـ غيزو (مؤرخ سياسي) : ١٦٨

ـ غيز (آل) ٢٩٠

ـ غيشاردان (فرنسيسكو) : ٨٠ ، ١٩٢

ـ ف ـ

ـ الفاتيكان : ٢١٨ ، ٢٢٠

ـ فارس ، الفرس : ١٧ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٣٤ ـ ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٢ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٦ ، ١١٢ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٥٥ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٣٤ ، ٢٥٤ : ٢٥٦ ، ٢٧٣

ـ فارون : ٢١٤

ـ فاس ـ الفاسي : ١١ ، ٢١ ، ٥٧ ، ٢١٧

ـ فاسكو دوغاما : ٢٦٣

ـ الفاطمي ـ يون : ٢١٥ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٣٢٦

ـ فالا (لورنزو) : ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٧ ، ٢٥٠

ـ فالون (هنري) : ١٤١

ـ فالنسيه : ٧٤

ـ فاليري (بول) : ٥

ـ فان برشم : ١٧٨

ـ فاندال : ٢٣٤ ، ٢٧٣

ـ فانوس وود : ٢٢٠

ـ فخر الدين المعني الثاني : ٢٨١

ـ الفرات (نهر) : ٢٣٠ ، ٢٣٣

ـ فرانسوا الأول : ٢١٩ ، ٢٤٧ : ٢٥٤

ـ فرانسيس هورز : ٣٠٢

ـ فرنسية : ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ٢٦٦ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٣ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٣٥ ، ٣٤٣

ـ فرعون : ٢٦ ، ١٦٧ ، ٢٤٩

ـ فرمان : ١٦٤ ، ٣٠٦

ـ فرنجة : ٣٠ ، ١٣١

ـ فرنسا ـ فرنسي : ٥ ـ ٧ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٥٤ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ـ ٨٤ ، ٨٦ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٥ ـ ٩٧ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٦ ـ ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٥ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ـ ٢٣٢ : ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ،

٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٦٠ ، ٢٧٨ ، ٢٩٠ ،
٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٢٨ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ،
٣٥٨

ـ فرود (مؤرخ) : ٢٩١ .

ـ فستنفلد ومالر (تقويم) : ١٢٩

ـ الفشتالي (عبد العزيز) : ١١٥

ـ فقه ـ فقيه : ١٣ ، ٣٨ ، ٥٧ ، ٦٠ ،
١١٣ ، ١٢٥ ، ١٥٨ ، ٢١٥ ، ٢٢٥ ،
٢٥٦ ، ٢٧٤ ، ٢٨١ ، ٣٠٦ ، ٣١٢

ـ فقه اللغة (الفيلولوجيا) : ٥٤ ، ٧٨ ،
١٢٥ ، ١٥٨ ، ١٦١

ـ فكتور عمانويل (مكتبة) : ٢٢٠

ـ فكر ـ فكري : ٥ ، ١١ ، ١٤ ، ١٥ ،
٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٦ ـ ٥٠ ، ٥٨ ،
٧٣ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٩ ـ ٩٣ .
٩٨ ، ١٠٣ ـ ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ـ
١١٢ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢١ ،
١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٨ ـ ١٤٠ ،
١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٣ ،
١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ـ ١٨٥ ، ١٨٧ ـ
١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ـ ٢٠١ ، ٢٠٤ ،
٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٢ ،
٢٢٣ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ،
٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ـ ٢٦٩ ،
٢٧٠ ـ ٢٧٢ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٣ ،
٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ـ ٢٩٦ ،
٣٠٣ ـ ٣٠٥ ، ٣٠٧ ـ ٣١٠ ، ٣١٤ ،
٣١٥ ، ٣٢١ ـ ٣٣٦ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ـ
٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ،
٣٦٢ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ـ ٣٧١

ـ الفكرية (المدرسة) : ٣٤٩

ـ فلاسان : ٢٥٤

ـ فلاسيوس : ٨١

ـ فلاماريون : ٢٦

ـ فلسطين : ٢٩ ، ٦٧ ، ١٢٦ ، ٢١٦ ،
٢١٧ ، ٢٤٠

ـ الفلسفة ـ فيلسوف : ٣ ـ ٥ ،
١٠ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٧ ـ ٢٩ ،
٣٤ ، ٣٧ ، ٤٧ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٥ ،
٧٧ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ،
٩٨ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١٢٠ ،
١٢٥ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٥٤ ، ١٩١ ـ
١٩٣ ، ٢٠٤ ، ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،
٢١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٣٠٢ ،
٣١٠ ، ٣١٤ ، ٣٢٠ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ ـ
٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ـ ٣٤٢ ،
٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٦٩ .

ـ فلسفة التاريخ : ١٠ ، ٣٠ ، ٣٤ ،
٦٥ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٤ ـ ٨٦ ، ٩١ ،
١٠٥ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ، ٣١٨ ، ٣٢٤ ،
٣٣٤ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٥٠

ـ فلك ـ فلكي : ١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٦ ،
٢٧ ، ٣٧ ، ٧١ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ،
١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٤٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،
٣٠٢

ـ فلنت (فيلسوف) : ١٥ ، ٣٤

ـ فلنغ (مؤرخ) : ٢٥٣

ـ فلورنسة : ٨٠ ، ٢١٨ ، ٢٤٠

ـ فلوطرخوس : ٣٣ ، ١٨٧ ، ١٩١

ـ فن ـ فني : ٥ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٤٩ ،
٥٠ ، ٦٤ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٩١ ، ٩٢ ،

١٤٦ ، ١٥٩ ، ١٦٩ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،
١٧٨ ، ١٨٤ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٠٥ ،
٢١١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٧ ، ٢٨٤ ،
٢٩٠ ، ٢٩٧ ، ٣٠٩ ـ ٣١١ ، ٣٢٩ ،
٣٤١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٩ ، ٣٦٨

ـ فنيقيا ـ فنيقيون : ٢٧ ، ٣٥ ،
١٦٦ ، ٢٣١ ، ٣٠٣ ، ٣١٥ ، ٣١٦

ـ فهرسة ـ فهارس : انظر :
(ببليوغرافيا) .

ـ فؤاد افرام البستاني : ٢٨١

ـ فوتوغراف : انظر (تصوير)

ـ الفوروم : ٢٣٥

ـ فوستيل دوكولانج : ٦

ـ فوكو (ميشيل) : ٢٩

ـ فولتير : ٢٩ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩١ ،
١٩٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠

ـ الفولغات : ٢٧ ، ٧٩

ـ فيبر (ماكس) ٩٤

ـ فيدا : ١٨

ـ فيدياس : ٢٠

ـ فيري (جول) : ١٩٥

ـ فيريرو (غوغليومو) : ٣٥٥

ـ فيزوف (بركان) : ١٥٩

ـ الفيزياء (علم) : انظر (علم الطبيعة)

ـ الفيزيوقراطيون : ٣٢٨ ، ٣٣٧

ـ الفيزيولوجيا : ١٥٤ ، ٣٠٩

ـ فيسنت (مؤرخ) : ١٩٦

ـ فيسكونتي (آل) : ٢١٨

ـ فيشر (مؤرخ) : ٣٢٤ ، ٣٤٢

ـ فيغر (لوسيان) : ١٦ ، ٩٩ ، ١٠١ ،
١١١ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٢٠٤

ـ فيكر (عالم) : ١٦٨

ـ فيكو (فيلسوف مؤرخ) : ٨٣ ،
٨٤ ، ١٩٢ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ،
٣٣٥

ـ فيلادلفيا (بطليموس) : ٢٦

ـ فيلادلفيا (منطقة) : ٣٣٤

ـ فيلولوجيا ـ فيلولوجي : انظر فقه اللغة

ـ فيلون الجبيلي : ٢٦

ـ فيليب الثاني : ٨٢ ، ٩٧ ، ١٠١ ،
١٤١ ، ٢٣٦

ـ فيليب حتي : ٨

ـ فيليه دوليل آدم : ٢١٢

ـ فينا : ١٧١ ، ٢٤١

ـ فيناون : ٨٢

ـ فييت (مؤرخ) : ١٧٨

ـ ق ـ

ـ القائم بامر الله (الخليفة العباسي) :
٦١ ، ٢٥٦

ـ القابون الفوقاني : ٣٠٠

ـ القادسية : ٦٧

ـ قانصوه الغوري : ١١٣ ، ٣٠١ ، ٣٢١ ، ٣٦٦
ـ قانون ـ ني : ٤ ، ٣١ ، ٦٤ ـ ٦٦ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ـ ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ـ ١٩٢ ، ٢٠٥ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٦١ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٩٨ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ـ ٣١٨ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ ، ٣٣٧ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧ ، ٣٦٦
ـ قاهت بن لاوي : ٦٧
ـ القاهرة : ٤ ، ٩ ، ١١ ، ١٥ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٧٠ ، ١١٣ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ٢٠٥ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٨١ ، ٣٠٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤
ـ القبط : ٦٧
ـ القحطانية : ٧٦
ـ القدس : ١٣٣ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٨١
ـ القديس اوغوستين - انظر : سان اوغوستين
ـ القديسة هيلانة (جزيرة) : ٢١٠
ـ القرآن الكريم : ٣٤ ، ٣٨ ـ ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٨ ، ٧٢ ، ١٢٣ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٨٦ ، ٢٠٧ ، ٢٨٣ ، ٣٠٤ ، ٣١٣
ـ القرامطة : ٢٥٦
ـ قرطاجة : ٢٣ ، ٢٥ ، ٢١٨
ـ قرطبة : ٢١٧ ، ٢٥٦
ـ قرمانلي (احمد باشا) : ١١٦
ـ القرويين (جامع) : ٢١٧
ـ قسطنطين : ٣٩ ، ٤٧ ، ٧٨ ، ١٧٠ ، ٢٣١ ، ٢٥٠
ـ هبة قسطنطين : ٧٨ ، ٢٣١ ، ٢٥٠
ـ قسطنطينية : ١٧٠ ، ٢٣١ ، ٢٤١ ، ٢٧٣
ـ قشتالة : ٢٣٦
ـ القصر الابيض : ٣٧
ـ قصر الحير : ١٥١
ـ القطيطة : ٣٠٠
ـ قلعة دمشق : ١٣ ، ٣٠٠
ـ القلقشندي : ٣٦٣
ـ قمر صناعي : ١٦٢
ـ القومية : ١٠ ، ٨٥ ، ١١٩ ، ١٩٩ ، ٢١٠ ، ٢٣٨ ، ٣٢٠ ، ٣٣٣ ـ ٣٣٥ ، ٣٥٤ ، ٣٦١
ـ قيصر (يوليوس) : ١٢٨ ، ١٦٥ ، ١٩١ ، ٢١٤ ، ٣٣٣
ـ قيصرية (ي) : ٢٩

ـ ك ـ

ـ كابلو (انطونيو) : ٢٥٣
ـ كابيتول : ٢٣٥
ـ كاترين دومديتشه : ٢٩٠

ـ الكاثوليكية : ٣١ ، ٣٢ ، ١٩٥ ، ٢٩٠
ـ الكاداستر : ١٥١
ـ كار (مؤرخ) : ٣١٧
ـ كارتل (احتكار عالمي) : ٣٣٧
ـ كارليل (توماس) : ٨٥ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥
ـ كارولنجية : ٨٢ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ٢٧٩
ـ كازانوفا (بول) : ١٧١
ـ الكافيـة : ١١
ـ الكافيجي : ١١ ، ٣٥ ، ٤٨ ، ٧١
ـ كامبانيا : ١٥٩
ـ كامبريدج : ١٩٥
ـ كان : ١٠٦
ـ كانت : ٢٩ ، ٣٢٨
ـ الكتابة ـ كاتب ـ مكتوبة : ٥ ـ ٨ ، ١٠ ـ ١٤ ، ١٦ ـ ١٨ ، ٢٦ ، ٣٥ ، ٤٨ ـ ٥٠ ، ٥٣ ـ ٥٧ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٥٥ ـ ١٥٧ ، ١٦٠ ـ ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٤ ، ١٩١ ـ ١٩٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ـ ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ـ ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ـ ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ـ ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٣١٣ ، ٣١٧ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ـ ٣٥٥ ، ٣٦٠ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧١
ـ الكتبي (المؤرخ) : انظر (ابن شاكر)
ـ الكتاب المقدس : ٧٩ ، ١٣٣ ، ٢١٨
ـ كتخداعزبان : ١١٣
ـ الكرك : ٢٩٩
ـ كركوكلي (حاوي الرسول) : ١١٤
ـ كرمان : ٢١٥
ـ الكرنك (معبد) : ١٨
ـ كروات : ٢٩٢
ـ كروتشه (بنديتو) : ١٠٨ ، ١٩٢ ، ٣٤٩ ، ٣٥٥
ـ الكرونولوجيا : انظر (علم التوقيت)
ـ الكريبتوغرافيا : انظر (علم الشفرة)
ـ كريت ـ ية : ١٦٦
ـ كزبنيفون : ١٩١
ـ كسروان الخازن : ٢٨١
ـ كسرى : ٤٠
ـ كعب الأحبار : ٤٠
ـ الكعبة الشريفة : ٣٦
ـ الكلاسيكي : ٢٤ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٩١ ، ١٥٧ ، ٢٣٤ ، ٢٨٣
ـ الكلبي (محمد بن السائب) : ٤٢
ـ كلدان ـ ني : ٢٦ ، ١٣٢
ـ كلس (يعقوب بن) : ٢١٥

ـ الكلية البروتستينية : انظر الجامعة الامريكية ببيروت

ـ كلية فرنسا : ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٧٨ ، ٢٣١ ، ٢٤٧ ، ٢٩٤

ـ كلية كان : ١٠٦

ـ كندا ـ يون : ١٤٠

ـ كنعان ـ يون : ٣٣ ، ١٥٥

ـ كنيس ـ كنيسة ـ كنسي : ٦ ، ٢٧ ، ٣٠ ـ ٣٢ ، ٤٢ ، ٨١ ، ٨٥ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٤١ ، ١٥٢ ، ١٧٤ ، ١٨١ ، ١٩٦ ، ٢١٨ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦

ـ كول (مفكر) : ٣٣٩

ـ الكوانتا (نظرية) : ٢٩٥

ـ كوبرنيك ـ ي : ٣٤١

ـ كوديكولوجيا (علم) : ٢٢٠

ـ كوردوليانى : ١٢٧

ـ كورسيكا : ٢١٠

ـ كوريا : ١٧٣ ، ٣٤٢

ـ الكوفة : ٢٥٧

ـ كولبير : ٢١٩ ، ٢٣٢

ـ كولنغوود : ٢٠٤

ـ كولومبيا (جامعة) : ٣٥٥

ـ كومبيوتر : انظر الرتابة

ـ كومين (فيليب دو) : ١٨٧

ـ كونت (أوغوست) : ٨٦ ، ١٢٦ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥

ـ كونده : ٢١٧

ـ كوندورسه : ٢٩ ، ٣٢٨

ـ كونغرس (مكتبة) : ٢٢٠

ـ كونغو : ١٩٥

ـ كيندر (هرمان) : ١٤٦

ـ الكيمياء ـ علم الكيمياء : ٤ ، ٥ ، ١٦٢ ، ١٩٢ ، ٢٠٤ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٢٠ ، ٢٢٨ ، ٢٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٧١

ـ ل ـ

ـ لابروس (ارنست) : ٩٧

ـ لابلاش (فيدال دو) : ٩٩

ـ اللاتينية (اللطينية) : ٢٩ ، ٧٩ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٣ ، ١٨٥ ، ١٩٦ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٨٣ ، ٣٦٥

ـ لادوري (لوروا) : ١٠٢

ـ اللاذقية : ٢٣١

ـ لارسا : ١٨

ـ لاغاش : ١٨

ـ لاقوا (هنري) : ١٧١

ـ لاكيديمونيا : ١٣٩

ـ لانغر (وليم) : ٩٤

ـ لانغلوا : ٧ ، ٧٨ ، ٨٦ ، ٢٠٣ ، ٢٤٨ ، ٣٠٩

ـ لاوي بن يعقوب : ٦٧

ـ لايدن : ٨ ، ٢٢٨

(انظر جامعة لايدن ايضا)
ـ اللحيانية : ٣٧
ـ اللغة : انظر علم اللغات وفقه اللغة
ـ لندن : ٣، ٨، ٣٢ ، ١٠٥ ، ٢٣٧ ، ٢٦٣
ـ لوتير : ٨١ ، ٩٦
ـ لورنزوفالا : انظر (فالا)
ـ لوط بن يحيى (ابو مخنف) : ٤٥
ـ اللوفر (متحف) : ٢١٨
ـ لوفغرن : ٣٧
ـ لونغنون (اوغوست) : ١٤١
ـ لويس التاسع (القديس لويس) : ١٨٧ ، ٢١٧
ـ لويس الثالث عشر : ٣٢٩
ـ لويس الثاني عشر : ٢١٨
ـ لويس الحادي عشر : ١٨٧
ـ لويس دوبوفور : ٨٤ ، ٨٥
ـ لويس الرابع عشر : ٣٢ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢
ـ لويس السادس عشر : ٩٧
ـ ليبزيغ : ٦
ـ ليبيا : ١١٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤١
ـ ليديا : ١٧٠
ـ ليسيوس (جزيرة) : ٢٠
ـ ليسيس (فرديناند دو) : ١٤٠
ـ الليفانت (تركة) : ٢٤١
ـ ليلى الصباغ : ٣٠٢
ـ لين بول (ستانلي) : ١٧١
ـ لينين (مكتبة) : ٢٢٠

ـ م ـ

ـ المامون (الخليفة العباسي) : ٥٢ ، ٢١٥ ، ٢٤٩
ـ مابلي (مفكر) : ١٩١
ـ مابين النهرين : ١٦١ ، ١٧٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣
ـ مابيون : ٨٣ ، ١٦٨ ، ٢٣٦
ـ مانيه (باولو) : ٢٣٢
ـ ماجستير (رسالة) : ٢٠٢ ، ٢٢٥
ـ ماربورغ : ٢٢٠
ـ مارتيل (شارل) : انظر (شارل)
ـ مارسيليونوس (اميانوس) : ٢٨
ـ مارك اوريل : ٢٧
ـ ماركس ـ ماركسي : ٩٤ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ، ٣١٥ ، ٣٢٥ ، ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٦
ـ مارو (مؤرخ) : ٢٠٧ ، ٢٩٦ ـ ٢٩٨ ، ٣٧٠
ـ ماري (مدينة) : ١٨ ، ١٢٤ ، ١٣٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢
ـ ماريشال : ٢٩٥

ـ مازاران (مكتبة) : ٢٢٣
ـ ماسون (بول) : ٢٢٤
ـ مانديبورغ : ٨١
ـ ماكيافلي : ٨٠ ، ١٩٢
ـ مالك بن انس : ٥٩ ، ٦١
ـ مانيتون المصري : ٢٦ ، ١٢٤
ـ ماه روز : ٣٤
ـ ما وراء النهر : ٢١٦
ـ المجسطي : ١٤٣
ـ المتحف : ٢٧ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ، ٢١١ ، ٢٢٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٣٣٥ ، ٣٦١
ـ متحف باردو : ١٢٠
ـ المتحف البريطاني : ١٧٢ ، ٢٢٠ ، ٢٤١
ـ المتحف الوطني بدمشق : ٢٤٣
ـ متز (آدم) : ٣٦٣
ـ المتنبي : ٧٤
ـ المتوكل (الخليفة العباسي) : ٣١٤
ـ المجلس الاعلى للعلوم بدمشق : ٧٢
ـ المجمع العلمي العربي بدمشق : ٥٢ ، ٢١٠
ـ مجمع نيقيا : ١٢٨
ـ محب الدين الخطيب : ٣٧
ـ المحبي (محمد الامين) : ٤٩ ، ٥٧ ، ١١٢ ، ١١٣
ـ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم: انظر الرسول (محمد صلى الله عليه وسلم)
ـ محمد الباعوني الدمشقي : ٧٨
ـ محمد بن ابي السرور البكري الصديقي : ١١٣
ـ محمد بن احمد البشاري (المقدسي): ١٣٣
ـ محمد بن احمد بن عثمان (الذهبي) : ١٣ ، ٤٩
ـ محمد بن احمد قطب الدين النهروالي: ١١٤
ـ محمد بن اسحاق بن يسار : ٤١ ، ٤٤ ، ٤٩
ـ محمد بن جرير الطبري : انظر (الطبري)
ـ محمد بن السائب الكلبي : ٤٢
ـ محمد بن سعد : ٥٠
ـ محمد بن سليمان الرومي الكافيجي : ١١
ـ محمد بن شنب : ٣٠
ـ محمد بن عبد الرحمن (السخاوي): انظر (السخاوي)
ـ محمد بن عبد الرزاق (كرد علي) : ٢١٠ ، ٣٠٠
ـ محمد بن عبد الكريم ابو الفتح (الشهرستاني) : ٣١٤

ـ محمد بن عبد الله (الأزرقي) : ٥٧
ـ محمد بن عبد الله التلمساني (ابن مريم) : ١١٥
ـ محمد بن عمر بن واقد السهمي (الواقدي) : ٤٥ ، ٥٢
ـ محمد بن محمد بن الحسن(الطوسي): ٢١٦
ـ محمد بن محمد الحسين الطالبي (الادريسي) : ١٣٣ ، ١٤٣
ـ محمد بن محمد سيد الناس اليعمري: ٤٩
ـ محمد بن محمد بن الشحنة الصغير : ٥٧
ـ محمد بن مسلم شهاب الزهري : ٤٣
ـ محمد بن محمد عمادالدين الاصفهاني: ٥٦
ـ محمد بن محمد بن عبد الرحمن التلمساني : ١١٥
ـ محمد بن محمد الغزالي : (انظر الغزالي)
ـ محمد توفيق حسن : ٣٤
ـ محمد شريف باشا : ٢٥٠ ، ٢٥١
ـ محمد الطالبي : ٦٦
ـ محمد عبد الغني حسن : ٨
ـ محمد عبد الهادي أبو ريدة : ٣٦٣
ـ محمد علي باشا (والي مصر) : ٩ ، ٥٤ ، ١١٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥١
ـ محمد مختار باشا : ١٢٩
ـ محمد مصطفى : ٣٠٠
ـ محمد مصطفى زيادة : ٨
ـ محمد المهدي المنتظر : ٣٢٦ ، ٣٢٧
ـ محمد النفس الزكية : ٥٦
ـ المحيط الاطنطلي : ٢١٠
ـ المختار بن أبي عبيد الثقفي : ٣٧
ـ مخنف (أبو) : ٤٥
ـ المدائني : ٤٥
ـ المدرسة (التاريخية) : ٤ ، ٥ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ـ ١١٠ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ٣٤٤ ـ ٣٥١
ـ المدرسة الاجتماعية : ٣٤٨
ـ المدرسة الاقتصادية : ٣٤٦
ـ المدرسة البيوغرافية (التراجم) : ٣٤٤
ـ المدرسة التركيبية : ٣٥٠
ـ المدرسة الجغرافية : ٣٤٧
ـ المدرسة العلمية : ٣٤٦
ـ المدرسة الفكرية : ٣٤٩
ـ المدرسة المستنصرية : ٢١٥
ـ مدرسة الوثائق : ٨٥ ، ٨٨
ـ مدريد : ٢٤٠
ـ مدينشه (آل) : انظر (آل)
ـ مديرية الوثائق بدمشق : ١٩٧ ، ٣٦٤

ـ مدنية ـ مدني : ٦ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٤٠ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٨٠ ـ ٨٣ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٥٠ ـ ١٥٢ ، ١٥٩ ، ١٦٦ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ٢١٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤ ، ٢٩٠ ، ٣٠٠ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٥٨

ـ مدينة الله : ٣٠ ، ٣١

ـ المدينة المنورة : ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٠ ، ٥٩ ، ١٢٣ ، ٢٥٧

ـ مدينة النحاس : ٦٦ ، ٧٠

ـ المرآة : ٣١٤

ـ المرابطون : ٧٤

ـ مراغة : ٢١٦

ـ المرجئة : ١٣

ـ مرج دابق : ٢٢٩ ، ٣٠٨ ، ٣٦٦

ـ مرسيليا : ٢٢٤ ، ٢٩٢

ـ مرغليوث : ٣٥

ـ مركز البحوث التاريخية في فرنسا : ١٠٠

ـ مركز يفسكي : ١٠٦

ـ مزدك ـ ي : ٤٦

ـ المسترشد بالله (الخليفة العباسي) : ١٨

ـ المستشرق : ٨ ، ٧٤ ، ١٢٩ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ١٧٨ ، ٢١١ ، ٢٢٨ ، ٢٥٤

ـ المستنصر : ٢١٧

ـ مسجد : ٤٨ ، ١٥٢ ، ١٧٧ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢٤٩ ، ٣٠٨

ـ المسعودي (علي بن الحسين) : ٣٣ ، ٥٤ ـ ٥٧ ، ٦٦ ـ ٧١

ـ مسلم بن الحجاج القشيري : ٥٨ ، ٦٠

ـ المسلمون : (انظر اسلام)

ـ المسمارية : ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ٢٠٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٢

ـ المسند (الخط) : ٣٧ ، ١٧٧

ـ المسيح ـ المسيحية : ٥ ، ٢٧ ، ٢٩ ـ ٣٢ ، ٩١ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٥٨ ، ٢١٧ ، ٢٣١ (المسيح المنتظر : ٢٥١) ، ٣٢٥ ، ٣٢٩

ـ المشرق : ١٠ ، ٢٧ ، ٥٢ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٤٣ ، ١٥٩ ، ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٤١

ـ مشكلة (مسالة) : ٢٥ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠٤ ، ١١١ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٦٣ ، ١٨١ ، ١٨٨ ، ١٩٥ ـ ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٩٧ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣ ـ ٣٥٥ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١

ـ مصر : ٦ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٤٥ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٧١ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١١٢ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٤٣ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ـ ٢٠١ ، ٢٠٣ ـ

٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ،
٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ـ ٢٣١ ،
٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، (المصدر الحي :
٢٤٤) ، ٢٤٥ ـ ٢٤٨ ، ٢٥٣ ، ٢٦٢ ،
٢٦٣ ، ٢٧٠ ، ٢٨٠ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ،
٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣١٦ ، ٣٦١ ـ ٣٦٧ ،
٣٧٠

ـ مصر (مصريون) : ٨ ، ١١ ـ ١٤ ،
١٧ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٣٣ ، ٣٤ ،
٤٩ ، ٥٢ ، ٦٠ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٧ ،
٨٠ ، ١١١ ـ ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢١ ـ
١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٤٠ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ،
١٦٤ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ، ٢١٤ ،
٢١٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ،
٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٩ ،
٢٦٠ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٤١

ـ مصطفى بن عبد الله : انظر حاجي خليفة

ـ مصلح ميزان : ٣٠٠

ـ المطبعة (قانون) : ٦٤ ـ ٦٦

ـ معاوية بن ابي سفيان : ٢٥٨

ـ المعز (ابن) : ٧٦

ـ المعزلة : ١٦٠

ـ المعتصم (الخليفة العباسي) : ٧٦

ـ المعتضد (الخليفة العباسي) : ٧٦ ،
١٣٣

ـ المعجزة الاغريقية : ٢٠

ـ معجم : ٥٠ ، ٥١ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ،
١٥٨ ، ١٦١ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٣ ،
٢٨٣ ، ٢٨٤

ـ معرة النعمان : ٢١٦

ـ المعري (ابو العلاء) : ٢١٦

ـ المعز لدين الله الفاطمي : ٢١٥

ـ المعلوف : انظر عيسى اسكندر

ـ معمر بن المثنى : ٤١

ـ معهد علم الآثار (القاهرة) : ١٧١

ـ المعهد النمسوي التاريخي : ١٦٨

ـ معهد المخطوطات العربية : ٢٢٠ ،
٣٦٤

ـ المغازي : ٤٢ ـ ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٨ ،
٧٠

ـ المغرب : ١٠ ، ١٣ ، ١٨ ، ٥٢ ،
٦٦ ، ٧٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٦٢ ،
١٧٤ ، ٢١٧ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ،
٣٢٢

ـ المغرب الاقصى : ١١٥ ، ١٤٣

ـ مغناطيس : ١٦٢ ، ٢١٢

ـ المغول : ٨ ، ٢١٦

ـ مقارنة : انظر (موازنة)

ـ المقدسي : ١٣٣

ـ المقدوسي (اسكندر) : انظر (اسكندر)

ـ المقري : ١١٥ ، ٢١٧

ـ المقريزي : ٥٢

ـ المكان : ٣ ، ٤ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٥ ،
٦٤ ، ٨٦ ، ١٢١ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ،
١٣٧ ـ ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ،

١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ،
١٨٧ ، ٢٠٠ ، ٢١٤ ، ٢٢٨ ، ٢٤٨ ،
٢٥٠ ، ٢٥٨ ـ ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٧٥ ،
٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ،
٢٩٩ ، ٣٠٨ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٨ ،
٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٨ ، ٣٣٣ ، ٣٥٢ ،
٣٥٣ ، ٣٥٧ ، ٣٦١ ، ٣٦٤ ـ ٣٦٧

ـ مكة المكرمة : ٤٢ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ٥٧ ،
١١٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨

ـ المكتبة : ٢٧ ، ٨٧ ، ١١١ ، ١١٨ ،
١١٩ ، ١٢٩ ، ١٤٦ ، ١٦٤ ، ٢١١ ،
٢١٢ ، ٢١٤ ـ ٢١٦ ، ٢٢١ ، ٢٢٧ ،
٢٢٨ ، ٢٤٢ ـ ٢٤٤ ، ٢٦٠ ، ٢٨١ ،
٣٦١ ، ٣٦٤ ، ٣٧١

ـ مكتبة الاسكندرية : ٢١٤

ـ مكتبة برغام : ٢١٤

ـ مكتبة دلهي : ٢٢٠

ـ مكتبة دوتش شتات : ٢٢٠

ـ مكتبة بكين : ٢٢٠

ـ مكتبة طوكيو : ٢٢٠

ـ مكتبة الفاتيكان : ٢٢٠

ـ مكتبة فكتور عمانوئيل : ٢٢٠

ـ مكتبة الكونغرس : ٢٢٠

ـ مكتبة لينين : ٢٢٠

ـ مكتبة المتحف البريطاني : ٢٢٠

ـ المكتبة الوطنية بباريس : ٢١٨ ،
٢١٩ ، ٢٢٤

ـ المكسيك ـ ي : ١٦٣ ، ٣٤٢

ـ ملخص (ثريا عبد الفتاح) : ١٠

ـ ملحمة : ١٩١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٣٣٠

ـ المماليك (دولة) : ١١ ، ٥٧ ، ٧٦ ،
١٦٥ ، ١٨١ ، ٢٩٩ ـ ٣٠١ ، ٣٠٨ ،
٣٢١

ـ المنصور السعدي (احمد) : ١١٥

ـ المنصور (الخليفة العباسي) : ٤٤ ،
٥٦ ، ١٧٠

ـ المنصورة (معركة) : ٢١٧

ـ منظمة الامم المتحدة : ١٢٦

ـ منف : ١٨

ـ منهج البحث التاريخي : ٣ ، ٥ ، ٦ ،
٧ ، ١٠ ـ ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٣ ، ٢٦ ،
٣٢ ، ٣٦ ، ٤٥ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦١ ،
٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٦ ـ
٩٢ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٥ ،
١١٧ ، ١١٨ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ،
١٦٨ ، ١٠٩ ، ٢٨٤ ، ٣١٧ ، ٣٢٤ ،
٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٦٩

ـ المهدي (الخليفة العباسي) : ١٧٠

ـ المهدية : ١٦٢

ـ الموازنة (المقارنة) : ٦١ ، ١٠٥ ،
١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٤ ـ ١٥٧ ،
١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٩٢ ، ٢٥١ ، ٢٦٢ ،
٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٨٥ ، ٢٩١ ،
٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠٧ ، ٣١٢ ،
٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٦٢

ـ الوحدية (الدولة) : ١١٦

ـ الوريسك (الغرباء) : ٢٤

- موراتة (شارل) : ١٨٣
- المورانو : ٢٢٣
- مورفولوجيا : ١٥١
- مورة (تقويم) : ١٣١
- موسكو : ١٠٢
- موسنيه (رولان) : ١٠٦
- الموسوعة ـ عيون : ٣ ، ٨ ، ١١ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٧١ ، ٨٢ ـ ٨٥ ، ٩١ ، ١٢٦ ، ١٣٤ ، ١٦٣ ، ٢٠٠ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٣ ، ٢٨٤
- موسى (النبي) : ٣٣ ، ٦٦ ، ٦٧
- موسى بن نصير : ٧٠
- موسى الكاظم : ٢٥٦
- الموصل : ٥١ ، ٥٣
- الموضوعية : ١٧ ، ٧٣ ، ٨٥ ـ ٨٩ ، ٩٦ ، ١١٧ ، ١٨٩ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ ، ٢٦٩ ، ٢٨٨ ، ٢٩٥ ، ٣١٧ ، ٣٤٢ ، ٣٥٥ ، ٣٦٢ ، ٣٧٠
- مولر (يوحنا) : ٨٥
- مومس : ١٢٥ ، ٣١٨
- مونتسكيو : ٨٤ ، ٩١ ، ١٣٩ ، ١٩٢ ، ٣٢٨
- مون فوكون : ١٦٣
- مونوغرافيا : ٢٣
- الميتافيزيقيـــة : ٦ ، ٣٢ ، ١٢٠ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥
- ميتيلين : ٢٠ ، ٢٣
- ميترولوجيا (علم وزن النقد) : ١٧١
- ميتودولوجيا : انظر (طريقة)
- الميتئورولوجيا : ١٠٢
- المبدية (الحروب) : ٢١
- الميروفنجيون : ١٧٠ ، ١٧٣
- ميسلون : ٢١٠ ، ٣٠٤
- ميشله : ٨٣ ، ٨٥ ، ٢٧٨ ، ٣١٨ ، ٣٣٠
- ميغاليوليس : ٢٣
- ميكروسكوب : ١٦٢
- ميكروفيلم : ١٠٥ ، ٢١٣ ، ٢٢٠ ، ٢٢٨ ، ٢٤٢
- ميلانو ـ الميلانيز : ٢١٨ ، ٢١٩
- ميليتوس : ٢١ ، ٢٠٧
- ميونيخ : ٢٨١

ـ ن ـ

- نابليون الأول : انظر (بونابرت نابليون)
- نابليون الثالث : ١٤١
- نابولي : ٧٨ ، ٨٤ ، ١٥٩ ، ٢٣٦ ، ٢٤١
- نارام سن : ٢٣٢
- النازية : ٣٣٣ ، ٣٤٨
- الناصر (الخليفة) : ٤٧ ، ١٩٦ ، ٢١٧
- ناصر الدين بن حنش : ٢٩٩ ـ ٣٠٢

ـ نامير (لويس) : ٩٥

ـ النبطي : ٣٧ ، ١٥٥

ـ نبيه عاقل : ٢٠

ـ النجم الغزي (محمد) : ١١٣

ـ نحشون بن عمينوذب : ٦٨

ـ نسب (انظر علم الانساب)

ـ النسبية (نظرية) : ٢٩٤

ـ نشوان بن سعيد ـ النشوانية : ٧٦

ـ نص : ٩ ، ٣١ ، ٥٦ ، ٧٣ ، ٨١ ، ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٢٧ ، ١٣٦ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٧ ، ١٨٤ ، ٢٠٤ ـ ٢٠٧ ، ٢١٤ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ـ ٢٧٠ ، ٢٧٢ ـ ٢٨٤ ، ٢٨٨ ـ ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ـ ٢٩٩ ، ٣١٢ ، ٣٦١ ، ٣٦٦

ـ نصارى ـ نصرانية : انظر (المسيحية)

ـ نصير الدين الطوسي : ٢١٦

ـ نظرية : ١٨٢ ، ١٩٤ ، ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ـ ٣٤٣ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠

ـ النعمان (ملك الحيرة) : ٣٧

ـ نفر (نيبور) : ٢٣٣

ـ النفس ـ ية : ٢٢ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ١٥٤ ، ١٨٦ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ٢٩٠ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧ ، ٣٢٣ ، ٣٤٨

ـ النقد : ٨ ، ١٣ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣١ ـ ٣٤ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ـ ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٦ ـ ٨٨ ، ٩٢ ، ١٠٤ ، ١٢٧ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٦٧ ـ ١٦٩ ، ١٨٩ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٣٦ ، ٢٤٤ ـ ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ـ ٢٧٠ ، ٢٧٢ ـ ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ـ ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ـ ٢٩٨ ، ٣٠٦ ، ٣٢١ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠

ـ انظر انواع النقد في (الفهرس العام)

ـ النقش الكتابي : ٥٦ ، ٥٧ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ـ ١٧٨ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٢٥ ، ٢٣٥ ، ٢٥٢

ـ النقود (علم النقود) : ٩٦ ، ١٣٩ ، ١٦٩ ـ ١٧١ ، ١٩٣ ، ٢١٢ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠

ـ النمارة (نقش) : ٣٨

ـ النمسا ـ وي : ١٦٨ ، ٢٣٦ ، ٢٤١ ، ٢٥٤ ، ٢٩٢

ـ النهروالي (محمد قطب الدين) : ١١٤

ـ النهضة : ١٠ ، ٣٢ ، ٤٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٦ ، ٣٢٣ ، ٣٤٣

ـ النهضة العربية المعاصرة : ١١٧ ، ١١٨

ـ النوبة : ٢٤٩

ـ نوبل (جائزة) : ١٢٥ ، ٢١٠ ، ٢٩٤

ـ نوح بن منصور الساماني : ٢١٦
ـ نوده (غابرييل) : ٢٢٣
ـ نور الدين حاطوم : ٢٠
ـ نور الدين الزنكي : ٦٥ ، ٢١٦
ـ نورمنديا ـ ي : ١٤٣
ـ نوفغورود : ٢٣٤
ـ نوى : ٢٠١
ـ النووي : ٥٨ ، ٦٠
ـ نيبسه (نقفور) : ٢١٣
ـ نيبسه (كلود) : ٢١٣
ـ نيتشه : ١٠٥
ـ نيبور (نفر) : ٢٣٣
ـ نيسابور : ٦٠
ـ نيقولا الخامس : ٢١٨
ـ نيقيا (مجمع) : ١٢٨
ـ النيل (نهر) : ٢١
ـ نيوتن : ٢٩٤
ـ نيويورك : ١٧١ ، ٣١٦ ، ٣٢٠

ـ هـ ـ

ـ هانوشا (بوغازكوي) : ٢٣٤
ـ هادريان : ٢٧ ، ٢١٤
ـ هاكين : ٣٢٩
ـ هال (جامعة) : ١٦٨
ـ هاليكرناسوس : ١٩ ، ٢٠
ـ هانز برغستال (فون) : ٢٥٤ ، ٢٥٥
ـ هانيبال : ٢٥
ـ هانوتو : ٥
ـ هبة قسطنطين : ٧٨ ، ٢٣١ ، ٢٥٠
ـ هتزنفا : ١٥
ـ الهجرة : ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤١ ـ ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ١١٣ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ٢٥٩ ، ٢٨٦
انظر (التقويم الهجري)
ـ هردر : ٢٩ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ١٩٣ ، ٣٣٠ ، ٣٣١
ـ هركولانوم : ١٥٩ ، ٢٣٥
ـ هرتشو (مؤرخ) : ٤ ، ٨ ، ١٥ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٤٧ ، ٨٤
ـ هشام بن عبد الملك : ٤٢
ـ هكليوت (جمعية) : ٢٦٣
ـ همبولت (اسكندر) : ١٣٤
ـ الهمداني (متصوف) : ٢٨٦ ، ٢٨٧
ـ الهند ـ ية : ١٧ ، ١٨ ، ٣٧ ، ٤٥ ، ١٢٢ ، ١٣٢ ، ١٧٣ ، ٢٢٠ ، ٢٦٣ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣
ـ الهند الصينية : ١٩٥
ـ الهندو ـ اوربية (اللغة والحضارة) : ١٨ ، ١٥٤ ـ ١٥٦ ، ٢٣٤

ـ الهندوكية (الحضارة) : ٣٤٢
ـ هنري الثاني : ٢٩٠
ـ هنري الثامن : ٨٢
ـ هنكز (أدوار) : ١٦١
ـ هوريستيك (جمع المصادر) : ٢٠٣
ـ هولاكو : ٢١٦
ـ هولاندة ـ ي : ١٤٦ ، ١٩٢ ، ٢٢٨
ـ هومانيست : انظر (انسان)
ـ هوميروس : ٨٧ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤
ـ هيبوقراط : ١٣٢ ، ٣٤٧
ـ هيبوليت دوروم : ١٢٥
ـ هيبياس الاليسي : ٢٠
ـ هيدرونيمي (علم اسماء المياه) : ١٧٨
ـ هيرة : ٢٠
ـ هيرودوت دوهاليكارناسوس : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ١٣٢ ، ١٩١ ، ٢٧٣ ، ٣١٧ ، ٣٤٧
ـ هيروشيوس : ٤٧
ـ الهيروغليفية : ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٦
ـ هيستيه : ٢٠٧
ـ هيغل : ٢٩ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ١٣٩ ، ١٩٢ ، ٣٢٤ ، ٣٣١ ـ ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦
ـ هيفونه (شارل) : ١٣٧
ـ هيكاته الميليتي : ٢٠ ، ١٣٢
ـ هيكل سليمان : ٢٥١
ـ هيلانيكوس دوميتلين : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٦
ـ هيلغمان (فرنر) : ١٤٦
ـ هيلر : ٢٥٤
ـ هيوم (دافيد) : ٣٢٨
ـ الهلنستية : ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ١٢٩ ، ٢١٤ ، ٣٤١
ـ الهيلينية : ١٩ ، ٢٧ ، ٣٤٢

ـ و ـ

ـ واسط : ٦١ ، ٢٥٧
ـ الواقدي : ٤٥
ـ وثيقة ـ توثيق : ٩ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٧١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٦ ـ ٨٨ ، ٩١ ، ٩٤ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١٩ ـ ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ـ ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ـ ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ـ ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ـ ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ـ ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ـ ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ـ ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ـ

٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ـ ٢٩١ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ـ ٣٠٧ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ـ ٣١٦ ، ٣٢١ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢

ـ وثائق مكتوبة : ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٦ ، ٢٦٠ ، ٣١٣

ـ وثائق المحاكم الشرعية : ١٩٧ ، ٢٤٠ ، ٣٦٤

ـ الورثيلاني : ١١٦

ـ وشنطن : ٢٢٠

ـ الوطن العربي : ١٧ ، ١١٧ ـ ١١٩ ، ١٥١ ، ٢٤٣

ـ الوضعية (علم ، مدرسة) : ٤ ، ٥ ، ٢١ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ١٠٨ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣

ـ ولش : ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٣٩

ـ الولايات المتحدة : ٦ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١٢٥ ، ١٨٨ ، ٢٣٧ ـ ٢٣٩ ، ٢٨١ ، ٣٣٤

ـ ولد الوليد (مدينة في اسبانيسا) : ٢٣٦

ـ وهب بن منبه : ٤٠ ، ٤١ ، ٤٤

ـ وود (فانوس) : ٢٢٠

ـ وولف : ٨٧ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤

ـ وي (جيلبر) : ٢٦٦

ـ ويلهلم دلتي : انظر (ديلتي)

ـ ي ـ

ـ اليابان ـ ية : ١٧٣ ، ٣٤٢

ـ ياقوت الحموي : انظر الحموي

ـ اليرموك (معركة) : ٦٧ ، ١٣٨

ـ يعقوب (النبي) : ٦٧

ـ يعقوب بن كلس : ٩٢ ، ٢١٥

ـ اليعقوبي (أحمد بن اسحق) : ٩٦

ـ اليمن : ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٦٦ ، ٧٦ ، ١١٤ ، ١٧٧

ـ يني (جورج) : ٢٨١

ـ يهود : ٢٦ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٦١ ، ٢١٥ ، ٢٣٤ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٣٢٩ ، ٣٤٣

ـ يهوذا بن يعقوب : ٦٨

ـ يوتوبيا : ٣٤٩

ـ يوسف (النبي) : ٦٧

يوسف (القديس) (جامعة) : ٣٠٢

ـ يوغسلافيا : ٢٣٨ ، ٢٩٢

ـ اليوكاتية (الحضارة) : ٣٤٢

ـ اليولياني (التقويم) : ١٢٨

ـ يوليوس قيصر : ١٢٨ ، ١٦٥ ، ١٩١ ، ٢١٤ ، ٣٣٣

ـ يوم ذي قار : ٢٦

ـ اليونان ـ نية : ١٨ ـ ٢٤ ، ٢٦ ،

٢٧ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٤٧ ، ٧٠ ،
٨٠ ، ٨١ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،
١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٥٣ ـ ١٥٥ ،
١٥٧ ، ١٦٢ ـ ١٦٥ ، ١٧٣ ، ١٩١ ،
١٩٢ ، ٢١٤ ، ٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ،
٢٣٥ ، ٢٦٦ ، ٢٨٣ ، ٣٠٣ ، ٣١٦ ،
٣٣٢ ، ٣٤٧

ـ يونس باشا : ٣٠٠
ـ يونس التستري : ٢٨٦ ، ٢٨٧
ـ يونس العادلي : ٣٠٠
ـ اليونسكو : ٢٢٠ ، ٢٣٧

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

فهرس ابجدي
باسماء الكتب والبحوث الواردة ومؤلفيها

اسم الكتاب	اسم المؤلف	رقم الصفحة
	ـ ا ـ	
الآثار الباقية عن القرون الخالية	البيروني	٤٧ ، ٧١ ، ٧٣
الآثار التاريخية في دمشق	سوفاجه	١٧٨
الابطال وعبادة البطل	توماس كارليل	٣٤٤
الامثال	عبيد بن شرية	٤٠
ابن تيمية	محمد بن شنب (بحث في دائرة المعارف الاسلامية)	١٣
ابن خلدون	بل (الفرد) (بحث في دائرة المعارف الاسلامية)	١١
ابن رسته	فان ارندنك (بحث في دائرة المعارف الاسلامية)	١٣٣
الاجرة والتطور الاجتماعي للنقد	سيميان (فرانسوا)	٩٦
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم	محمد بن أحمد المقدسي	١٣٣
احياء علوم الدين	الغزالي	١٣
اخبار الزمان ومن اباده الحدثان	المسعودي	٣٣
اخبار عبيد بن شرية في اليمن واشعارها وانسابها	عبيد بن شرية	٤٠

اسم الكتاب	اسم المؤلف	رقم الصفحة
أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار	الأزرقي	٥٧
الأرض والتطور البشري	لوسيان فيفر	١٣٩
الأزمات التجارية	جوغلار (كليمان)	٩٥
اساليب كتابة التاريخ عند العرب	محمد شفيق غربال	٨
اسد الغابة في معرفة الصحابة	ابن الاثير	٥٣
أسماء الأدوية المفردة	ابن جلجل	٤٧
اشبيلية والاطلنطي في القرن السادس عشر	شونو (بيير)	٩٧
الأصنام	هشام بن محمد الكلبي	٤٢ ، ٥٧
اصول علم جديد مرتبط بالطبيعة المشتركة للامم	ڤيكو	٨٣
اصول فرنسا المعاصرة	تين	٩٢
اطلس تاريخي	لونغنون (أوغست)	١٤١
الاعترافات	روسو	٨٥
الأعلاق النفيسة	ابن رسته	١٣٢
الأعلام	خير الدين الزركلي ١١ ــ ١٤ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٩ ، ١٣٣ ، ١٧٨ ، ١٩٠ ، ٢١٦ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣	
إعلام الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الكبرى	ابن طولون	١١٣
الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ	السخاوي	١١ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٨ ، ٥٣ ، ٦١ ، ٧١ ــ ٧٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨
الأقوال المأثورة لسقراط	كزينوفون	١٩١

اسم الكتاب	اسم المؤلف	رقم الصفحة
الاكليل	الهمداني	٣٧
إلكترا	سوفوكليس	٢٠
إلمامة بالتاريخ عند العرب	عبد الحميد العبادي	
	(في كتاب علم التاريخ) ٤ ، ٨ ، ١٥ ، ٤٧	
الامامة والسياسة	ابن قتيبة	١٩٠
امور فلسفية	هيبوليت دو روم	١٢٥
الامير	مكيافيلي	٨٠
إميل	روسو	٨٥
انحلال الغرب	شبنغلر	١٠٥ ، ٣٤٠
اندروماك	اوريبيديس	٢٠
الانساب	السمعاني	٢٥٦
انساب الاشراف	البلاذري	٢٠ ، ٥٢ ، ٥٦
إنسان العيون في سيرة الامين والمأمون		
(السيرة الحلبية)	نور الدين الحلبي	٤٩
الانهزام الغريب	مارك بلوك	٩٩
اوديب الملك	سوفوكليس	٢٠
اوغاريتيكا	كلود شيفر	٢٣١

ـ ب ـ

الباشي	حمودة بن عبد العزيز	١١٦
باليوغرافيا غرايكا	مون فوكون	١٦٣
بحث دراسة التاريخ	مابلي	١٩١
بحث عن المعطيات المباشرة للشعور	برغسون	٢٩٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف	رقم الصفحة
البحر المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فيليب الثاني	بروديل (فرنان)	١٠٠ ، ١٠١ ، ١٤١
البخلاء	الجاحظ	١٩٠
البدء والتاريخ	المطهر بن طاهر المقدسي	٧٤
بدائع الزهور في وقائع الدهور	ابن إياس	١١٣ ، ٢٠٠
البرق الشامي	العماد الاصفهاني	٥٦
البرق اليماني في الفتح العثماني	محمد قطب الدين النهروالي	١١٤
البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان	محمد بن عبد الله التلمساني	١١٥
بغية الطلب في اخبار حلب	ابن العديم	٥٥
بغية المستفيد في اخبار مدينة زبيد	ابن الديبع الزبيدي	١١٤
بشائر اهل الايمان في فتوحات آل عثمان	حسين خوجة	١١٦
البيان والتبيين	الجاحظ	١٩٠
بنية السياسة عند صعود جورج الثالث على العرش	نامير (لويس)	٩٥
بوليبيوس أو اليونان التي غزاها الرومان	فوستيل دوكولانج	٦
البيبليوغرافيا بوليتيكا	غابرييل نوده	٢٢٣
البيبلوغرافيا التاريخية	لانغلوا (شارل)	٧
البيبليوغرافيا العالمية للبيبليوغرافيات	تيئودور بسترمان	٢٢٥
البيبليوغرافيا العالمية للعلوم الاجتماعية	اللجنة العالمية للعلوم التاريخية	٢٢٦
البيبليوغرافيا الفرنسية عن سورية	بول ماسون	٢٢٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف	رقم الصفحة
	ـ ت ـ	
التاريخ	البخاري	٢٥٧
التاريخ	بلستر (في دائرة المعارف الاسلامية)	٣٥ ، ٣٦
التاريخ	غسب (في دائرة المعارف الاسلامية)	٨ ، ٥٠
التاريخ	فين (في الموسوعة العالمية)	١٦
تاريخ الآداب العربية	جرجي زيدان	٨
تاريخ الاتحاد السويسري	مولر (يوحنس)	٨٥
تاريخ الينا	هيلانيكوس دوميتلين	٢٣
تاريخ الاسلام	الذهبي	٥٤
تاريخ اصول المسيحية	رينان	٥
تاريخ اركاديا	هيلانيكوس دوميتلين	٢٣
تاريخ الازمنة	الدويهي	١١٣
تاريخ اصبهان	حمزة الاصفهاني	٧٨
تاريخ الامم والملوك (الرسل والملوك)	الطبري	٣٥ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ٧١ ، ٢٢٧
تاريخ انحطاط الامبراطورية الرومانية وسقوطها	غيبون (ادوار)	٩١
تاريخ امريكا	ويليام روبرتسون	١٦٢
تاريخ الامير فخر الدين المعني	احمد الخالدي الصفدي	٢٨١
تاريخ انكلترة من ١٥٣٠ ـ ١٥٨٨	فرود	٢٩١
تاريخ أوربا	فيشر	٣٢٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف	رقم الصفحة
تاريخ ايطاليا	غيشاردان	٨٠
تاريخ أيوليا	هيلانيكوس دوميتلين	٢٣
تاريخ بابل	بيروز الكلداني	٢٦
تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي	٤٤، ٥٢، ٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧
تاريخ بلجيكا	هنري بيرين	٩٤
تاريخ التاريخ	بالماد (في الموسوعة العالمية)	١٧
تاريخ التمدن الاسلامي	زيدان (جرجي)	٨
تاريخ الثورة	ميشله	٢٤٧
تاريخ جان دارك	ميشله	٢١٥
تاريخ جديد	جيمس هارفي روبنسون	٩٧
التاريخ الجغرافي	هيفونه (شارل) في كتاب التاريخ وطرائقه	١٣٧
تاريخ الحضارة	سنيوبوس	٧
تاريخ الحضارة العربية	جورج حداد ورائب الحسامي	٢١٥ ــ ٢١٧
تاريخ الحضارة في انكلترة	بكل	٧٠
تاريخ الخلفاء	السيوطي	١٢
تاريخ الدبلوماسية الفرنسية	فلاسان	٢٥٤
التاريخ الدستوري لانكلترة	ستبس	٦
تاريخ دمشق	ابن عساكر	٥١
تاريخ دولة سلجوق	البنداري	٣٦٣
تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية	الزركشي	١١٦
تاريخ سكوتلاندة	وليام روبرتسون	١٩٢
تاريخ السلطان سليم مع قانصوه الغوري	ابن زنبل الرمال	١١٣ ، ٢٩٩
تاريخ سني ملوك الارض	حمزة الأصفهاني	٤٧ ، ٧١

اسم الكتاب	اسم المؤلف	رقم الصفحة
تاريخ السودان	عبد الرحمن السعدي	١١٦
التاريخ السياسي لأوربا المعاصرة	سنيوبوس	٧
تاريخ شارل الثاني ملز	ڤولتير	٨٤
تاريخ شارلكان	ويليام روبرتسون	١٩٢
تاريخ الشعوب الرومانية (اللاتينية) والجرمنية بين ١٤٩٤ ـ ١٥٣٥	رانكه	٨٨ ، ١٩٦
تاريخ ضد الوثنيين	هيروشيوس	٤٧
التاريخ العام والعقلاني للدبلوماسية الفرنسية	فلاسان	٢٥٤
تاريخ العرب	فيليب حتي	٨
تاريخ العرب قبل الاسلام	جواد علي	٨ ، ٣٧ ، ١٥٥
التاريخ العربي والمؤرخون	شاكر مصطفى	٨ ، ٣٥ ، ٣٩
تاريخ العلاقات الدولية	بيير رنوفن	٩٩
تاريخ الفرس	هيلانيكوس دوميتيلين	٢٣
تاريخ الفرنجة	غريغوري التوري	٣٠
تاريخ فرنسا	ميشله	٨٥ ، ٢٦٧ ، ٢٧٨
تاريخ فينيقيا	فيلون الجبيلي	٢٧
التاريخ الكنسي	أوزيب القيصري	٢٩
تاريخ الكنيسة الغربية خلال العصور الوسطى	شميدت	٦
تاريخ اللانقدوق	لادوري (لوروا)	١٠٢
تاريخ المناخ منذ العام الالف	لادوري (لوروا)	١٠٢
تاريخ المحكمة الثورية في باريس	ڤالون (هنري)	١٤١
التاريخ : نظريته وتطبيقه (كفكر وعمل)	بنديتو كروتشه	٨٤ ، ٣٥٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف	رقم الصفحة
التاريخ هل هو علم	شاكر مصطفى	٣١٧
تاريخ هادريان	فيلون الجبيلي	٢٧
تاريخ اليعقوبي	اليعقوبي	٥٦
تحفة الظرفاء في تاريخ الملوك والخلفاء	محمد الباعوني الدمشقي	٧٧
تدريس التاريخ	هنري جونسون ، تعريب واكمال ابو الفتوح رضوان	١٨ ، ٧٠ ، ٢٠٥ ، ٣٥٤
التذكار في من ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار	ابن غليون	١١٦
تراجم الاعيان في ابناء الزمان	البوريني	١١٣
تراجم	فلوطرخس	٣٣ ، ٨٠
التراجم والسير	محمد عبد الغني حسن	٨
التربية كعلم	اسكندر بين	٤
الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب	ابو القاسم الزياني	١١٥
الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار مدن العالم براً وبحراً	ابو القاسم الزياني	١١٥
تطور العقيدة الاقتصادية	غيره	٣٤٠
التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً	ابن خلدون	١١
التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان	عباس العزاوي	٨
التفسير الاسلامي للتاريخ	عماد الدين خليل	٣٣٦ ، ٣٣٩
تفسير اقتصادي لدستور الولايات المتحدة	تشارلز أوستن بيرد	٣٥٥
تفسير موطأ مالك	عبد الملك بن حبيب القرطبي	٢٥٦
تقويم البلدان	ابو الفداء	٥٣ ، ١٣٧
التنبيه والاشراف	المسعودي	٣٣ ، ٧١
تهافت الفلاسفة	الغزالي	١٣

اسم الكتاب	اسم المؤلف	رقم الصفحة
التوفيقات الالهامية	محمد مختار باشا	١٢٩
التيجان وملوك حمير	عبيد بن شرية	٤٠

- ج -

جامع البيان في تفسير القرآن	الطبري	٤١
الجامع الصغير	سفيان الثوري	٢٥٧
الجامع الكبير	سفيان الثوري	٢٥٧
جان دارك	ميشله	٢٧٨
جرمانيا	تاسيتوس	٢٨
الجغرافيا	بطليموس	١٣٣ ، ١٤٣
جغرافية بلاد الغول في القرن السادس	لونغنون	١٤١
الجغرافيا التاريخية	لونغنون	١٤١
جمهرة الانساب	هشام بن محمد السائب الكلبي	٤٢
الجمهورية	افلاطون	١٩
الجمهورية	بودان	١٣٩

- ح -

الحالة العلمية للتاريخ	ماندرو (دائرة المعارف العالمية)	١٦
حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة	السيوطي	١٢
حديقة الزوراء في سيرة الوزراء	ابو الخير السويدي	١١٤
حرب الغول	يوليوس قيصر	١٩١
الحساسية في التاريخ	لوسيان فيفر	١٨٨
الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري	آدم متز (تعريب ابو ريدة)	٣٦٣

اسم الكتاب	اسم المؤلف	رقم الصفحة
الحضارة المادية والراسمالية من القرن الخامس عشر الى الثامن عشر	فرنان برودبل	١٠١
الحق العام لأوربا	مابلي	١٩١
الحلل السندسية في الاخبار التونسية	السراج	١١٦
حواء المستقبل	فيليه دوليل آدم	٢١٢
حوادث دمشق اليومية	البديري الحلاق	٢١٠
حول الشؤون الوثائقية	مابيون	٨٣
الحوليات	تاسيتوس	٢٨
الحوليات	قيصر بارونيوس	٨١
الحياة في فرنسا في العصور الوسطى	لانغلوا	٧
الحيوان	الجاحظ	١٩٠

— خ —

خداينامة (سير الملوك)	تعريب ابن المقفع	٤٦
خريطة شبه جزيرة العرب	بطليموس	١٤٣
خريطة العالم	الادريسي	١٤٣
خطط الشام	محمد كرد علي	٢١٠ ، ٣٠٠
خلاصة الأثر في تراجم القرن الحادي عشر	المحبي	٥٧ ، ١١٣
خواطر في فلسفة تاريخ الانسانية	هردر	٢٩ ، ٨٥

— د —

دائرة المعارف الاسلامية المعربة (الموسوعة الاسلامية)	مجموعة من المؤرخين والمعربين	١١٨—١٣، ٣٥، ٣٦، ٥٠ — ١٣٣
دبلوماسية الاستعمار	وليم لانغر	٩٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف	رقم الصفحة
دراسات في تاريخ الفكر العربي والاسلامي	زكي محمد حسن	٨
دراسات في مناهج البحث في التاريخ الاسلامي	طريف الخالدي	٧٤
دراسة التاريخ	توينبي	١٠٥
دراسة شعبية عن المصريين القدماء	ويلكنسون	١٨
دراسة عن عدم يقينية القرون الاولى الخمسة من التاريخ الروماني	لويس دو بوفور	٨٥
در الحبب في تاريخ اعيان حلب	ابن الحنبلي	٢٨٦
الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب	ابن الشحنة	٥٧
الدرة المصانة في اخبار الكنانة	احمد الدمرداش كتخداعربان	١١٤
الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة	ابن حجر العسقلاني	٥١
دروس ودراسات	دونو	١٩١
الدستور الانكليزي	والتر بادجيت	٣٣٥
دليل النقود الاسلامية في المكتبة الوطنية	هنري لافوا	١٧١
دليل النقود الشرقية في المتحف البريطاني	ستانلي لين بول	١٧١
دليل النقود العربية الساسانية في المتحف البريطاني	جون وكر	١٧٢
دليل النقود العربية البيزنطية في المتحف البريطاني	جون وكر	١٧٢
دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء	الشيخ حاوي رسول الكركوكلي	١١٤
دول الاسلام	الذهبي	١٣ ، ١٤
ديمن رابله	مارك بلوك	٩٩

اسم الكتاب	اسم المؤلف	رقم الصفحة
ـ ذ ـ		
الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة	ابن بسام	٧٤
ذكر الملوك المتوجة من حمير واخبارهم وقصصهم وقبورهم	وهب بن منبه	٤٠
ـ ر ـ		
راس شمرة	غبريل سعادة	٢٣١
الراسمالية الحديثة	فرانز سومبارت	١٣٥
الرسائل	مونتسكيو	١٣٩
رسالة الغفران	ابو العلاء المعري	٢١٦
الرسل والملوك	الطبري	انظر تاريخ الامم والملوك
روح القوانين	مونتسكيو	٨٤ ، ١٣٩
ـ ز ـ		
زبدة الحلب في تاريخ حلب	ابن العديم	٥٥
زبدة النصرة	البنداري	٧٦
زهر الشماريخ في علم التاريخ	عبد الرحمن الفاسي	١٢
الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين اغارت عليها الجنود الكافرة	محمد بن محمد بن عبد الرحمن التلمساني	١١٥
الزمن التاريخي	غي بوجوان (في التاريخ وطرائقه)	١٠١ ، ١٠٢
الزمان والمكان	كوردوليانى (في التاريخ وطرائقه)	١٢٧

اسم الكتاب	اسم المؤلف	رقم الصفحة
— س —		
سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر	المرادي	١١٣
السلوك في معرفة دول الملوك	المقريزي	٥٢
سمط النجوم العوالي في ابناء الاوائل والتوالي	عبد الملك العصامي	١١٥
السنا الباهر بتكميل النور السافر	محمد الشلي الحضرمي	١١٤
سنو الازدلاف وازمات الامبراطورية العثمانية	خليل ساحلي ـ تعريب التميمي	١٣٠
سومر وآكاد	وديع بشور	٢٣٣
السياسة	اريسطو	٢٥
السياسة الخارجية الامريكية كما تصنع (١٩٣٢ ـ ١٩٤٠)	تشارلز اوستن بيرد	٣٥٥
سيرة شارلمان	ايجنهارد	٢٦٤
سير النبلاء	الذهبي	١٣ ، ١٤
السيرة النبوية	ابن إسحاق	٤٤
السيرة النبوية	ابن هشام	٤٤
— ش —		
شذرات الذهب في اخبار من ذهب	ابن العماد الحنبلي	١١ـ١٤، ١١٣
الشفاء	ابن سينا	٢١٦
شفاء الغرام	الفاسي	٥٧
الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية	طاشكبري زاده	١١
الشماريخ في علم التاريخ	السيوطي	١٢

اسم الكتاب	اسم المؤلف	رقم الصفحة
ـ ص ـ		
صبح الأعشى في صناعة الانشا	القلقشندي	٣٦٣
الصحاح	الجوهري	٣٠٢
صحيح مسلم	مسلم القشيري	٥٨ ، ٦٠
الصفات الأصيلة لتاريخ الريف الفرنسي	مارك بلوك	٩٩
صفة جزيرة العرب	الهمداني	٣٧
صور الاقاليم	الاصطخري	١٣٧
ـ ض ـ		
ضحى الاسلام	أحمد أمين	٨
ضد المسيحيين	بورفيروس الصوري	٢٨
الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع	السخاوي	١١، ١٢، ٥١
ـ ط ـ		
طبقات الاطباء	ابن ابي أصيبعة	٥١
طبقات الشعراء	محمد بن عبد السلام الجمحي	٥١
طبقات الصحابة	ابن سعد	٤٣ ، ٥٠
الطبقات في خصائص الاولياء والصالحين والعلماء في السودان	محمد نور الحلفاوي	١١٦
طبقات المحدثين	عبد الملك بن حبيب القرطبي	٢٥٦
الطواف حول البحر الارتيري	مؤلف مجهول	٢٦٣
الطوطمية اليوم	كلود ليفي ستراوس	١١٠

اسم الكتاب	اسم المؤلف	رقم الصفحة
ـ ظ ـ		
ظهر الاسلام	احمد امين	٨
ـ ع ـ		
عالم الفلسفة المعاشة	هنري توماس	٣٣٤
العبر وديوان المبتدا والخبر	ابن خلدون (المقدمة منه)	١١ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٧ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٨٣ ، ٢٢٧
عجائب الآثار في التراجم والأخبار	الجبرتي	١١٤
عصر لويس الرابع عشر	فولتير	٨٤ ، ٣٢٩
عظمة روما وبدهورها	غوغليلمو فريرو	٣٥٥
العقد الاجتماعي	روسو	٨٥
عقد الجواهر والدرر في اخبار القرن الحادي عشر	محمد الشلي الحضرمي	١١٤
العقل المحض	كانت	٣٢٨
العلاقات الاولى بين فرنسا والباب العالي	هامر	٢٥٤
علم آثار العلوم الانسانية	ميشيل فوكو	١١٠
علم الجمال	بنديتو كروتشه	٨٤
علم التاريخ	هرنشو	٣٤،٣٢،١٥،٨،٤
علم التاريخ عند العرب	محمد عبد الغني حسن	٨
علم التاريخ عند المسلمين	روزنتال ١٢،٣٤-٣٦ ، ٣٨،٤٧،٤٩ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٧١ ، ٧٣ ـ ٧٥ ، ٢٥٨ ، ٣٦٣	

اسم الكتاب	اسم المؤلف	رقم الصفحة
علم النفس والتاريخ	لوسيان فيفر	١٨٨
من تاريخ الكنيسة الغربية خلال العصور الوسطى	شميدت	٦
من كتابة التاريخ	أزمان	١٧
عهد أردشير	تعريب البلاذري	٤٧
عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير	الحافظ بن سيد الناس	٤٩
عيون الاخبار	ابن قتيبة	١٩٠
عيون الاخبار بمن مضى من سالف العصر والأزمان الشهير بتاريخ الغرابي	احمد بن عبد الله البغدادي (غراب)	١١٤
ـ غ ـ		
غورجياس	افلاطون	١٩
غران لاروس انسكيلوبيديك	انظر : (اللاروس الكبير الموسوعي)	
ـ ف ـ		
الفتح العثماني لبلاد الشام ومطلع العهد العثماني فيها	ليلى الصباغ	٣٠٢
فتوح البلدان	البلاذري	٥٢
فتوح الشام	الواقدي	٤٥
الفصول العشرة	تيت ليف	١٩١-١٩٢
فضل العرب على العجم	ابن قتيبة	١٩٠
فلسفة التاريخ	تيودور جوفروا	٣٣٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف	رقم الصفحة
فلسفة التاريخ في فرنسا والمانيا	فلنت	٣٤
الفلسفة والتاريخ	هتزنغا	١٥
الفهرست	ابن النديم	٤٥ ، ٤٧ ، ٢٢٣
فوات الوفيات	ابن شاكر الكتبي	١٤
في تحقيق التواريخ	البندكتبون	١٢٥
في فلسفة التاريخ	احمد محمود صبحي	٣١٨ ، ٣١٩
فيليب الثاني وفرانش كونته	اوسيان فيفر	٩٩

— ق —

قانون الحرب والسلام	هوغوغروتيوس	١٩٢
القانون في الطب	ابن سينا	٢١٦
القديس لويس وعصره	هنري فالون	١٤١
قرون مانديبورغ	ماتياس فلاسيوس وزملاؤه	٨١
قصص الأخبار	وهب بن منبه	٤٠
قصص الأنبياء	وهب بن منبه	٤٠
القصيدة الحميرية	نشوان بن سعيد	٧٦
القواعد الزمنية وخلاصة التاريخ العام للهيلينيين والبربر	اوزيب القيصري	٢٩

— ك —

الكامل	ابن الأثير	٥٣ ، ٢٠٥ ، ٢٢٧
كتاب حول منهج البحث التاريخي	برنهايم	٦
كتاب الملوك واخبار الماضين	عبيد بن شرية	٤٠
كتابة التاريخ	فلنغ	٢٥٣

اسم الكتاب	اسم المؤلف	رقم الصفحة
كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون	حاجي خليفة	٢٢٣
نهاية المحتاج بمعرفة من ليس في الديباج	احمد بابا التمبكتي	١١٦
الكلمات والاشياء	ميشيل فوكو	١١٠
الكواكب السائرة في اخبار مصر والقاهرة	محمد بن ابي السرور البكري الصديقي	١١٣
الكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة	محمد النجم الغزي	١٢ ، ١١٣
كيف تكتب بحثا او رسالة	احمد شلبي	٩
كيف نفهم التاريخ	غوتشلك	٣١٩

— ل —

اللاروس الكبير الموسوعي (بالفرنسية)	عديد من الباحثين	٣ ، ٢٢ ، ١٠١
لسان العرب	ابن منظور	٢٠٤
لطائف اخبار الأول فيمن تصرف في مصر من ارباب الدول	الاسحاقي	١١٣
لطف السمر وقطف الثمر في تراجم اعيان الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر	محمد النجم الغزي	١١٣

— م —

ما التاريخ	كار	٣١٧
مارتن لوثر	لوسيان فيفر	٩٩
المادية التاريخية والاقتصاد الماركسي	كروتشه	٨٤
الماضي والحاضر	كارليل	٨٥
مبادىء العلم	جيفونز	٣

اسم الكتاب	اسم المؤلف	رقم الصفحة
مبادىء القواعد المقارنة للغات		
الهندو جرمنية	بروغمان	١٥٥
المجتمع الاقطاعي	مارك بلوك	٩٩
المجسطي	بطليموس	١٤٣
المجلة التاريخية الامريكية		
المجلة التاريخية المغربية	عبد الجليل التميمي	١٣٠
مجلة التركيب التاريخي	هنري بير	٩٣
مجلة الحوليات	بلوك وفيفر	١٠٠
مجلة دراسات تاريخية	جامعة دمشق	٦٦
مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة	حميد الله	٣٨
مجموعة كامبريدج في التاريخ الحديث	اللورد أكتون وزملاؤه	١٩٥
المختصر في تاريخ البشر	ابو الفداء	١٣٧
المختصر في علم التاريخ	الكافيجي	١١ ، ٣٥ ، ٤٨ ، ٧١
المدخل الى التاريخ	خاطوم ـ طوبين ـ عاقل ـ مدني	٢٠
المدخل الى التاريخ الكمي	ج. مركزيفسي	١٠٦
مدخل للدراسات التاريخية	سنيوبوس ـ لانغلوا	٧
مدينة حلب	سوفاجه	١٧٨
المدينة القديمة	فوستيل دوكولانج	٦
مدينة الله	سان أوغستين	٣٠ ، ٣١
مذكرات	جان دو جوانفيل	١٨٧
مذكرات	فيليب دوكومين	١٨٧
مذكرات	الجنرال دوغول	٢١٠
مذكرات	نابليون بونابرت	٢١٠

اسم الكتاب	اسم المؤلف	رقم الصفحة
مذكرات الحرب	ونستون تشرشل	٢١٠
مذكراتي	محمد كرد علي	٢١٠
مذكراتي في العراق	ساطع الحصري	٢١٠
مذكرة عن جزيرة خيوس	فوستيل دو كولانج	٦
مذكرات عن رحلة فاسكودوغاما		٢٦٣
مروج الذهب ومعادن الجوهر	المسعودي	٣٣ ، ٧١
مساعدات البحث التاريخي	ليسنت	١٦٩
المسالك والممالك	الاصطخري	١٣٧
المسالك والممالك	ابن خرداذبة	١٣٣
المستصفى من علم الاصول	الغزالي	١٣ ، ٦٠ ، ٢٨٩ ، ٣٠٤
مصادر التاريخ الاسلامي	سوفاجه	١٧٨
مصدرا الاخلاق والدين	برغسون	٢٩٤
مصطلح التاريخ	اسد رستم	٩ ، ٦٠ ، ٢٥٠
مطلع البدور ومجمع البحور	ابن ابي الرجال	١١٤
معالم لوحة زمنية لتقدم الفكر البشري	كوندورسه	٢٩
ملامح لوحة زمنية لتقدم الفكر الانساني		
معجم الادباء	ياقوت الحموي	٥١ ، ١٢٧
المعنى في التاريخ	ولش	٣٢٠
معجم البلدان	ياقوت الحموي	١٣٧
معرفة انواع علم الحديث	ابن الصلاح	١٣
معنى الماركسية	كول	٣٣٩
المغازي	عروة بن الزبير	٥٢
المغازي النبوية	الواقدي	٥٢
مفاكهة الخلان في حوادث الزمان	ابن طولون	٢١٣ ، ٣٠٠

اسم الكتاب	اسم المؤلف	رقم الصفحة
المفاوضات الفرنسية في الشرق	شارير	٢٥٤
مقال عن التفاهم الانساني	دافيد هيوم	٣٢٨
المقالة الحقيقية	سيلس	٢٨
مقالة عن اخلاق الامم وروحها	فولتير	٣٢٩
مقالة في الاداب	فولتير	٨٤
المقالة في التاريخ العالمي	بوسوه	٣٢
مقدمة اصول التفسير	ابن تيمية	١٣
مقتطفات من معاهدات الدولة العثمانية	دوليستا	٢٥٤
مقدمة ابن خلدون (انظر العبر ايضا)	ابن خلدون ١١ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٣ ، ٢٨٩ ، ٣١٧ ، ٣٢٧	
مقدمة في علوم الحديث	ابن الصلاح	١٣ ، ٢٨٩
مقدمة هوميروس	وولف	٨٧
ملاحظة عن اسباب عظمة الرومان وانحطاطهم	مونتسكيو	٨٤
ملاحظات حول تاريخ فرنسا	مابلي	١٩١
الملل والنحل	الشهرستاني	٣١٤
ممثلو الانسانية	رالف والدو امرسون	٣٤٤
مناهل الصفا في اخبار الملوك الشرفا	عبد العزيز الفشتالي	١١٥
الممكن والواقعي	برغسون	٢٩٤
المنتظم	ابن الجوزي	٥٦
المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور	ابن القاضي	١١٥
المنح الرحمانية في تاريخ الدولة العثمانية	محمد بن ابي السرور البكري الصديقي	١١٣
من المسل الى الرماد	كلود ليفي ستراوس	١١٠

اسم الكتاب	اسم المؤلف	رقم الصفحة
المنقذ من الضلال	الغزالي	١٣
منهجية ابن خلدون التاريخية (بحث)	محمد الطالبي	١٣
منهج البحث التاريخي	حسن عثمان	٩
منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين	ثريا ملحس	١٠
موارد تاريخ الطبري	جواد علي	٨
مؤرخو الحروب الصليبية	السيد الباز العريني	٨
المؤرخون المصريون في القرن الخامس عشر	محمد مصطفى زيادة	٨
الموسوعة الاسلامية العربية وغير العربية	انظر دائرة المعارف الاسلامية العربية	
الموسوعة الالمانية		٢٢٨
الموسوعة الامريكية		٢٢٨
الموسوعة البريطانية		٢٢٨
الموسوعة الفرنسية		٢٢٨
الموسوعة الكبيرة الفرنسية		٢٢٨
الموسوعة العالمية		١٦ ، ١٧
الموطأ	مالك بن انس	٥٩ ، ٢٥٦
مؤلف جديد في تصحيح الزمن	سكاليجر	٨٠
ميزان الاعتدال في نقد الرجال	الذهبي	١٣

— ن —

نحن والتاريخ	قسطنطين زريق	١٠
نزهة الانظار في فضل علم التاريخ والاخبار	الوريلاني	١١٦
نزهة الحادي باخبار ملوك القرن الحادي	الافراني	١١٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف	رقم الصفحة
نزهة المشتاق في اختراق الآفاق	الادريسي	١٤٣
نشأة الحضارة الامريكية	تشارلز أوستن بيرد	٣٥٥
نشأة علم التاريخ عند المسلمين	عبد العزيز الدوري	٨
نصرة اهل الإيمان في دولة آل عثمان	محمد بن أبي السرور البكري	٣٦٤
نصرة الفترة	العماد الاصفهاني	٣٦٣
النصوص المسمارية لراس شمرة ـ أوغاريت	كلود شيفر	٢٣١
نظرات على العالم المعاصر	بول ڤاليري	٥
نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب	المقري	١١٥ ، ٢١٧
نقد العقل العملي	كانت	٣٢٨
نقد النصوص	ماريشال	٢٩٥
النقود العربية وعلم النميات	انستاس الكرملي	١٧٢
النور السافر عن اخبار القرن العاشر	محي الدين العيدروس	١١٤

ـ و ـ

وثائق بلاد الشام في عهد محمد علي	اسد رستم	٩
وفيات الأعيان	ابن خلكان	١٣ ، ٣٣ ، ٤١ ، ٥١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤

ـ ي ـ

يوم ميسلون	ساطع الحصري	١٥٨ ، ٢١٠

الفهرس العام

المقدمة	٣	١٤
الفصل الاول التاريخ وتطوره عبر العصور	١٥	١١٩
ـ تاريخ التاريخ في الحضارات القديمة والعصور الوسطى الاوربية	١٥	
ـ تطور علم التاريخ عند العرب	٣٤	
ـ منهج البحث التاريخي عند العرب	٥٥	٧٨
ـ جمع المصادر	٥٥	
ـ النقد التاريخي عند العرب ونماذج منه	٥٨	
ـ التركيب في المنهجية التاريخية العربية	٧٠	
ـ اسلوب المؤرخين العرب في الصياغة والاداء	٧٥	
ـ تطور علم التاريخ في العصر الحديث والحقبة المعاصرة في العالم الغربي	٧٨	
ـ لمحة من طرائق التاريخ ومدارسه في القرن العشرين	٩٢	
ـ التاريخ العربي في العصور الحديثة وتطوره	١١١	
الفصل الثاني العلوم المساعدة للتاريخ	١٢٠	١٩٣
ـ الكرونولوجيا او علم التوقيت	١٢٠	
ـ علم الجغرافيا وصلته بالتاريخ	١٣١	

- علم الخرائط التاريخية ١٤٣
- الطريقة الخريطية في التاريخ ١٤٧
- علم اللغات او الالسن ١٥٣
- علم فقه اللغة (الفيلولوجيا) ١٥٧
- علم الآثار (الأركيولوجيا) ١٥٨
- علم الخطوط القديمة (الباليئوغرافيا) ١٦٢
- علم الشفرة (الكريبتوغرافيا) ١٦٥
- علم الوثائق (الديبلوماتيك) ١٦٧
- علم النقود أو النميات ١٦٩
- علم الأختام ١٧٢
- علم النقوش الكتابية (ابيغرافيا) ١٧٦
- علم الاسماء ١٧٨
- علم الانساب ١٧٠
- علم الرنوك ١٨٠
- علم الاقتصاد ١٨١
- علم الاقوام (الانثولوجيا) ١٨٤
- الديموغرافيا (علم السكان) ١٨٤
- علم الاجتماع ١٨٥
- علم الاحصاء ١٨٦
- علم النفس ١٨٦

— علم النفس الاجتماعي	١٨٨
— الأدب	١٨٩
— الفنون	١٩٠
الفصل الثالث اختيار موضوع البحث	١٩٤ — ٢٠٢
الفصل الرابع جمع المصادر	٢٠٣ — ٢٤٥
— المصادر وانواعها	٢٠٣
— المكتبات	٢١٤
— البيبليوغرافيا (الفهارس)	٢٢١
— الوثائق والموسوعات العامة	٢٢٧
— دور المحفوظات (الارشيف) وتاريخها	٢٢٩
— دور المحفوظات في التاريخ العربي	٢٣٩
— المتاحف	٢٤٣
— الرواية المباشرة او المصدر الحي	٢٤٤
الفصل الخامس نقد المصادر او الاصول التاريخية	٢٤٥ — ٣٠٥
— التعريف بالنقد وانواعه	٢٤٥
— النقد الخارجي	٢٤٩
— اثبات صحة الوثيقة	٢٤٩
— تثبيت تاريخ الأصل	٢٥٢
— تثبيت مكان الوثيقة	٢٥٨
— تحديد هوية المؤلف	٢٦٠

- البحث عن موارد الاصل ٢٦٣
- اعادة النص الى اصالته وترميمه ٢٦٦
- الاغلاط الارادية واللاارادية ٢٦٨
- نقد التصحيح ٢٧٤

- النقد الداخلي (الباطني) ٢٨٢

- النقد الداخلي الايجابي ٢٨٢
- النقد الداخلي السلبي ٢٨٨
- تثبيت الحقائق التاريخية ٢٩٨

الفصل السادس التركيب التاريخي ٣٠٦ - ٣٥٢

- العملية التركيبية الاولى ٣٠٧
- العملية التركيبية الثانية - تصنيف الحقائق ٣٠٨
- العملية التركيبية الثالثة : المحاكمة التركيبية ٣١٢
- الطريقة السلبية في المحاكمة ٣١٣
- الطريقة ايجابية في المحاكمة ٣١٥
- العملية التركيبية الرابعة - التعليل ٣١٧
- فلسفة التاريخ ٣٢٥
- فلسفة هردر ٣٣٠
- فلسفة هيغل ٣٣١
- فلسفة جوفروا ٣٣٤
- فلسفة اوغست كونت ٣٣٤

- فلسفة والتر بادجيت ٣٣٥
- التفسير المادي للتاريخ ـ كارل ماركس ٣٣٥
- نظريـة شبنغلـر ٣٤٠
- موجز نظريـة توينبي ٣٤٢
- مدارس التفسير التاريخي ٣٤٣
- المدرسة البيوغرافية ـ العلمية ـ الاقتصادية ٣٤٤
  الجغرافية ـ الاجتماعية ـ الفكرية ـ التركيبية

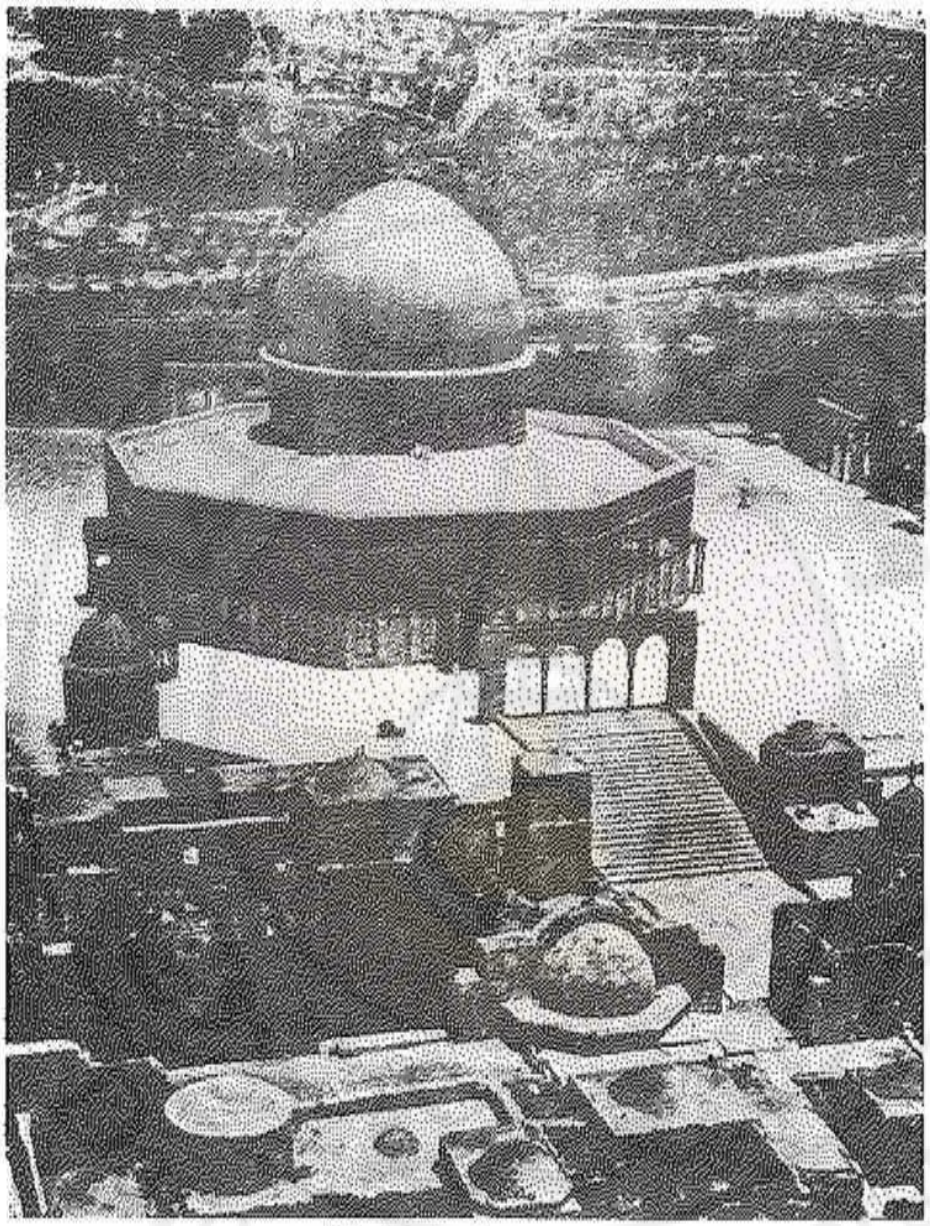
الفصل السابع انشاء البحث التاريخي ٣٥٢ ـ ٣٦٨

- الصياغـة التاريخيـة ٣٥٢
- العـرض ٣٦٠
- الاسلوب اللغوي في العـرض ٣٦٧
- **الخاتمـة** ٣٦٩
- **المصـادر** ٣٧٣
- **الفهرس الأبجـدي العـام** ٣٨٥
- **فهرس ابجدي بالكتب الواردة في الكتاب** ٤٣٩
- **الفهرس العـام** ٤٦٢
- **التصـويب** ٤٦
- **الرسـوم** ٤٦

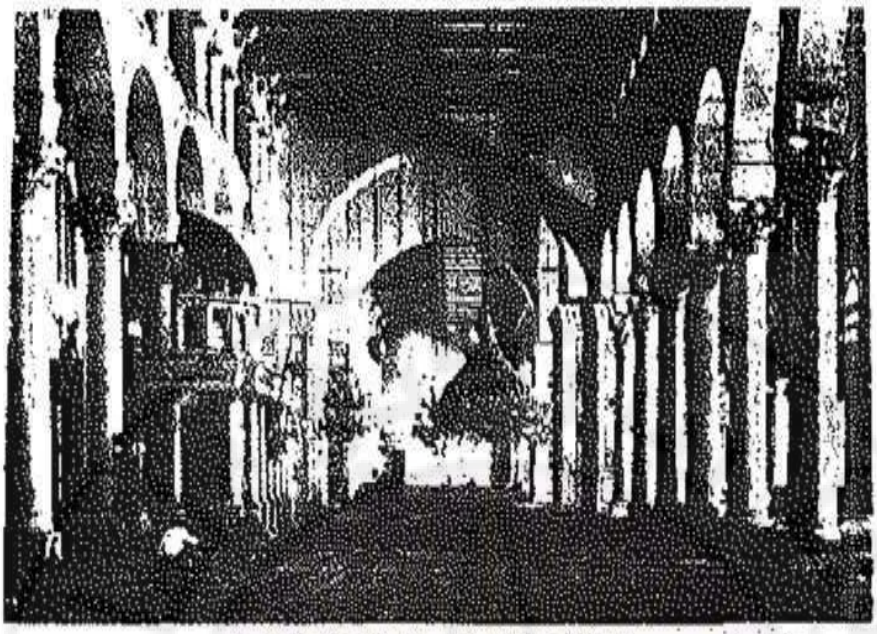
* * *

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

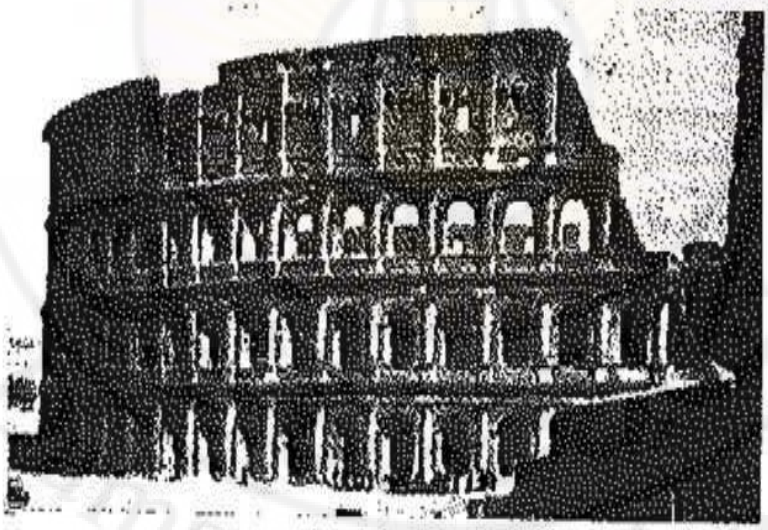
وقل رب زدني علما
Damascus University



مسجد الصخرة في القدس
(بناء عبد الملك بن مروان)
(نموذج عمارة)



قاعة الصلاة في المسجد الاموي بدمشق
قبل حريق ١٨٩٣
(نموذج ٢ عمارة)



الكولوسيوم في روما
(نموذج ٣ عمارة)

نماذج من آثار فن النحت



ـ الهة الخصب والينبوع
ماري ـ متحف حلب ـ
(نموذج ١ نحت)



شيخ البلد ـ تمثال من الخشب ـ الاسرة الخامسة
المتحف المصري ـ القاهرة
(نموذج ٢ نحت)

Damascus University



ـ من المتحف التدمري ـ سورية
(نموذج ٣ نحت)



الكاتب المصري ـ الاسرة الخامسة ـ
متحف اللوفر
(نموذج ٤ نحت)



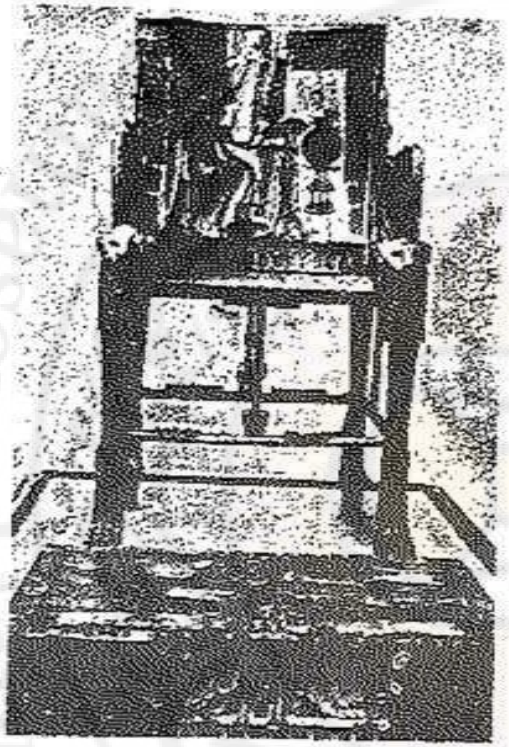
تمثال « أبوللو » من الرخام من العهد الروماني
(المتحف الوطني بدمشق)
(نموذج ٥ نحت)



تمثال رخامي كبير لربة الجمال ينقصه الرأس واليدان
(كشف في اللاذقية ـ المتحف الوطني بدمشق)
(نموذج ٦ نحت)



تمثال البيبنا (العذراء والمسيح) ميكيل ـ آنج الفاتيكان
(نموذج ٧ تحته)



عرش توت عنخ آمون فرعون مصر
(متحف الآثار في القاهرة)
نموذج صناعة فنية

نموذج من (أثر) من فن التصوير



« الجوكندا » ـ ليئوناردو دافنشي ـ عصر النهضة
(متحف اللوفر)

نموذج من نقش كتابي ومصور

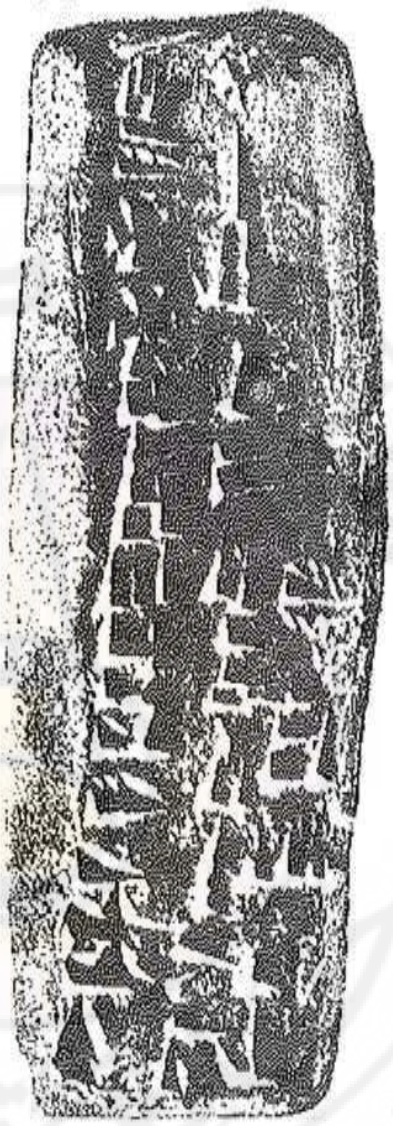


حجر من بلاد العرب الجنوبية . يظهر انه من احجار القبور وقد نقش عليه توسل صاحب القبر الى الاله عثتر بانزال العقاب على من يمس هذا الحجر او ينبش اليه .

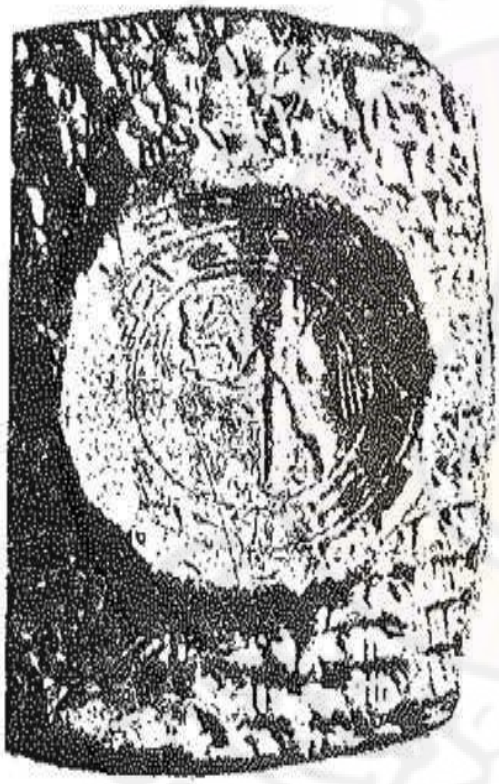


نقش كتابي بالخط المسند [متحف استانبول]

نموذجان لنقش كتابي وختم



ابجدية اوغاريت (رأس شمرة)
وهي اول ابجدية في العالم
(المتحف الوطني بدمشق)



رقيم من اوغاريت وهو رسالة متبادلة
بين ملك كركميش وملك اوغاريت
ويشاهد فيه طابع الخاتم الملكي
(المتحف الوطني بدمشق)

نماذج من الأختام



الصف الاعلى : بضعة نماذج من اختام المدن في اوربا في القرنين الثاني عشر والخامس عشر ، وهي تمثل إما أسوار المدينة ، او جماعات مسلحة من المدينة . وكلها ترمز للحريات التي اكتسبتها تلك المدن .

الصف الأسفل : بضعة نماذج من اختام المدن والامراء في أوربا في القرنين الثالث عشر والخامس عشر ، وهي تحمل صور حيوانات .

نماذج من النقود







نقد فضي من أثينا من القرن الخامس ق.م .

نقد ذهبي
سيراكوز ـ ٤١٣ ق.م

(نموذج نقود ١)





النقد الذهبي لقسطنطين الكبير
(نموذج نقود ٢)



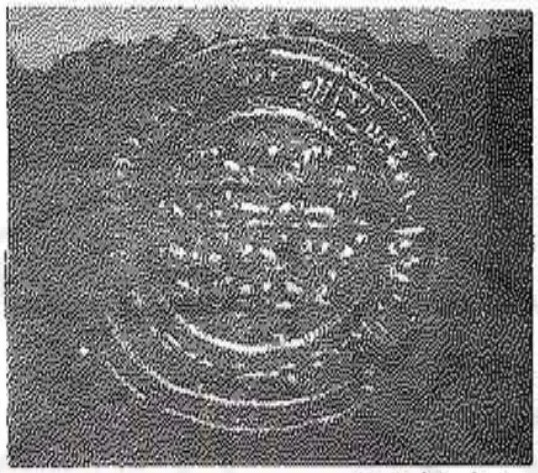
قطعة نقد فضية (تيترادراخما) عليها راس الاسكندر المقدوني
(نموذج نقود ٣)



دينار عربي من عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٦-٨٦ هـ/ ٦٨٥-٧٠٥ م) ؛ وهو من النقود العربية الاولى التي تظهر فيها صورة الخليفة (نموذج نقود ٤)



قطعة نقد عربية - بيزنطية سكت في سورية قبل تعريب عبد الملك بن مروان للنقد . وفيها أبقي على رسم الامبراطور البيزنطي وأولاده بينما أزيلت الصلبان التي كانت على النقد البيزنطي .
(نموذج نقود ٥)



درهم فضي عربي بعد تعريب النقد ، وفيه زالت الصورة تماما وحلت محلها آيات قرآنية « الله أحد ، الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » (نموذج نقود ٦)



نقد من العصر العباسي وقد نقش عليه الله ، محمد رسول الله ، واسم الخليفة العباسي الراضي بالله ، وتاريخ السك ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م . (نموذج نقود ٧)





وجها دينار فاطمي — الآمر بأحكام الله سنة ٥١٨ هـ (نموذج نقود ٨)

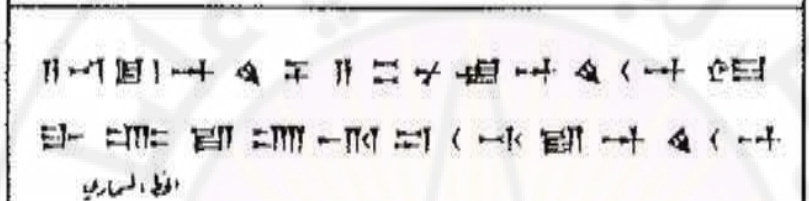




وجها دينار صلاح الدين الأيوبي ضرب مصر سنة ٥٧٢ هـ (نموذج نقود ٩)

子曰。學而時習之。不亦說乎。有朋自遠方
來。不亦樂乎。人不知而不慍。不亦君子乎。南海
الخط الصيني

በስመ ፡ እግዚአብሔር ፡ ሥሉስ ፡ በአ.ተሌልዮ ፣ ዋሕድ ፡ በአ.ተፋ
ልዮ ፣ ክዱን ፡ መለከት ፡ እምተሐልዮ ፣ ወኅሩመ ፡ ሥልጣን ፡
الخط الحبشي


الخط السامري


الخط الهيروغليفي

落下が激しい高所が多く人員乃至物質を
緩速度で 比較的 安全に地上に
降下させる為の 救命具の一種。取つて
語學は好きなので フランス語を 見たが
割合に好く出來てゐる。たゞ。そる〳〵。
الخط الياباني



جمع الطبيعة عبقريتها فكانت الجمال

الشاعر

وكان أحسنه وأشرفه ما جل في الهيكل الآدمي وجاور العقل الثاقب والنفس اللطيفة والحياة الباعثة

الشاعر

فالجمال البشري سيد الجمال كله

الشاعري

لا الفنان البارع استطاع أن يخلقه على النحو الذي أراد ولا للشعراء الزهريات في الصحراء ما لابن لحية ونهاء

الرصافي

ولا لبديع الزهر وغريه في شباب الربيع ما له مسه بشاشة وطب

الرصافي

وليس الجمال بمحة العيون ولا بريق الثغور ولا تعسف القدود ولا لين الخدود

الديواني

ولا أولو الثناء والحسن الشفاء لكن شعاع علوي يسقط على البدن على نموذج الهياكل البشرية

الديواني الأصلي

يكسوها روعة ويجعلها سحرا وفتنة الناس

الكوني

بيروت ١٥/٧ تموز ١٩٥٤ فؤاد رفقي طنطاوي